

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة
قسم الدراسات العليا الشرعية

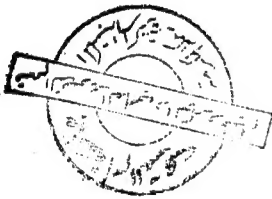


٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٢٢٤

٢٢٢٧

الخزاج

قارئهم وآراءهم الاعتقادية
وموقف الإسلام منها



رسالة يقدمها الطالب
خالد بن علي عولجي

لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية



بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
عطاء عبد المنعم يوكف

أستاذ العقيدة بطلية الشريعة والدراسات الإسلامية

١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به من عون وتوفيق
لأنهاء هذا البحث فله الحمد والشكر كما يحب ويرضى .

ثم أتقدم بخالص الشكر والتقدير لفضيلة أستاذى الكريم الشرف
على هذه الرسالة الاستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف الذى خصص
لى كثيرا من جهده وأوقاته لتذليل تلك الصعوبات الجمة التى واجهتني
فى هذا البحث بصدر رحب واخلص فى التوجيه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى جميع أساتذتى الفضلاء . ثم أشكر
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة التى أتاح لى فرصة مواصلة هذه
الدراسة .

كما أشكر جامعة الطوك عبد العزيز بمكة المكرمة وجميع سوء وليها
على ما يقدمون من تيسير وعون مشكور لطلابهم . وأشكر كل من أعاننى
بالمراجع من اخوانى وزملائى .

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يجزى الجميع خير الجزاء وأكرمه .



"بسم الله الرحمن الرحيم"
====

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومحمد :-

فموضوع هذا البحث هو الخوارج : تاريخا لهم ، وبياناً لأرائهم الاعتقادية ،
وابراز موقف الاسلام منها .

ولا ترجع أهمية هذا الموضوع الى مجرد كونه دراسة لفرقة كبيرة من الفرق
الاعتقادية كان لها أثرها في تاريخ الفكر الاسلامي ، بل ترجع أهميته كذلك الى كونه
دراسة لفرقة كانت تمثل حركة ثورية في تاريخ الاسلام السياسي شغلت الدولة
الاسلامية فترة طويلة من الزمن .

أضفالى ذلك أنهم بسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الاسلامية
في المشرق والمغرب وليس فقط لفترات قصيرة على أيدي القائمين بتلك الحركات الثورية
منهم بل كانت للإباضية دولة بسطت نفوذها بالشرق على عمان وحضرموت وزنجبار
وما جاورها من المناطق الافريقية واستمرت حتى العصر الحديث .

وكانت لهم دولتهم التي شملت المغرب العربي ما يزيد على قرن من الزمان ، فإذا

أضفنا الى ذلك أن الخوارج لا يزال لهم وجودهم في عمان وزنجبار وشرق أفريقيا
وبعض مناطق المغرب العربي ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الاباضى المنتشر
في تلك المناطق فاننا نتبين أهمية دراستهم باعتبارها دراسة لجانب هام من جوانب
الفكر الاسلامي والحياة الاسلامية قديما وحديثا ولا يخفى علينا كذلك أن بعض أفكار
الخوارج ولا سيما الازارقة - المتعلقة بتكفير العصاة - لا يخفى - أن هذه يعتنقها

بعض الناس في العصر الحاضر فيتساهلون في تكفير الناس لأدنى سبب الأمر الذي يحتاج الى عرض هذه القضية . بيان رأى الاسلام فيها .

لهذه الجوانب المتعددة وغيرها في أهمية دراسة الخوارج اخترتهم موضوعا لهذا البحث الى أننى رأيتهم - من دون الفرق الاسلامية - لم يحضوا بالدراسة الكافية من الكتاب المحدثين اللهم الا اذا استثنينا الاباضية منهم حيث توفر على يحيى معمر على كتابة كتابين عنهم وهما "الاباضية بين الفرق الاسلامية" و "الاباضية في موكب التاريخ" .

وفيما يتعلق بالخوارج بصفة عامة فاننا لا نجد الا ذلك القسم من كتاب صغير كتبه فلهوزن عن الخوارج والشيعة، وما كتبه الطالبى تحت عنوان "أراء الخوارج" وان كان قد جمل ما يارب ثلث كتابه هذا ترجمة لاحد علماء الاباضية وتلخيصا لواحد من كتبه، والكتيب الذى كتبه الدكتور مصطفى حلمى تحت عنوان "الخوارج" وكذلك الاستاذ رفعت فوزى فى كتابه الخلافة والخوارج فى المغرب العربى ، وكتب الدكتور محمود اسماعيل "الخوارج فى المغرب الاسلامى" وهذا بالاضافة الى الفصول الصغيرة التى كتبها أحمد أمين فى فجر الاسلام والشيخ أبو زهرة فى تاريخ المذاهب الاسلامية* والدكتور على الخرابى فى " تاريخ الفرق الاسلامية" وما كتبه جولدزير عنهم فى كتابه "العقيدة والشرعة فى الاسلام" .

ومع ما لهذه الكتابات وأصحابها من قيمة لا تنكره ومع ما أفدنا منها فى بحثنا هذا فلم نجد منها ما يستوعب عرض تاريخ الخوارج وحركاتهم الثورية وفرقهم الكثيرة وآرائهم المتشعبة فى جميع المسائل الاعتقادية التى كان لهم فيها رأى .

هذا الى كونها قد خلت أو كادت تخلو من ابراز موقف الاسلام واضحا من تلك الآراء ، وهو جانب مهم فى دراسة الفرق الاعتقادية بحيث لا تقتصر الدراسة على مجرد العرض بل تتضمن كذلك التمهيس والنقد ومن هنا فقد اخترت دراسة الخوارج موضوعا

لهذا البحث تقديرا لأهمية تلك الدراسة وسدا للنقص الموجود فيها سواء كان هذا
النقص واضحا في قصور المؤلفين عن استيعاب جوانب الموضوع في مؤلفاتهم أو كان النقص
في المنهج حيث لم تعرض آراء الخواجه على الاسلام عرضا دقيقا في تلك المؤلفات ،
غير أنني أبادر فأقرر أن قلة التأليف في الخواجه وعدم استيعاب ما كتب عنهم
انما يرجع الى صعوبة الكتابة عنهم ومرجع هذه الصعوبة الى أنهم لم تكن لهم مؤلفات
مؤفورة كبقية الفرق الأخرى يمكن للباحثين أن يستقوا منها آراءهم ، وإذا استثنينا ما
كتبه الاباضية - على قلته - فاننا لا نجد مرجعا لمعرفة آراء بقية الخواجه الا ما
حاكاه عنهم المؤرخون وعلماء الفرق ، وفي هذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" وأقول الخواجه انما عرفناها من نقل الناس عنهم ، لم نقلهم على كتاب

مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والاشعرية وأهل
المذاهب الأربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء " (١)

حقا لقد ذكر ابن النديم في الفهرست أسماء بعض كتبهم حيث ذكر منها اثنين
وعشرين كتابا ، وليس لهذه الكتب وجود أما لكونها "مستورة محفوظة" كما يقول (٢) ،

فلا سبيل للاطلاع عليها ، وأما لكونها ضاعت ، وكذلك البرادى فقد ذكر أسماء ما يقرب
من سبعين كتابا عن الاباضية كلها مفقودة ، ويقول العلامة الاباضى سليمان بن عبد الله
البارونى متأسفا على ضياع كتب الاباضية :-

" وأنا لتأسف كثيرا جدا لفقد مثل هذه التأليف ، فلو وجدت مع ما جمع من ال

المناظرات الواقعة مع المعتزلة للعلامة مهدي وغيره لكانت حجة بالغة والامر لله (٣) "

ويقصد بمهدي هذا ، مهدي النفوس الذى ناظر المعتزلة فى زمن الامام الاباضى عبد الوهاب
بن عبد الرحمن بن رستم أشار اليها البارونى فى الازهار الرياضية دون تفصيل مكتفيا بذكر

انتصار مهدي عليهم فى ذلك المجلس .

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٣٦

(٢) انظر فهرست ابن النديم ص ٢٥٨/٢٥٩

(٣) كرر المؤلف شكواه فى كتابه الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية فى أكثر من موضع

انظر الصفحات (١٦٥) (٢٤٣) (٢٥٣) (٢٩٣) .

ثم يقول عن ضياع كتبهم على يد الجحاني الشيعي الذي استولى على عاصمة
الاباضية (تاهرت) وأنهى دولة الاباضية سنة ٢٩٦ هـ.

"ثم ان الجحاني دخل تيهرت ونهبها واستباحها ، وقصد المكتبة المعروفة
بالمعصومة وأخذ ما فيها من كتب الرياضية والصنائع وغيرها من الفنون الدنيوية
وأحرق الباقي كله ومن هناك فقدت أغلب مؤلفات المذهب ان كانت المكتبة
عظيمة جامعة." (١)

ويقول الدكتور / مصطفى حلى فيما يمزوه الى الخطيب على بن الحسين الهاشمي
" ومن المسير الوقوف على معتقدات الخوارج من واقع كتبهم نفسها لحرصهم الشديد
عليها وهي نادرة ان وجدت ، فالغالب أن مكبات المسلمين عارية عن مؤلفاتهم . (٢)

ويقول الدكتور محمود اسماعيل " والواقع أن عديدا من المصائب تعرض سبيل من يتصدى
للتاريخ لهذا الموضوع ففي بعض الاحيان تندر المادة التاريخية . . . فعلى الرغم
من كثرة ما دون عن تواريخ الخوارج لم يصل اليها الا القليل النادر . (٣)

ويرجع قلة تأليف الخوارج وضياع ما ألفوه الى طبيعة حياتهم الثورية حيث كانت الثورات والمعارك
تأخذ منهم جهودهم وأوقاتهم ، فيه حروبهم وضع المؤلفات في تاريخهم وتسجيل
آرائهم .

وما لا شك فيه أن قلة مؤلفات الخوارج وضياعها وندرة ما بقى منها أو عدم
إظهاره — ما لا شك فيه — أن كل ذلك يضع الصعوبات أمام المؤرخ لهم ويجعله عالمة
على كتب التاريخ وعلماء الفرق والموسوعات الادبية القديمة .

وقد حاولت التغلب على هذه الصعوبة باذلا في ذلك غاية جهدي فرحلت الى مصر وعمان
والكويت واتصلت ببعض المشتغلين بدراسة الخوارج وكذلك بالمكتبات العامة .

(٢) الخوارج ص ١٨

(١) المصدر السابق

(٣) الخوارج في المغرب المحرق الاسلامي ص ٦ وانظر ص ١٥

ومع أننى لم أستطع الحصول على تلك القائمة الطويلة التى كنت أحملها معى من مؤلفات الخواجه الا أننى على كل حال قد حصلت على بعض المخطوطات والمطبوعات القيمة فى هذا الموضوع .

وفىما يتعلق بمنهجى فى دراسة الخواجه فقد آثرت الاعتماد على أوثق المصادر وأهمها ، وفى مقدمتها ما وقع لى من كتبهم قديما وحديثا - على قلته - ولا سيما ما تحت يدى من كتب الاباضية مخطوطة ومطبوعة ثم كتب الفرق والتاريخ والادب التى عنيت بتفصيل تاريخهم وعرض آرائهم .

ولم أقتصر فى عرض الآراء والاحكام على مجرد الاحالة الى أماكنها من تلك الكتب ولكننى ذكرتها كما وردت فى نصوص العلماء ، والمؤرخين حتى لا يكون ما أذكره عن الخواجه مجرد حكاية عنهم وحتى يشاركنى القارئ فى الفهم والاستنباط وللحكم بعد أن أكون قد سهلت عليه الاطلاع على مراجع البحث بذكر النصوص الواردة فى الموضوع .

ومهما كثرت تلك النصوص فهى مقصودة لتلك الغاية المنهجية .

ولم أقتصر فى بحثى على مجرد التاريخ والعرض ولكننى كما قلت من قبل - نهجت منهج التحييص والنقد لما أذكره من آراء فكان لى على كل فصل تعقيب مبينا موقفا لاسلام فى ما تضمنه من آراء .

وقد سرت فى خطة بحثى على النحو التالى :-

قسمت الرسالة الى مقدمة وباين وخاتمة

أما المقدمة التى بين أيدينا فقد جعلتها لذكر الموضوع وبيان أهميته وسبب اختياره وصحة دراسته ومنهج تلك الدراسة وخطة الرسالة .

وأما الباب الأول : فموضوعه تاريخ الخواجه وقد تضمن ثمانية فصول .

الفصل الأول : عن التعريف بالخرفج والخواجه لفة واصطلاحا .

الفصل الثانى : فى أسماء الخواجه والقابهم وذلك بذكرها وتعليل اطلاقها عليهم وبيان

مدى قبول الخوارج لهذا الاطلاق .

الفصل الثالث : عن نشأة الخوارج وذلك بالتأريخ لبدء نشأتهم منذ خروجهم على الامام على في وقعة صفين بسبب التحكيم وبيان موقفهم من تلك القضية ، ثم كيفية انفصالهم عن جيش الامام على وتكوينهم لمجتمعهم الخاص الى أن وقعت بينهم وقعة النهوان .

الفصل الرابع : في بيان أسباب خروج الخوارج ، وذلك بعرضها وبيان مدى أثر كل منها في خروجهم كالنزاع حول قضية التحكيم وجور الحكام وظهور المنكرات والعصبية القبلية وكذلك العوامل الاقتصادية والحماس الديني الذي تميزوا به .

الفصل الخامس : عن حركات الخوارج الثورية : وذلك بذكر هذه الحركات وزعمائها وموقف الدولة منها ابتداءً من الحركات الثائرة في خلافة الامام على ثم على الدولة الاموية ثم على الدولة العباسية .

الفصل السادس : عن دولة الخوارج في المشرق والمغرب : وذلك بعرض نشأة دولة الاباضية والتطورات التي طرأت عليها وموقف الخلافة الاسلامية منها سواء ، في عمان وما جاورها في المشرق أو في جميع مناطق المغرب العربي .

الفصل السابع : عن فرق الخوارج وذلك بالتعريف لهذه الفرق وزعمائها ونشأتها وذكر بعض الآراء الفرعية الخاصة بها وما انشعب اليه بعضها من فرق صغرى .

الفصل الثامن : وهو آخر الباب في بيان خصائص الخوارج الدينية والعقلية كشجاعتهم وسرعة اندفاعهم ومباغتتهم في العبادة والزهد ، وفصاحتهم وقوة تأثيرهم وصدقهم في الحديث وكذا ميلهم الى الجدل وقوتهم فيه .

أما الباب الثاني ، وموضوعه آراء الخوارج الاعتقادية وموقف الاسلام منها

فقد تضمن هذا الباب تسعة فصول :-

الفصل الأول

: وهو فصل تمهيدى عن منهج الخوارج وعنوانه الخوارج بين العقل والشرع
وبين ظاهر النص والتأويل .

الفصل الثانى : وفيه بيان لرأى الخوارج فى بعض مسائل الالهيات والسمميات
كصفات الله تعالى وروءيته ، والقول بخلق القرآن والقدر وكذلك الميزان
والصراط ووجود الجنة والنار قبل يوم القيامة وعذاب القبر

الفصل الثالث : عن الايمان وعلاقة العمل به

الفصل الرابع : عن حكم مرتكبى المعاصى عندهم

الفصل الخامس : عن الامة العظمى ومنزلة الامام وشروطه وكيفية الخروج عليه
ومدى صحة امامه المفضول والمرأة .

الفصل السادس : عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفصل السابع : عن رأى الخوارج فى التقية وحكمهم فى القعدة .

الفصل الثامن : فى بيان موقف الخوارج من مخالفيهم سواء كانوا من الخلفاء أو
الصحابة أو المسلمين بصفة عامة رجالهم وأطفالهم وكذلك الذميين

الفصل التاسع والاخير : فقد كان فى بيان آراء العلماء فى الحكم على الخوارج
سواء من كفروهم أو من اكتفوا بتقسيمهم وتبديعهم .

وما انتهيت اليه فى هذه الدراسة هو غاية ما بذلت من جهد فان أصبت

فيما كتبت فهو فضل من الله سبحانه وتعالى أحمد له عليه .

وما أخطأت فيه فهو طبيعة النقص الانسانى وأسأل الله سبحانه وتعالى

التوفيق والمداة انه نعم المولى ونعم النصير .

- ١ -

((الباب الأول))

تاريخ الخواج

الفصل الاول

التعريف بالخروج والخوارج

- الخروج والخوارج في اللغة :-

الخوارج جمع خارج ، وخارجى اسم مشتق من الخروج .
وقبل أن نتناول بالتعريف مدلول هذا الاسم في تاريخ الفرق الاسلامية
فاننا سنحاول أن نتعرف على أصله الاشتقاقي كما هو عند علماء اللغة ، وذلك
لما بين المعنيين الاصطلاحي واللغوي من ترابط فنقول :

يأتى لفظ الخروج في اللغة لعدة معان منها أنه يأتي بمعنى يوم القيامة
قال أبو عبيدة في قول الله عز وجل " ذلك يوم الخروج " (ق ٤٢) " الخروج اسم
من أسماء يوم القيامة " . ويأتى بمعنى البحث يوم القيامة كقوله تعالى " خشمنا
أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر " (القمر ١٢) . وفي هذا
يقول المجاج :

ليس يوم سى الخروجا أعظم يوم رجة رجوجيا
ويأتى بمعنى الاصحاء . فيقال خرجت السماء خروجا اذا أصبحت بمسند
اغامتها كما قال هميان يصف الابل وورودها :

فصبحت جابية صها رجا تحسبها لون السماء خارجا يريد مصحيا

ويطلق الخروج على ظهور النجابة والتوجه لا برام الامور واحكامها
قال الليث : الخروج : خروج الاديب والسابق ونحو ذلك يخرج فيخرج وخرجت
خوارج فلان اذا ظهرت نجابته وتوجه لا برام الامور واحكامها .

ويطلق الخروج ويراد به تقيض الدخول (١) ويأتى الخروج بمعنى يسهم
العيد فيقال " هذا يوم الخروج " أى يوم العيد . قال ذو الرمة :
وعيطا كأسراب الخروج تشوفت معاصرها والماتقات الاوانس (٢)

(١) تهذيب اللغة ج ٢ ص ٥٠/٤٩ لسان العرب المحيط ج ١ القاموس المحيط ج ١

ص ١٩٢ .

(٢) أساس البلاغة ج ١ ص ٢٢٢/٢٢١ .

ويأتى الخروج بمعنى ضد القمود عن الحرب كما فى قول أبى موسى الأشعرى حين استشاره الناس فى الخروج مع على * القمود سهيل الآخرة والخروج سهيل الدنيا فاخترأوا * (١) .

وقد ورد الخروج فى القرآن الكريم بمعنى الجهاد فقال تعالى : * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة * ٠٠ الخ الآية الكريمة * (التوبة ٤٦) وكذلك قوله تعالى * قل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا * (التوبة ٨٣) .

ويقابل الخارجين للجهاد ما ذكر الله من المخلفين فى قوله تعالى * فخرج المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله * ٠٠ (التوبة ٨١) والخالفين فى قوله تعالى : * انكم رضيتم بالقمود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين * (التوبة ٨٣) والخوالف فى قوله تعالى * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * (التوبة ٨٢) .

وورد بمعنى الهجرة كما فى قوله تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله * (النساء : ١٠٠) .

هذه هى معانى الخروج فى اللغة . أما الخواج فى اللغة فقد جاءت بمعنى البروزات فى البناء كما عرّفها الفيوس بقوله : * هى الطاقسات والمحارب فى الجدار من باطنه والداخل الصور والكتابة فى الحائط بجس أو غيره ويقال الداخل والخواج ماخرج من أشكال البناء مخالفا لأشكال ناحيته وذلك تحسين وتزيين * (٢) .

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٤٨١

(٢) المصباح المنير ج ١ ص ١٧٩ .

والخوارج كما قلنا جمع خارج وخارجى وقد أطلقت كلمة الخوارج هذه فى كتب اللغة على طائفة من أهل الآراء والاهواء لخروجها على الدين أو على الامام على رضى الله عنه . فيقول الازهرى فى تهذيب اللغة : " والخوارج : قوم من أهل الاهواء لهم مقالة على حدة " . وهو تعريف ابن منظور والفيروزابادى أيضا (١) . ويقول الزبيدي عنهم " وهم الحرورية والخارجية طائفة منهم وهم سبع طوائف سموها لخروجهم على الناس أو عن الدين أو عن الحق أو عن على كرم الله وجهه بعد صفين " (٢) .

والخارجى : هو من يخرج ويشرف بنفسه دون أن يكون له أصل فى ذلك قال كثير عزة :

أبا مروان لست بخارجى وليس قديم مجدك بانتحال

وقال الليث : " الخارجية من الخيل التى ليس لها عرق فى الجودة فتخرج سوابق " (٣) وهى مع ذلك جياد يقول طفيل :

وعارضتها رهوا على متابع شديد القبحى خارجى مجنب

وقال الزبيدي بحد أن استشهد بهذا البيت :

" وقيل الخارجى كل مافاق جنسه ونظائره قاله ابن جنى فى سر الصناعة " ثم قال وهذا يتم حسن قول ابن الهيثم :

خذوا حذرکم من خارجى غداره فقد جاء زحفا فى كتيبة الخضراء (٤)

(١) تهذيب اللغة ج ٢ ص ٥٠ - لسان العرب ج ١ ص ٨٠٨ القاموس المحيط ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) تاج العروس ج ٢ ص ٣٠

(٣) تهذيب اللغة ج ٢ ص ٥٠

(٤) تاج العروس ج ٢ ص ٣١ - معجم متن اللغة ص ٢٤٨ . وانظر لسان العرب ص ٨٠٨ ج ١ / فاكهة البستان ص ٣٨٢ / المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٢٣ / القاموس المحيط ج ١ ص ١٩١

والخارجي عند صاحب المنجد الابجدي * من خالف السلطان والجماعة *
أو من * اعتقد بمذهب الخوارج * (١) .

أما الخارجي مشتقا من الخروج فقد ورد في الحديث بمعنى المجاهد في سبيل الله
كما قال عليه الصلاة والسلام * أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل
نصف أجر الخارج * (٢) .

وهكذا يتضح لنا أن الخروج يأتي بمعنى ظهور النجاسة والبحث يوم القيامة
والاصحاء والنبوغ ويوم العيد وأن الخوارج تأتي بمعنى البروزات في البناء .

والخارجي هو مكتسب الشرف بنفسه .

وهلاقة هذه المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي للخروج والخوارج - كما
سيأتي - ما فيها من معاني الظهور والبروز ومجاوزة الحد ، ولكن التعلق القريب
والواضح إنما هو لتفسير الخروج في اللغة بالخروج للحرب والجهاد في سبيل
الله والتفوق على الاقران وتفسير الخارج بالمحارب أو المجاهد في سبيل الله .

(١) المنجد الابجدي ص ٣٩٤

(٢) صحيح مسلم ج ٦ ص ٤٢ ، أبوداود ج ٢ ص ١٢

٢ - الخرج والخواجه في اصطلاح علماء الفریق :

عرف الشهورستاني في الملل والنحل الخواجه تعريفا سياسيا عاما اعتبر فيه الخريج على الامام المتفق على امامته الشرعية خروجا في أي زمن كان حيث يقول :

" كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخريج في أيام الصحابة على الائمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين باحسان والائمة في كل زمان " (١) .

أما الأشعري فقد ذكر الخواجه كاسم على طائفة معينة وهم الخارجيون على الامام على وذكر أن هذا الخريج هو سبب تسميتهم بهذا الاسم فقال :

" والسبب الذي سماوا له خواجه خروجهم على علي ابن أبي طالب " (٢) .

وهذا مقاله صاحب كتاب الاديان والفرق الاباضي في قوله عن الخواجه :

" هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لما حكم " (٣) .

قد زاد ابن حزم على ذلك بأن اسم الخارجى يلحق كل من أشبه الخارجين على الامام على وشاركهم في آرائهم فقال : ومن وافق الخواجه من انكار التحكيم وتكفير أصحاب الكهانة والقول بالخروج على أئمة الجور وان أصحاب الكهانة مخلصون في النار وأن الامامة جائزة في غير قرين فهو خارجي " (٤) .

أما أبي اسحاق اطفيش فانه يرى في تعريف الخواجه خلافاً لما رآه سلفه صاحب كتاب الاديان المتقدم . فقد عرف الخواجه على نحو ما يمتدده الاباضية

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١١٤

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٠٢

(٣) قطعة من كتاب في الاديان ص ٩٦

(٤) الفصل ج ٢ ص ١١٣

المتأخرون من أن المحكمة فمن بعدهم لعلقة بينهم وبين الخوارج فقال معرفاً لهم : " الخوارج : طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين رؤسهم نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر ومحمد بن الصغار ومن شايعهم " (١) .

وهذا التعريف للخوارج هو الذي سار عليه علي يحيى معمر الإباضية فيما كتبه عن هذه الفرقة (٢) .

يؤخذ مما تقدم وجهات نظر ثلاثة في التعريف بالخوارج في اصطلاح علماء الفرق :

- من يرى أنهم الخارجون على الإمام الحق في أي زمان .
- من يرى أنهم الخارجون على الإمام على ومن يرون رأيهم .
- ومن يرى أنهم الخارجون بعد الإمام على ابتداء من الازارقه .

وإذا كان تعريف الخوارج هنا يتناول آراء علماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم فإننا سنتناول ذلك بالبحث التفصيلي فيما بعد . وأياً كان تعريف الخوارج بواحد من هذه التعريفات فمن الواضح ارتباط هذه المصانئ الاصطلاحية ارتباطاً قريصاً بالمعنى اللغوي للخروج وهو الخروج للحرب والجهاد في سبيل الله واكتساب الشرف كما سبق .

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٣

(٢) الإباضية بين الفرق ص ٣٧٧

الفصل الثاني أسماء الخوارج وألقابهم

للخوارج أسماء كثيرة أطلقها عليهم علماء الفرق والمؤرخون . والخوارج يرضون ببعضها وينكرون البعض الآخر . ومن هذه الأسماء ما يأتي :

(١) الخوارج :

وهو أشهر أسمائهم وأكثرها استعمالا . وقد ورد على السنة كتاب المقالات والتاريخ وتكاد بقية أسمائهم الأخرى بالنسبة إلى هذا الاسم تختفي وهو الاسم الذي يشمل جميع فرقهم . وهو اسم يحتمل أن يكون مدحا لهم أو ذما .

فإذا كانت التسمية - كما يريد الخوارج - مأخوذة من قوله تعالى :
” ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ” . فهي تسمية مدح وتكون هذه التسمية منهم . وقد سمو أنفسهم بذلك اعتبارا لهذا المعنى كما سنأتي أقوالهم في هذا قريبا .

وأما إذا أخذت التسمية بمعنى الخروج على الأئمة أو على الناس أو عن الدين أو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهي ولا شك تسمية ذم لهم ويكون مخالفوهم هم الذين سموهم بهذا الاسم باعتبار هذه المعاني وهو ما سار عليه كثير من كتّاب عن هذه الفرقة من علماء الفرق وغيرهم (١) .

(١) انظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٧ . فتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٣ . تاج المصروس ج ٢ ص ٣ . المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٢٤ . البحرين في صدر الإسلام ص ١٢٧ . - القاموس الإسلامي ص ٢٢٤ ج ٢ . - المنجد ص ١٦٩ . - محيط المحيط ص ٥١٩ . الرائد ص ٦٤٧ .

والرجوع الى بعض مؤلفاتهم وأقوالهم وأقوال شعرائهم فاننا نجدهم يطلقونها على أنفسهم على سبيل المدح والفخر ، فمثلا صاحب كتاب الاديان وهو اباضى يسمى هذه الفرقة بالخوارج ثم ياخذ فى مدحهم والثناء عليهم وانهم هم المسلمون اهل الاستقامة وانهم " أول من أنكر المنكر على من عمل به واول من أبصر الفتنة وهابها على أهلها لا يخافون فى الله لومة لائم قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى الى أن يقول « وتتابع الخوارج وانفترقت السبى ستة عشر فرقة بفرقة اهل الاستقامة » ويعنى بهم الاباضية . وقد ذكر هذا الكلام تحت قوله مبها باسم الخوارج " الباب الخامس والاربعون فى ذكر فرق الخوارج وهم الذين خرجوا على على ابن أبى طالب لما حكم " (١) ، ثم أخذ يذكرهم بهذا الاسم فى أكثر من موضع من هذا الكتاب على سبيل المدح .

ويصفهم أحد علماء الاباضية المشهورين وهو نور الدين السالى ذكرنا تلك التسمية لهم ومعللا لها بقوله " لما كثرت بذل نفوسهم فى رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف سموا خوارج وهو جمع خارجه وهى الطائفة التى تخرج فسبى سبيل الله " (٢) .

ويقول محمد بن عبد الله السالى الاباضى " وكان اسم الخوارج فى الزمان الاول مدحا لانه جمع خارجة وهى الطائفة التى تخرج للخزوفى سبيل الله تعالى قال عز وجل «ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة » ثم صار ذما لكثرة تاويل احاديث الذم فيمن اتصف بذكر آخر الزمان ، ثم زاد استقباحه حين استبد به الازارقة والصغرية فهو من الاسماء التى اختفى سببها وفتحت لخبوها فمن ثم نرى الاباضية لا يتسمون بذلك وانما يتسمون بأهل الاستقامة " (٣) .

(١) كتاب الاديان ص ٩٦

(٢) نقله عنه على يحيى معمر فى كتابة الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٨٤

(٣) عمان تاريخ يتكلم ص ١١٨

والخوارج لا يأنفون من اطلاق كلمة الخوارج عليهم . قال شاذانهم عيسى بن فاتك :

ألفا مؤمن فيما زعمتم وبهزمهم بأسك أرموننا
كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنوننا (١)
قال الاصم الضبي قيس بن عبد الله يرضى الخوارج الذين قتلوا عند الجوسق
اني أدین بما دان الشراة به يوم النخيلة عند الجوسق الحزب
النافرين على منهاج اولهم من الخوارج قبل الشك والريب (٢)
قال أحد الخوارج عندما رأى تشتتهم واختلاف أمرهم :
كفى حزنا ان الخوارج اصبحوا وقد شئت نياتهم فتصدعوا (٣)

وقد أجمع مؤرخوا الفرق على تسميتهم بهذا الاسم (الخوارج) (٤)
وانذا ذكرهم أحد المؤلفين باسم من أسمائهم الاخرى فانه يفسره بالخوارج
او يذكّرهم بهذا الاسم . ومرة اخرى باسم الخوارج .

ولمّا الفرق متفقون على تسمية فرق الخوارج كلها بهذا الاسم دون استثناء
لفرقه منهم . لكن متأخري الاباضية منهم قد أنكروا ان يكونوا من الخوارج او ان يكون
لهم علاقة ما بالخوارج فيدعى المؤلف الاباضى على يحيى معمر في كتابه الاباضية
بين الفرق الاسلامية ان ظهور اسم الخوارج كان سنة ٦٤ هـ في اواخر ولاية ابن زياد
بقيادة نافع بن الازرق ، وأما ما قبلها من حركة المحكمة فمن بعدهم الى ظهور
الازارقة فسميها فتنا قام بها طوائف واغراد من الناس ، ويرى أيضا أن تسمية
أهل النهروان بالخوارج تسمية غير واقعية وانها من تكلفات كثير من المؤرخين

(١) شعراء الخوارج ص ٥٤

(٢) شعراء الخوارج ص ١٢٥

(٣) شعراء الخوارج ص ١٣٤

(٤) انظر الهداية والنهاية ص ١٢٠ ج ٧

تكلفا يصل حد السخف كما يقول نو، تمبيره • ولكنه يعود فيذكر انه لا يستطيع تحديد متى استعملت كلمة الخوارج ولا أول من استعملها وعلى من أطلقها في مصدر موثوق به • وقد حاول أن يشكك في كل ما قيل في تلك الفترة عن الخوارج فقال " واحسب ان جميع ما قيل عن الخوارج في تلك الظروف عرضة للنقض وأن الشك فيه اقوى من اليقين " (١) •

ثم أراد ان يجعل لتلك الكلمة اساسا يتطور الامر بعده الى ان تصبح علما على قوم باعياهم تبعا لحقيقة الخوارج عنده فيذكر ان الامر انفجر بعد موت معاوية وخلافة ابنه يزيد فاخذت جماعات من الناس تخرج فكلما خرجت خارجة جهز الوالي الى تلك المنطقة جيشا وقال له انطلق الى خوارج كذا • • • وهذا الاستعمال العسكري السياسي استخلت الكلمة بتاثير الولاة حتى اصبحت علما على الخارجيين على الدين والدولة " (٢) •

ولقد نفى المؤلف بذلك تسمية المحكمة فمن بعدهم الى زمن نافع ابن الازرق خوارج واعتبر ان الخوارج حقيقة هم الازارقة فمن بعدهم وان تلك اللفظة لم تحمل معناها الديني الا بعد قضية التحكيم • وقد سبق منه القول بانها لم تعرف بمعناها الديني الا بعد ذلك الاستعمال العسكري السياسي أيام نافع بن الازرق •

قد اخذ على يحيى معمر رايه في تحديد اطلاق تلك اللفظة عن سلفه قطب الاثمة ابن اسحاق الطخيش فهو يقول " ان تسمية الخوارج لم تكن مصهودة في اول الامر وانما هي انتشرت بعد است شراء امر الازارقة • • • ولم تعرف هذه التسمية في اصحاب على المنكرين للتحكيم والراضين به ولعل اول ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الامر لمعاوية " (٣)

(١) الاباضيين بين الفرق ص ٣٧٧ وص ٣٨٣

(٢) راجع الاباضية بين الفرق ص ٣٨٧

(٣) نقله عنه على يحيى في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٨٤

والواقع أن القول بأن كلمة الخوارج لم تكن معروفة أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانها لم تعرف الا منذ خروج نافع ابن الازرق - الواقع ان هذا الرأي - غير مسلم فقد استعمل اسم الخوارج من قبل وجود الازارقة وذلك منذ خروج الخوارج على علي فقد جاء على لسان أحد أنصار علي رضي الله عنه وهو جندب الازدي أنه قال * لما عدلنا الى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فانتبهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قسرة القرآن * (١) .

ويذكر ابن أبي الحديد أن عليا سماهم خوارج أيضا ذلك حين يقول : * لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه * (٢) . ويذكر ابن الأثير أن عليا قال لربيعة بن أبي شداء الخثمي * أما والله لكأنى بك وقد نفرت مع هؤلاء الخوارج فقتلت وكأنى بك وقد وطأتك الخيل بحوافرها فقتل يوم النهروان مع خوارج البصرة * (٣) .

بل ان كلمة الخوارج وردت في الحديث الشريف قبل الخروج على علي فقد اخرج ابن أبي حاتم والنحاشي وابن مردويه عن أبي غالب أنه مثل عن هذه الآية * ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا * فقال حدثني ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم الخوارج * (٤) .

وقد وردت روايات عديدة في فتح الباري محذرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشير الى ان الرسول * ص * قد أخبر عن الخوارج بهذا الاسم فعند البيهزار من طريق الشمي عن مسروق عن عائشة قالت : ذكر رسول الله صلى الله عليه

(١) تلميس إبليس ص ٩٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٧٨

(٣) الكامل ج ٣ ص ٣٣٨

(٤) راجع الدر المنثور ج ٣ ص ١٣

وسلم الخوارج فقال : هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي . وسنده حسن . ثم
أورد ابن حجر في فتح الباري عدة روايات من هذا القبيل (١) .

ويروى ابن الجوزي الحديث الاتي بعد ان جاء بسند ينتهي الى عبد الله بن
أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب اهل النار (٢)

وما أوردناه من الاقوال والاحاديث الدالة على ظهور كلمة الخوارج وانطباقها
على جميع الخارجين على الامام على وهلى من جاء بعدهم وكانوا على رأيهم
- ما ذكرناه من هذا كله - يدل على شمول اسم الخوارج لجميع الفرق بما فيهم
الاباضية ، ولا أدري معنى لهذا الحرص على الاباضية على عدم دخولهم في
دائرة الخوارج فاذا كانت الاباضية - كما هو معروف - تتولى المحكمة وتعتبرها
سلفا صالحا لهم وينفون عنهم اسم الخارجية فلماذا حين تذكر بعض كتبهم
لفظة المحكمة تفسرها بين قوسين (بالخوارج) كما فعل السالني

والاغرب من هذا انه يسمى الخوارج في العصر المباسي بالمحكمة كما نرى في
نص كلامه حين يقول موازنا بين قوة الخوارج في الدولتين الاموية والمباسية يقول
" ولم تكن قوة المحكمة او الخوارج في العصر المباسي كما كانت في العهد
الاموي " .

ثم يفتي المؤلف ذاكرا شواهد من مناوئة المحكمة او الخوارج للمباسيين .
ويشمل للخوارج بائمة الاباضية المحترمين عندهم مما يدل على انه لا فرق بين
الخوارج والاباضية في التسمية . (٣)

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٦

(٢) تلخيص ابلهين ص ٩٦

(٣) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١١٢ و ١٢٠ .

ومما يثبت شمول اسم الخوارج لجميع فرقهم بما فيهم الاباضية وأن التسمية بالخوارج قديمة أيضا قول صاحب كتاب الاديان والفرق * ولما حكم على بن ابي طالب الحكمين افترق اصحابه فرقتين فرقة خرجت عنه فسموا الخوارج وفرقة شايسته فسموا الشيعة * (١) . الخ . وفي وفاء الضمان باداء الامانة اشارة الى أن الصغرية (وهم خوارج لا يختلف فيهم أحد) كانوا وهم الاباضية يدا واحدة في النهروان حسب قول المؤلف * وكان الصغرية مع أهل الحق منا في النهروان * (٢) . وهذا الاشك انه يناقض ما ذكره العلامة اطفيش على يحيى محمّد من أن اسم الخوارج لا يشمل الاباضية .

ومن هنا يتبين لنا ان التسمية باسم الخوارج قديمة وجدت قبل ظهور الازارقة — كما رأيت — سواء كان ذلك في التنبأ بظهورهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم او في ترديد هذا الاسم على لسان على رضي الله عنه او على السنة غيره من الناس .

٢ - الحرورية :

نسبة الى الموضع الذي خرج فيه اسلافهم حينما انشقوا وخرجوا عن جيش الامام على فاتجهوا الى هذا الموضع فسميت هذه الطائفة اليه وهو موضع قريب من الكوفة يسمى حرورا .

(١) قطعة من كتاب في الاديان ص ٢٢

(٢) وفاء الضمان ج ٣ ص ٢٢

يقول الاشعري مبينا سبب تسميتهم بالحرورية " والذي سموا له حرورية نزولهم بحرورا في أول أمرهم (١) " وهكذا عند الهندادى .

قد أثبت شعراؤهم هذا الاسم فيما قالوه من أسماءهم التي يمتدحون بها كقول أحد شعرائهم يقارن بين جحف الثريد (أى اكله) والجحف بالسيف (أى ضرب الحرورية به) :

ولا يستوى الجحفان جحف ثرية وجحف حرورى بأبيض صارم (٢)
وقول الآخر لامرأته حين أرادت أن تنفر معه :

ان الحرورية الحرة اذا ركبوا لا يستطيع لهم امثالك الطلب (٣)
وقال ابن عباس " ليس الحرورية باشد اجتهدا من اليهود والنصارى وهم يضلون " (٤) .
٣ - الشراة :

وهو من الاسماء الاخرى التي تطلق عليهم متسبين به الى الشرى الذى ذكره الله فى قوله تعالى : " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم " (التوبة : ١١) . وهم دائما يمتدحون بأنهم " شراة " ويفتخرون بهذا الاسم ويسمون . من عداهم من جيش الخلافة " ذوى الجمائل " يصيرونهم بأنهم يقاتلون من أجل الجمل الذى بذل لهم لا من أجل الله وثوابه كما قال شاعرهم عيسى بن فاتك يصف حملة الخوارج على جيش الخلافة ذوى الجمائل بزعمه :

فلما استجمعوا حملوا عليهم
فظل ذوى الجمائل يقتلون (٥)

-
- (١) مقالات الاشعري ج ١ ص ٢٠٧ الفرق بين الفرق ص ٢٥
(٢) شعراء الخوارج ص ٢٣٢
(٣) المصدر السابق ص ٢٣١
(٤) التنبيه والرد للملطي ص ١٧٤
(٥) شعراء الخوارج ص ٥٤

أما هم فليسوا كذلك بل هم - عند أنفسهم - شراءا بلعوا أنفسهم لله
يقول معاذ بن جوير بن حصين الطائي السنبسي :

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ شري نفسه لله أن يترحلا (١)
ويقول كعب بن عجرة في أبي بلال يرثيه :

شري ابن حد ير نفسه الله فاحتوى جنانا من الفردوس جما نعيمها (٢)
يقول الأشعري في سبب تسميتهم بالشراة :

* والذي لمسموا شراة : قولهم شربنا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة (٣) *

٤ - المارقة

ومن أسمائهم الأخرى المارقة وهذا الاسم أطلقه عليهم خصومهم إشارة إلى أنهم هم المقصودون بإحاديث المروق مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث المروق المشهور المروي في الصحيحين بطرق مختلفة عن علي وأبي سعيد الخدري وابن عمر وسهل بن حنيف وفيه عن علي رضي الله عنه قوله " واني سمعت رسول الله "ه" يقول سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يرمقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية فاينمسا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة " (٤) وهي تسمية قديمة فقد أطلقها عليهم مخالفوهم منذ خروجهم عن جيش الامام علي .

(١) شمراء الخوارج ص ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

(٣) مقالات الأشعري ج ١ ص ٢٠٧

(٤) صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٢ - صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٩

ويروى أبو الحسين الملقب أجماع الأمة أجماعاً لا يختلف فيه ناقل ولا راو أن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم مارقة ، وفسر المارقة بأنهم يمزقون من الدين كما يمزق السهم من الرمية (١) وربما كان مستنده في حكاية هذا الأجماع وصف النبي صلى الله عليه وسلم للخارجين بالمروق وانطلقوا أصنافهم على هؤلاء الخوارج كما ظهر ذلك للإمام علي والمسلمين معه . وقال ابن قيس الرقيبات من أبنات له :

إذا نحن شتى صادفتنا عصابة حرورية أضحت من الدين مارقة (٢)

وقال صعصعة بن صوحان من خطبته أمام جمع من قومه يذم الخوارج في كلام طويل " ولا قوم أعدى لله ولكم ولاهل البيت نبيكم ولجماعة المسلمين ممن هذه المارقة " (٣) .

وقال الشهرستاني " وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان " (٤)

٥ - المحكمة :

ومن أسمائهم أيضاً المحكمة وهو من أوائل أسمائهم التي أطلقوا عليها وقد أطلق عليهم بسبب انكارهم تحكيم الحكيمين قولهم " لا حكم إلا لله " (٥) وقد صارت هذه الكلمة " لا حكم إلا لله " شعاراً لهم عندما يريدون الخروج عن طاعة الولاة أو الهجوم على خصومهم في المعركة فكانت انذاراً شديداً لخطورة لمن تقال له .

-
- (١) انظر التنبيه والرد ص ٥٤
 - (٢) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٩٨
 - (٣) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨٦
 - (٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥
 - (٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٧

وهم يفخرون بهذا الاسم على خصوصهم كما قال سميرة بن الجعد الخارجي
في وصف الخوارج :

ينادون بالتحكيم لله انهم
وحكم بن قيس مثل ذاك فاعصموا
راوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
بجبل شديد المتن ليس بناهج (١)

قال عبيدة بن هلال وهو احد فرسانهم من ابيات يرد بها على عمرو بن عبد الله
بن معمر التميمي :

ولكن نقول الحكم لله وحده
قال شبيل بن عذرة :

حمدنا الله ذا النعماء انا
نحكم ظاهرين ولا نبالي (٣)

تلك اسماء الخوارج والقبائل وهم يحبون هذه الاسماء كلها ولا ينكرون منها غير
اسم واحد وهو تسميتهم بالمارقة فانهم لا يرضون به لانهم يعتبرون انفسهم على
الهدى والحق واما من عداهم فانهم ظالمون اهل جور وكفر . قال الاشعري
” وهم يرضون بهذه الالقاب كلها الا بالمارقة فانهم ينكرون ان يكونوا مارقين
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ” (٤)

(١) شعراء الخوارج ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق ص ٩٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٩

(٤) المقالات ج ١ ص ٢٠٧

الفصل الثالث

نشأة الخوارج

أ - متى خرجوا :

يختلف المؤرخون في تحديد بدء نشأة الخوارج هل كان ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو في عهد عثمان أو في عهد علي رضي الله عنهما أو أن نشأتهم لم تبدأ إلا بظهور نافع بن الأزرق وخروجه عام ٦٤ هـ .

وسوف نتناول أقوال المؤرخين في هذا المقام بالمرضى والدراسة واختيار ما نراه صحيحاً منها .

- القول الأول :

أن أول الخوارج هو ذى الخويصرة أو عهد الله بن ذى الخويصرة التميمي الذي بدأ الخروج بالاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الفقي وأتباعه أيام بعمد المدل . وقد ورد في حديث البخاري تحت " باب من ترك قتال الخوارج للتألف وإن لا ينفرد الناس عنه " عن أبي سعيد قال : بينما النبي " ص " يقسم جاء عهد الله بن ذى الخويصرة التميمي فقال أعدل بأمر رسول الله فقال ويليك من يعدل إذا لم أعدل . قال عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه قال دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمدنون من الدين كما يسرق السهم من الرمية ينظر في قذفة فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرت والدم . آتيتهم رجل أحدى يديه أقال ثدييه مثل ثدى المرأة أو قال مثل البضعة تدرر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه جين بالرجل على النعص الذي نعمته النبي " ص " قال فنزلت فيه " ومنهم من يلزمك في الصدقات " (١)

(١) أخرجه البخاري ج ٨ ص ٥٢ ، ٥٣

الرمية : يعنى به الغرض المرص

فهو - على ما يحد ومن تبويه لهذا الحديث - يعتبر ذى الخويصرة أول الخوارج
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك قتله للتألف .

قد أخرج الامام مسلم رحمه الله هذا الحديث مع اختلاف في اللفاظ
قد اقتصر في تسمية ذلك الخارجى الأول على " ذى الخويصرة " بينما هو
في البخارى عبد الله بن ذى الخويصرة ، وربما رجع ذلك الى اشتهاى عبد الله باسم
أبيه ذى الخويصرة فاقصر مسلم على الشهرة بينما ذكر البخارى اسمه كاملا .

وسواء كان الخارج على النبى صلى الله عليه وسلم هو عبد الله أو أبوه فان الحادثة
قد وقعت بهذه الصورة وقد أورد مسلم عدة روايات حول هذه القضية ولكنه لم يصرح
بالاسم الا فى روايتين سميد وفى بعض الروايات التى ذكرها الامام مسلم عن أبى سعيد
ذكر اوصاف ذلك الرجل دون ذكر اسمه كما فى قوله : " بحث على رضى الله عنه
وهو باليمن بذهية فى تربتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمها الرسول
" ص " بين اربعة نفر الاقوع بن جابهى الحنظلى وهيب بن بدر الغزارى وعلقمة
بن علافة العامرى ثم احد بنى كلاب وزيد الخير الطائى ثم احد بنى نهبان ، قال
ففضبت قريش فقالوا اعطى صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى انما فعلت ذلك : لا تألفهم نجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين غائر
العينين ناتى الجبين مطلق الرأس فقال اتق الله يا محمد قال فقال رسول الله
(ص) فمن يطع الله ان عصيته ايامنى على اهل الارض ولا تؤمنونى ؟ قال ثم
أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم فى قتله (يرون انه خالد بن الوليد)
فقال رسول الله ان من ضغضى هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون
اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان يمزقون من الاسلام كما يمزق السهم من الرمية
لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد . *

قد أخبر على بن أبى طالب رضى الله عنه ببعض اوصافهم التى أخبر بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووقع هذا فى ذلك حين قتلهم على بن أبى طالب فى معركة
النهر وان كما جاء فى كلام عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

" ان الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن ابي طالب رضى الله عنه قالوا لاحكم الا لله قال علي كلمة حق اريد بها باطل أن رسول الله وصف ناسا انى لا عرف صفتهم فى هؤلاء يقولون الحق بالسنتهم لا يجوز هذا منهم (وأشار الى حلقه) من ابغض خلق الله اليه منهم اسود احدى يديه طيبى شاة او حلقة ثدى فلما قتلهم على بسن ابي طالب رضى الله عنه قال انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا فقال ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين او ثلاثا ثم وجدوه فى خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه قال عبيد الله وانا حاضر ذلك من امرهم قول علي فيهم زاد يونس فى روايته قال بكير وحدثني رجل عن ابي حنيفة انه قال رأيت ذلك الاسود (١) .

وقد ذهب الى القول بأن اول الخوارج هو ذى الخويصرة كثير من العلماء منهم ابن الجوزى وذلك فى قوله ان " اول الخوارج واتبعهم حالة ذى الخويصرة " وقوله " فهذا اول خارجى خرج فى الاسلام وأتته انه رضى برأى نفسه ولو وقف لحلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هذا الرجل الذى يسمون قاتلوا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه " (٢) .

ومنهم ابن حزم (٣) وهو رأى الشهرستانى ايضا حيث يقول " وهم الذين اولهم ذى الخويصرة واخرهم ذى الشدية " (٤) واعتبر اعتراض ذى الخويصرة خروج صريح ان الاعتراض على الامام الحق يسى خروجا فكيف بالاعتراض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول بعد ان ذكر حديث ذى الخويصرة : " وذلك خروج صريح على النبى صلى الله عليه وسلم ولو صار من اعتراض على الامام الحق خارجيا فمن اعتراض على الرسول أحق بأن يكون خارجيا " (٥) .

(١) انظر صحيح مسلم ج ٣ ص ١١٠ - ١١٦

(٢) تلبس ابلس ص ٩٠

(٣) انظر الفصل ج ٤ ص ١٥٢

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٦

(٥) الملل والنحل ج ١ ص ٢١

وينقل الطالبي عن أبي بكر محمد بن الحسن الاجري انه يرى ان اول الخوارج كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى واجتمعوا وظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قدموا المدينة فقتلوا عثمان ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب * (١) .

القول الثاني :

وهو للقاضي علي بن علي الحنفي شارح الطحاوية الذي يرى ان نشأة الخوارج بدأت بالخرج على عثمان رضي الله عنه في تلك الفتنة التي انتهت بقتله وتسمى الفتنة الاولى يقول * فالخوارج والشيعية حدثوا في الفتنة الاولى * (٢) .

ويسمى ابن كثير الذين ثاروا على عثمان وقتلوه خوارج فيقول * وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدا * (٣) .

القول الثالث :

وهو للورجلاني حيث يعتبر أن نشأة الخوارج بدأت منذ أن فارق طلحة والزبير عليا رضي الله عنه وخرجا عليه بعد ما يمتحما له . ثم يقول * وشرع عادي بن الخوارج ديننا فلهما اجر الخوارج واوزارهما * (٤) .

(١) اراء الخوارج ص ٤٥

(٢) شرح الطحاوية ص ٤٧٢

(٣) البداية والنهاية ص ١٨٩ ج ٢

(٤) الدليل لاهل العقول ص ١٥

القول الرابع :

أن نشأة الخوارج بدأت سنة ٦٤ هـ بقيادة نافع بن الأزرق في أواخر ولاية ابن زياد وهذا الرأي لعلى يحيى معمر الإباضي (١) . وهو في هذا الرأي يتابع قطب الأئمة أبي إسحاق أطفيش الإمام الإباضي الذي يرى أن ما حدث بين الإمام على وبين الطائفة التي انفصلت عن جيشه والتي سميت فيما بعد بالمحكمة إنما هو نوع من أنواع الفتن الداخلية التي وقعت بين المسلمين في ذلك العصر حيث اعتبرت تلك الطائفة أن علياً رضي الله عنه زالت عنه الإمامة الشرعية حينما قبل التحكيم ولهذا فقد ولوا عبد الله بن وهب الراسبي في زهده وتقواه ودعى هذا بدوره علياً للدخول في طاعته بعد أن اختاره من معه من الصحابة وغيرهم - كما يدعى الخوارج " (٢) .

فلم يكن ما حدث بين علي ومن معه في نظر أصحاب هذا الرأي الا فتنة انتهت على نحو ما انتهت عليه وليس خروجاً على الإمام ، كما هو المعنى الحقيقي للخروج الذي يرون أنه لم يبدأ الا بخروج نافع بن الأزرق ، أما ما كان قبل ذلك من حركات ثورية على علي رضي الله عنه والامويين من بعده فهي مجرد ثورات ومواقف حربية دارت بين الفريقين وليست خروجاً بالمعنى الصحيح يقول فسي هذا أبي إسحاق أطفيش :

" الخوارج طوائف من الناس في زمن التابعين وتابع التابعين رؤسهم نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر ومحمد بن الصفار ومن شايعهم وسموا خوارج لانهم خرجوا عن الحق وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك " (٣) .

(١) انظر الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٧٧ ، وانظر الإباضية في مكتب التاريخ

ص ٣٣ المصدر السابق

(٢) عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٣

ويقول على يحيى معمر * سبق الى أذهان أكثر الناس — بسبب خطأ المؤرخين في ربط الاحداث أن المحكمة الذين قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في وقعة النهروان هم أصل الخوارج وهو مفهم خاطئ فان المحكمة قد قتلوا في النهروان ولم ينج منهم الا تسعة أفراد ثم ثار على الحكم الاموي طوائف كثيرة من الناس جماعات وأفراداً حتى ظهر الخوارج في اواخر ولايقابن زياد سنة ٦٤ بقيادة نافع بن الأزرق فمعركة النهروان هي فتنة بين الصحابة وقعت بين الامام علي بن أبي طالب والمحكمة * (١) وما يجدر بالذكر انه قد استبعد أن يكون الناجون من حرب النهروان تسعة فقط كما يأتي ذلك فيما بعد . وهنا اثبت ذلك العدد تأكيداً لرأيه في بدء نشأة الخوارج .

القول الخامس :

أن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الامام علي رضي الله عنه وخروجهم عليه . وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة السالبة من العلماء اذ يعرفون الخوارج بانهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم ومن هؤلاء الاشعري فقد أرخ للخوارج واقدم من أرخ لهم منهم عم الخارجون على الامام علي وقال عنهم :

(والسبب الذي سمو له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب) (٢)

قد تابعه في صنيمه البغدادي حيث بدأ التاريخ للخوارج بذكر الخارجين على علي رضي الله عنه (٣) . وكذلك يرى ابوالحسين الملقب أن الفرقة الاولى للخوارج هي المحكمة (٤) .

(١) الاباضية بين الفرق ص ٣٧٧

(٢) مقالات الاشعري ج ١ ص ٢٠٧

(٣) الفرق بين الفرق ص ٧٤

(٤) التنبيه والرد ص ١٥ .

قد سار على هذا الرأي أصحاب المعاجم ودوائر المعارف (في مسادة
الدين) والكتاب المحدثون الذين كتبوا عن الفرق الاسلامية كالاستاذ
أحمد أمين والشيخ أبوزهرة والغرابي رحمهم الله وغيرهم والمؤرخون في تاريخهم
لاحداث الفتنة الكبرى .

يقول الاستاذ أحمد أمين * واسم الخوارج جاء من انهم خرجوا على علي
وصحبه * (١) .

ويقول الشيخ أبوزهرة * اقترن ظهور هذه الفرقة (أى الخوارج) بظهور
الشيعة فقد ظهر كلاهما كفرقة في عهد علي رضي الله عنه وقد كانوا من انصاره (٢)
وصاحب كتاب الاديان وهو اباضى يعتبر خروج الخوارج انما كان على علي حينئذ
حكم (٣) .

قد اصبح اطلاق اسم الخوارج على الخارجين عن الامام على امرأ مشترك بحيث
لا يكاد ينصرف الى غيرهم بمجرد ذكره .

هذه هي الاقوال في بدء نشأة الخوارج وعلينا في اختيار ما نراه صحيحا منها
ان نفرق بين بدء نزعة الخروج على صورتها وظهور الخوارج كفرقة لها اراءها
الخاصة ولها تجمعها الذي تحافظ عليه وتعمل به على نصرة هذه الراء .

-
- (١) فجر الاسلام ص ٢٥٢
(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٦٥ : ج ١
(٣) قطعة من كتاب في الاديان ص ٩٦

والواقع أن نزعة الخروج - أو تمهيد اداق - قد بدأت بذرتها الأولى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتراض ذي الخويصرة عليه • لكن هل كان خروجاً حقيقياً أم كان مجرد حادث عقودية ؟ • اعترض فيها واحد من المسلمين على طريقة تقسيم الفبي • طمعا في أن يأخذ منه نصيباً أكبر وهو الأمر الذي سترجحه فيما بعد •

أما تمهيد النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي الخويصرة بأن له أصحاباً فقد يجوز • أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد توقع وجود أصحاب يؤيدون هذا الرجل حيث استطاع الاعتراض على صاحب الدعوة فامتنع عن قتله تألفاً له ولهم •

ويجوز أيضاً أن يكون ذلك القول كان توقفاً من النبي عليه السلام وأخباراً عما سيكون من عاقبة هذا الرجل وأمثاله إذ أن الاعتراض على شخصيته "ص" يجمع من المتوقع أن يوجد الاعتراض على الخلفاء من بعده والخروج عليهم من باب أولى •

ويجوز أن يكون قصد النبي صلى الله عليه وسلم بالأصحاب لهذا الرجل هم من يكونون على شاكلته في مستقبل الأيام بحيث يكونون متابعين له على فكرته وإن لم يتزعم قيادتهم في هذا الخروج على النبي "ص" وعلى الخلفاء •

لقد مضى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبوبكر ورضي الله عنهما ولم يكن لذي الخويصرة ذكر في هذه المصهود بعد تلك الحادثة لا بنفسه ولا مع من يمكن أن يكونوا على شاكلته • ولم يذكر التاريخ - فيما اطلعت عليه - أنه كان كذلك من الثائرين على عثمان رضي الله عنه أو أنه كان له أبناء أو أصحاب ينتسبون إليه ففى تلك الثورة مع أن الفارق الزمني بين ورود الحديث فيه وبين أحداث الغزاة الكبرى يسمح بمثل هذا لو كان •

كل هذا يجعل من هذه الحادثة التي ارتكبها ذي الخويصرة حادثة فردية فى وقتها حيث لم يشتهر بالخروج ولم تعرف له آراء خاصة يميز بها ولم يكون له حزبا

سياسيا معارضا وان لم يمنع هذا من اعتباره بدعا لمجرد نزعة الخروج في صورة ساذجة اذا صح أن يكون الاعتراض على تقسيم الفيص خروجيا .

وأما القول بأن نشأتهم تبدأ بشورة الثائرين على عثمان رضى الله عنه فلا شك أن ما حدث كان خروجنا عن طاعة الامام الا انه لم يكن يتميز بانه خروج فرقة ذات طابع عقائدى خاص لها آراء واحكام فى الدين ، غاية ما هنالك أن قوما غضبوا على عثمان واستحوذ عليهم الشيطان حتى أدى بهم الى ارتكاب جريمة قتله ثم دخلوا بين صفوف المسلمين كأفراد منهم .

وفى ما يتعلق بالقول بأن طلحة والزبير رضى الله عنهما كانا اول الخارجين على على كما يقول الوردجلاوى فمن الصعب عليه اثبات ذلك . فقد كان معهما ام المؤمنين عائشة ومن معهم من المسلمين وعلى كل فقد انتهت مقعة الجمل واندمج من بقى منها فى صفوف المسلمين دون ان تجمعهم رابطة فكرية معينة كذلك التى حدثت بين الخوارج على على فى جيشه فيما بعد وكان خروجهم باسم المطالبة بدم عثمان رضى الله عنه فاذا كان قد بدأ الخروج على على بخروج اصحاب مقعة الجمل الا انه لا ينطبق عليهم مصطلح الخوارج كطائفة لها اتجاهها السياسى واراؤها الدينية الخاصة .

أما القول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الازرق فانه لم يقل به غير على يحيى معمر تبعا لقطب الائمة الاباضية ابي اسحاق اطفيش لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقته وبين الازارقة بعدهم وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الاحاديث وارتباطها من المحكمة الى ظهور نافع بن الازرق بحيث يظهر ان الاولين هم سلف الخوارج جميعا كما سنبين هذا عند الكلام عن حركات الخوارج وفرقهم .

وهكذا يتضح الفرق بين مجرد وجود نزعة الاعتراض أو الثورة خروجيا عن طاعة الامام وبين الخروج فى شكل طائفة لها اتجاهها السياسى واراؤها الخاصة كخروج

الذين خرجوا على على رضى الله عنه منذ وقعة صفين وهم الذين ينطبق عليهم
مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وهذا هو القول الاخير الذى
نختاره ونسير عليه فى هذه الرسالة مؤرخين لهذه الطائفة دارسين لأرائهم •

والواقع أن هذا هو ما يشهد له واقع تلك الحركة التى احدثت دواها
فى تاريخ هذه الامة الاسلامية عدة قرون تميزت فيها بآراء ومعتقدات وانظمة
لفتت اليها انظار علماء التاريخ والشرق الاسلامية • بخلاف ما سبقها من حركات
فانها لم يكن لها اثر فكري او عقائدى يذكر •

٢ - كيف خرجوا بعد قبول التحكيم في مقعة صفين :

لقد تمت البيعة للامام على بعد مقتل عثمان رضى الله عنهما وقام معاوية ابن ابي سفيان وكان واليا على الشام - يطالب بدم عثمان ويطلب من على تسليم قتله ودون هذا فانه ممتنع عن البيعة له ، وكان من رأى على أن يتمكن أولا من دخول جميع الامصار في طاعته خصوصا وان الخارجين كانوا أهل شوكة قومية وقد اندسوا في الامصار واصبح طلبهم ابان هذه الثورة العارمة زيادة في ايقاد نار الفتنة ، اصف الى ذلك انه لا بد من التعرف على القتلة الحقيقيين واقامة الحجة الشرعية عليهم حتى يمكن القصاص منهم ، وكان ذلك كله يحتاج الى وقت لم يمهله معاوية فيه .

ودون الدخول في تفاصيل تاريخية ليس هذا موضعها تطور الخلاف بينهما الى لقاء حربي في مقعة صفين المشهورة حيث كان الامام على على رأس جيشه من أهل العراق وكان معاوية على رأس أهل الشام .

قد كان لهذه المعركة نتائج حاسمة بالغة الهمية ، ففي أثناء المعركة - حينما بدت بوادر هزيمة جيش معاوية ولاح النصر في جانب جيش الامام على - استشار معاوية عمرو بن العاص في المخرج من هذا الامر فاشار عمرو بن العاص بان ترفع المصاحف فوق اسنة الرماح فرفع خمسمائة مصحف كما يقول المسمودي (١) وطالها أهل العراق بتحكيم كتاب الله في هذه القضية التي سفت فيها الدماء فوافق هذا الطلب قهولا من أهل العراق .

(١) مرجع الذهب ج ٢ ص ٤٠٠

أما موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه من هذا الطلب فإن أكثر المؤرخين يذكرون أنه وقف منه موقف الحذر الحازم ورأى من أول وهلة أن هذا الطلب إنما يقصد به إيقاف الفتنة والفرقة بين جيشه من جهة وإعطاء الفرصة لجيش معاوية ليأخذ فترة يستعيد فيها قواه من جهة أخرى فقد حذر على أصحابه من منتهى قبول هذا الطلب قائلا لهم :

" عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم فإن معاوية ومرو بن الحنظل وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكم انهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها وما رفعوها لكم الا خديعة ودهنا وكيدة " (١) .

ولهذا اصر على مواصلة القتال وكان له انصار يقطرون شجاعة ومسالمة اشبال الاشترا النخعي الذي اشرف على الحاق الهزيمة بجيش الشام لولا منع علي له عن مواصلة الحرب تحت تهديد تلك الفئة التي قبلت الدعوة الى التحكيم .

ولكن قسما كبيرا من جيش علي رضي الله عنه ابوا الا إيقاف القتال فورا والهدوء في مفاضة التحكيم وابوا عليه الا انفساد خطته والرضى برأيهم في إيقاف الحرب وحملوه على قبوله بالقوة (٢) . بل انهم ابدوا موافقتهم عليه فورا دون أن يستشيروا عليا كما يقول فلهوزن (٣) . ووصل بهم الامر الى ان هددوا عليا نفسه بانهم سيفعلون معه اذا لم يوقف القتال ما فعلوا بميثمان او سيد قمونه بمرته السي معاوية .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٨ ٤٩ والنص هكذا اورد .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥

(٣) الخوارج والشيعة ص ٢٦

وهم جماعة القراء - الذين صاروا خوارج فيها بعد - فنادوه باسمه
لا بأمره المؤمن قائلين له يا على اجب القوم الى كتاب الله اذ دعيت اليه
والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنها ان لم تجب (١) ، وكان أشدهم
خروجاً عليه ومروفاً من الدين - كما يقول الشهرستاني - الأشعث بن قيس الكندي
وزيد بن حصين الطائي وسمر بن قنك التميمي (٢) .

قد اعتقد هؤلاء القراء ان الدين يأمر بذلك ولهذا فما ينبغي لهم الاعراض
عن قبوله واحتجوا بقوله تعالى " ألهم الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معروضون " (آل عمران : ٢٣)
فارسلوا الى اهل الشام طالبيين منهم ان يمشوا حكماً من قبلهم وهم يمشون حكماً
من قبلهم وان لا يحضر معهما الا من لم يباشر القتال فمن رأوا الحق ممسكاً
أطاعوه (٣) .

ولقد كان الأشعث ممن لعب دوراً مهماً في هذا النزاع فكان ممن يجذب قبول
التحكيم وكان يطمئن على بأن الناس قد سرهم التحكيم وقد وصف بان له دوراً مشكوكاً
فيه فقد مر بنا أن الشهرستاني وصفه بأنه من أشد الخارجيين على علي وأشد هم
مروفاً من الدين ووصفه السعدي بأنه كان " بدأ هذا الامر - يعني التحكيم -
والمانع لهم من قتال عدوهم حتى يفقهوا الى أمر الله " (٤) ووصفه على يحيى
محمربانه كان من اكبر صنائع معاوية (٥) .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٩ ، الملل والنحل ج ١ ص ١١٤ ، البدايعة
والنهاية ج ٧ ص ٢٧٤ ، شرح منهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٦-٢١٨ ، مرجع
الذهب ج ٢ ص ٤٠٣

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٤

(٣) انظر فتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٤

(٤) مرجع الذهب ج ٢ ص ٢٠٤

(٥) الاباضية في موكب التاريخ ج ٢ ص ٢٨٢

ومن هنا نرى مدى الدور الذي سلكه القراء في هذا المجال وانهم كما وصفهم فلمهوزن كانوا سريعي الاجابة الى قبول التحكيم كتاب الله وان داء اهل الشام احدث " في اهل العراق الاثر المطلوب خصوصا في القراء الاثقياء " (١) كما ذكر.

ولقد تبين صدق وصفه صلى الله عليه وسلم لهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز حلقهم وانهم اهل عبادة حيث كان المطالبون بقبول التحكيم من جيش علي هم القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد .

٣ - اكرام الامام علي على قبول التحكيم

واختيار ابي موسى الاشعري نائبا عنه

والقول بقبول الامام علي للتحكيم مكرها هو المشهور في روايات المؤرخين وعلما الفرق كما اسلفنا لكن هناك راي آخر لصاحب كشف الغمة الاباضي وهو ان قبول التحكيم كان برضا من الامام علي ، وأن عليا ومعاوية تكانا سرا حيث كتب معاوية الى علي يطلب منه أن يختاروا حكيمين فما حكما به رضياه كلاهما فانعم علي بذلك كما يقول المؤلف ، وانه لما بلغ عمار ذلك عاتب عليا وطلب اليه عدم قبول التحكيم ولقنه حججا يرد بها علي معاوية ان هو عاتبه في عدم قبول التحكيم اوردتها المؤلف وان عمار قد اشتد به الغضب وقال لعلي " اشككنا في ديننا وارتدنا عن بصائرنا لنحكم عدونا في ديننا ودمائنا فهلا كان ذلك قبل وضع السيف وقتل طلحة والزبير وهما يدعوانك الى ذلك فابيت وقتلت اني على الحق دونهم " (٢) .

(١) الخوارج والشيعة ص ٢٥

(٢) كشف الغمة ص ٢٧٦ .

ثم يضى المؤلف فى جهله بمنزلة الامام على بن ابي طالب فيصفه بالجهل
والخبا حين احتال عليه معاوية فرضى بالتحكيم وحكم ابا موسى الاشمرى وذلك
فى قوله :

" ثم ان معاوية جعل يكاتبه سرا فى تحكيم الحكيم حتى رضى بذلك فاختار
من جهله ابا موسى الاشمرى واختار معاوية عمرو بن العاص شانى رسول الله صلى
الله عليه وسلم " (١) .

وكيففى ما فى هذا القول من التهجم على صحابة رسول الله بما لا يجوز ان يقال
أقل منه فى غيرهم وهم الذين رضى الله عنهم ، واننا لنشأل فى هذا المقام
ايمكن أن تصور ممن هو أقل من على ذكاء وفطنة ان يطلب الى وال من ولائـه
تمرد عليه تحكيم الناس بينهما مع يقينه التام بانه الامام الحق ومع ما يراه من
أن النصر كان بجانبه قبل التحكيم وقد كادت ان تصل المعركة الى نهايتها فى صالحه
لولا هذا التحكيم . اضف الى ذلك ان ما يذهب اليه صاحب كشف الغمة يخالف
ما يكاد ان يجمع عليه المؤرخون باسنادهم وكذلك علماء الفرق وماتدل عليه مجربات
الامور من اكراه الامام على على قبول التحكيم .

وهذا هو على يحيى معمر الاباضى يرى فى كتابه الاباضية فى موكب التاريخ
خلاف ما رآه سلفه فهو يثبت ان الامام على أدرك ان رفع العصاف حيلة وخذعة
الا انه " بدلا من ان يقف موقفه الحازم . . استجاب لدعاة الهزيمة واخذ بنصيحة
طلاب الدعة واكثرهم موعود من معاوية او من عمرو بن العاص ورضى بالتحكيم وقبل
الهدنة وامر بإيقاف القتال فى الحال " (٢) .

(١) كشف الغمة ص ٢٧٦

(٢) الاباضية فى موكب التاريخ ص ٢٢ ، ٢٣ ج ١

ومفوض النظر عن ما يذكره من الخدعة في قضية التحكيم وهو موضوع سنبحثه
قريبا فانه اثبت اكراه الامام على التحكيم كما اثبتته عامة المؤرخين .

وهناك مؤلف آخر يوافق صاحب كشف النعمة فيما يذكره من رضا الامام على
وسايعته الى التحكيم وهو الملقى وذلك فيما يرويه عن حبيب بن ثابت انه قال :
" اتيت أبا وائل في مسجد أهله أساءه عن هؤلاء الذين قتلهم على رضى الله
عنه بالنهروان فيما استجابوا له وفيما غارقوه عليه وفيما استحل قتالهم فقال " كنا
بصفين فلما استمر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية
رحمهما الله ارسل الى على رضى الله عنه بالصحف وادعه الى كتاب الله عز وجل
فانه لن يابى عليك فاجابه رجل فقال بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل (الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق
منهم وهم معوضون " (آل عمران : ٢٣) . فقال على : نعم انا اولى بذلك
بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فجاءه الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء والقوا
سيوفهم على عواتقهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء الذين على التل
الا نمشى اليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم " (١) . الخ كلامه .

قد سبق أن بينا ما في هذا الرأي من مخالفته المشهور عند عامة المؤرخين
وهو أن عليا اكراه على قبول التحكيم .

لقد أكره الخوارج الامام عليا على قبول التحكيم كما ذكرنا آنفا وقد اراد ان يتلافى
ما في ذلك التحكيم من مخاطر وذلك بارسال من يمثله للمفاوضة ممن يرتضيهم صدق
نية ورجاحة فكر ولكن وقف الخوارج مرة اخرى في طريقة فابوا الا ارسال من يرتضونه

هم، ذلك أن عليا رضي الله عنه أراد أن يرسل الالمى الذكى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فما رضى الخوارج بذلك قالوا هو منك وهم يريدون - على حـد زعمهم - رجلا لم يكن قد انحاز الى أى من الجانبين فارادهم على الاشترا لما يعرف من اخلاصه له فأبوا أيضا فأكروه ثانيا على أن يكون المرسل من قبله رجلا لا يشق باخلاصه معه بل كان ممن يخذل الناس عنه ثم هرب منه حتى آمنه بعد أشهر كما يذكر المؤرخون * (١) . فهل مثل هذا يصلح أن يكون مفاوضا باسمه مادام وان الحال كذلك ، ولو جئنا بأحد الناس لما قبل أن يتكلم باسمه من لا يشق باخلاصه معه ولكن هؤلاء الذين ركبوا رؤسهم أبوا الا تنفيذ ما يريدون مهما كان الامر ولعل ما انتهى اليه أمر التحكيم فيما بعد كان نتيجة لسوء الاختيار ، ولا يرجع سوء الاختيار الى طعن في دين ابي موسى ولا الى ما يوصف به عند بعض المؤرخين من الفناء ، فليس هناك دليل على صحة وصف الرجل بهذه الاوصاف القبيحة مع ماله من السبق في الدين وشرف الصحة والسفارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن وتولية أمر القضاء وولايته لعمرو على العراق ولا يرجع كذلك الى ما يوصف به الامام على من الجهل باختياره فقد قدمنا انه اكراه على ذلك وانما يرجع الى أن المفاوض باسم الامام على لم يكن وایاه على اتفاق في وجهات النظر المتعلقة بالموقف بين الامام على والمعارضين له الى الحد الذي تركه فيه بل كان يخذل الناس عن الدخول في هذه الفتنة ثم ان اختيار الامام لابن عباس لاعتبارات خاصة به ولعلاقته بالامام لا ينبغي ان يمد طمنا في ابي موسى الاشعري .

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٥١

وانظر البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٧ وانظر ايضا شرح نهج البلاغة ج ٢

ص ٢٢٨

٤ - وثيقة التحكيم :

وسهما كان القول في اكراه الامام على قبول التحكيم وعلى قبول من ينسب عنه في هذا التحكيم فقد انتهى الامر بين الفريقين الى كتابة وثيقة خاصة بهذا التحكيم .

وهند كتابة هذه الوثيقة كان تمت أهل الشام ظاهرا فيما يروى عنهم وعلى راسهم معاوية وعمرو بن العاص حيث امتنعوا من كتابة " هذا ما تناقضى عليه على أمير المؤمنين " وطلبوا أن يكتب الكاتب اسمه واسم أبيه وقد أشار عليه الاحنف بقوله " لا تمنح اسم أمير المؤمنين " فاني اتخوف ان محتوها ان لا ترجع اليك أبدا " وفعلوا توقف الامام على ولكن الاشعث بن قيس قال للكاتب امح هذا الاسم برحه الله " وفي رواية مبارك عن الحسن عن الاحنف الذي ذكره الطبري ان الامام على نفسه قد قال ايضا برحه الله حين كثر الخلاف حوله " (١) .

والوثيقة بنصها اورد ها الطبري والكمال وابن ابى الحديد والمسمودي وغيرهم وهي وثيقة مطولة تقرر فيها رضى الطرفين بالرجوع الى كتاب الله حكما بينهم فان لم يوجد فالى سنة نبية صلى الله عليه وسلم . وان كل طرف آمن من الآخر وان الكل ضد المخالف لما يتفق عليه الحكمان وان اجل القضاء الى رمضان فسان أحبا تاخيرهما فلهما ذلك برضاهما واذا مات احدهما في هذه المدة فعلى الطرف الآخر ان ينظر من يشله ممن يرى فيه الصلاح ولكل واحد من الحكمين ما اختار من الشهود ثم كتبت اسماء الشهود من جانب على عشرة من اصحابه ومن جانب معاوية مثلهم وكتبوا في اخرها " اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة " . ولقد تمت كتابة الوثيقة في يوم الاربعاء (١٣ / ٢ / ٣٧ هـ) لثلاث عشرة خلت من صفر او لليلة بقيت كما يرى بعضهم سنة سبع وثلاثين من الهجرة

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٥٢ ، ٥٣

قد نصت هذه الوثيقة أيضا على أن يكون التحكيم في شهر رمضان أي بمعد
ثمانية أشهر بعد وفاة الجندل على أن يحضر من كل جانب اربعمائة (١) .

٥ - انكار الخوارج للتحكيم بعد اكراه الامام على قبوله

قد احدث هذا الكتاب ضجة كبيرة بين اهل العراق فحينما دار به الاشعث
على الناس ليقرأ عليهم فرحا مسرورا كما وصفه المسعودي ثارت ثائرتهم فقد غضب
عروة بن أدية ف ضرب عجز دابة الاشعث وقال أنتحكمون في أمر الله عز وجل
الرجال . لاحكم الا لله . يقول المسعودي وكادت المصيبة ان تقع بين النزاريين
واليمانية لولا اختلاف كلمتهم في الديانة والتحكيم (٢) . وقال عروة للاشعث
أيضا * ما هذه الدنيا يا اشعث . أشرط احدكم اوثق من شرط الله وضرب عجز
دابة الاشعث بسيفه وهو اول سيف سل من سيوف الخوارج كأي سيف عروة بن حديسر
فيما يذكر الشهرستاني (٣) .

وهذه الحادثة من الهوادر الاولى في انكار الخوارج قبول الامام على للتحكيم
بعد ان اكرهوه عليه ولكن هل يكون عروة بن أدية هو اول من انكر التحكيم من
الخوارج ؟

يختلف علماء الفرق والمؤرخون في اول من انكر التحكيم من الخوارج فيذكر
الاشمري عدة اقوال غير جازم بصحة احدها فيقول * ويقال الاول من حكم بصفيين

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٥٣ / ٥٤ / ٥٧ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣١٩ /

٣٢١ . مرجع الذهب ج ٢ ص ٤٠٣ . شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٤ / ٢٣٥ .

نقلا عن نمر ابن مزاحم .

(٢) مرجع الذهب ج ٢ ص ٤٠٤ هكذا في النص ويقصده في الديانة ليس
واضحا هنا .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٢ . شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٣٢

عروة بن بلال بن مرداس (٤) ويقال بل اول من حكم يزيد بن عامر المحاربي
ويقال بل رجل من سعد بن زيد مناة تميم ، ويقال بل اول من تشرى رجلاً
من بني يشكر* (١) . وقد خلط الاشعري رحمه الله في اسم والد عروة فجعل اسمه
بلال بن مرداس مع انه اسم لشقيق عروة الذي يسمى ابلال مرداس بن اديسة
فالاشعري هنا يسميه عروة بن بلال ، والبخاري يسميه عروة بن حدير اخو
مرداس الخارجي (٢) وابن الجوزي يسميه عروة بن اديسة ومثله ابن كثير (٣) .

أما الشهرستاني فيذكر ان اسم ذلك الرجل الذي حكم اولاً بانه من بني سعد
بن زيد بن مناة بن تميم ويسمى الحجاج بن عبيد الله ويلقب بالهرك وانه هو الذي
ضرب معاوية على اليته لما سمع بذكر الحكمين (٤) .

أما نصر بن مزاحم المنقري فيذكر ان اول من انكر التحكيم رجلاً من الاول يسمى
معدان والثاني يسمى جعد وانهما اخوان ثم تبعهما بنو راسب وآخرون من بني تميم (٥)
وقد ذكر ابن كثير قولاً غير ما تقدم في تسمية اول من حكم فقال " قال الهيثم
بن عدي والخوارج يزعمون ان اول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي قلست
والصحيح الاول " (٦) . ويعني بالاول عروة بن اديسة كما يسميه . وقد بين
المهرد وهو الراجح في اسم عروة وفي اسم اول من حكم بقوله " ويقال فيما يروى من
الاخبار ان اول من حكم عروة بن اديسة وادية جدة له جاهلية ونجورة بن حدير احد
بني ربيعة بن حنظلة " (٧) .

(١) مقالات الاشعري ج ١ ص ٢١٢

(٢) الفرق بين الفرق ص ٧٤

(٣) تلبس ابليس ص ٩١ البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٨

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٧

(٥) رقعة صفين ص ٥١٢

(٦) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٨

(٧) الكامل للمهردي ص ١١٦

فاسمه الصحيح عروة بن حدير وحضهم ينسبه الى جدته اديّة المذكورة •
وانما رجحنا مهما اختلف المؤرخون في اسم عروة انعروة بن حدير لكثرة ما ورد
في الروايات بهذا الاسم ولا يهمننا في مثل هذا الموقف العام التحديد بالخصوص على
اسم معين لانه ربما يكون قد قال هذا القول أحد فيسمعه اخر ويحكيه فيظن
السامع انه لم يقل هذا الا هو وهكذا •

وله كل فالمهم في هذا انه حصل الاستنكار من الخوارج حين شرع الاشعث
يقرأ وثيقة التحكيم على الناس سواء كان هذا الاستنكار من فلان او من غيره •

حقا انه لغريب أمر هؤلاء الخوارج فبعد ان اضطروا عليا الى قبول التحكيم
وكتب الكتاب واعطيت المهود والمواثيق في وفاة كل لصاحبه بما شرط جاء زريعة
بن البرج الطائي وحررق بن زهير السعدي الى على يطلبان منه نقض ما عاهد
عليه وشرط على نفسه بقولهما له " تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنينا
الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال على قد اردتكم على ذلك فمصيتوني وقد
كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا واعطينا عليها عهودا وقد قال تعالى
" وافرأوا بحمد الله اذا عاهدتم " (١) (سورة النحل : ٩١) •

قد وصل التحدي بزريعة بن البرج الى ان يقول للامام على " اما والله لئن
لم تتب من تحكيمك الرجال لاقتلنك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه فقال على
رضى الله عنه بؤسا لك ما اشقاك كاني بك قتيلا تسقى عليك الرياح قال زريعة
وددت انه كان ذلك " (٢)

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٤

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٧٢ •

— وانظر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦٨

فهل كان من اخلاق على الذي تربي في بيت النبوة ان يكون كاشباه هــ ولا
الذين لا يقيمون للمشهد والمواثيق معنى وهل يسايرهم في نقض المشهد وهو من
هو في تدينه وتقواه . لقد اشار عليهم منذ البداية بعدم قبول التحكيم وارادهم
على مواصلة القتال ولو لم يكن ذلك منه لهم لما احتج عليهم بقوله قد اردتكم على
ذلك فعصيتهموني .

وسهما يكن من أمر هؤلاء الخوارج فقد ثبت الإمام على عهد مع معاوية
في قبول التحكيم وثبت على الوفاء بما عاهد عليه .

ولكن الخوارج رفعوا شمارهم لاحكم الا لله يتنادون به في كل مكان ويلاحقون به الامام في كل موقع حتى ولو قام خطيبا فيهم فانهم كانوا يرفعون عليه اصواتهم بهذا الشعار وكانوا يعنون بذلك في اول امرهم رفضهم لتحكيم البشر في كتاب الله وان حملت فيما بعد معنى عدم اي امير حاكم على الناس .

ولكن تفسير هذا الشعار (لاحكم الا لله) يختلف عما قدمنا عن الكاتب
الاباض على يحيى معمر بما لم يؤثر عن غيره فهو يذكر انه حينما اطلقت هذه الكلمة
من فم احد اصحاب على ملخصا فيها موقفهم من التحكيم كان على يستمع اليها راغبا
بها لان قضيتهم - كما يقول - واضحة وقد حكم الله فيها من فوق سبع سموات
والاعجب من هذا انه يقول :

"بل كانت هذه الكلمة تمهيرا عن موقفه وشعارا لهدئه ولكن ناسا غيما بعد زعموا انه لاحاجة الى الامارة وحملوا كلمة لاحكم الا لله هذا المقصد الهدام فورد عليهم الامام على موقفهم المتطرف هذا بقوله كلمة حق اريد بها باطل" (١) .

والغريبة في هذا التفسير هو اثبات أن يكون الامام على كان راضيا بصيـاح
الخواجه لاحكم الا لله وهو الذي كان يتضايق منه كثيرا حتى وصفه بقوله كلمة حـق
أريد بها باطل .

والواقع انها كانت على السنتهم كما ذكرنا من قبل رفضا لهدأ تحكيم البشر
أول الامر كما قدمنا ثم اصبحت تعبيرا عن رفض هدا الحكومة والامارة وهو الذي
دانت به احدى فرق الخواجه كما سنذكر فيما بعد .

وهذا هو المعنى الذي جعل الامام عليا يرد عليهم فيه حين سمع نداهم
لاحكم الا لله بقوله " كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا اماراة ولا بد من اماراة
برة أو فاجرة " (١) .

ولقد كان ثبات الامام على على التحكيم والوفاء بمهمود فيه دافعا للخواجه
الى رفضه والخرج عليه بل الى تكفيره بهذا السب فقد اتفقوا بالاجماع على تكفيره
كما ذكر ذلك كثير من كتاب المقالات (٢) ، بل وصل بهم الامر الى أنهم
لا يصححون المناكحات الا باعتراف المبراة من على وثمان ويقدمون ذلك على
كل طاعة (٣) .

ولقد انتهى الامر بين الخواجه وبين الامام على - بعد موقفهم الباطل
منه - الى انفصالهم عن جيشه بل الى وقوع الممارك الضاربة بينهم وبينه
وهي احداث ترجى الكلام فيها الى أن تنتهي من الحديث عن قضية التحكيم
وما انتهت اليه .

(١) الكامل للبيروني ج ٢ ص ١٣١

(٢) مقالات الاشعري ج ١ ص ١٦٧ ، الفرق بين الفرق ص ٨١

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥

٦ - كيفية التحكيم ونتيجته

سبق أن ذكرنا ان وثيقة التحكيم كتبت في الثالث عشر من شهر صفر سنة ٣٧ هـ وحدد رمضان من نفس العام موعدا لتمام التحكيم ولما انتهت المدة وجاء وقت الاجتماع بعث على ارحمائه شخص ورئيسهم شريح بن هانيء الحارثي وعبد الله بن عباس امامهم في الصلاة ووالى امورهم .

وسمعت معاوية عمرو بن العاص في ارحمائه رجل تم التقوا بدومة الجندل باذرج . ومن المجيب في هذا الموقف الحرج ان جماعة على كان اذا جاء كتاب منه الى ابن عباس تهاافتوا عليه يسألونه بم كتب ؟ ماذا قال ؟ اخبرنا ؟ فان لم يخبرهم تواردت عليهم الظنون السيئة قائلين له لعله كتب بكذا وكذا بينما كان اصحاب معاوية اذا جاء منه كتاب الى عمرو بن العاص لا يسألونه عنه ولا عن اى شىء فيه الا ان يخبرهم هو ولقد كان لهذا الموقف اثره البالغ في نفس ابن عباس فقد قال لاصحابه متألما من موقفهم هذا " اما تعقلون اما ترون رسول معاوية يجرى لا يعلم بما جاء به ويرجع لا يعلم ما رجع به ولا يسمح لهم لفظ وانتم عندي كل يوم تظنون الظنون " (١) .

وكان عمرو بن العاص في ذلك الاجتماع يركز على ان يردد على مسامح ابي موسى ان عثمان قتل مظلوما وان معاوية ولي دمه بالاضافة الى انه صحابي وتقى وانــــه " ان ولي اكرمك كرامة لم يكرمها خليفة في كلام له " ولكن ابا موسى رد عليه قائلا " واما تعريضك لى بالسلطان فوالله لو خرج لى من سلطانه كله ما وليتــــه وما كنت لارتشى في حكم الله عز وجل " (٢) .

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦٧ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٩

(٢) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦٨ شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٥٣ .

وفى تلك الاجتماعات طلب عمرو بن العاص من أبى موسى الرضى بتولية معاوية فلما أبى عليه ابيوموسى طلب منه عمرو أن يتولاها ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له انك قد غسسته فى الثنية وابى منه وكان ابيوموسى يرغب فى تولية عبد الله بن عمر ولكن كل واحد منهما لم يرضى بطلب صاحبه واخيرا وكما تذكر الروايات التاريخية انهما اتفقا فى السر بينهما ان يخلعا عليا ومعاوية ثم ينظر المسلمون فيمن يختارونه فيقولوه وكان عمرو قد عود ابا موسى على أن يقدمه فى كل كلام وحينما حضر اعلان النتيجة قدم عمرو ابا موسى ليقول للناس انه قد اتفق رأينا ثم أعلن ابا موسى من ناحيته خلق على ومعاوية فقام عمرو مقامه وثبت معاوية بعد أن خلق عليا فتسابا " وحمل شريح بن هانىء على عمرو فضربه بالسوط فرد ابن لعمرو وضرب شريح بالسوط ايضا وكان شريح بعد ذلك يقول مانت مست على شىء ندامتى على ضرب عمرو بالسوط الا أكون ضربة بالسيف" (١)

ثم انتهى بهم الامر الى هذه النتيجة غير المرتقبة ولا المرضية وهاد أهل العراق الى على وهاد أهل الشام الى معاوية يسلمون عليه بالخلافة .

٧ - مدى صحة القول بوجود الخداع فى التحكيم

هذه هى الصورة التى يشتهها كثير من المؤرخين لكيفية التحكيم وهم بذلك يشتون انه قد كان هناك خداع فى التحكيم من جانب عمرو بن العاص حيث أن الحكيم بعد ان اتفقا على خلق على ومعاوية سرا ثم جاء دور الاعلان اعلن ابيوموسى خلق صاحبه عليا وثبت عمرو صاحبه معاوية فتسابا . الخ تلك القصة التى تشبه أن تكون هزلا أكثر منها جداء .

(١) انظر الطبرى ج ٥ ص ٧١ . شرح نهج البالغة ج ٢ ص ٢٣٨ / ٢٥٩ .

والواقع أنه قد تدخلت في قضية التحكيم عواطف كثيرة من المخالفين والموافقين
فبالنظر الى أهمية هذه القضية نجد أنه من غير المسلم به أن يقوم أبو موسى فيتكلم
بما اتفقا عليه ثم يجلس ثم يقوم عمرو فيتكلم فيخدع أبا موسى ثم يجلس ثم يتفرق — أن
على هذه الصورة الصبائية غير الاخلاقية التي لاتليق بالصحابة • اننى أستبعد
أن يكون الاتفاق بينهما على خلع الرجلين لم يكتب اولم يشهد عليه الشهود
أو أن تكون المسألة من السرية بحيث لا يعلم بالاتفاق الا هذين الرجلين من كـ
الجانبيين فقط مع العلم أن الحاضرين كانوا ثمانمائة رجل هم نخبة الرجال
المعروفين بالصالح وحب الخير للجميع والصدق في حسن النية — كما يدوم من
اختيارهم لشهود هذا الامر — لانها تلك الحروب التي جرت الويلات على
المسلمين •

قال ابن العربي تحقيقا على ما روى في قضية التحكيم من المزاج :

” هذا كله كذب صراح ماجرى منه حرف قط وانما هو شىء اخبرته المبتدعة
وضمته التاريخية للملوك فتوارثه اهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والهدى “ (١)

ويرى أن الاتفاق بينهما كان نزيها لا خداع فيه وانهما اتفقا على ان يختار
المسلمون من خيار الصحابة من يرتضونه فيقول :

” وانما الذى روى الائمة الثقات الاثبات انهما لما اجتمعا للنظر في الامر —
في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمرو نحوه — عزل معاوية “ قال محب الدين
الخطيب مفسرا هذه الجملة ” اى بتقريره مع ابي موسى أن امامة المسلمين يتراءى النظر
فيها الى أعيان الصحابة “ (٢) •

(١) المواضع من القواصم ص ١٢٨

(٢) المرجع السابق ص ١٢٩

وإذا أراد الشخص المنصف أن يدقق النظر في هذه المسألة فسيجد فيها ما يناقضها إذ كيف يتفق عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري على خلع على من الخلافة وهل معاوية منها أيضا مع أن معاوية لم يكن قد ادعى الخلافة آنذاك حتى يمكن أن يقال قد اتفقا على خلع على معاوية وإنما كان معاوية مطالبا بدم عثمان فحسب وليس مطالبا بنصب نفسه خليفة حتى يتوجه إليه الخلع ولم يتسنى معاوية بأمير المؤمنين إلا بعد أن صفت له الأمور بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة وقد كان الاتفاق بين عمرو وأبي موسى صريحا لا لبس فيه ولا خداع اتفاقا على أن يكون الاختيار للخلافة ممن يرضاه المسلمون من خيار الصحابة وهذا ما ذهب إليه محب الدين الخطيب (١) أيضا وهذا ما ينبغي اعتقاده وهو ما يليق بالصحابة رضوان الله عليهم وإن كان هذا الرأي لا يستطيع سماعه الذين في قلوبهم غل للذين آمنوا من الصحابة الكرام •

ويقول ابن كثير في صف الحكيم : " والحكماء كانوا من خيار الصحابة ... وإنما نصبوا ليصلحوا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن دماءهم وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلا فرقة الخوارج " (٢) • واعتذر ابن كثير عن عدم إعلان عمرو بن العاص ما اتفقا عليه هو وأبو موسى بقوله " وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أرى مما الناس فيه من الاختلاف فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة والاجتهاد يخطئ ويصيب " (٣) وهذا الاعتذار من ابن كثير لعمرو بن العاص بناء على صحة وقوع الخداع في التحكيم من جانب عمرو وقوله أن فعل عمرو ذلك كان لاجل أن لا يقع الناس في مفسدة طويلة

(١) انظر تعليق على المواضع من القواسم ص ١٢٢ / ١٢٨

(٢) البداية والنهاية ج ٦ ص ٢١٦

(٣) المرجع السابق ج ٧ ص ٢٨٤

فيقول :

" فلمعمرى لئن كانت الحكومة عدلا وصوابا لقد هلك على لسفكه الدماء قبلها وكان معاوية احق بالعدل منه لانه الداعي اليها • ولئن كانت الحكومة خطئا وضلالا لقد هلك على بدخوله فيها فاي الامرين كان فما لملي مخرج • وقد روى عن النبي "ص" انه قال " سيكون في امي حكمان ضالان مضلان يضلان من اتبعهما " (١) •

وهي كثره مباحث في الوصول الى تحقيق هذا الحديث فاني لم اراه الا في هذا الكتاب وعلى لسان هذا المؤلف وان الوضع لظاهر فيه • فاذا كان الحديث صحيحا فلا بد ان يكون معلوما مشهورا لضرورة الحاجة اليه حينذاك • واذا كان معلوما فهل يحكم على الحكمين فيسبب في اضلال الناس •

اما الطالبى فيرى " أن الخوارج على حق في انكار التحكيم باعتباره قائما على خدعة وخاليا من صدق النية والاخلاص فيها • فالخوارج على حق في انكارهم لهذه الاعتبارات لا من أجل ان التحكيم في حد ذاته مخالف للكتاب والسنة كما زعم الخوارج " (٢) • مع أنه ينكر القبول بوجود الخداع في قضية التحكيم فيقول بمسند صفحات من كلامه السابق " ثم انتهت نتيجة التحكيم الى ما انتهت اليه من مهزلة غير ثابتة تاريخيا احاط بها الشك وأنكرها ^{بعض} المحدثين انكارا تاما وحق لهم ذلك (٣) ويقصد بذلك ما رواه بعض المؤرخين من مهزلة خداع عمرو لابي موسى الاشعري في خلع على وثبيت معاوية على غير ما اتفقوا عليه وفيما يتعلق بذلك الشمار السدي رحمه الخوارج قائلين في انكارهم على الامام على (لاحكم الا لله) فقد اختلف

(١) كشف الغمة ص ٢٢٩
(٢) آراء الخوارج ص ٨٢
(٣) المرجع السابق ص ٩٠

الحكم عليهم في قولهم هذا تبعاً لما تضمنه من المعاني المقبول منها والمرفوض
وفي هذا المقام يرى الاستاذ رفعت فوزي ان هذا الهدأ للخوارج وهو نداءهم
(بلا حكم الا لله) قد ورد به القرآن الكريم في قوله تعالى " وان احكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم " (المائدة : ٤٩) وقوله " ومن ام يحكم
بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون " (المائدة : ٤٤) وانظر اية ٤٥ و ٤٧) .
وانه "هدأ" مقرر من قبل ومحترف به ولكن الخوارج اكثروا من ترديده والالاحاح في
المطالبة به معتقدين ان غيرهم من المسلمين لا يحملون بقتضاه وان عليهم ان يجاهدوا
من اجل اقراره " (١) . ولاشك انه ان كان مقصدهم برفع هذا الشمسار
هو الحكم بما أنزل الله فهذا لا احد ينكره عليهم وان اكثروا من ترديده .

والواقع انه لا ينكر احد على الخوارج طلبهم اقامة احكام الله فهذا ما يريد كل
مسلم ولكن الذي انكر عليهم هو انهم اتخذوا من هذه الكلمة ستاراً لحصيانهم
الخلافة الراشدة وخروجهم على المسلمين واتهامهم بعدم الحكم بكتاب الله وسفكهم
الدماء لاقامة دلتهم وتنفيذ آرائهم التي انحرفت عن العقيدة السمحاء في كثير
من الاحكام .

وأنكر عليهم ايضا اعتقادهم أن الرجوع الى كتاب الله في الحكم في تلك الدماء
والحروب الطاحنة رجوع عن كتاب الله ، فاذا كانوا يطلبون تحكيم كتاب الله فلماذا
لم يرضهم تحكيم على — مع انهم هم الذين اضطروه له — فان قالوا ان مسألة الخلافة
لا ينبغي فيها التحكيم نقول لهم : ان مسألة الخلافة لا ترتفع من ان تكون خاضعة

لكتاب الله بل ولا يجب الا هذا فليس امر من الامور يكبر عن ان يخضع لكتاب الله •

وفي الكتاب الكريم طلب صريح من المؤمنين ان يلتزموا بالرجوع الى كتاب الله عندما يحصل التنازع في شيء قال تعالى : " وان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول " (النساء : ٥٩) ولقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يعرض كل مشكلة على كتاب الله ثم يحكم بما فيه في وقائع كثيرة مشهورة وقد حكم الله على من لا يرضى بذلك انه غير مؤمن فقال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا فيما قضيت وسلموا تسليما " (النساء : ٦٥) • وهما كانت نتيجة التحكيم فلا ينهض ان يصل الامر بالخواجه الى تكفيرهم لعلي بن ابي طالب واجماعهم على كفره — حاشاء — حين قال نعم احكم كتاب الله — مهما كان الحال — فهل يعنى هذا انه كلما حصل شجار بين رئيس واحد ومؤوسيه فقال احدهما نحكم كتاب الله يكفر ٢٠٠ ؟

هل يستساغ ان يقول احدهما نعم انا احكم كتاب الله ان يقال له حينئذ كفرت • وهنا يتبادر الى الذهن سؤال وهو ان يقال هل كان الخواجه حين قاموا بذلك الانشقاق الدموي احرص من على على اعطائه حقه • وانه حين هضم حقه في الخلافة كانوا غير راضين بهذا الجور عليه ؟ فاذا كان الامر كذلك وهو بعيد جدا فلماذا خرجوا عن طاعته وشهروا السيف في وجهه بل ورأوا ان قتاله قربة الى الله ؟

ولقد صدق المشهرستاني حين ارجع ذلك الانشقاق الى انه ناشى عن الهوى ^{والوشر} وانه لاضير على علي فيه ولا لوم وذلك حينما شرع رحمه الله في بيئتهم فقال :

" والهدعة الثانية انهم قالوا : اخطأ على في التحكيم اذ حكم الرجال ولا حكم الله ^{ثم} فكذبوا على على رضى الله عنه من وجهين :

(١) احدهما في التحكيم انه حكم الرجال وليس ذلك صدقا لانهم هم الذين حملوه على التحكيم .

(٢) والثاني ان تحكيم الرجال جائز فان القوم هم الخاكمون في هذه المسألة وهم رجال ولهذا قال على رضى الله عنه " كلمة حق اريد بها باطل " (١)

ويشهد لهذا ما جاء عن على رضى الله عنه حينما بلغه نعمة الخوارج عليه انبسه امر مؤذنا فاذن ان لا يدخل على أمير المؤمنين الا رجل قد حمل القرآن فلمسا ان امثلت الدار من قراء الناس دعا بصحف امام - اى من مصاحف عثمان التى وزعت على الامصار - فوضعه بين يديه فجعل يصكه - ينقره - بيده ويقول ايها المصحف حدث الناس فتاداه الناس فقالوا يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه انما هو مداد فى ورقه ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد ؟ فذكر لهم قولة الخوارج انه حكم الرجال " (٢)

وقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم انه اسند الى العلماء والحكام احكاما كثيرة اجتهد اية اى لم ينزل فيها نص بيمينه فى الكتاب من هذه الاحكام :

(١) قتل الصيد على المحرم - قال تعالى " يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم " (المائدة : ٩٥) .

(٢) وفى النشوز بين الزوجين قال تعالى : " وان امرأة خافت من مملها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما " (النساء : ١٢٨) .

(٣) وفى الشقاق بين الزوجين ايضا قال تعالى " وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها " (النساء : ١٢٨) .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١١٦

(٢) انظر الهداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٠ .

(٤٤) وهذا الاختلاف والمنازع قال تعالى : " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله " (الشورى : ١٠) . وقوله " فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " (النساء : ٥٩) . وقوله " واذا جاءهم امر من الامن والخوف اذعوا به ولوردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم " (النساء : ٨٣) .

قال ابو الحسين الملقب " فهذا محكم القران قد جمل احكاما كثيرة الى العلماء والى الامراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله فكيف قلتم لاحكم الا لله فان ابوا هذا الشرح ومحكم الكتاب ظهر جهلهم وان قالوا به تركوا قولهم ورجعوا الى الحق " (١)

واخيرا فان رأى الخوارج فى انكارهم للتحكيم واستدلالهم على تحريمه بقوله تعالى " ان الحكم الا لله " (سورة الانعام : ٥٧) وقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله " (سورة الشورى : ٢) استدلال غير صحيح وفى غير محله بل ان هذه الآية ترد عليهم رايهم فان خلافتهم فى هذا الامر يجب فيه الرجوع الى الله وكيف ذلك الا بالرجوع الى حكمه فى كتابه مع ان عليا ما حكم احدا فى دين الله وحاشاه من ذلك وانما حكم كلام الله تعالى فى خصومة رجا بذلك انسهاها .

لقد كان عليه بعد ان اتفق نداء اهل الشام واهل العراق بالتحكيم - ان يرضى به - مهما كان رايه فى بواغ هذا النداء استجابة لقوله تعالى " فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا " (النساء : ٥٩) .

وحيث كان من المستحيل أن يتخاصم المسكران ويتناظرا في الحق الواجب اتباعه كان من الصواب تفويض كل طائفة لرجل منهم مثلا لرأيهم وهذا هو الامر الذي لا يمكن غيره ولكن ركب الخوارج رؤسهم فهم كما يقول ابن حزم عنهم :
" ولكن اسلاف الخوارج كانوا اعرابا قرأوا القرآن قبل ان يتفقوا في السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولم يكن فيهم احد من الفقهاء الى ان قال
ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيان وصنارها " (١) وهذا أمر طبيعي اذ أن نشأتهم من اولها قامت على تضييق اخطاء الغير ونقدها اشد النقد .

٩ - رجوع الامام على بجيشه من صفين

وأيا كان حكمنا على الأطراف المشتركة في قضية التحكيم وعلى قبول هذا المبدأ وما وقع فيه من شعارات فقد أصبح حقيقة واقعة استتبع نتائجها الخطيرة في صفوف جيش الامام على حتى بعد مقعة صفين وكتابة الوثيقة وقبل ان يحل الاجل المضروب لاتمام التحكيم نفسه .

ففي أثناء رجوعهم الى الكوفة بعد المعركة رجعوا بقلوب غير التي ذهبوا بها لقد كانوا في الذهاب احبة متوادين ، ولكنهم في الرجوع كانوا اعداء متباغضين فكانوا على طول الطريق يتدافعون ويتشائمون وكأن ذلك الطريق الذي كان واسعا في الخروج قد ضاق بهم عند الرجوع رغم نقص عدد من قتل تلك الممارك التي

(١) الفصل ٠٠ ج ٤ ص ١٥٦

استمرت أياما عديدة ، فكان بعضهم يشتم بعضا ويضرب بعضهم بعضا بالسيـاط
يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم في أمر الله عز وجل وحكمتم وقال الاخــرون :
فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا " (١) .

يقول ابن كثير عن علي بعد رجوعه من صفين " فلما دخل الكوفة سمع رجلا يقول :
ذهب علي ورجع في غير شيء فقال علي : للذين فارقناهم خير من هو لاء " (٢) .

ويقول المسعودي عن رجوع اهل العراق : " ولما وقع التحكيم تباعض القوم
جميعا واقبل بعضهم يتبرأ من بعض يتبرأ الاخ من اخيه والابن من ابيه . . وكثر
التحكيم في جيش اهل العراق وضارب القوم بالقارح وحالي السيوف وتسابوا ولا م
كل فريق منهم الاخر في رأيه " (٣) . وحتى بعد أن اجتمع الحكمان وانتهت
مسألة التحكيم الى ما انتهت اليه لم تكن هذه الحادثة سببا في اجتماعهم كما هو
المفروض بل كانت سببا ايضا في زيادة تفرقهم بقدر ما كانت زيادة في قوة ترابط
أهل الشام وهم جيش معاوية يقول ابن كثير في وصف تفرق المجتمعين للتحكيم
من اصحاب علي بعد ان انتهت التحكيم : " وتفرق الناس في كل وجه الى بلادهم
فاما عمرو واصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة واما ابو موسى
فاستحى من علي فذهب الى مكة " (٤) وقال الطبري قال ابو مخنف حدثني
ابو جهمم الازدي - رجل من اهل الشام - عن عبد الله بن حوالة الازدي ان اهل
الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما ياتي به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا
بايع اهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزد الا قوة واختلف الناس بالعراق على
علي " (٥) .

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٣ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٩

(٣) مرجع الذهب ج ٢ ص ٤٠٥

(٤) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٤

(٥) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٩٧

١٠ - انحياز الخوارج الى حروراء

ثم عودتهم الى الكوفة

ذكرنا آنفاً أن علياً قد عاد بجيشه من صفين وأنه كان لهذه العودة ألم شديد في قلوبهم كما لو كانوا منهزمين . فقد انقسم جيش علي على نفسه فكانوا على طول الطريق الى الكوفة يتشائمون ويدفع بعضهم بعضاً الى ان قاربوا الكوفة فانفصل ذلك الفريق المعارض لوجهة التحكيم الذين سموا بالخوارج وذهبوا الى حروراء (١) وهي قرية من قرى الكوفة (٢) وسكروا بها معلنين خلع علي واختيار من يصلح للخلافة وكان يرأسهم فيما قال الشهرستاني عبد الله بن الكواء وعقاب بن الاعور وعبد الله بن وهب الراسبي وهرة بن جرير ويزيد بن ابي عامر المحاربي وحرث بن زهير البجلي (٣) .

بينما الاشعري لا يذكر من امراءهم حين اعتزلوا الا عبد الله بن الكواء اميراً وشيث بن رضى امير القتال ثم يسمون لعبد الله بن وهب فيما بعد وكذا عند البغدادي . الا انه زاد فذكر ان عبد الله بن الكواء طلب الامان من علي هو ومعه عشرين الفرسان وذلك بعد مناظرة على لهم وظهور حجة عليهم (٤) .

بينما يذكر ابن عدي ان ابن الكواء كان امام الخوارج في الصلاة وأنه قال لهم

(١) مقالات الاشعري ج ١ ص ٢١٠ ، الملل والنحل ج ١ ص ١١٥ ، الفرق

بين الفرق ص ٧٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٦ ، تاريخ الطبري

ج ٥ ص ٦٣

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٠

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥

(٤) المقالات ج ١ ص ٢١٠ ، الفرق بين الفرق ص ٧٥ .

" متى كانت حرب فرئيسكم شيث بن رضى الرياحى * (١) .

ويقول الطبرى " ونادى مناد يهيم ان امير القتال شيث بن رضى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء يشكرى والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه حين سمع على واصحابه هذا النداء قامت الشيعة فقالت له فى اعتناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت واعداً من عاديت فقالت الخوارج استبقتم انتم واهل الشام الى الكفر كفرسيهم رمان بايع اهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وايستم انتم عليا على انكم اولياء من والى وأنداء من عادى * (٢) .

قد ارسل على بن ابي طالب ابن عباس الى الخوارج بحر وراء لينظرهم فى حجتهم فى خروجهم لارجاعهم الى الدعاة وقد تناول المؤرخون واهل الفرق ذكر كيفية تلك المناظرة بروايات مختلفة كما سنرى . فيذكر ابن الاثير ان ابن عباس لما ارسله على اليهم واهاه ان لا يعجل الى خصوصتهم حتى ياتى غلما وصل اليهم اقبلوا اليه يكلمونه فلم يصبر ان راجعهم الكالم فقال لهم ما تقمتم من الحكمين وقد قال تعالى (ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينهما) (النساء : ٣٥) فكيف بأمة محمد صلوات الله وسلامه عليه . فرد الخوارج الجواب مفصلاً بقولهم * اما ما جعل الله حكمه الى الناس وامرهم بالنظر فيه فهو اليهم وما حكم فامضاه فليس للمهاد ان ينظروا فيه ، حكم فى الزانى مائة جلدة وفى السارق القطع فليس للمهاد ان ينظروا فى هذا " فاستشهد بن عباس بقوله تعالى " يحكم بعدا وعدل منكم " ولكن هذه الآية عندهم ليست بدليل له فليس الحكم فى الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين . وادعوا ان الله امضى حكمه فى معاوية واصحابه ان يقتلوا او يرجعوا * (٣)

(١) المقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠

(٢) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦٣ . الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٦٣

(٣) انظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٧ .

ويذكر ابن عدي أنه أناب عباس لما وصل إلى الخوارج رحبوا به وأكرموه فـ رأى منهم جهاها قرحة لطول السجود وأيد كفتات الأهل وعليهم قمم مخصصة وهم مشغرون وأنهم قالوا إنا أتينا ذنبا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا وينهض لمجاهد قد ونا رجعتنا ، وأن ابن عباس أخذ في تقريرهم بحجج سلموا بمرحمتها واقتنعوا بصدقها حيث أخذ يناشدهم الله ألا صدقوا مع انفسهم فقال لهم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرب تساوى ربح درهم تصاد في الحررم وفي شقاق رجل وامراته فقالوا اللهم نعم . قال فانشدكم الله هل علمتم أن رسول الله أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل المدينة قالوا نعم ولكن علينا منا نفسه من خلافة المسلمين . قال ابن عباس ليس ذلك يزيله عنه وقد مح رسول الله ص اسم من النبوة وقال سهيل ابن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك فقال للكاتب اكتب محمد بن عبد الله ، وقال لهم ابن عباس حينما قالوا له ان علينا قد كفر حين حكم فليتب - قال لهم ابن عباس " ما ينبغي لمؤمن لم يشب ايمانه بشك أن يقر على نفسه بالكفر " (١) .

وقد ذكر صاحب إبانة المناهج المحاوره بين ابن عباس والخوارج وأنهم قالوا له في انتقادهم عليا أنه قاتل ولم يسب ولم يغتم لكن كانوا كثارا لقد حلت لنا أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت علينا دماءهم وأنه مسح عن اسمه أماره الموت منين ثان لم يكن أمير الموت منين فهو أمير الكافرين . فاجابهم ابن عباس على الشبهة الأولى بقوله " وأما قولكم أنه قاتل ولم يسب ولم يغتم اتسبونكم عائشة أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم وان زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم

(١) انظر المقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٩ و " إبانة المناهج ص ١٦٢ ، شرح نهج البلاغة ص ٢٧٣ ج ٢

من الاسلام . ان الله تعالى يقول " النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه
امهاتهم " (سورة الاحزاب : ٦) . فانتم ترددون بين ضالين فاختاروا ايهمما
سلمتم اخرجت من هذه قالوا اللهم نعم الى اخر ما في تلك المحاور التي الزمهم
فيها الحجة مما لا يهبط القول بذكره (١) .

وذكر الشاطبي ان ابن عباس رأى الحرورية وهم قائلون بعد ان استأذن من علي
وطلب اليه ان لا يفوته بالصلاة بل يردد حتى ياتي القوم فاتاهم عليه حلة فقالوا
ما هذه الحلة عليك قال - قلت ماتعيون من ذلك فلقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه احسن ما يكون من الثياب اليمينية قال ثم قرأت هذه الآية (قل ممن
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الاعراف : ٣٢) فقالوا
ما جاء بك قال جئتكم من عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيكم
منهم احد ومن عند ابن عم رسول الله "ص" وليسهم نزل القرآن وهم اعلم بتاويله
جئت لابلغكم عنهم وابلغهم عنكم فقال بعضهم لا تخصموا قريشا فان الله يقول
" بل هم قوم خصمون " فقال بعضهم بلى فلنكلمه قال فكلمني منهم رجلا او ثلاثة (٢)
ثم روى الشاطبي المناظرة التي جرت بينهم ما لا يكاد يختلف عن روايات غيره ممن
سبق وكلها تظهر الزام ابن عباس للخوارج بالحجة التي تدحضهم في خروجهم على الامام
على رضى الله عنه .

ولكن الوضع يختلف عند صاحب كشف الخمة في ايراد هذه المناظرة .
فقد اورد ما ذكره ابن عباس في مجادلته لهم ولكنه ذكر حججا طويلة للخوارج يقتضون
بها ابن عباس وفي كل مرة يقول اللهم نعم حاصلها ان التحكيم في قضية الميراث
لا تكون لمن لا يستحل قتله واما معاوية وهما بين الماصي نعم يستحلون دماء المسلمين

(١) ابانة المناهج ص ١٦٣

(٢) انظر الاختصاص للشاطبي ص ١٨٢ - ١٨٨ - تلبس ابليس ص ٩١/٩٢ .

ويستحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله فلا تجوز حكومتهم في هذه المسألة وان تحكيم على لابي موسى وهو الرجل الشاك في قتال الفئة الهاغية . ومن كان يخذل عن القتال امر لا يجوز القسوع فيه ايضا . والمناقشة طويلة ومعمولة لا تخرج عن ما تقدم . الا ان المؤلف انفرد بذكر اشياء لم يذكرها غيره وهي انه كان ممن ضمن الشروط ان ايما رجل احدث حدثا من اصحاب على ودخل في دين معاوية وحكمه فليس لملى اقامة ذلك الحد عليه لدخوله في دين معاوية وحكمه وكذلك ممن احدث من اصحاب معاوية ودخل في دين على فليس لمعاوية اقامة ذلك الحد عليه . فهل كان من الممقول ان يتفق على معاوية عن تعطيل الحد وديما بينهما وقد ساق صاحب كشف الخمة ذلك الحوار كله على نحو يدل فيه على ان معاوية وجيشه هم فئة باغية لا يجوز ترك قتالهم حتى يفيئوا الى امر الله ولكن عليا لم يقف - في نظره - عند هذا الحكم الشرعي فيهم لهذا فهم براء منه . ثم قال المؤلف اخيرا يبين ما انتهت اليه محاوره ابن عباس للخوارج (وانصرف من عندهم - يعني ابن عباس - وهو مقر لهم ومعتزف لهم انهم قد خصموه ونقضوا عليه ما جاء به مما احتج به عليهم " . " فقال له على الا تعينني على قتالهم فقال له لا والله لا اقاتل قوما خصمون في الدنيا وانهم يوم القيامة لي اخصم وعلى اقوى ان لم اكن معهم لم اكن عليهم واعتزل عنه ابن عباس رضي الله عنه ثم فارقه .

ويذكر ايضا انتقال لملى " تكف عن القوم فاني على ما افلجوه " (١) .

ولا يخفى ما في رواية هذا المؤلف الخارجي لمناظرة ابن عباس من الهوى والميل الى جانب الخوارج باظهارهم وكأنهم في موقفهم هذا يلتزمون الحقيق ويلتزمون الخصم بالحجة حتى عاد ابن عباس من عندهم وحيدا ملتزما بحجتهم كما يزعمه خلافا لما ذكر جميع المؤرخين وكتاب الفرق مهما اختلفت رواياتهم في ايضاد

تلك المناظرة وفي ذكر عدد من رجح من الخوارج مع ابن عباس بعد ان الزمهم
الحجة ذلك أن ابن عديره يذكر ان الذين رجعوا مع ابن عباس الفان وفي اربعة
الاف * (١) . اما ابن كثير فيذكر ان ابن عباس ناظر الخوارج ثلاثا يام فرجع
منهم اربعة الاف (٢) . وقد بالغ صاحب ابانة المناهج فذكر ان الذين رجعوا
مع ابن عباس عشرون الفا وفي اربعة الاف (٣) .

وايا كانت النتيجة التي انتهى اليها ابن عباس وايا كان العدد الذي عاد معه
من الخوارج قبل ان يناظرهم الامام على نفسه حسب الروايات السابقة فهناك
رواية اخرى للطبري وابن الاثير يذكر فيها ان عليا لحق بابن عباس وهو لا يزال يناظرهم
فقال لابن عباس كما يروي الطبري * انته عن كلامهم الم انهك رحمك الله ثم
تكلم فحمد الله عز وجل ثم اثنى عليه فقال اللهم ان هذا مقام من افلج فيه
كان اولى بالفلج يوم القيامة ومن نطق فيه واوت فهو في الآخرة اعنى وأضل سبيلا
ثم قال لهم من زعيمكم ؟ قالوا ابن الكوا قال علي فما اخرجكم علينا ؟ قالوا
حكومتكم يوم صفين قال انشدكم بالله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف فقلتكم :
نجيسهم الى كتاب الله قلت لكم اني أعلم بالقوم منكم . انهم ليسوا باصحاب دين
ولا قرآن اني صحبتهم وعرقتهم اطفالا ورجالا فكانوا شر الرجال وشر رجال امسوا
على حقكم وصدقكم فانما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهنا ومكيدة فرددتهم
على رايي وقلت لا . بل نقبل منهم . فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومصيبتكم اياي فلمّا
أبيتهم الا الكتاب اشترطت على الحكمين ان يحييا ما احيا القرآن وان يميئا ما أمات
القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف حكما يحكم بما في القرآن

(١) المقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٦

(٢) الهداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨١

(٣) ابانة المناهج ص ١٦٣ .

وان أبيا فنحن من حكمهما براء • قالوا له فخيرنا اترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجال • قالوا فخيرنا عن الاجل لم جعلته فيما بيننا وبينهم قال ليعلم النجاهل ويتثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الامة • • وبعد انتهاء هذه المحاوره طلب منهم ان يدخلوا الكوفة • فدخلوا من عند آخرهم • (١) •

قد اظهر الخوارج في نهاية المحاوره انهم اعترفوا بصحة ما قاله وانهم اتوا ذنباً كفروا به ثم تابوا وقالوا له • فتب كما تبنا نبايعك والا فنحن مخالفون • ويؤمنون انه بايعهم على هذا • وقد كذبوا كما يقول الطبري وابن الاثير في هذا الزعم (٢) لانهم رتبوا عليها خروجهم الى النهر وان حينما اشيع ان عليا رجع عن اعترافه بخطأه ففى التحكيم حسب ما يرويه ابوزين بقوله : • فخرج اليهم على فكلهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم فدخلوا الكوفة فأتاه رجل فقال ان الناس قد تحدثوا انك رجعت لهم عن كفرك فخطب الناس في صلاة الظهر فذكر امرهم فمأبذ وقال • من زعم انى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو اضل منها • • فوثبوا من نواحي المسجد يقولون لاحكم الا لله واستقبله رجل منهم واضعا اصبعيه في اذنيه فقال • ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحيطن عملك ولتكونن من الخاسرين • (سورة الزمر : ٦٥) ^{فقال على} غاصر ان وعد الله حق ولا يستخلفك الذين لا يوقنون • (سورة الروم اية : ٦٠) •

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥/٦٦ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٨ ، الكامل للمبرد ج ٢ ص ١١٢

(٢) الطبري ج ٥ ص ٦٦ ، الكامل ج ٣ ص ٣٢٩ •

وحين شاهد على هذا النور منهم جعل قلب يديه على المنبر ويقول :
" حكم الله عز وجل ينتظر فيكم مرتين ان لكم عندنا ثلاثا : لانمنحكم صلاة في هذا
المسجد ولا نمنحكم نصيبكم من هذا الفىء ما كانت ايديكم في ايدينا ولا تقاتلكم
حتى تقاتلونا " (١) .

فكان الناس يقولون لعلى انهم خارجون عليك فقال لا اقاتلهم حتى يقاتلوا
وسيفعلون " (٢) .

ويبدو من هذا — ان صحت الرواية السابقة عنه — ان الخوارج حينما رجموا
لوعولوا ببعض الاناة ربما كانت تلك المصافة قد مرت بسلام لولا ما جاء به ذلك الرجل
الى الامام على ثم قيام الامام على باعلان تكذيب ما نسب اليه على رؤس الناس ولقد
كان — من باب جمع الكلمة والسكوت على بعض ما يكره — ان لا يتأثر بكلام ذلك الرجل
فيخرج الى الناس ويخطبهم ويشتمهم على رؤس الاشهاد ويخبرهم انه لم يرجع عن
الحكومة وان الذين رؤوا ضلالا هم الضلال فان هذا وان كان هو اللائق
بالامام على الذى لا يعرف الخداع والمداينة هو الذى جر عليه غضب هؤلاء وانهم لم
ما امله فيهم حين رجوعهم من حروراء الى الكوفة فقد صدق ما توقعه منهم من قتالهم
له فخرجوا من الكوفة متواعدين على اللقاء بالنهروان حيث كانت الموقعة الكبرى
بين الفريقين بزعامة عبد الله بن وهب الراسبي .

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٧٤ — البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٥

(٢) تلبس ابليس ص ٩١ — المقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٨ .

١١ - امارة عبد الله بن وهب الراسبي على الخوارج

ولكن اين ومتى تمت البيعة له ؟ .
لقد تمت البيعة له في الكوفة بعد خلافهم الاخير مع الامام علي وقبيل
أن تنتهي عملية التحكيم نفسها وتظهر نتيجتها .

فمنذ ما ارسل علي ابا موسى للتحكيم اجتمع الخوارج فسي منزل عبد الله بن وهب
الراسبي فقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم زهدهم في الدنيا والرغبة فيما عند
الله باقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحتساب ذلك لثواب الله ثم قال لهم
(فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الى اهلها الى بعض كور الجبال او الى
بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع الضالة " فقام حرقوص بن زهير وتكلم
وزهد في الدنيا والاغترار بها ثم قال لهم (ولا تلتفتكم عن طلب الحق وانكار الظلم
فان اللصم الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

فقام حمزة بن سنان الاسدي قال لهم : (يا قوم ان الراي ما رايتم فولوا
امرکم رجلا منكم فانه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون اليها)
وهنا وقعوا في مشكلات من سيقبل الخلافة فقد صار كل واحد ممن يصلح لها يحيلها
عنه الى غيره فقد عرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى ثم على حرقوص بن زهير
فأبى ايضا ثم على حمزة بن سنان فأبى كذلك ثم شريح بن اوفى الميموني فامتنع . ثم
عرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها اما والله لا آخذها رغبة في الدنيا
ولا أدعها فرقا من الموت وهكذا تمت بيعة ذي الشفقات كما كان يقال له من
شدة عبادته في شهر شوال لمشرخلون منه سنة سبع وثلاثين هـ (١) .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٧٤/٧٥ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٦ .

ويذكر المبرد انهم لما الحوا عليه بالخلافة كان يقول لهم : (يا قوم استبينوا
الرأى اى دعوه ينهب (١) " ويقول عنه الشهرستاني (وكان يمتنع عليهم تخرجوا
ويستقبلهم ويوصى الى غيره فلم يقتنعوا الا به) (٢) .

ويذكر الشهرستاني انه تمت بيعة عبد الله بن وهب في منزل زيد بن حصين
الطائي لافى منزل ابن وهب كما قال الطبرى بايعة عبد الله بن الكوا وهرة بن جرير
ويزيد بن عاصم المحاربى وجماعة منهم وانه كان يوصف براى ونجته (٣) . والذي يفهم
من كلام البغدادي في قوله " وانحاز الهاقون منهم الى النهروان وامروا على انفسهم
رجلين احدهما عبد الله بن وهب والاخر حرقوص بن زهير " (٤) ان بيعة عبد الله
بن وهب كانت في النهروان لا في الكوفة .

وعلى كل فقد تمت بيعة وصار على حد تمهيد ابى اسحق اطفيش خليفة شرعيا
يجب على المسلمين كلهم ان ينضموا تحتوائه حتى الامام على نفسه وذلك في قوله :
" فاختاروا رجلا من أفضل الناس يومئذ ومن الصحابة الكرام وهو عبد الله بن وهب
الراسبي الازدي فلما بايعوه بحثوا اصحابهم (لمه الى) يومئذ ومنهم الامام على
أن يدخلوا في البيعة لمن اختاروه اما " (٥) . ومن العجيب ان ينشقوا عن طاعة
الخليفة ثم يطلبوا منان ينضم تحت خلافتهم . ولقد تناسى المؤلف فضل الامام على
الذي لا يحق ان يذكر بجانبه فضل بن وهب ، ففضله عليه في استحقاق الخلافة وقد
نعى عليهم ابن حزم اختيارهم لعبد الله بن وهب الراسبي الذي وصفه بانه " يسوال
على عقبه لاسابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط " (٦)

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٥

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٢ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧١

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٢

(٤) الفرق بين الفرق ص ٧٦

(٥) نقله عن السالسي في كتابه عمان تاريخ يتكلم ص ١٠٥

(٦) الفصل ٠٠ ج ٤ ص ١٥٢

ولعل في هذا الكلام مهالفة على ضوء ما رواه المؤرخون عن عبادته سابقا وفيه يقول الزركلي كذلك "عبد الله بن وهب الراسبي من الازد من ائمة الاباضية كان ذا علم ورأى وفصاحة وشجاعة وكان عجا في العبادة ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح العراق مع سعد بن ابي وقاص" (١) .

وربما كان في اختيار الخوارج له مع شد تمسكهم بالعبادة وشروطهم القاسية في من يلي أمرهم دلالة على مدى اجتهاده في العبادة والاستقامة التي يشترطونها يقول في هذا معاذ بن جوين بن حصين الطائي " وانما ينبغي ان يلي على المسلمين اذا كانوا سواء في الفضل ابصرهم بالحرب واقبحهم في الدين وأشد هم اضطلاما بما حمل" (٢) .

الا أننا لا نقول بانقد استحق الخلافة وانه افضل الامة يومئذ مع وجود الخليفة الشرعي على بن أبي طالب كما بالغ ابي اسحق اطفيش في مدحه .

١٢ - خروج الخوارج الى النهروان (٣)

اجتمع الخوارج في منزل شريح بن اوفى المبسي ثم اخذوا يتداولون الراي في مستقبلهم وماذا ينبغي تجاهه ، واول ذلك البحث عن مكان يجتمعون فيه لانفساد حكم الله كما قال ابن وهب فقال شريح نخرج الى المدائن فنزلها ونأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من اهل البصرة فيقدمون علينا ، ولكن زيد بن حصين

(١) الاعلام ج ٤ ص ٢٨٨

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٥

(٣) تقع النهروان بين بغداد وواسط . انظر الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٨٨ .

لم يوافق على هذا الرأي وقال ان المدائن بها من يمنكم و اشار عليهم بالمسير الى
حيث كتب الله مصارعهم الى جسر النهر وان بعد ذلك يكاتبوا اخوانهم من
اهل البصرة و اشار عليهم ايضا بأن لا يخرجوا مجتمعين لئلا يتهموا ولكن يخرجون
وحدانا مستخفين فقالوا هذا الرأي . وقد كتب عبد الله بن وهب الى موافقيهم
من اهل البصرة يخبرونهم بما اجتمع عليه رأيهم وحشهم على اللحاق بهم فأجابوه بالسمع
والطاعة وانهم على أثرهم الى مكان الاجتماع . ثم خرج بن وهب في ثلاثين فارسا
ولما علم به والى المدائن من قبل على سعد بن مسعود خرج اليه في خمسمائة فارس
فلحقهم بالكرخ عند الساء فاقتتلوا ساعة وامتنع عبد الله بن وهب ومن معه منهم
ثم هرب تحت ستار الليل فمهد دجله الى ارض جوحى ووصل النهر وان وقد أيسس
اصحابه منه وقالوا ان هلك ولينا الامر بعد زيد بن حصين او حرقوه بن زهير (١)

وبعد أن استقر الخوارج بالنهر وان جرت مكاتبات بين الامام على والخوارج بقصد
عودة اللفة واجتماع الكلمة ولكنها كانت كمن ينفع في رماذ ان كان موقف الخوارج
في غاية الشدة والتمسك بالرأي صار موقفهم في غاية التناقض والحمد ان كان يطلب
اليهم الرجوع الى الطاعة وهم يطلبون منه ان يدخل في طاعتهم تحت ولاية ابن وهب
وذلك ما توضحه المكاتبات الاتية :

كتب على بن أبي طالب اليهم هذا الكتاب :

" بسم الله الرحمن الرحيم . من أمير المؤمنين على بن أبي طالب الى زياد
بن حصين وعبد الله بن وهب ومن محمدا من المسلمين . السلام عليكم . فاني احمد
الله اليكم الذي لا اله الا هو . اما بعد :

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٧٦ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٨ .

فان الحكمين بهذا كتاب الله وراء ظهرهما وحكما بغير ما انزل الله فبئس الله
ورسوله منهما وانا منهما بئس فعملوا نعمتيكم الرضى وترجع الى الامر الاول الذى
طلبتموه منى وتقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا والله خير الحاكمين * .

فردوا عليه بكتاب فيه : * بسم الله الرحمن الرحيم : من امام المسلمين
عهد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين ومن معهما من المسلمين الى على بن
ابى طالب الخالع نفسه . السلام على من اتبع الهدى وتجنب مثالف السردى
أما بعد :

فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو وبلغنا كتابك تذكر فيه ان الحكمين بهذا
كتاب الله وحكما بغير ما أنزل الله فقد علمنا والحمد لله امرهما كان مخالفا للحق
من اوله وانت بتحكيك اياهما اعظم جرما منهما ، وذكرت انك ترجع الى الحق
وتعطى الرضى وترجع الى الامر الاول فلسنا نرد عليك توبتك فان كنت صادقا
فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة امام المسلمين
عهد الله بن وهب الراسبي فقد بايعناه بعد خلعتنا اياك لاستحقاقك منا أن
نخلعك ولا وسعنا الا ذلك والسلام (١) * .

(١) انظر هذه المكاتبات فى كشف الغمة الجامع لخبار الامة ص ٢٨٠ - ٢٨١

وانظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٢٧٧/٢٨

وانظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٣٩ .

لما انتهى المقام بالخوارج الى النهروان ولم تجد المكاتبات بينهم وبين
الامام علي رأى انهم شوكة د اخلية لا ينبغي التفاضى عنها ، وان تركهم
سيخل بأمن المسلمين وسيرهون الناس خصوصا وانهم قد قتلوا عبد الله بن
خباب وغيره من المسلمين ، أضف الى هذا أن الناس كانوا يرغبون فى ان يسدأ
على بقتال الخوارج حتى لا يخلثوا وراءهم عند مسيرهم الى الشام من يكون
خطرا على أموالهم وأهلهم بعدهم فسار اليهم على بجيشه وقيل ان يسدأ
بقتالهم أرسل اليهم : " أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم فقتلهم بهم
ثم انا تارككم وكاف عنكم حتىلقى أهل الشام فلعل الله ينقلب قلوبكم
ويردكم الى خير مما انتم عليه من أمركم فبحثوا اليه فقالوا كلنا قتلهم وكلنا نستحل
دعائهم ودعائهم " (١) . ثم أخذ اصحاب على يناشدونهم الرجوع الى الطاعة
والجماعة وأولئك يجيبونهم بالامتناع ولقد كان على رضى الله عنه يكره قتلهم
حتى فى آخر لحظة من لحظات عصيانهم فقد اعذر اليهم مرارا وحتى هذه
اللحظة كان يحرض على استبقائهم فقد حذرهم من الحرب وما ينتج عنها من
هلاك وبين لهم انهم هم الذين اجبروه على التحكيم . ثم قال لهم " ونحن على
أمرنا الاول فما الذى بكم ومن اين اتيتم " . فاجابوه بجواب من اغرب ما يكون
وذلك انهم قالوا له " انا حكمنا فلما حكمنا اثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا
فان تبنا كما تبنا فنحن معك ومنك وان ابيت فاعتزلنا فاننا بذوك على سواء
ان الله لا يحب الخائنين . فقال على اصابكم حارب ولابقى منكم وابر (اى احد)
أبعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل
الله اشهد على نفسى بالكفر . لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين . ثم
انصرف عنهم (١)

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٨٣ و ٨٤ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٣ / ٣٤٤
وانظر البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٩ . مرجع الذهب ج ٢ ص ٤١٦ .

قد وقع كثير من المحاورات بينهم وبين الامام على قبل نشوب المعركة حيث قال لهم على قبل القتال ماذا نقيم منى فذكروا له عدة أشياء منها :

١ — أنهم نعموا عليه انه في يوم معركة الجمل وحده انتصارهم اباح لهم ما وجدوا في عسكر مخالفيهم من المال ومنعهم من السبي لنسائهم وذريتهم فكيف — بزعمهم — استحل مالهم دون النساء والذرية فأجابهم عن هذا الاشكال منهم بقوله * " انما ابحت اموالهم بدلا عما كانوا اغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدوس عليهم والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الاسلام بحكم دار الاسلام ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ولا يجوز استرقاق من لم يكفر " وحده لو ابحت لكم النساء ايكم ياخذ عائشة في سهمه " فخجل القوم من هذا .

٢ — انه حينما كتب كتاب الهدنة بينه وبين معاوية لم يرض معاوية ان يكتب باسم امير المؤمنين على بن ابي طالب وطلب كشرط اساس للاتفاق ان لا يكتب ذلك فمضى على اسم امير المؤمنين * فاجابهم عن هذا الانتقاد بانه فعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية المشهور ثم قال " واخبرني رسول الله "ص" ان لي منهم يوما مثل ذلك فكانت قصتي في هذا مع الانبياء * قصة رسول الله "ص" مع الالباء (١) .

٣ — قوله للحكمين * ان كنت اهلا للخلافة فاثبتاني بان هذا شك منه في احقيته للخلافة فان كان شاكا فخير اولى بالشك فيه * فاجابهم عن هذا بقوله : انما اردت بذلك النصفة لمعاوية ولو قلت للحكمين احكما لي بالخلافة لم يرض بذلك معاوية * ثم استدل بقصة وفد نصارى نجران

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٩ وشرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٥ . والكامل للمهرج ج ٢ ص ١١٧

ودعوة رسول الله لهم الى البهاطة لانصافهم من نفسه • ثم قال :
 " ولم اد رعد رعدو بين الماص " (١) •

٤ - انهم قالوا له " لم حكمت الحكمين في حق كان لك ؟ فاجابهم بقوله
 " وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ في
 بلى قريظة ولو شاء لم يفعل واقمت انا ايضا حكما لكن حكم رسول الله
 قد حكم بالعدل وحكمي خدع حتى كان من الامر ما كان فهل عندكم
 شئ سوى هذا • ؟ فسكت القوم قال اخرهم : صدق والله • وقالوا
 الشبهة • واستأمن اليه منهم يومئذ ثمانية الاف (٢) • نيبا ذكر البهت ادى •

قد طلب على من الذين استأمنوا أن يعتزلوا المعركة قال لاصحابه قاتلوهم
 فوالذي نفسي بيده لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة • وكان القتلى من
 جيش على تسعة ذكروا باسمائهم عند البهت ادى •

قد اخبر على أصحابه أن مصارع الخوارج ستكون دون جسر النهر وان اى قبيل
 أن يمهروه الى شرقيه واكد هذا بقوله " والله ما كذبت ولا كذبت " (٣) •

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٩

(٢) المرجع السابق ص ٨٠

(٣) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٥ • الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٢

شيء نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٢ •

قد برز حرقوس الى على قائلاً له : " يا ابن ابي طالب لانريد بقتالك الا وجهه
الله والدار الآخرة " . فقال على : بل مثلكم كما قال الله عز وجل : " قل
هل ننبئكم بالآخسرين اعمالاً الذين ضل سبيهم^{في الجنة الدنيا} وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا " (الكهف اية ١٠٣ - ١٠٤) منهم انت ورب الكعبة (١) . وقد
رأى على ان الباقرين لا ينفع معهم غير استئصالهم او عودتهم الى الطاعة بـأى
وسيلة ممكنة فاذن لأصحابه في خوض المعركة وقد شاب الى رشده بعض أولئك
واستوحشوا من محاربة على — كما يقول الأشعري — فنفروا عن ابن وهب
ومن هؤلاء :

- ١ — جويرية بن فادع فارق ابن وهب في ثلاث مائة .
 - ٢ — ومنهم مسعر بن فدكي ذهب الى البصرة في مائتين ويقال بل لحق
برايه ابي ايوب الأنصاري مع على .
 - ٣ — ومنهم ثروة بن نوفل الأشجعي فارقه في خمسمائة .
 - ٤ — ومنهم عبد الله الطائي رجع الى الكوفة في ثلاثمائة ويقال بل لحق برايه
ابي ايوب الأنصاري .
 - ٥ — ومنهم ابومريم السعدي فارقه في مئتين ويقال بل لحق برايه ابي ايوب الأنصاري
 - ٦ — ومنهم اشرس بن عوف نزل الدسكرة في مائتين .
- قد بلغ عدد هؤلاء المججمين عن قتل الامام حوالى الف وسبعمائة
رجل (٢) .

(١) الفرق بين الفرق ص ٨٠

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١٠ - ٢١٢

وقبل أن تنشب المعركة اشار منجم على على بأن لا يحارب الخوارج الا في ساعة معينة والا لقي منهم شرا • ولكن عليا في قعره ودينه ما كان له أن يسير وراء كلام المنجمين ولهذا فلم يسمع لكلامه وسار في الوقت الذي يريد •

والغريب في هذا ان يقال كيف تمكن ذلك المنجم من الوصول الى على واخباره بذلك ومن اين جاء • وهنا يختلف النقل عن حقيقته فالطبرى حسب ما يفيد كلامه - يذكر ان ذلك المنجم انما لقيه على صدقة في اثناء سيره الى مكان المعركة • وذلك في قوله * فلقية في مسيره ذلك منجم اشار عليه بسير وقت من النهار وقال له ان سرت في غير ذلك الوقت لقيت انت واصحابك ضرا شديدا فخالفه وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه فلما فرغ من النهير حمد الله واثنى عليه ثم قال لو سرتنا في الساعة التي امرنا بها المنجم لقتل الجاهل الذين لا يعلمون : سار في الساعة التي امره بها المنجم فظفر * (١) •

بينما يذكر ابن ابى الحديد ان هذا المنجم كان من اصحاب على في جيشه وانه بعد ان قال لعلى ما اشار به قال له على * اما والله لئن بلغنى انك تعمل بالنجوم لاخلدك السجن ابدا ما بقيت ولا حرمك المطاء ما كان لي من سلطان * (٢) فقد ادرك على رضى الله عنه أن هذا ابتلاء من الله له مع ما ابتلي به من مخالفيه ولكنه كان شديد الايمان وثقا بربه فلم يعبأ بقول ذلك المنجم •

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٨٣ والكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٣

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٠ •

قد عبأ على جيشه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شيث
ابن ريمي وقيل معقل بن قيس الرياحي وعلى الخيل ابوايوب الانصاري وعلى الرجال
ابا قتادة الانصاري وعلى اهل المدينة — وكانوا سبعمائة او ثمانمائة — قيس بن
سعد بن عباد .

واما الخوارج فكانت تعبثهم على النحو التالي :
على ميمنتهم زيد بن حصين الطائي وعلى الميسرة شريح بن اوفى الحبسي وعلى
الخيـل حمزة بن سنان الاسدي وعلى الرجال حرقوس بن زهير السعدي .

وقد تفرق عن عبد الله بن وهب جماعة من جيشه حين اعطى على ابا ايوب
الانصاري راية امان وناداهم من جاء تحت هذه الراية فهو آمن ومن لم يقتل ولم
يستمرض ومن انصرف منكم الى الكوفة او الى المدائن وخرج من هذه الجماعة
فهو آمن . لا حاجة لنا بعد ان نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك دمائكم . قال
فروة بن نوفل الاشجعي " والله ما ادرى على أي شيء نقاتل عليا . ارى ان انصرف
حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله او اتابعه " (١) .

قد أمر على جيشه ان لا يبدؤهم بحرب ولكن الخوارج نادى بعضهم بعضهم
الرواح الرواح الى الجنة . وحملوا على جيش على فزحفت خيل على الميمنة والميسرة
ورماهم الرماة بالنبل وحملوا حملة صادقة بالسيوف والرماح فنادى قائد خيل
الخوارج حمزة بن سنان اصحابه ان ينزلوا ولكن دون جدوى فقد احدثت بهم الخيل

والرجالة من كل مكان وكانت القاضية وهزموا شر هزيمة وقتل اميرهم عبد الله بن وهب الراسبي في تلك الوقعة سنة ٣٧ أو ٣٨ هـ . قتله كما يقول المسمودي — هاني* بن حاطب الازدي وزياد بن حفصة قد سماهما الطبري هاني* بن خطاب الارجي وزياد بن حفصة (١) .

وتتهم مؤلف كشف الخمة بأن عليا كان هو البادي* بالحرب فيقول ان علي بن ابي طالب " زحف اليهم بمن شايعه من الراغضيه (٢) واهل الكوفة وسواهم الناس وهم كافون عنه يناشدونه الله في دينهم ودمائهم وكرهوا ان يسدوا بالقتال حتى بدأهم بالقتل " . ويقول ايضا " ولما قتل علي بن ابي طالب اهل النهروان وهم على الامر الذي كانوا عليه معه بالامس ندم على قتلهم وجعل ياتي على قتلاهم وهو يستغفر لهم ويقول بئس ما صنعنا قتلنا خيارنا وقتلناها " (٢) .

ويدهي أن هذا القول لا يتفق مع رايه فيهم بينما يذكر ابن الاثير أن عليا حين مر بهم صرعى قال بغضا لكم لقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غركم ؟ قال الشيطان وانفسا مارة بالسوء غرتهم بالاماني وزينت لهم المعاصي ونبتتهم انهم ظاهرون وقال لهم حين بلغه ان جيشه اخذ يدفن قتلاه اتقتلونهم ثم تدفنونهم ارتحلوا " (٣) .

(١) انظر مرق الذهب ج ٢ ص ٤١٧ وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٧

(٢) كشف الخمة ص ٢٨٧ و ٢٨٨

(٣) انظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٨

١٤ - أسباب واقعة النهروان :

سبق أن ذكرنا أن الامام عليا قد حاول أن يشفي الخوارج عن خروجهم بكل وسيلة ولكنهم اصرروا وانزعوا الناس وقتلوه واصرروا على أن لا يعودوا إلى الجماعة فكان لابد من الحرب وهذا هو السبب في واقعة النهروان *

ولكن ابا اسحاق اطفيش يرى أن السبب ليس هو هذا أي خروجهم على علي وقتلهم ابن خباب وغيره بل خروجهم كان - كما يرى - بعد أن ذهبوا إلى النهروان وكانوا في حل من بيعتهم لعلي ، وبعد أن طلبوا من علي الدخول تحت خلافة ابن وهب أيضا ، وهذا عنده لا يشكل سببا كافيا لحربهم ولكن السبب الحقيقي . . . يزعمه هو ما يذكره بقوله :

"فراى على بن ابي طالب ان البيعة حصلت لازدي للقرشي وحارسهم قبل ان يتقوى امرهم فتخرج الامامة لغير قرشي وهذا هو السبب الوحيد لواقعة النهروان " . ويقول ايضا " وليس اذا ما يزعمه محرفوا التاريخ وتمنعوا المذهبية ان واقعة النهروان كانت بسبب الخروج على علي لانهم لم يخرجوا والبيعة في اعناقهم فليتنبه البصر من الزلة في هذا المقام فان الاهواء متفلفة في اصحابها بما لا خفاء فيه " (١)

(١) نقله عنه السالبي في كتابه " عمان تاريخ يتكلم من ١٠٥ - ١٠٦ " وقد واقفه على هذا النقل ايضا علي يحيى محمر في كتابه الاباضية بين الفسوق الاسلامية ص ٤٧٠ .

وهذا الكلام الذى يقوله اطفيش حرى ان يصدق عليه قوله : " نـمـان
الاهواء متغلغلة فى اصحابها " . فلا يكاد احد أن يصدق أن عليها
ما حاربهم الا لثلاث خرج الخلافة عن قرشى . فهل كان فى ذلك الوقت واثقا
من بقاء الخلافة له هو نفسه فضلا عن الازد او غيرهم من الناس الم يطلب
اليهم ان يسلموا قتلة ابن خباب ثم يتركهم وشأنهم ليتفرغ لملأهم منهم م
واكثر شوكة . فامتنعوا ؟

وكأنما كانت المسألة فى ميزان الامام على - حسب ما يقول اطفيش -
عصبية قبلية وليس دفاعا عن الخلافة الشرعية وعن الاسلام والمسلمين .

ولو كانت المسألة عصبية ضد قبائل الازد لتركها لمعاوية وهو قرشى .

والواقع انه ما كان يستلجح الامام على ان يلاقى معاوية ويترك هذه الشوكة
فى جنبه . لابد من ان يحافظ على النساء والاطفال والاموال التى يتركها
المجاهدون معه من خلفهم ولا سيما وان الخوارج كانوا يكفرون عليا وجيشه
وبالتالى فسوف يعاملونهم وما يخلفونه وراءهم معاملة الكفار . فلم يـد
الموامل وغيرها كان لابد من لقاء على للخوارج اولا وهذا هو السبب
الحقيقى .

١٥ - الخوارج بعد موقعة النهروان

وفيما يتعلق بعدد من بقى من الخوارج بعد معركة النهروان فاننا نجده
اختلفا بينا في تحديد هذا العدد بين مكبر ومقل • هذا من جهة • ومن
جهة أخرى فاننا نجد المقلين قد بالغوا في تقليلهم لعدد الناجين من
الخوارج مهالفة شديدة •

فبينما يذهب ابن عدي الى تكثير من بقى منهم فيقول :

" فاقع بهم على قتل منهم الفين وثمانمائة وكان عدد هم ستة الاف وثمان
منهم بالكوفة زهاء الفين منهن يسر امره " (١) بينما يذهب ابن عدي الى
بقا هذا العدد الكثير • يقول البغدادي " قتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت
منهم غير تسعة أنفص صار منهم رجالان الى سجستان ومن اتباعهما خوارج سجستان
ورجلان الى اليمن ومن اتباعهما اباضية اليمن ورجلان الى عمان ومن اتباعهما
خوارج عمان ورجلان صاروا الى ناحية الجزيرة ومن اتباعهما كان خوارج الجزيرة
ورجل منهم صار الى تل موزن " (٢) • وهكذا عند الشهرستاني • الا أنه
قال " واثنان الى كرمان " بدل كلمة اليمن التي قالها البغدادي • وكذا كلمة
تل موزن عند البغدادي فهي عن الشهرستاني " تل موزن باليمن " (٣) •

-
- (١) المقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠
(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٠ و ٨١
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٧

وقد ذهب مذهب الهندادى والشهرستانى فى تقليل عدد الناجين من الخوارج الى هذا الحد ابن الاثير والمسعودى حيث يذكر كل منهما ان عدد الناجين كانوا عشرة او ثمانين كما يذكر ابن ابي الحديد او تسعة كما يذكر ابن كثير . وان جيش على لم يقتل منه غير عشرة عند بن الاثير او تسعة عند ابن ابي الحديد والهندادى والمسعودى (١) .

وهذا نموذج من اختلافات العلماء فى هذه المسألة وواضح ان تقليل عدد الناجين من الخوارج على هذا النحو امر مبالغ فيه اذ كيف يتصور ان تنشب معركة بين فرسان الوغى فيكون القتل على فريق واحد دون الآخر وهم فى نفس المهارة الحربية اضافة الى ما نرى صدور هؤلاء الخوارج من غيظ حين خرجوا مع ما امتازوا به من شجاعة واقدام وتجربة فى الحروب اذ كانوا من مشهورى الفرسان الشجعان ولهذا يصفهم الطبرى حين شدوا على جيش على بقوله " ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة فشدوا على الناس والخيال امام الرجال فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم " . وهذا شريح بن اوفى منهم يقاتل وحده طويلا من نهار وكان قتل ثلاثة منه همدان وحده حتى قال الناس فيهم :

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٥ ، مرجع الذهب ج ٢ ص ٤١٧
شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧٣ ، البداية والنهاية ج ٦ ص ٢١٨
الفرق بين الفرق ص ٨٠

اغتنت همدان يوما ورجل
اقتتلوا من غدة حتى الاصل
فتفتح الله لهمدان الرجل

ومن المعلوم ان في جيش على اقواما وضعتا وكذا جيش الخوارج فكيف
وقع القتل من جانب واحد . ولهذا فان على يحيى متمر ينقذ هذا الحصر
في ضحايا المعركة بقوله " كأنما كان الثك الناس مقيدين لا يحملون سلاحا " .

وما يدل على خطأ القول بكثرة القتل في جيش الخوارج دون جيش الامام
على ان عليا حين اشتبه من امر الخوارج بعد النهروان امر جيشه بالمسير
نورا الى عدوهم فاشتكوا اليه قلة سلاحهم ونقص عدوهم وهذا ما يرويه
الطبري عن ابي مخنف عن نعيم بن وهله اليناعي عن ابن درداء قال :

" كان على لما فرغ من اهل النهروان حمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله
قد احسن بكم واعز نصركم فتوجهوا من نوركم هذا الى عدوكم قالوا يا أمير المؤمنين
نفذت نبالنا وكلت سيوفنا ونحلت اسنة رماحنا واد اكترها قصدا — اي قطعنا
مكسرة — فارجع الى مصرنا فلنستمد بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين
يزيد في عدتنا عدة من هلك منا فانه اوفى لنا على عدونا وكان الذي تولي
ذلك الكلام الاشعث بن قيس " (٢) وهكذا عند السمودي .

(١) الاباضية بين الفرق ص ٦٨

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٩ . مرجع الذهب ج ٢ ص ٤١٨

ومعلوم انه لو كان الهالكون من جيش على عشرة لما طلبوا زيادة عدتهم
ليتقوا بهم . فان نقص العشرة من الجيش لا يحسب له حسابا ولا يغير خطة
حربية .

ولو كان لم يقتل منهم الا عشرة وطلب منهم امير المؤمنين الاستعداد للقتال
لدفعهم ذلك الى الاقبال عليه دون الرجوع عنه حيث يرون انفسهم قد قابلوا
جيش الخوارج على كثرة عددهم وقد افنوه عن اخره ولم يصابوا هم الا في هذا
العدد القليل وهذا يدل على ان الجيش يبقى بسلامته العددية . وقوة روحه
المعنوية . فان عدة عشرة رجال فقط لا تؤثر في القوة الحربية فكيف يطلبون
تصويف عشرة سيوف ومعد الرماح وهو شيء قليل ويتخذون منه عذرا في الرجوع
الى الكوفة .

وهل كل حال فان الذي يهمننا ان نذكر هنا هو ان الذين نجوا من معركة
النهر وان ساء كانوا تسعة ارباب او غيرها كانوا هم نواة الخوارج في البلاد وما
ذكره على يحيى معمر بان هؤلاء لا يكونون مذاهبا غير صحيح (١) فقد يكون
الواحد مذاهبا وينشره بين الناس فيصبحون له انصارا وسوف نرى فيما بعد انه كان
هناك كثير من الناقمين على علي من الخوارج ولم يشتركوا في معركة النهر وان انضم
اليهم فيما بعد غيرهم وتكاثروا شيئا فشيئا ودفعه بعد اخرى حتى كونوا الجماعات
الخارجية على الامام علي وعلى الحكم الاموي والعباسي من بعده وكانوا نواة
لتكوين فرق الخوارج فيما بعد مما ستتناول تفصيل القول فيه في الفصول التالية .

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٦٨

الفصل الرابع

أسباب خروج الخوارج

لقد حدث في تاريخ هذه الأمة الإسلامية أحداث مؤلمة مؤثرت كلمتهم وجعلتهم
احزابا وشيما كثيرا مآثر الممارك فيما بينهم .

تقد قول الاسلام في نشأته الاولى بمعارضات شديدة وتيارات جارفة
للقتال عليه منذ بزوغ فجره من قبل العناصر الدينية والشعرية المناوئة له
ولكن باءت تلك المحاولات بالفشل . ولكن اعداء الاسلام - وقد فشلوا - لا يمكن
ان يقر لهم قرار او تفوتهم فرصة من الفرص التي تحدث عند غفلة المسلمين لا يمكن
ان يفوتهم ذلك دون ان يحاولوا الفت في عضده بآى سلاح كان حسيا او معنويا
ولهذا فقد حدثت فتن كثيرة بسبب تلك المؤامرات الخفية من تلك العناصر
وما حدث تلك الفتنة الموهجة التي حيرت الباب ذوى النهى والتي راح ضحيتها
الاف المسلمين بين على ومعاوية رضى الله عنهما . فمن بعدها الى يومنا هذا
الا جزء من تلك المؤامرات الحميدة . ولقد صدق الخليفة الراشد عثمان
بن عفان رضى الله عنه حين قال للشائرين عليه :

" فوالله لئن قتلتهم لئن لاتحابون بعمدى ولا تملكون بعمدى جميعا
ولا تقاتلون بعمدى جميعا عدوا أبدا (١) " .

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٨٤ .

ومن هنا فقد حدث بعد ذلك ظواهر هامة في تاريخ هذه الامة كـان من أهمها قيام الخوارج بحركتهم ، وهي من أهم الظواهر التي برزت في الحياة الاسلامية ، وقد شملت هذه الظاهرة كل النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية عند المسلمين ولكل ظاهرة اجتماعية اسبابها المباشرة والبعيدة وكلما تعمقت الظاهرة وشملت جوانب متعددة في الحياة كلما حملت على ظهورها اسباب معقدة وعوامل متشابكة .

وفي البحث عن الاسباب والعوامل التي أدت الى ظهور حركة الخوارج يختلف المفكرون في تحديد هذا السبب او ذاك وفي تحديد مدى فاعلية بعض الاسباب وسوف نعرض فيما يلي اهم الاسباب التي يضعها المفكرون امام ظاهرة حركة الخوارج .

ومن تلك الاسباب مايلي :

١ - النزاع حول الخلافة :

ونقصد بذلك وقوع النزاع المسلح بين المسلمين حول الخلافة من جهة ونزاع الخوارج مع غيرهم في طريقة تولية الخليفة وشروط قيامه بمهمته من جهة أخرى .

فمن حيث وقوع النزاع بين المسلمين حول الخلافة فان هناك من الباحثين من يعتبر الخوارج كالشيعة * حزبا سياسيا ظهر في فجر الاسلام ، وان ظهورهم يرجع اولا والذات الى الخلاف حول الامامة المعطى . يقول الدكتور عبد الحلیم محمود رحمه الله :

” اذ كان السبب في ظهور الشيعة والخوارج هو الاختلاف على الامة فـان السبب في ظهور هذه الفرق — يشير الى المشبه والمعتزلة الى هو البحث والجدل في العقيدة الدينية (١) ” .

والواقع ان خلاف المسلمين حول الامة العظمى بعد مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه لم يكن سببا في نشأة الخوارج والشيعة وحدهم . بل كان سببا قريبا او بعيدا في نشأة فرق اخرى كالمرجئة والقدرية . الخ . لكن اثره فى نشأة الشيعة والخوارج أكد وظهر .

فقد كان الخوارج — قبل خروجهم عن الامام على — يكونون جزءا كبيرا من جيشه فى حربه مع معاوية وادت قضية التحكيم كما سنرى فيما بعد الى خروجهم على على ومعاوية جميعا . ولولا هذا الخلاف الواقع بين المسلمين حول الامة لما كان هناك لتلك العوامل الاخرى التى دفعت بالخوارج الى الخروج فاعليتها المؤثرة فى ظهور الخوارج على نحو ما صار اليه امرهم فيما بعد . فلو استقرت الامور للامام على وسار فى الناس بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم والخليفتين من بعده لما كانت هناك مبررات لهذا الخروج الذى انتهى بالامر الى أن يصبح صراعا مسلحا مع الدولة الاسلامية فى عهدها ، فالصراع حول الامة اذا له اثره البالغ فى ايجاد الاستعداد العام من جهة والموامل المباشرة من جهة اخرى لخروج الخارجيين وثورة الثائرين على هذا الفريق او ذاك او عليهما معا واذا كنا نتحدث هنا عن اسباب اخرى للخروج فالواقع انها ماكانت لتدفع بهم الى الخروج على هذا النحو لو تجردت من الجو العام الذى أحدثه الصراع

(١) التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٠٨

حول الامامة وحتى لو كانت بذور الثورة كامنة في نفوس الناس - كما قيل - منذ عهد عثمان رضي الله عنه . فقد كان استقرار امر الخلافة بعد ذلك خليقاً ان يجعل لهذه الثورة منافذ هادئة من الامور المعروف والنهي عن المنكر دون الخروج المسلح على الخلفاء والامة معهم على هذا النحو الذي كان عليه الخوارج .

وهناك جانب آخر من جوانب النزاع حول الخلافة التي دفعت بالخوارج الى الخروج على بنى امية وبنى العباس وهو رأيهم في طريقة اختيار الخليفة وشروط صحة خلافته وكيفية قيامه بامر الخلافة وكان من اكبر الدوافع التي تدفعهم الى الخروج تلك الطريقة التي كان يتم بها اختيار الخلفاء الامويين والعباسيين عن طريق الوراثة . وهي طريقة تخالف ما يرام الخوارج من ضرورة اختيار الخليفة من يصلح للحكم عن طريق الانتخاب الحر من المسلمين كما سنرى في بحث الخلافة .

يقول احمد أمين * وقد وضعوا نظرية للخلافة هي : أن الخلافة يجب ان تكون باختيار حر من المسلمين . . . الى ان يقول وهذه النظرية هي التي دعته الى الخروج على خلفاء بنى امية ثم العباسيين لاعتقادهم انهم جائرون غير عادلين لم تنطبق عليهم شروط الخلافة في نظرهم * (١) .

(١) فجر الاسلام ص ٢٥٨ / ٢٥٩ . وانظر العقيدة والشرعة في الاسلام

أضف الى هذا ما كان في نفوسهم من الحسد لقريش على استقرار الخلافة والنبوة فيهم حسب ما ذهب اليه الاستاذ ابو زهرة من ان الخوارج * كانوا يحسدون قريشا على استيلائهم على الخلافة * (١) . وان السب في هذا الحسد يرجع الى أن الخوارج كانت اكثرتهم من القبائل الرعيية المنافسة للقبائل الحضريية قبل الاسلام ، وسوف نزيد هذه المسألة وضوحا عند دراستنا للعامل الرابع من عوامل اسباب خروجهم وهما العصبية .

لقد وصل الحال بالخوارج الى أن يعتبروا خيرة المحابة كعثمان وعلى رضي الله عنهما في مقياسهم * ائمة زائفين — على حسب تعبير فلهوزن — يريد الخوارج ان يستبدلوا بهم ائمة صالحين * (٢) . وهذا الموقف يعبر عن هذه الحساسية التي كانوا عليها تجاه الخلفاء وسياستهم في الحكم ، فلقد كانت مسألة الخلافة نصب اعيانهم في كل لحظة وكان الخليفة (اى خليفة) اقرب الى الاتهام عندهم منه الى الهراء ففى كل وقت كان مهددا بالخروج عليه ان زلت به قدم او صدرت منه فلتة لسان .

وهكذا كان نزاع المسلمين حول الخلافة ودخول الخوارج طرف في هذا النزاع وما كان لهم في موضوع الخلافة من رأى — كان كل ذلك — من اول عوامل خروجهم على الامام على ومن جاء بعده من الخلفاء الى جانب ان هذا النزاع اوجد عاملا مباشرا فجر ثورة الخروج على الامام على وهو التحكيم .

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٦٩

(٢) الخوارج والشيعة ص ٤٣ .

٢ - قضية التحكيم :

ولقد وقع التحكيم - كما قلنا سابقا - في معركة صفين وذلك حينما رضى على - مكرها - بالتحكيم وتحكيم ابي موسى الاشعري ايضا وهروب بن الحاص في هذه القضية .

قد انتهينا في بحثنا سابقا الى أن عليا كان مكرها على قبوله ومع ذلك فقد نقم عليه الخوارج قبوله له وجعلوه من اسباب خروجهم عن طاعته ثم زادت نقمتهم عليه حينما ظهرت النتيجة في غير صالحه - ونسوا أنهم هم الذين ارغموه على قبوله - ولهذا فقد رفضوا الدخول تحت خلافته بل خرجوا عليه .

واعتبار التحكيم سببا مباشرا في خروج الخوارج على الامام على هو ما يذهب اليه عامة علماء الفرق والمؤرخين .

وهو ما يظهر في محاور الخوارج للامام على حول خروجهم حين قالوا له " انا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذ لك كافرين . وقد تبنا . فان ثبت كما تبنا فنحن منك وصحك وان ابيت فاعتزلنا فانا منا بذ لك على سوا . ان الله لا يحب الخائنين " (١) فهم يرون أن التحكيم كفر يخرج عن الملة ويجب الخروج على من يعتقده . وهذا ما نراه في جوابهم لابي ايوب خالد بن زيد الانصارى حين قال لهم في محاورته لهم ليرجعوا الى الطاعة " عباد الله انا واياكم على الحال الاولى التي كنا عليها ليست بيننا وبينكم فرقة فعلا تقاتلوننا ؟ فقالوا انا لو بايعناكم اليوم حكمتم غدا . قال فاني انشدكم الله ان تجعلوا فتنة الامام مخاضا ياتي في قابل " (٢) .

(١)

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٤

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٤ .

وهو أيضا جوابهم لابن عباس اذ أنهم خرجوا كما يقولون غضبا لان التحكيم غير مطلوب في هذه القضية لان معاوية واصحابه - في نظرهم - يجب جهادهم دون ادنى شك فكان من ضمن جوابهم لابن عباس قولهم له : " قد حكمتم في أمر الله الرجال وقد اضى الله حكمه في معاوية واصحابه ان يقتلوا ويرجعوا وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا وجعلتم بينكم المودة وقد قطع الله المودة بين المسلمين واهل الحرب مذ نزلت براءة الامن اقرارا بالجزية " . بل صارحوا عليا نفسه حين سألهم عن سب خروجهم قائلا لهم " فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتك يوم صفين " (١) . وقد وصل التحدي بزرعة ابن البرج الدامى ان يقول للامام على " يا على - ولم يناد به بامرة المؤمنين - لئن لم تدع تحكيم الرجال لاقاتلك اطلب وجه الله تعالى " (٢) .

قد تابع جولد زهر علماء الفرق الاسلامية في اعتبار التحكيم سببا ففى خروج الخوارج بل هو عنده السبب الاول فى ذلك يقول : " وقد كانت موافقة على التحكيم الباعث الاول لظهور احدى الفرق الدينية ففى الاسلام " (٣) .

ولكننا نجد الدكتور عبد الرحمن بدوى يقلل من قيمة كون التحكيم سببا مباشرا فى خروج الخوارج فيقول : " بيد أن هذا السبب المباشر هو اولى الاسباب فان نزعة الخروج كانت كامنة فى النفوس بسبب ما آل اليه امر الخلافة على عهد عثمان وما انتهى اليه امر الجماعة الاسلامية بعد مقتله من تفرق الامة الى فريقين متعارضين متحاربين " (٤) .

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٢٢ / ٣٢٨

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣٤

(٣) المفيدة والشرعية ص ١٩٠

(٤) مقدمة كتاب الخوارج والشيعة احزاب المعارضة السياسية الدينية ص ١٣ .

والواقع ان التحكيم ليس هو اولى الاسباب كما قال بل هو السبب الذى نجر الموقف وخطر جيش الامام على شطرين كبيرين مؤيدين له وخارجيين عليه . وما كان الموقف ليكون على الصورة التى كان عليها بدون هذا السبب ، فلو فرضنا ان الامام على لم يقبل التحكيم وانصر بجيشه على جيش معاوية وتمت له السيطرة على جميع الامصار الاسلامية - لو فرضنا ذلك - فان من المستبعد ان تقوم حركة الخوارج على نحو ما قامت عليه انا استقرت الاوضاع للامام على على هذا النحو .

اما نزعة الخرج التى كانت كامنة بين الناس فما كان لها ان تحدث نتائجها الكبيرة بدون اسباب قوية تدعو الى تلك النتائج . وما كانت هذه النزعة تؤدى الى نقد بعض الاوضاع والتذمر منها والرغبة فى اصلاحها - وهو شأن المحكومين دائما مع حكاهم - ولكنها لا تؤدى الى الخرج بالمعنى الحقيقى الا اذا كانت هناك اسباب مباشرة قوية تدفع الناس اليه بما فى نفوسهم من استعداد سابق له .

٣ - جور الحكام وظهور المنكرات بين الناس :

هكذا يقول الخوارج عن انفسهم انهم انما خرجوا لهذا السبب حتى يقيموا العدل ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويعودوا بالناس الى ربهم والى دينهم . ولقد كان هذا المعنى من اول المعانى التى يستعملن بها زعماء الخوارج فيحركون عنانهم للخرج وحمل السلاح ويستثيرونهم لتحقيق تلك الغاية ومن هذا ما قاله عبد الله بن وهب الراسبي مخاطبا اتباعه من الخوارج بعد ان حمد الله واثنى عليه * اما بعد فوالله ما ينهى لقم يؤمنون بالرحمن وينيبون الى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التى الرضى بها والركون بها

والإشارة إليها عناء وتبار أثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحقة . . . فخرجوا بنا أخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكربين لهذه البدع المضلة (١) . ومثله قول حرقص بن زهير لأخوانه من الخوارج : " ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها ومهجتها إلى القيام بها ولا تلتفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (٢) .

وهكذا قول حيان بن ظبيان مخاطباً أصحابه وقد كانوا خرجوا إلى الري فلما بلغهم نبأ مقتل علي سرهم ذلك جداً فقال لهم حيان يحشهم على الخروج " فانصرفوا بنا رحمكم الله فلنأت أخواننا فلندعهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى جهاد الأحزاب فانه لا عذر لنا في القعود وولاتنا ظلمة وسنة الهدى متروكة وأرنا الذين قتلوا أخواننا في المجالس آمنون فان يظفروا الله بهم نعمد بعمد إلى التي هي الهدى وأرضى وأقوم ويشفي الله بذلك صدور قوم منين، وان نقتل فان في مشاركة الظالمين راحة لنا ، ولنا بأسلافنا أسوة " (٣) .

ولم يكن الخوارج يرون ان جور الخلفاء الأمويين والعباسيين وأهول المعاصي والمنكرات والمظالم في عهدهم هو الذي حركهم للخروج بل كانوا يرون ان هذه الحال قد بدأت منذ عهد الإمام علي رضي الله عنه فهم يعتبرون خلافته غير شرعية

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٧٤
(٢) المرجع السابق ج ٥ ص ١٧٤
(٣) المرجع السابق ج ٥ ص ١٧٤ .

وأنهم يتطلعون الى رجل مثل عمر في عدله وحيثه وكفائه وهذا هو ما نسمعه
على لسان عبد الله بن شجرة السلمي الخارجي عندما قال له ولأصحابه قيس بن
عبادة : " عباد الله اخرجوا الينا طلبتنا منكم - يعني قتلة عبد الله بن خباب -
وادخلوا في هذا الامر الذي منه خرجتم وعودوا بنا الى قتال عدونا وهدوكم
فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم وتسفكون دماء
المسلمين وتعدونهم مشركين " فقال عبد الله بن شجرة السلمي له : " ان الحق
قد أضأ لنا فلسنا نتابعكم او تأتوننا بمثل عمر " (١) .

ورأى الخوارج في علي لا يقل عن رأيهم في بقية الخلفاء من بعده فهو عندهم
- كما سبق - منهم بالكفر والظلم وجانبية الحق وان جهاده بزعمهم قرينة
الى الله وهذا هو الذي دفعهم كما يقولون الى الخروج عليه لعدم استحقاقه
الخلافة ، ولما عليه اتباعه من الضلال بزعمهم .

وقد بينوا ايضا ان من اسباب خروجهم عليه بعد التحكيم منعه لهم عن
السبي يوم الجمل ظانين انه بهذا المنع قد ظلمهم حقهم الذي استحقوه بجهادهم
فيما يرون ذلك في قلوبهم له " اول ما نقمنا منك ان قاتلنا بين يدك يوم الجمل
فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ونعتننا
من سبي نسائهم " (٢) .

والواقع انهم ما كان ينبغي ان يتعللوا بمثل هذا السبب في خروجهم عليه
اذ أن استرقاق المسلمين في حروبهم لبعضهم لا يجوز مطلقا فما بالك بنسائهم
وذرائعهم .

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٤ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٣

(٢) الفرق بين الفرق ص ٧٨ .

فإذا كانوا قد استحلوا الخروج على الامام على - مع عدله وفضله - فما ظنك
بشيءه ؟

والواقع أن اقامة العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر امر واجب على
المسلمين ، ولكنه لا يمكن ان يكون مبررا صحيحا لخروج الخوارج على هذا النحو
الذي خرجوا عليه فهناك ضوابط اسلامية في الانكار على الولاة واحقاق الحق بين
الناس حتى تؤتى هذه القاعدة الشرعية ثمرتها المرجوة في اصلاح الحكم والمجتمع
اذ لو جاز لكل انسان ان يزيل ما يراه منكرا بأنكر منه لا يضي هذا العمل بالناس
الى الفساد والفوضى والخروج عن الجماعة . وقد قال صلوات الله وسلامه عليه
" من فارق الجماعة قهيدا شبرا فقد خلع رقة الاسلام من عنقه " (١) .

وقد أخبر "ص" بأن الامراء سيكون منهم تارة الخير وتارة الشر مع هذا
فانه لا يجوز الخروج عليهم فمن عرفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : " ستكون في امتي هنات وهنات وهنات (اي شبر وفساد) فمن أرلده
ان يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضروه بالسيف كائنا من كان " (٢) .

وحين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه عن امراء قاتلا لهم تعرفون منهم
وتنكرون قالوا له يا رسول الله افلا تقاتلهم قال لا ماصلوا " (٣) .

وفي رواية عند مسلم : " قيل يا رسول الله افلا تقاتلهم بالسيف فقال لا ما اقاموا
فيكم الصلاة واذا رايتهم من ولائكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عملهم ولا تنزعوا يدا
من طاعة " (٤) .

(١) ، (٢) ، (٣) انظر سنن ابن داود ج ٢ ص ٥٤٣ / ٥٤٤

(٤) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٣ / ٢٤ .

وإذا كنا قد أمرنا بطاعة أولى الأمر وهم جواز الخرج عليهم فليس معنى ذلك أننا مأمورون بطاعتهم في كل ما يأمرون به • بل هناك أحاديث قد بينت الحد الذي تنتهي عنده طاعتهم وذلك فيما إذا أمروا بمعصية أو ظهر منهم كفر بواح • فحينئذ لا طاعة لهم إذ أنه قد اتفق ما يوجب طاعتهم وهو مسكهم بالشرع • وسنزيد هذا وضوحاً في بحث الإمامة إن شاء الله •

أما أن يتخذ جور الحكام وظهور المعاصي بين الناس سبباً لحكم الخوارج على الناس بالكفر واستباحة دمائهم وأموالهم واشاعة المظالم والمفاسد بينهم أكثر مما كانوا عليه - أما أن يتخذ ذلك - فإن فيه مجازة للحق والصواب • وسنرى عند حد يثنا عن خصائصهم نماذج كثيرة من أعمالهم التي ارتكبوها مما لامت إلى العدل وإبطال المنكر بسبب ولقد كان اعتقادهم الباطل بتكفير غيرهم من المسلمين سبباً في استباحة دماء وأموال هؤلاء الذين قالوا أنهم خرجوا حماية لهم من ظلم الحكام وإذا كانت لهؤلاء الحكام مظالمهم بين الناس فما ذنب المحكومين ومن العجيب أنهم مع قرارهم بأن عمر بن عبد العزيز كان أماً عادلاً وأنه أبطل مظالم بني أمية إلا أنهم ظلوا على خروجهم عليه • وقد كان الأخرى أن يعارضوه على إقامة العدل واشاعة الأمن بين الناس فمن أسباب خروجهم عليه فليس نظريهم أنه لم يقر على إتيائه بالكفر ولعنهم كما طلبوا وما كان ينبغي أن يكفون أحجامه عن لعن آبائه دافعاً لهم إلى الخرج عليه فقد قال عمر لو فدهم الذي يشبهه اثنان أحدهما حبشي والأخر عيسى • أخبرنا الذي أخرجكم فخرجكم هذا وما نقيم علينا فتكلم الذي فيه حشية فقال والله ما نقيمنا عليك في سيوتك وانك لتجرى بالعسـد والاحسان ولكن بيننا وبينك امران أعطيتنا ف نحن منك وانت منا وإن منعنا فلست منا ولستنا منك • قال عمر وما هو قال رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وميثمنا

المظالم وسلكت غير سهيلهم . فان زعمت انك على هدى وهم على ضلالة
فالعنهم وتبرأ منهم . فهذا الذى يجمع بيننا وبينك او يفرق .

هذا هو موقفهم معه وهو موقف يتسم بخيانة الغنطح والتمسك بالرأى دون رويضة
او تحرر للحق لقد اثبتوا على انفسهم انهم لا يعيرون عليه أى شىء فى سيرتهم
غير انهم سيفارقونه ان لم يلعن اباؤهم . ولو أن هذا الطلب قدم الى افسق
رجل واخلع رجل لرفضه . ولهذا رد عليهم عمر رضى الله عنه ردا مفحما
رد رجل عاقل عالم فقد قال لهم : " أرايتم لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة
لا بد منها فان كانت كذلك فاخبرنى ايها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون قال
ما اذكر متى لعنته قال ويحك لم لاتلعن فرعون وهو اخي الخلق وسعنى فيما
زعمت لعن اهل بيتى والتبرأ منهم . ويحكم انتم قوم جهال " (١) .
فمسلما
كانوا كما ذكر فقد اعترفوا فى نهاية المحاوره برجوعهم الى الحق وان الصواب مع
عمر رضى الله عنه . ولئن كان جور الحكام وشيخ المنكرات بين الناس سببا دافعا
للخروج فانهم قد انحرفوا فى الاستجابة لهذا السبب ولم يحققوا ما قصدوا اليه بل
زادوا عدد المظالم والمنكرات باقبح منها وأشنع .

(١) انظر مرجع الذهب ج ٣ ص ٢٠٠/٢٠٢

٤ - العصية القبلية :

كان للعصية بين قبائل العرب سلطان قوى قبل الاسلام فلما بزغ نسوره اخفت صوتها وأوهن قوتها فسكنت زمنا ولكنها ظهرت من جديد شيئا فشيئا حتى استحكمت في خلافة عثمان وما بعدها فقد كادت العصية أن تطبل برأسها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنذ بدء خلافة ابي بكر رضى الله عنه . فقد اراد ابوسفيان ان يحييها حيث أثارها بين بنى هاشم محرضا لهم على عدم الرضا بخلافته وهو ليس بهاشمي وجعلها في على كما يحدثنا عن ذلك الطبرى عن عوانة انه قال " لما اجتمع الناس على بيعة ابي بكر اقبل ابوسفيان وهو يقول " والله انى لارى عجاجة لا يطفئها الا دم يسا آل عهد مناف فيم ابوكرم من اموركم اين المستضعفان اين الاذلان على والمبلس قال اباحسن ابسط يدك حتى أبايحك فابى على عليه فجعل يتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به الا الاذلان سير الحى والقد
هذا على الخسف معكوس مرته وذا يشع فلا ييكى له أحسد
فزجره على قال انك والله ما أردت بهذا الا الفتنة . وانك والله طالما بنيت
الاسلام شرا لاحاجة لنا فى نصيحتك " (١)

ومن هذا يتبين موقف من مواقف العصية البغيضة ظهر مكرها . فلما
أن اباسفیان وجد من يعنى لكلامه ويقبله لكانت شرور وقتن لا تنطفى . الا بالدماء

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٢٠٩

الجارية كما أرادها أبوسفیان حسب قوله .

لقد كان على اذا أحق بالخلافة حسب قانون العصبية . ولهذا فقد استعظم والد ابى بكر ابوقحافة حين سمع بتولية ابنه خليفة فقال " اوضحيت بنوا عبد مناف ونوا مخزوم " (١) . وفى عهد عثمان رضى الله عنه وجدت العصبية الجوقد تهيأ لقبولها والتأثير بها لانها وجدت متنفسا فى عهد عثمان الذى فرضه عليها ابوبكر ورضى الله عنهما . قال الطالبي " وفى عهد عثمان رضى الله عنه وجدت العصبية مرتماخصها لما ان كثرت مجالات التنافس على المناصب فى الولايات المختلفة وهى الاموال ايضا " (٢) .

وقد اتهم عثمان رضى الله عنه بتولية اقربائه عصبية لبني امية حتى كتب اليه مالك الاشتر قائلا له فى كتابه " واحبس عنا سعيدك ووليدك ومن يدعوك اليه الهوى من أهل بيتك " (٣) . وهو اتهم له بالعصبية فى تولية هؤلاء الذين ذكرهم الاشتر .

ويبدو ان المنف قويا فى اتهام الخوارج الثاثرين. لعثمان بتولية قرابته وايشارهم بذلك حين يقولون له على لسان جهلة بن عمرو " والله لا طرحن هذه الجامعة فى عنقك او لتتركن بطانتك هذه " . قال عثمان اى بطانة فوالله انى لا تخيبر الناس فقال مروان تخيبرته ومعاوية تخيبرته وهب الله بن عامر بن كريز تخيبرته وهب الله بن سعد تخيبرته " (٤) . وكانت هذه الحجة ، اى ايشاره قرابته من اشهر حججهم واقواها عندهم وهى حجة واهية فائ مانع فى ان يحب الشخص اقاربه

(١) ، (٢) ، (٣) اراء الخوارج ص ٤٧

(٤) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٦٦ .

ويدنيهم مادام أن ذلك لم يكن فيه محذور ، ومن ظن بعثمان أنه ولي قرابته
أمور د ولته عصبية بغض النظر عن صلاحهم فهو كاذب مفتر فعثمان قد صدق
والله أنه تخير وأنق من ذكرهم جملة بن عمرو على قصد الذم هم خير منكم
وأصلح وهم من ابطال المسلمين المشهورين ورافى راية الاسلام والتاريخ
يشهد لهم بهذا ومن جهل فضلهم فليراجع سيرهم بعد أن يتجرد عن التعصب
والهوى وليراجع كتب التاريخ ليرى اجابة عثمان عن كل تلك الاتهامات
الكاذبة التي وجهها اليه الثوار .

والواقع أن الامر قد صار بالمسلمين بعد ان وصفهم الله بالالفة والاخوة ففى
قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم
اذ كنتم اعداء " فألف بين قلوبكم فاصبحت بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (ال عمران : ١٠٣)
وفى قوله : " وألف بين قلوبهم لو أنقذت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم " (الانفال : ٦٣)

صار بهم الامر الى عصبية فرقتهم شيئا واحزابا وقد وصف ابن المرسى
حالتهم بعد هياج تلك العصبية بقوله : " وصارت الخلائق عزيزين فى كل واد
من العصبية يهيمون فمنهم بكرية - نسبة الى ابي بكر - وهيرية - نسبة الى عمر بن
الخطاب - وهثمانية - نسبة الى عثمان بن عفان - وهلمية - نسبة الى على بن ابي
طالب - وهبسية - نسبة الى العباس ، كل تزعم ان الحق معها وفى صاحبها
والهاقى ظلوم غشم مقتوم من الخير عديم وليس ذلك بمذهب ولا قيمة مقالة وانما هى
حماقات وجهالات اود سائن للضلالات حتى تضحل الشريعة وتهدم
الملحدة من الملة ويلهبوبهم الشيطان ويلعب قد سار بهم فى غير مسير ولا مذهب (١)

وفيما يتعلق بموضوعنا وهو استمرار ظهور العصية في عهد الامام على ومضى اعتبارها كسبب محرك لظهور الخوارج - فيما يتعلق بذلك - نرى ان العصية قد استمرت في هذا العهد بين القبائل وانها كانت تحكم تصرفات الخوارج مع الامام على منذ البداية فيروى نصريين مزاحم المنقري أن أهل العراق وخصوصاً الاشعث الذي عدّه الشهرستاني من الخوارج الذين خرجوا على علي (١) منهم التمسب من قبول اي مضرى حكماً من قبل الامام على وابى الا أحد اليمينين وهو ابو موسى الاشعري فيذكر نصران الاشعث قال لملي " لا والله لا يحكم فيهما مضران حتى تقوم الساعة ولكن اجمله رجلا من أهل اليمن اذ جعلوا من مضر فقال علي : اني أخاف ان يخدع يمينكم فان عمرو ليس من الله في شيء اذا كان له في أمر هوى فقال الاشعث والله لان يحكما ببعض ما نكره واحدهما من أهل اليمن احب الينا من ان يكون بعض مانحب في حكمهما وهما مضران " (١) .

ولهذا امتنعوا ايضاً من ارسال عبد الله بن عباس للمفاوضة حين طلب اليهم على ذلك لانه قرشي ومن قرابته ولم يقبلوا الا ابنا موسى وكانت لهم الكلمة في جيش علي فيذكر البهرد ان جيش علي كان جله من اليمينين " (٢) . ويذكر الطبري ان بين اليمانية والمخزية عصبية " (٣) .

بل لقد كانت العصية بين أبناء القبيلة الواحدة امراً قائماً حتى ولو اختلف ولاؤهم كما وقع لخشعيين قتل احدهما الاخر في موقعة صفين حين " حُمل

(١) وقعة صفين ص ٥٧٣

(٢) الكامل ج ٢ ص ١١٦

(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٨٥

شمر بن عبد الله الخثعمي من خثعم الشام على ابي كعب راس خثعم المــــــــــــــــراق
فطمعنه فقتله ثم انصرف يبكي ويقول يرحمك الله ابا كعب لقد قتلتك في طاعة قــــــــــــــــم
انت امس بي رحما منهم واحب الي منهم نفسا ولكن والله لا ادري ما أقــــــــــــــــول
ولا أرى الشيطان الا قد فتننا ولا أرى قريشا الا وقد لمعت بنا * (١) .

ومنها ما وقع اثناء قراءة الاشعث لكتاب التحكيم حين ضرب عروة عجز دابــــــــــــــــة
الاشعث فقد ارادت العصبة ان تشرب بين النزارية واليمانية غنبا لتلك الضــــــــــــــــرة
فلولا انشفاهم بقضية التحكيم لكان لهم شأن اخر * (٢) .

وقد حدث ان الخوارج فيما بعد كما ذكر ابن الاثير انهم بقيادة شبيب خرجوا
في مكان يسمى بجوسير وكان الوالي لتلك الجهة مطرف بن المغيرة وكان يــــــــــــــــره
ظلم الحجاج وعبد الملك فراسل الخوارج وطلب منهم ارسال وفد اليه لينظر فيــــــــــــــــا
يدعون وحين سألهم عن دعوتهم قالوا له * ندعو الى كتاب الله وسنة رســــــــــــــــله
صلى الله عليه وسلم * وان الذي نقيمنا من قومنا الاستشارة بالقي * وتحطيل الحدود
والتسلط بالجهرية فقال لهم مطرف ما دعوتكم الا الى حق وما نقيم الا جورا ظاهــــــــــــــــرا
انا لكم متابع فتابعوني على ما ادعوكم اليه ليجمع امري وامركم فقالوا اذكروه فان يــــــــــــــــن
حقا نجبهك اليه : قال ادعوكم الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على احداثهم وندعــــــــــــــــهم
الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الامر شوري بين المسلمين يؤمرون مــــــــــــــــن
يرتضونه على مثل هذا الحل التي تركهم عليها عمر ابن الخطاب فان المــــــــــــــــرب

(١) شرح منهج البلاغة ج ٥ ص ٢٠٥

(٢) انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٤

إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعاونكم فقالوا هذا ما لانجيك اليه وقاموا من عنده وترددوا بينهم أربعة أيام فلم تجتمع كلمتهم " (١) . فحين سمعوا بتولية أحد القرشيين نفروا عنه ومن استمالته اليهم .

ويذكر الأستاذ أبو زهرة أن العصبية والحسد هما الحافزان القويان لخرج الخوارج وقد كرر هذا المعنى في أكثر من موضع من كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية فهو يذكر أن العصبية كانت مختفية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ظلمت مختفية إلى أن جاء عهد عثمان رضي الله عنه " فانبعثت في آخر عهده قويّة لجة عنيفة وكان انبعاثها له أثر في الاختلاف بين الأمويين والمهاشيين ولا ثم الاختلاف بين الخوارج وغيرهم فقد كانت القبائل التي انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل الريمية لا من القبائل المضرية والنزاع بين الريميين والمضريين معروف في العصر الجاهلي فلما جاء الإسلام اخفاء حتى ظهر في غلة الخوارج فكان من الطبيعي أن يكون الحسد من أول ثمار هذه العصبية ومن الأسباب التي حفزت الخوارج إلى الخرج . ويقول أيضاً " ومن أعظم هذه الأمور التي حفزتهم على الخرج غير الحق الذي اعتقدوه — أنهم كانوا يحسدون قريشا على استيلائهم على الخلافة واستبدادهم بها دون الناس " (٢) .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٤٣٤

(٢) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ١٢/٦٩/٧٠ — وانظر فجر الإسلام ص ٢٦٢ . وكذا ضحى الإسلام ج ١ في صفحات كثيرة من أول هذا الجزء .

وقد أورد الأستاذ أحمد أمين رحمه الله أمثلة كثيرة لهياج العصبيّة
بين الناس في عهد الدولة الأموية ثم العباسية .

وقد قال المأمون في اجابته لرجل من اهل الشام حين طلب اليه الرفق بهم
* " واما ربيعة فساخطة على الله منذ بحث بينه من مضر ولم يخرج اثنان الا خرج
احدهما شاريا " (١) . ومن هنا فاننا لانوافق على مقاله فلهوزن - مبرر
للخوارج من العصبية وانهم كما قال " كانوا حزبا ثوريا يعتصم بالتقوى لم ينشأوا
عن عصبية المروية بل عن الاسلام " (٢) . ولقد تطورت تلك العصبية فيما بعد
الى ان كانت من اسباب تقويض ملك بني أمية . (٣)

ونحب أن نشير هنا الى ان الخوارج فيما بعد قد انمحت لديهم العصبية
القبلية والاقليمية وحلت محلها العصبية للمقيدة والراى كما وقع في حادثة
عدة كان الخوارج من القبيلة يحاربون اخوانهم المخالفين لهم من نفس القبيلة
حربا لا هوادة فيها كما وقع لبني تميم من محاربة اخوانهم من بني تميم ايضا (٤) .

وكما نتبين هذا ايضا من استعطاف عتاب بد وقاء الرياحي للزبير بن عسى
ابن الماهوز رئيس الخوارج الذين حاصروا عتاب بن ورقا يغادونه القتال ويرأونهم
حتى ضاق بهم ذرعا وايقن بالهلاك " فبعث عتاب بن ورقا الرياحي الى الزبير
ابن عسى انا ابن عمك ولست اراك تقصد في انصرائك من كل حرب غيرى فبعث اليه
الزبير ان ادني القاسقين وابعدهم في الحق سواء " (٥) .

(١) ضعي الاسلام ج ١ ص ٤٣ .

(٢) الخوارج والشيعة ص ٤١

(٣) انظر مرجع الذهب ج ٣ ص ٢٤٤ / ٢٤٦ فقد ذكر امثلة كثيرة لظهور العصبية

بين قبائل مضر واليمن .

(٤) انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ٣٢٦

(٥) انظر شرح منهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٤

٥ - العامل الاقتصادي :

ومعنى بهذا العامل ان الخواارج خرجوا مدفوعين - كما قيل - بنقمتهم
على ما ظنوه جورا في توزيع الفتي ، والغنائم فقاموا بما قاموا به طلبا للمال •

ويرى الطالبى ان العامل الاقتصادي في ظهور الخواارج عامل له أهمية
وخطورة الى جانب عامل الحسبية وينقل في ذلك عن ابن حجر ان ابا عوانسة
يعقوب بن اسحاق النيسابورى ترجم في مسنده للاحداث الواردة في الخواارج
بقوله " بيان ان سبب الخرج الخواارج كان بسبب الاثرة في القسمة مع كونهم
كانت صوابا فخفى عنهم ذلك " (١) .

والواقع ان النعمة بسبب تقسيم الفتي بدأت حتى منذ عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما وقع من ذي الخويصرة حيث اعتبرها الشهرستاني وابن الجوزي
(٢) من عوامل نشأة الخواارج وان خروجهم يتبدأ من هذا الوقت وان كان فيما يظهر لى
أنها من الوقائع اليومية التى تجرى بها العادة بين الناس لما جهلت عليه النفوس
من حب المال والتطلع الى الاكثار منه وانها مرت في حياة المسلمين مرورا عاديا
دون أن تكون لها نتائج مباشرة ذلك ان ذا الخويصرة لم يكن مدفوعا فيما قاله
للنبي صلى الله عليه وسلم بحسبة تحرضه على ذلك وانما دفعته كما قلنا نزعة
الفردية ولا سيما وانه يعرف من عطف النبي صلوات الله وسلامه عليه ورحمته ما شجعه

(١) آراء الخواارج ص ٥١

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢١ - تلخيص ابيليس ص ٩٠

على ذلك • ولهذا فاننا نلنى من حسابنا هذه الواقعة فى دراسة مدى تأثير العامل الاقتصادى على قيام الخوارج بل لقد اخيناها سابقا كبد • لظهور فرقة الخوارج • وان عدناها سابقة من السوابق التاريخية فى تالمسح الناس الى النائم ونقتهم على تقسيمها • ولقد ظهر ذلك بصورة واضحة كمال من الهوامل المحركة للثورة على عثمان رضى الله عنه •

فبعد الهجوم عليه وقتله من قبل الثائرين " تنادوا فى الدار ادركوا بيوت المال لاتسبقوا اليه وسمع اصحاب بيت المال اصواتهم وليس فيه الا غراتان — كما يقول الطبرى او كان فيه مال كثير كما يقول ابن كثير — فقالوا النجا النجا فان القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا واتوا بيت المال فانتهبوه " (١) •

ولقد كان عثمان رضى الله عنه متبها عند هؤلاء الثائرين عليه بايثار قرابتة بالمطايا على حساب بقية المسلمين ومن ذلك ما يرويه صاحب كشف الغممة من ان عثمان اعطى مروان من بيت المال مائة الف وانه انفق على نفسه ودوره من بيت المال وانه " جعل الصدقة لنفسه ولاهل بيته دون من جعلها الله لهم ونقص اهل بدر اعطياتهم كل واحد الف عما فرض لهم عمر رضى الله عنه وكنز الذهب والفضة و . . . الخ تلك الافتراءات التى اعتبروا فيها عثمان قد جار فى توزيع الاموال وانه يستحق بذلك الخروج عليه • وقد اورد ابن ابى الحديد روايات فى اعطاء عثمان اقاربه واهله من بيت المال الشئ الكثير ثم قال : " والذى نقول نحن انها وان كانت احدانا الا انها لم تبلغ المبلغ الذى يستباح به دمه "

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٩١ • البداية والنهاية ج ٧ ص ١٨٩ •

وذكر ايضا في موضع آخر من كتابه شرح نهج البلاغة دفاعا عن عثمان للقاضي
عبد الجبار وردا عليه من المرتضى * (١)

ولسنا في مقام تحقيق ما ينسب الى عثمان رضى الله عنه في هذا الجانب او غشى
بيان نقده او ذكر محامله الشرعية ، فذلك له مقام اخر وانما قصد هنا بيان
أثر العامل الاقتصادي في ثورة الثائرين عليه .

وما لاشك فيه ان عماله رضى الله عنه قد ساعدوا على تحريك هذا العامل
في نفوس الناس بما وقع من فلتات كلامهم او بعض تصرفاتهم ونذكر في هذا المقام
ما قاله سميد بن العلي والي المرقاء من قبل عثمان وهو يسامر بعض وجوه اهل الكوفة
فقد قال لهم " انما هذا السواد - يعني به سواد العراق - بستان لقريش
نقال الاشترا تزعّم ان السواد الذي أفاء الله علينا باسيافنا بستان لك ولقومك
والله ما يزيد اوفاكم فيه نصيبا الا ان يكون كأحدنا وتكلم معه القوم " (٢) .

ومن هنا بدأت الفتنة في الاشتعال وبدأ سب الولاة والخليفة نفسه وكانت
هذه الحادثة نواة لأحداث اثمرت فيما بعده الهجوم على الخليفة نفسه في المدينة
حتى قتلوه ويصف معاوية رضى الله عنه اولئك الناقمين على عثمان في المرقاء في كتاب
بعث به اليه يقول عنهم " انما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة " (٣)

(١) انظر شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٩٩ وج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٣٣

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٣

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ١٤١

وهكذا يتبين لنا أن للعامل الاقتصادي أثره في الثورة على عثمان رضي الله عنه . فهل كان الدافع لخروج الخوارج على علي أيضا هو العامل الاقتصادي ؟

الجواب نعم . . انه كان سببا من اسباب خروجهم عليه وذلك حين منعهم من سبي اهل الجمل بل هو اول مانقمو عليه من الامور كما عبروا عن هذا بقولهم له : " اول مانقمنا منك انا قاتلنا بين يدك يوم الجمل فلما انهزم اصحاب الجمل ابحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ومنعتنا من سبي نسائهم وذرائعهم " (١) . ونقول ان العامل الاقتصادي كان من اسباب خروج الخوارج على الامام علي ولكنّه لم يكن السبب الوحيد كما ظهر لنا من استعراض الاسباب الاخرى . وكما قلنا من ان كل ظاهرة اجتماعية معقدة تكمن وراءها اسباب دينية واجتماعية واقتصادية متشابكة .

٦ - الحملات الديني :

يرى بعض العلماء ان سبب خروج الخوارج كان رد فعل لتمسكهم الشديد بالقرآن والسنة وهو ما ذكره الطالبي بقوله " فالتقوى والتمسك بالقرآن والسنة تمسكا شديدا من اسباب الخروج ودواعي الانكار " انكار جميع الاوضاع من اساسها ونبذ الفريقين المتقاتلين جميعا ، فالتقوى والتمسك بالمقيدة في اصلها ادى بالخوارج الى الثورة العنيفة على كل شيء " (٢) .

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٨

(٢) آراء الخوارج ص ٨٤

وهو ايضا راي الفلپهوزن حيث يذكر ان الباعث على خروج الخوارج انما كان ناتجا عن تقوى شديدة ورغبة في التوبة الفعلية من خطيئهم من صغين حين قبلوا التحكيم، ولهذا فقد طالبوا الامام علي ان يتوب توبة فعلية ليرجعوا الى طاعته بل يرى ان التشدد في مبادئ الاسلام يفضي بهم الى ان يتجاوزوا بنقدهم الى النبي نفسه . (١)

ويقول احمد أمين " وقد حملهم شديد ايمانهم ان ينتهزوا كل فرصة للدعوة الى مبادئهم جهرا ويرسلوا الرسل الى خلفاء بني أمية يدعونهم ولم يذنبوا بأي نوع من أنواع التضحية " (٢) .

ويرى الاستاذ ابوزهرة كذلك أن تلك العاطفة الدينية الجياشة التي جعلتهم ينصرفون الى الخروج انما كانت نابعة من حياتهم البدوية الساذجة فيقول " كان اكثرهم من عرب البادية وقليل منهم من كان من عرب القرى وهو لا كانوا في قعر شديد قبيل الاسلام ، ولما جاء الاسلام لم تزد حالهم المادية حسنا لانهم استمروا في باديتهم بشدتها وصعوبة الحياة فيها وأصاب الاسلام شغاف قلوبهم مع سذاجة في التفكير وضيق في التصور ومعد عن العلم فتكون من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة يضيق نطاق العقول ومتهورة مندفعة لانها نابعة من الصحراء وزاهدة لانها لم تجد (٣) .

ونفس النظر عن مدى صحة ما علل به الاستاذ ابوزهرة عاطفتهم الدينية المتعصبة من الفقر والبداءة في اكثر الخوارج فان الذي يعطينا هنا هو التأكيد على أن هذه العاطفة الدينية كانت بالفعل من الاسباب القوية المحركة لكثير من الخوارج في خروجهم كما ينبي عن ذلك غلوهم في العبادة وهو من اهم خصائصهم التي سندرسها فيما بعد وان لم يمنحنا ذلك من ان نأخذ عليهم

(١) الخوارج والشيعة ص ٣٧ .

(٢) فجر الاسلام ص ٢٦٣

(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٦٨

أن عاطفتهم الدينية المتحمسة قد دفعتهم الى اعمال كثيرة خارجة عن
ما يقتضيه الدين الصحيح المتسم بالتروى وهدم التعصب في محاملة الآخرين .

هذه هي أهم الاسباب التي عرضت في تحليل خرج الخوايج على الامام
على وعلى الخلفاء من بعده . ولعل في ما قدمناه في هذا الفصل توضيحا
لمدى أثر كل سبب من تلك الاسباب سواء منها ما كان مباشرا او غير
مباشر . . .

الفصل الخامس

"حركات الخوارج"

قلنا في نهاية الفصل الثالث ان الخوارج منذ موقعة النهروان كانوا نواة لحركات ثورية قامت ضد الخلافة الاسلامية ابتداءً من عهد الامام علي وامتدادا الى العصر الاموي فالعصر العباسي ونواة لتكوين فرق عقائدية متعددة .

ونعني بفرق الخوارج تلك التي كان لكل منها كيانها الخاص واسمها الذي تتميز به عن غيرها من الفرق نتيجة للاختلافات التي حدثت بينها في الآراء الاعتقادية وفي موقف كل منها من الجماعة الاسلامية ولم يكن الخوارج على هذا النحو بعد موقعة النهر وان مباشرة وانما بدأت تلك المرحلة من تاريخ الخوارج بظهور نافع بن الازرق وهد * تكوين فرقة الازارقة وذلك في اوائل الستينات من الهجرة وه وفرقة يبتدئ مؤرخوا الفرق - بعد كلامهم على المحكمة الاولى - من التاريخ لفرق الخوارج وذكر ارائها المختلفة - بل المتناقضة احيانا - سواء منها الفرق الكبرى او ما تشعب عن كل منها من فرق صغرى .

اما ما قبل هذه المرحلة وهي الفترة التي تقع بين موقعة النهروان وظهور الازارقة فقد كان الخوارج فيها مجرد جماعات حربية تشبورها هنا وهناك على الامام علي رضي الله عنه او على الحكم الاموي من بعده وكانوا جميعا على رأى واحد في المطالبة بتحكيم كتاب الله ورفع المظالم والمعدل في تقسيم الفيء الى غير ذلك من ما هذى عليه سلفهم من اهل النهروان دون ان تكون بينهم خلافات عقائدية وليس معنى هذا ان حركات الخوارج انتهت بقيام نافع بن الازرق وفرقة بل ظلت تلك الحركات الثورية جنبا الى جنب مع وجود الفرق العقائدية طوال الحكم العباسي والاموي .

ولقد انتشر هؤلاء الخوارج في بقاع كثيرة من الدولة الاسلامية وكثر عدد هم ، وديهي ان ذلك لا يرجع الى مجرد هؤلاء التسعة الذين قيل عنهم انهم هم الذين نجوا من موقعة النهروان وانما يرجع - كما قلنا سابقا - الى وجود هذا العدد الكبير من الخوارج الذين لم يلتحقوا بجيش النهروان والى وجود

عند الاشعري او ربيع الآخر من السنة الثامنة والثلاثين عند ابن الاثير (١)
وخرج عليه ايضاً هلال بن علفة في ماسبذان مع اكثر من مائتين من اتباعه
فوجه اليهم علي رضي الله عنه معقل بن قيس الرياحي ، ولما التقوا انهزم
الخوارج وقتلوا في شهر جمادى الاولى من السنة الثامنة والثلاثين (٢) .

ثم خرج الاشهب بن بشرأ والاشعث البجلي في ١٨٠ رجلاً فذهب
الى مكان المعركة التي اصيب فيها سلفه هلال بن علفة فصرى عليهم ودفن
من قدر عليه منهم فاقام بجرجرايا من ارض جوخي فأرسل اليه علي جيشاً عليه
جارية بن قدامه او حجير بن عدي وذلك في جمادى الاخر سنة ٣٨ فقتل
الاشهب وأصحابه (٣) .

ثم خرج سعيد او سعد بن ققل التيمي في رجب بالبندنجين مع
مائتين من الخوارج ثم ذهب الى دزنجان وهي على فرسخين من المدائن
فكتب علي الى عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي فخرج اليهم فقتل
الخوارج في رجب سنة ٣٨ (٤) .

واخيراً خرج عليه رجل من اعلى الخوارج مع جيش كله من الموالي ليس
فيه من العرب الا رئيسهم وهو هذا الخارجي يسمى ابو مريم السمدى وخمسة
آخرون خرج بشهرزور وكان معه مائتا رجل او اربعمائة كما قيل وقد اقترب من
الكوفة لشجاعته حتى لم يبق بينه وبينها الا فرسخان او خمسة فراسخ
وقد ارسل اليه علي من يطلب اليه الرجوع الى الطاعة ودخول الكوفة فقال ليس
بيننا غير الحرب .

(١) مقالات الاشعري ج ١ ص ٢١٢ . الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٧٢

(٢) المرجعين السابقين

(٣) المقالات ج ١ ص ٢١٢ الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٧٢

(٤) المقالات ج ١ ص ٢١٢ الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٧٣

فارس لهم علي بن ابي طالب شريح بن هاني* في سيمائة رجل فشد عليهم الخوارج حتى هربوا ولم يبق الا شريح مع مائتين .

فراى علي ان يخرج بنفسه اليهم وقبل وصوله قدم جارية بن قدامة السعدي يحذرهم العصيان والحرب فلم يسمعو منه ولما وصل علي اليهم دعاهم ايضا الى الطاعة والجاعة فأبوا فحمل عليهم علي بجيشه فقتلوه ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا طلبوا الا مان وذلك في شهر رمضان .

وادخل معه الى الكوفة اربعين رجلا منهم لمداءاتهم حتى بروا (١) .

ونلاحظ هنا ان اولئك الخوارج الذين خرجوا على علي قد قضى عليهم جميعا في سنة ٣٨ هـ .

٢ - " حركات الخوارج الثورية ضد الحكم الاموي "

وقد ظل الخوارج يتتابعون في الخروج بعد الامام علي وخلال الحكم الاموي وظل حالهم على نحو ما كانوا عليه خلال خلافة الامام علي ذلك انه لما استتب الامر لمعاوية واجتمعت عليه الكلمة كان الخوارج قد اشتعلت جذوتهم وثبت في اذهانهم فكرة الخروج على بني امية وعلى رأسهم معاوية بن ابي سفيان فأخذوا في التجمع والترص للخروج في اى فرصة كانت اذ كان معاوية في نظرهم مفتصبا للحكم لا شك في قتاله بل هو في نظرهم قرية الى الله بعكس الامام على فقد كان بعضهم مترددا في مواجهته كما سنرى في تعبير فروة بن نوفل عن هذا التردد لهذا فبمجرد وفاة الامام علي انفتحت على معاوية وحكام بني امية من بعده ثورات وحروب طاحنة لا يقر للخوارج قرار ولا يستخفون بأنفسهم الا ريثما تتم عدتهم ويكتمل عددهم فكانوا شوكة في جنب الدولة شغلتهم فترة من الزمن فهم بهذا يمثلون المعارضة بالتعبير الحديث اتم تمثيل .

وستتناول ما اشتهر من اخبار اولئك الخارجين على بني امية بايجاز .

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٧٣ مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١٢

الفرق بين القرص ٨١

وكان اول هؤلاء الخارجيين :

فروة بن نوفل الاشجعي : وسماه البغدادي قرة (١) خرج سنة ٤١ هـ كان هذا الرجل ممن اعتزل قتال علي وانحاز معه خمسمائة فارس من الخوارج السي شهرزور قائلًا : " والله ما ادرى على اى شي نقاتل عليا ارى ان انصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله او اتابعه " اى انه كان شاكا في قتال علي اما معاوية فقد بين موقفه منه بقوله " قد جاء الان ما لاشك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه " .

ثم ذهبوا الى النخيلة فمسكروا بها وهي مكان قريب من الكوفة فارسل لهم معاوية جيشا من اهل الشام ولكن الخوارج هزموه فلجأ معاوية الى حيلة يرمى فيها عصفورين بحجر فقال لاهل الكوفة " والله لا امان لكم عندى حتى تكفوه " فوقع هذا التهديد منهم موقعا عظيما فخرجوا لقتالهم وكفهم عن الخروج وعندما رأاهم الخوارج قالوا لهم " اليس معاوية عدونا وعدكم دعونا نقاتله فان اصبنا كنا قد كفيناكم عدوكم وان اصابنا كنتم قد كفيتمونا " فلم يقتنعوا بقولهم هذا فقالت الخوارج رحم الله اخواننا من اهل النهر هم كانوا اعلم بكم يا اهل الكوفة ثم اختطفوا اشجع صاحبهم وادخلوه مقهورا الى الكوفة .

ثم مكنته الفرصة فيما بعد فخرج على المغيرة بن شعبه فارسل له المغيرة شيت بن رضى او معقل بن قيس مع فرسان فلما التقوا قتل فروة بشهرزور او ببعض سواد المراق (٢) .

وله من الشعر قوله :

ما ان نبالي اذا ارواحنا سلمت	ماذا فعلتم بأجساد وأبشار
تجر المجرة والنسران بينهما	والشمس والقمر السار مع مقدار
لقد علمت وخير العلم انفعه	ان السعيد الذى ينجو من النار

(١) الفرق بين الفرق ص ٨٢

(٢) انظر تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٦٦ والكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤٠٩

البديلية والنهاية ج ٨ ص ٢٢

وابن الاثير ينسب هذه الابيات الى عبد الله بن ابي الحوسا وأنه قالها حينما ولي أمر الخوارج وخوفه من السلطان ان يصلبه (١) .

وقوله :

وفارقنا ابا حسن عليا
فحكم في كتاب الله عمرا
فما من رجعة اخرى الليالي
وذاك الاشمرى ابا الضلال

وقد رش الخوارج بقوله يصفهم :

لطايفا يراها الصوم حتى كأنها
سيوف اذا مال الخيل تد من كلومها (٢)

واما جيش فرقة فقد ولوا عليهم عبد الله بن ابي الحوسا الطائي وسماه البغدادي عبد الله بن جوشا (٣) . وقد ثار هذا الخار جي على معاوية بعد ان اوثق اهل الكوفة صاحبهم فرقة فولاه الخوارج امرهم وكان تهديد معاوية لا يزال في آذان اهل الكوفة فقاتلوه حتى قتلوه هم ورئيسهم بن ابي الحوسا في ربيع الاول او الآخر سنة ٤١ هـ (٤) في موضع خروجهم بالنخيلة .

ثم خرج عليه :

حوشة بن وداع الاسدي في برازالروز وذلك بعد قتل ابن ابي الحوسا سنة ٤١ هـ حيث اجتمع الخوارج فولوه امرهم وكان لا يشك في ان قتال علي بن ابي طالب حق ولهذا عاب فرقة حين شك في ذلك . ولما اجتمع له مائة وخمسون رجلا اتى النخيلة مكان هزيمة سلفه ابن ابي الحوسا فانضم اليه من بقي ممن جنود ابن ابي الحوسا وهم عدد قليل .

فاراد معاوية ان يضربه بأبيه فارسله اليه وقال له اخرج الى ابنك فلعله يرق اذا رآك فخرج اليه وناشده وذكره فلم يقبل منه فأراد ان يثير فيه عطف الابوة فقال ألا اجيئك بابنك فلعله اذا رأيته كرهت فراقه فرد عليه حوشة رد المستميت قائلا له انا الى طعنة من يد كافر برمح اتقلب فيه ساعة اشوق مني الى

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤٠٠

(٢) شعراء الخوارج ص ٦/٥

(٣) الفرق بين الفسوق ص ٨٢

(٤) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤١٠

ابني فيئس ابوه منه واخبر معاوية خبره فقال له يا ابا حوشرة عتا هذا جدا فارسل اليه معاوية جيشا بقيادة عبد الله بن عوف في الفين وكان معه ابا حوشرة وفي المعركة دعا ابنه الى البراز فقال له حوشرة يا ابت لك في غيرى سعة واشتد القتال وتبارز حوشرة وعبد الله بن عوف فظمن ابن عوف حوشرة فارداه قتيلا وقتل اصحابه الا خمسون رجلا دخلوا الكوفة وقد رأى ابن عوف ان قتيله حوشرة بوجهه انحر السجود فندم على قتله وقال شعرا :

قتلت اخا بني اسد سفاها	لعمري فما لقيت رشدا
قتلت مصليا محيا الليل	طويل الحزن ذا بر وقصد
قتلت اخا تقى لا نال ديننا	وذاك لشقوى وعتار جدى
فهب لي توبة يا رب واعقر	لما قارفت من خطأ وعمد (١)

ويذكر البغدادي انه كان من المستأمنين الى علي يوم النهروان (٢) .

ويذكر ابن عبد ربه ان حوشرة الاقطع كان اول من خرج من الخوارج بعد قتل علي والصحيح انه فروة بن نوفل وقد قال حوشرة حين رأى تجمع اهل الكوفة عليه " يا اعداء الله انتم بالامس تقاتلون معاوية لتهبوا سلطاناه واليوم تقاتلون معه لتشهدوا سلطانه " وكان يرتجى في حملاته عليهم بقوله ويذكر ابن عبد ربه ايضا ان القاتل له رجل من طي وأنه ندم حينما رأى أثر السجود قد أثر في جبهته (٣) .

ثم اراد الخروج عليه سنة ٤١ هـ رجل من محارب يسمى معنا فصفر الى معين بن عبد الله كان يريد الخروج وذلك في زمن ولاية المفيرة بن شعبة فلما علم ذلك المفيرة ارسل اليه وعنده جماعة فأخذه وحبسه وكتب في شأنه الى معاوية فكتب اليه معاوية ان يستشهد فان شهد ان خلافة معاوية حق اطلقه فاحضره المفيرة وقال له اتشهد ان معاوية خليفة وانه امير المؤمنين فأجاب به جواب من هانت عنده المنايا قائلا له في غير مبالاة " أشهد ان الله عز وجل حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور " فأمر به فقتله قيصة

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤١٠

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٢

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦/٢١٧ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٤

الهلالى الذى لاقى فيما بعد حتفه على ايدى الخوارج الذين ائتمروا به (١)
انتقاما لقتله معنا .

ثم خرج ابو مريم وهو مولى لبني الحارث بن كعب وقد احب ان يشرك النساء
معه في الخروج اذ كانت معه امرأتان قطام وكحيله فكان يقال لهم يا اصحاب
كحيله وقطام تعبيراً لهم وقد اراد بهذا ان يسن خروجهن فعابه ابو بلال
فقال له : قد قاتل النساء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين
بالشام وسأرد هماً فرد هماً وكان بموضع يقال له بادوريا فوجه اليه المغيرة جابر
البجلي فقاتله حتى قتله وانهزم اصحابه (٢) .

ثم خرج رجل يقال له ابو ليل اسود طويل الجسم وقبل ان يعمل
خروجه دخل مسجد الكوفة واخذ بعضادتي الباب وكان في المسجد عدة من
الاشراف ثم صاح بأعلى صوته لا حكم الا لله فلم يتمرض له احد ثم خرج وخرج
معه ثلاثون رجلاً من الموالي بسواد الكوفة فبعث له المغيرة معقل بن قيس الرياحي
فقتله سنة ٤٢ هـ (٣) .

ثم خرج المستورد بن علفة التيمي . وكان بدو خروجهم سنة ٤٢ هـ
عندما بدأوا يتشاورون في ذلك ولما جاءت سنة ٤٣ اعلنوا الخروج المسلح
انتقاماً لمصارع اخوانهم ، فقد كانت الخوارج يلقي بعضهم بعضاً فينداكرون مصارع
اخوتهم بالنهر فيترحمون عليهم ويحضر بعضهم بعضاً على الخروج للانتقام
من حكامهم الجورة الذين عطلوا الحدود واستأثروا بالفي فاجتمع رأيهم على ثلاثة
نفر منهم لتولي قيادتهم المستورد بن علفة التيمي ومعاذ بن جهم الطائي
وحيان بن ظبيان السلمي الذي كان منزله مكاناً لاجتماعاتهم ، كل واحد من هؤلاء
الثلاثة دفع تولى الخلافة عن نفسه ، واخيراً اتفقوا على ان يتولاها المستورد هذا
وكانوا اربعمائة شخص ونادوه بأمرهم . وكان المستورد ناسكاً كثير الصلاة وله اداب
وحكم مأثورة ، واتفق على ان يكون الخروج غرة شعبان سنة ٤٣ .

ولما علم بذلك المغيرة بن شعبة أرسل مدير شرطته قبيصة بن الدومون الى

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤١٢

(٢) المرجع السابق

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤١٣

مكان اجتماعهم وهو منزل حيان كما تقدم فأخذوهم وجاءوا بهم الى المغيرة فأودعهم السجن بعد استجوابهم وانكارهم ان يكون اجتماعهم لشيء غير مدارة كتاب الله .

ثم خرج المستورد الى الحيرة وصار ملجأ للخوارج فأخذوا يختلفون اليه فلما خاف ان يفتضح امرهم لجأ الى دار صهره سليم بن مخرج ولكن المغيرة بن شعبه علم بأن الخوارج قد عزموا على الخروج قريبا فقام في الناس خطبها فذكر لها فيه بهم ومحبتهم لهم وانهم سيضطرونه الى تعديل رأيهم حتى يأخذ الحلیم بالسفيه فأجابهم رؤساء القبائل بأنهم مستعدون للقيام معه ببجاءة من يخالفه وشق عصي الطاعة .

فوصل كل ما دار في هذا الاجتماع الى المستورد من غير ان يحدج الذي رجع كتيباً مهتماً فسأل ابن مخرج عن كل هذا فاخبره وقال له : كرهت ان اعلمكم فتظنوا انه ثقل علي مكانكم فقال له المستورد : قد اكرمت المشوى واحسنت ونجس مرتحلون عنك .

فلما بلغ هذا الى سامع الذين في سجن المغيرة قال معاذ بن جهم بن حصين يتحسر :

- | | | |
|-----|-------------------------------|----------------------------|
| ١ - | الا ايها الشارون قد حان لامري | شرى نفسه لللمان يترحلا |
| ٢ - | اقتم بدار الخاطئين جهالة | وكل امري منكم يصاد ليقتلا |
| ٣ - | فشدوا على القوم المداة فانما | اامنكم للذبح رأيا مضلا |
| ٤ - | فواليتني فيكم على ظهر سابع | شديد القصير يد ارجع اعزلا |
| ٥ - | ويا ليتني فيكم اعادى عدوكم | فيسقيني كأس المنهولة اولاً |
| ٦ - | يعز علي ان تخافوا وتطردوا | ولما اجرد في المحلين منصلا |
| ٧ - | ولو انني فيكم وقد قصدوا لكم | اهرت اذ ابين القويين قسلا |
| ٨ - | فيارب جمع قد قللت وغارة | شهدت وقرن قد تركت مجدلا |

في ابيات له يتحسر على ما اصاب الخوارج من محن .

ثم ارسل المستورد الى اصحابه ان مكان الاجتماع سورا وعليهم ان يخرجوا متفرقين مستخفين فاجتمعوا بها ثلاثمائة رجل ثم انتقلوا الى الصراة .

ولما علم المغيرة بهذا الامر استشار الناس فيمن يلى حربهم وكان عنده رؤساء الشيعة فكل واحد منهم ترجى المغيرة ان يكون هو المتولي حربهم فولى معقل بن قيس الرياحي وجهز معه ثلاثة الاف رجل هم نقاوة الشيعة وفرسانهم .

وقد صار الخواج الى بهرسير وارادوا الدخول الى المدينة التي كانت بها منازل كسرى وكان الوالي عليها سماك بن عبيد الازدي فمنعهم فكتب اليه المستورد هذا الكتاب :

" من عبد الله المستورد امير المؤمنين الى سماك بن عبيد اما بعد :

فقد نقمنا على قومنا الجور في الاحكام وتعطيل الحدود والاستئثار بالفي وانا ندعوك الى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وولاية ابي بكر وعمر رضوان الله عليهما والبراءة من عثمان وعلي لاحداثهما في الدين وتركهما حكم الكتاب فان تقبل فقد ادرت رشداك والا تقبل فقد بالغنا في الاعذار اليك وقد اذناك بحرب فنبذنا اليك على سواء ان الله لا يحب الخائنين "

فلما قرأ سماك كتابه قال بئس الشيخ انا اذا ثم كتب للمستورد كتابا يدعوه فيه الى الدخول في الجماعة وان يأخذ الامان فلم يجبه واصر على ما هو عليه .

وسار معقل اليه فلما علم به جمع اصحابه واستشارهم قائلا لهم " ان المغيرة قد بعث اليكم معقل بن قيس وهو من البسبئية المغترين الكاذبين فأشيروا علي برأيكم ؟

فافترقوا في رأيهم بين قائل بالحرب وآخر بدعاء الناس الى صفهم واقامة الحجة على مخالفهم ولكن كان رأي المستورد غير هذا وهو ان يستعمل المطاولة في حربهم فيخرج من مكان الى آخر حتى يبددهم ثم يلقاهم وقد تعبوا فكان هذا رأيهم فصاروا ينتقلون من محل الى آخر وكانت تقع بعض المناوشات بينهم وبين رجل كان معه قوة من الفرسان يلزمهم من اصحاب معقل ولما انتهت به المطاف الى ديلميا كانت المعركة النهائية حيث تبارز المستورد مع معقل فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين وهزمت الخواج وقتلوا شر قتلة فلم ينج منهم غير خمسة او ستة (١) وقتل المستورد سنة ٤٣ .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٨١-٢٠٩ وانظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤٢١-٤٣٦ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٤

ثم كان خروج سهم بن غالب الهجيمي والخطيم واسمه يزيد بن مالك سنة ٤٦ عند الطبري وعند ابن الاثير ان بدء خروجهما كان سنة ٤١ ونهايته كانت سنة ٤٦ فلما اجتمع لسهم سبعون رجلا خرجوا على ابن عامر الوالي من قبل معاوية . خرج هو^١ لا فنزلوا بين الجسرين والبصرة وهناك اخذوا في ارتكاب جرائم القتل ، وكانوا اشرارا يقتلون من يقول انه مسلم ويتركون من يقول انه من اى ملة كان . ففي اثنا ذلك الخروج مر بهم الصحابي عبادة بن فرس الليثي راجعا من غزو الكفار ومعه ابنه وابن اخيه فقال لهم الخوارج من انتم ؟ قالوا قوم مسلمون . قالوا كذبتهم قال عبادة : سبحان الله اقبلوا منا ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منى فانى كذبتهم وقتلته ثم اتيته فاسلمت فقبل ذلك منى . قالوا انت كافر وقتلوه وقتلوا ابنه وابن اخيه . وقد خرج لقتالهم ابن عامر بنفسه فقتل منهم وانتصر عليهم واستأمن بقيتهم وكان فيهم سهم والخطيم فآمنهم فلما تولى زياد البصرة (وقيل في ولاية ابن زياد) خاف سهم منه وخرج الى الاهواز واجتمع اليه الناقمون على بني امية ثم اقبل يريد اخذ البصرة ولحسن الحظ ان جيشه قد تفرق عنه حين دخل البصرة حتى لم يبق الا هو وحده فطلب الامان لنفسه ولكن صادف رجلا لا يعرف الرحمة فاخذه وقتله وصلبه في داره ، واما الخطيم فان زيادا سيره الى البحرين ثم اذن له في الرجوع الى البصرة على انه اذا بات ليلة خارج داره فقد اذن في قتله وذات ليلة لم يبت في بيته فجاء مسلم ابن عمرو وقال لزياد ان الخطيم لم يبت الليلة في بيته فاخذه زياد وقتله وانتهت حركتهم وقد رثى احد الخوارج سهما بقوله :

فان تكن الاحزاب باؤا بقتله فلا يبعدن الله سهم بن غالب (١)

ثم خرج قريش بن مرة وزحاف بن زحر الطائي سنة ٥٠ هـ .

وكان هذان الرجلان ابني خالة وكانا من المابدين المجتهدين بالبصرة ، ولما غلبت عليهما شقوتهما خرجا بقلوب تغلي غيظا على المجتمع وقد اختلف في ايهما كان الرئيس ، وذلك في ولاية ابن زياد على الكوفة ، فحينما خرجا اخذا يستعرضان الناس استعراضا وكانا قد اشاعا القتل والخوف فيهم لا يبالون بمن قتلوه كائنا من كان ما دام قد وجد امامهم حتى انهم مروا بشيخ ناسك من بني ضبيعة يسمى روية الضبيعي

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٨ - وانظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤١٧ ، ٤١٨

او حكاك فقال حين رآهم مرحبا بأبي الشعثاء فلم تشفع له شيخوخته عندهم بل تلبسوه وكانوا اذا مروا ببلد يهرب اهل تلك البلد الى بيوتهم ويتنادون بالحرورية الحرورية النجا النجا وكان رجل من بني قطيعة حين سمع بهم اخذ سيفه فناداه الناس الحرورية انج بنفسك ، فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فلا تخف فوقف قلما اخذوه قتلوه وصاروا ينتقلون بين القبائل فلا يمررون بقبيلة الا قتلوا من تمكنوا من اخذه ولما مروا ببني علي من الازد وكان هو "لا" رماة مهرة وكان فيهم مائة يجيئون الرمي وقفوا لهم ورموهم رميا شديدا حتى صاح الخواج يا بني علي لا رما بيننا البقية ولكن هذا النداء لم يسمع منهم فقال رجل يحرض عليهم :

لا شي للقوم سوى السهام مشحونة في غلس الظلام

فهربت الخواج منهم واتوا مقبرة لبني يشكر ثم اتوا الى مزينة فقتلهم الناس عن آخرهم . ولما بلغ خبرهما الى ابن بلال الخارجي لم يرضه اعتراضهما الناس على هذه الصورة الوحشية فقال قريب لا قرية الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه فلقد ركبها عشوا مظلمة او نحو هذا الكلام .

فيذكر الطبري وابن الاثير ان خروجهما كان سنة ٥٠ بالبصرة وان زيادا حين بلغه خروجهما قال لاهل البصرة والله لتكفني هو "لا" او لا بد أن يكفني والله لئن اقلت منهم رجل واحد لا تأخذون المام من عطائكم درهما .

اما البغدادي فيذكر ان خروجهما كان على عبيد الله بن زياد فارسل اليهم عباد بن الحصين الحبطي فقتلهم (١) .

ثم خرج زياد بن خراش المجلي في مكان يسمى مسكن من اعمال سواد المراق ومعه ثلاثمائة فارس ، فارسل زياد فرقة من الجيش قتلتهم ومن معه سنة ٥٢ (٢) .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٤٦٣

المقد الفريد ج ١ ص ٢٢٠ / ٢٢١ ، شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٥

الفرق بين الفرق ص ٨٢

(٢) ك ابن الاثير ج ٣ ص ٤٩١

ثم خرج طواف بن غلاق سنة ٥٨ هـ .

وقد كان بالبصرة رجل اسمه جدار يجتمع اليه الخوارج فيعييرون خلافة بني امية فلما علم بهم ابن زياد اخذهم وحبسهم ثم اخترع طريقة في المعفو عنهم وهي ان يقتتلوا فيما بينهم فمن نجا اطلق سراحه فقام بعضهم يقتل بعضا كانهم كلاب مسمومة وكان فيمن نجا طواف بن غلاق .

ولما خرجوا عابهم اصحابهم قائلين لهم قتلتم اخوانكم ؟ فقالوا اكرهنا وقد يكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالايمان فعرضوا الدية على اولياء المقتولين فأبوهوا ثم عرضوا عليهم القصاص فأبوا فعظم الندم في نفوسهم على فعلتهم هذه وكانوا يبكون ويقولون اما من توبة وكان طواف قد بلغ به الجوع والحزن ميلفا عظيما فأتى رجلا يسمى الهشيث فقال له اما ترى لنا من توبة ؟ فقال له لا اجد لكم الا آية في كتاب الله وهي (ثم ان ريك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ريك من بعد ما لغفور رحيم) سورة النحل اية ١١٠

فخرج طواف في يوم عيد الفطر ومعه سبعون رجلا فأخذوا يقتلون الناس مستعرضين لهم فاجتمع عليهم الناس فقتلوه عن آخرهم فقال رجل منهم يرثيهم :

يا رب هب لي التقى والصدق في ثيت
واكف المهم فانت الازق الكافي
حتى ابيع اللتي تغنى بأخرة
تبقى على دين مرداس وطواف
وكهمس وابى الشماء اذ نفروا
الى الاله ذوى اخناب زحاف (١)

ثم كان خروج ابو بلال مرداس من ادية الحنظلي سنة ٦١ هـ .

خرج ابو بلال في ارمين شخصا بناحية الاهواز في توج وكان عظيم القدر عند الخوارج لا يعدلون به احدا . كان عابدا مجتهدا كل الخوارج تتولاه وكل فريق ينسبه لنفسه حتى الشيعة فقد ادعت انه خرج غاضبا لآل البيت وكان حين خرج يقول لمن لقيه : " انا لا نريد قتالا ولا نروع احدا وانما هربنا من الظلم ولا نأخذ من الفيء الا اعطياتنا ولا نقاتل الا من قاتلنا " .

وقد مر به مال لعبيد الله بن زياد فاستوقفه واخذ اعطيات اصحابه ثم

ترك الباقي وقال لمن يحلون ذلك المال " قولوا لصاحبكم انما اخذنا اعطياتنا " فقال له اصحابه لماذا ترك الباقي ، قال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا تقتلوهما ما داموا على الصلاة .

وحين بلغت اخبارهم ابن زياد وجه اليهم جيشا مكونا من الفيء رجل بقيادة اسلم بن زرعة الكلبي او زرعة بن مسلم العامري وذكر الطبري انه ابن حصن التميمي فالتحموا مع الخوارج في معركة حامية انهزم فيها جيش الخلافة شر هزيمة فلما وصل المنهزمون الى ابن زياد غضب عليهم ثم وجه الى الخوارج قائدا آخر هو عباد بن اخضر التميمي وفي اثناء المعركة وكان يوم الجمعة طلب ابوبلال من عباد وجيشه امهالهم حتى تؤدى الصلاة فاجابوهم فلما دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوه عن آخرهم سنة ٦١ هـ وهم بين رাকع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد فرجع القائد عباد ظافرا الا انه قد نال منيته على ايدي الخوارج الذين كانوا في البصرة منهم عبيدة بن هلال . فقد استوقفوا عبادا كأنهم خصما فيما بينهم في رجل قتل اخاهم ولم ينصفهم لحد فقال لهم عباد اقتلوه قتله الله فنزلوا عليه ضربا بالسيوف حتى قتلوه .

وقد رثى الخوارج مرداسا رثاء محزنا خصوصا تلك القتلة التي تمت بالفدر ومن هذه المراثي قول عمران بن حطان :

اصبحت عن وجل منى وايجاس	اشكو كلوم جراح ما لها آسى
يا عين بكى لمرداس ومصرعه	يا رب مرداس اجعلني كمرداس
ابقيني هائما ابكي لمرداسي	في منزل موحش من بعد ايناس
انكرت بعدك ما قد كنت اعرفه	ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما شربت بكأس دار اولها	على الذرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا	منها بأنفاس ورد بعد انفاس

ومما يجدر ذكره ان ابا بلال كان مع جيش علي في صفين اثناء الحرب بين علي ومعاوية .

وقد قيل عن سبب خروجه ان ابن زياد قد تعد امرأة خارجية يقال لها البشجا فقال لها مرداس ان التقية لا بأس بها فتغيبى فان هذا الجبار قد ذكر

قلت أخشى أن يلقي أحد بسببي مكروها ولما أخذها ابن زياد قطع يديهما
ورجليهما ورمى بها في السوق ، فمر أبو بلال في السوق فرأى زحام الناس فجاءه
فلما شاهد البشجا عض على لحيته وقال يخاطب نفسه " هذه اطيپ نفسا بالموت
منك يا مرداس ما ميتة اموتها احب الي " من ميتة البشجا " فكانت امنيته ان يموت
كميتة البشجا التي جادت بنفسها في جهاد ابن زياد (١) .

وكان أبو بلال شخصية مثالية عند الشيعة والخوارج والمعتزلة فكل فرقة
من هذه الفرق تدعيه كما تقدم .

يقول ابن أبي الحديد في هذا " وكان أبو بلال عابدا ناسكا
شاعرا ومن قدما أصحابنا من يدعيه لما كان يذهب اليه من العدل وانكار المنكر
ومن قدما الشيعة من يدعيه ايضا " (٢) .

وفي أوائل الستينات واثناء خروج أبي بلال الذي تحدثنا عنه آنفا
ظهر نافع بن الأزرق بفرقة ثم تتابع ظهور الفرق بعده .

ومع ذلك فقد ظل ظهور الخوارج بحركاتهم الحربية التي قد مناهها
ظل ظهورهم يتتابع خلال بقية الحكم الأموي .

وقبل أن نتناول فرق الخوارج بالحديث في الفصل التالي نواصل تسجيل
حركاتهم التي واكبت ظهور تلك الفرق خلال هذه الفترة حتى تكتمل لنا صورة
هذا الجانب من نشاطهم الحربي البعيد عن الاختلافات الفكرية بين فرقهم .

ففي عهد عبد الملك بن مروان بدأ خروج الصالحية التي يجعلها بعض
العلماء فرقة من الفرق بينما هي في الحقيقة حركة ثورية - أكثر منها فرقة دينية -
من تلك الحركات التي كانت تحدث بين آونة وأخرى على الخلفاء الأمويين تزعمهم
صالح بن مسرح أو ابن مشروح كما يسميه بعضهم حين خرج في هلال شهر صفر
سنة ٧٦ هـ .

(١) و (٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣١٣ ، الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٥١٨ ، ٥٢٠
ج ٤ ص ٩٥/٩٤ ، الفرق بين الفرق ص ٩١-٩٣ ، العقد الفريد ج ١
ص ٢١٧/٢١٨ وانظر ايضا ص ٣٩٩ و ٤٠٠ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤
ص ١٣٦

وكون له جماعة حارب بهم جيش الامويين وكانت له بعض الاراء النسي
اخذها من اسلافه من الخواج قبله *

يقول عنه صاحب كتاب الاديان " الفرقة السادسة الصالحية اصحاب
صالح بن مشروح استحل من قومه ما استحل منهم ابن الاعصم من القتل والسب
وغنيمة الاموال ولم يزل كذلك حتى اهلكه الله " .

ويقول الاشعري " ومن الخواج اصحاب صالح ولم يحدث صالح
قولا تفرد به ويقال انه كان صفريا " . هذا ما ذكره عنهم الاشعري ولم ينسب اليهم
شيئا من الاراء الا ما قال عنهم من انهم اصلوا الذنب المفلط الى انه عبادة
للميطان ويذكر ابن الاثير ان اسم زعيمهم هو صالح بن مسرح التيمي وانه كان رجلا
ناسكا مصفرا الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وارض الموصل والجزيرة قد تزعم اصحابه
يقرئهم القرآن ويحلمهم الفقه والقصاص فلما اجتمع له اقل ما يريد قيل ١٢٠ وقيل
١٠ ادعاهم الى الخروج وكاتب شبيا في ذلك فاجابه شبيب واقبل معه جماعة
من اصحابه الى دارا وحينئذ عزم صالح على الخروج ولكن تلك الجهات قد تحصنت
منه ولما بلغ محمد بن مروان ^(١) مخرجهم وهو امير الجزيرة حينذاك ارسل اليهم
جيشا يقوده عدي بن عدي الكندي في الف فارس ولكن صالحا باغتهم فانهزموا هزيمة
منكرة وهرب عدي فانتهب الخواج ما وجدوا في معسكر عدي وحين اقبلت فلول عدي
غضب عليهم محمد بن مروان فارسل لهم قائد ين ايها وصل الاول فهو امير صاحبه
احد هفا خالد بن جزء السلي في الف وخمسائة فارس والثاني الحارث بن جمونة
العامري ومعه في الف وخمسائة فارس فالتقوا بصالح في آهد . ولكن صالحا
قسم جيشه الى قسمين ايضا قسم بقيادة شبيب وكان من اشجع الفرسان
وجهه الى الحارث بن جمونة وقسم بقيادته هو وتوجه الى خالد فنشبت المعركة من
وقت العصر الى الليل وكثر الجرحى والقتلى في جيش الخلافة وقتل من اصحاب صالح
ثلاثون رجلا وفي الليل تم رأيهم على ان يذهبوا الى الدسكرة .

وحيث وصلت اخبارهم الى الحجاج بعث لهم جيشا من اهل الكوفة يبلغ ثلاثة
الاف بقيادة الحارث بن عميرة بن ذى المشعار الهمداني وحين وصلوا الى صالح

(١) هذا ما يذكره ابن الاثير والطبري واكثر اهل الفرق واما البخداي فيذكر ان خروج
صالح كان في ولاية بشر بن مروان ويذكر عن المدائني انه يقول بان خروج صالح
كان في زمن الحجاج الفرق بين الفرق ص ١١٠

بن مسرح بدأت المعركة وكان صالح في تسمين رجلا واشتدت المعركة جدا فقتل صالح فيها وكاد شبيب ان يقتل وحينذاك نادى من بقي من اصحابه وكانوا ٧٠ رجلا الي يا معاشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا وفعلوا تقدموا الى الحصن وتحصنوا به فأمر الحارث بالباب ان يحرق فحرق فقال لاصحابه " انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غدا فنقتلهم وقد بايع الخوارج شبيبا في ليلتهم تلك ثم اتوا باللبود فبلوها وجعلوها على جمر الباب وخرجوا فلم يشعر الحارث ومن معه الا والخوارج يضربون رؤوسهم بالسيوف فصع الحارث فاحتمله اصحابه وانهزموا نحو المدائن هاربين فاخذ شبيب كل ما بقي في معسكر الحارث (١) .

وشبيب هذا هو شبيب بن نعيم بن يزيد الشيباني وكفى بأبي الصحاري وله من الشجاعة والمعرفة بغنون الحرب ما يكاد يكون خيالا . لقد كان قائدا فذا مجربا للحروب يروغ روغان الثعلب ويهجم هجمة الاسود قتل من جيش الخلافة الالف والعديد من القواد رغم قلة جيشه .

ويختلف النقل في كيفية تولى شبيب القيادة بعد صالح . فالبغدادى يذكر ان صالحا حين احس بالموت قال لاصحابه " قد استخلفت عليكم شبيبا واعلم ان فيكم من هو افقه منه ولكنه رجل شجاع مهيب في عدوكم فليعنه الفقيه منكم بفقهه ثم مات وبايع اتباعه شبيبا " .

بينما يذكر بعضهم ومنهم ابن الاثير وابن جرير الطبرى ان شبيبا تولى اثناء حصار الخوارج في الحصن الذى الجأهم اليه الحارث بن عميرة في تلك الليلة (٢) ومعد مقتل صالح كما تقدم .

وتعرف هذه الفرقة ايضا باصحاب السؤال فاذا ذكر بعضهم اصحاب السؤال فالمقصود بهم الشيبية وقد نسبهم الاشعري الى البيهية ونسبهم غيره الى الصاحية .

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٥ ، ٢٢٣ ، كامل ابن الاثير ج ٤ ص ٣٩٣ ، ٣٩٦ كتاب

الاديان ص ١٠٣ ، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٩٦ و ٢٠١

(٢) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩ - ١١٠ ، الكامل لابن

الاثير ج ٤ ص ٣٩٦ .

وقد خالف شبيب صالحا في مسألة جواز تولي المرأة الامامة العظمى
اذ كان شبيب يجيزها اذا قامت بامورهم وخرجت على مخالفيهم ولهذا فقد
تولت غزاة قيادتهم بعد مقتل شبيب .

وقد اشتهر شبيب بالشجاعة وخوض الحروب فقد دوى بني امية وهزم لهم
اكثر من عشرين جيشا في خلال سنتين . وجه اول جيش اليه من قبل الحجاج
بقيادة عبيد بن ابي المخارق ومعه الف فارس فهزمهم شبيب ثم وجه اليه الحجاج
عبد الرحمن بن الاشعث فهزمهم شبيب ثم وجه اليه عتاب بن ورقاء التميمي فقتله
شبيب هو وزهرة بفاحية .

ويذكر الشهرستاني ان شبيب اُقتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين اميرا
كلهم امراء الجيوش . فكم يكون القتل من اتباعهم وقد استطرد الطبري وابن الاثير
وغيرهما من المؤرخين في تفاصيل حروب شبيب وهي كثيرة تركت منها ما يتعلق بدقائق
اخبار المعارك والخطط الحربية فيها وذكر المغامرين في اقتحامها وكلها تشيير
الى انه قلما ينهزم شبيب في معركة الا لحيلة او الاعداد لكثرة اخرى في كل تلك المعارك
التي خاضها مع جيوش الخلافة وحتى البدو لم يسلموا من شبيب فقد اغار عليهم وارهبهم
في عدة غزوات لهم وقد داهم الحجاج في عقرداره بالكوفة فقد دخلها هو وامه
غزاة او زوجته في قول آخر وخطبت على منبر الكوفة وفاءً ابندرها صلى ايضا الصبح
في مسجد الكوفة . وقد تنقل في ليلته تلك في اكثر مساجد الكوفة لا يجد
احدا الا قتله .

وقد خبا الحجاج نفسه فلم يخرج تلك الليلة الى ان اجتمع له اربعة الاف
من جنده ثم خرجوا يقتتلون في اسواق الكوفة حتى كثر القتل في اصحاب شبيب
فانهزم الى الانبار وقد غير الحجاج بتلك الحادثة فقليل فيه .

اسد علي وفي الحروب نعمة ردا تجفل من صغير الصافر

وفي السنة السابعة والسبعين من الهجرة او الثامنة والسبعين (على قول) كانت
نهاية شبيب اذ مات غريقا وذلك انه حين اراد الانصراف من قتال اهل الشام الى الجهة
ال اخرى من جسر دجيل الاهواز امر اصحابه فتقدموا امامه وتأخر هو في آخرهم
وفي اثناء عبوره كان راكبا على حصان وكانت امام الحصان فرسان نشق فتزا فرسه عليها
فخرج حافره على حرف السفينة فسقط في الماء .

وقد قيل في غرقه سبب آخر وهو ضعيف لا يعتمد به ومفاده ان بعض جيشه كان حانقا عليه لما قتل من اقوامهم فحين تخلف في آخر جيشه قال هؤلاء ننتهز الفرصة ونقطع به الجسر فنذرك ثأرنا فننقذوا هذا الرأي واغرقوه .

وانتهت حركته وتفرق من بقي من اتباعه (١)

وفي عهد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ خرج بسطام اليشكري ويعرف بشوذب وهو رجل من بني يشكر خرج بالعراق . وكان الوالي على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب . خرج بسطام في مكان يسمى جوحى ومعه ثمانون فارسا اغلبهم من ربيعة ولما بلغ امرهم الى عمر كتب الى عبد الحميد ان يبعث اليهم رجلا حازما والا يحركهم بشي . الا ان يسفكوا دما او يفسدوا في الارض فبعث اليهم عبد الحميد محمد بن جرير في القي رجل من اهل الكوفة وامره بما قال عمر .

ثم كتب عمر الى بسطام يدعوه الى الطاعة ويسأله عن سبب خروجه ويطلب اليه ان يبعث من قبله من يناظره لتظهر الحجة على احد هما فكتب بسطام الى عمر قد انصفت ثم بعث وفدا من قبله الى عمر فتناظرا فظهرت الحجة لعمر ولكن وجهوا الى عمر سوءا لا محرجا قائلين له : " اخبرنا عن يزيد لم تفره خليفة بعدك فاعتذر بان لم يوله هو . وانما ولاه غيره " ولكن هذا الجواب لم يكن كافيا عندهم في هذه المسألة فقال له الخواج : " افرايت لو ولوت مالا لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون عليه اترك كت اديت الامانة الى من ائتمنتك ؟ " فقال لمن تولى المحاوراة وكانا اثنتين انظراني ثلاثا فخرجنا من عنده وحين علم بنوا امية بهذا خافوا خرج الخلافة عنهم فيقال انهم دسوا له سما فتوفي في تلك الثلاثة ايام ومناظرتهم مشهورة في كتب التاريخ .

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٢٤ الى ص ٢٨٤ ، الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٩٦-٤٣٣ وانظر الفرق بين الفرق ص ١٠٩/١١٢ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨ التبية والرد ص ٥٥ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩ ، وانظر المقد الفريد ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠ ، البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨/١٩ ، مرجع الذهب ج ٣ ص ١٤٧ .

ومعد وفاة عمر امر عبد الحميد محمد بن جرير بمناجزتهم قبل ان يبلغ الخوارج موت عمر وقيل ان يرجع وقد هم فعملوا حينذاك ان حدثا قد حدث في الخليفة وانه قد مات فحملت الخوارج على محمد بن جرير فهزموه شر هزيمة فارسل لهم يزيد / تميم بن الحباب في الفين ولما التقوا قال لهم تميم ان يزيد لا يفارقكم على ما فارقكم عليه عمر قلعنوه ولعنوا يزيد معه ونشبت المعركة فانهم تميم وجيشه فوجه اليهم يزيد جيشا اخر بقيادة الشجاع بن وداغ في الفين فكان مصيره مصير من سبقه وهكذا كانهم القدر المحتوم لا يستطيع احد ان ينال منهم مطلبها الى ان جاء مسلمة بن عبد الملك الكوفة فشكا اهلها اليه ما لاقوه من شذوب وخوفوا مسلمة منه / فارسل مسلمة حينذاك قائدا شجاعا هو سعيد بن عمرو الحرشي في عشرة الاف فارس فالتقوا في معركة حامية الوطيس كانت فيها نهاية الخوارج . فقد افنواهم عن آخرهم وانتهى بسطام وانتهت حركته (١) .

وفي سنة ١٠٥ خرج عققان ومعه ثمانون رجلا في خلافة يزيد بن عبد الملك فاشير على يزيد ان لا يرسل جيشا لمحاربتهم بل يرسل الى كل رجل مع عققان رجلا من اقاربه حتى يردوه عن الخروج بالاستعطاف والتلطيف اليه وفعلوا نجحت هذه الخطة حتى بقي عققان وحده فارسل اليه يزيد اخاه فاستعطفه فردّه عن الخروج وانتهت فتنة كادت ان لا تنتهي الا بضحايا كثيرة .

فلما توفي يزيد وتولى هشام بن عبد الملك ولاء أمر العصاة فاشتد عليهم حتى انه لم يرحم ولده الذي جاء من خراسان غاضبا على الخليفة فقد قبض عليه عققان وارسله الى هشام مقيدا فقال هشام لو خانتنا عققان لكم امر ابنه ثم عفا عنه لابيّه وولى عققان امر الصدقة (٢) .

وهذه هي الطريقة التي ينبغي اتباعها ولو ان خلفاء بني امية سلكوا هذه الطريقة الحسنة لكان الامر عكسا وقع من فتن قتل فيها الالاف المولفة بين مستحق وغير مستحق .

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٥٥ / ٥٥٦ و ٥٢٥ / ٥٢٨ وانظر الكامل لابن الاثير

ج ٥ ص ٤٥ - ٤٨ وانظر ايضا ص ٦٨ - ٧٠

(٢) ك ابن الاثير ج ٥ ص ١١٨ .

وفي هذه السنة ايضا خرج كثارة .

ويسمى بهلول بن بشر ويلقب كثارة كان عبدا مجتهدا وكان على جانب عظيم من الشجاعة والخبرة الحربية وكان السبب في خروجه انه ذات يوم ارسل غلاما ليشتري له من احد المكولات خلا بد رهم فجاء الغلام بخل وكأنه التبس على صاحب المحل الاسم ولم يتأكد من الغلام فسارع واعطاه خمرا وحين جاء الغلام بالخمر الى كثارة غضب وقال لغلامه ارجع فخذ الد رهم فامتنع البائع من رد الد رهم وأراد الله ان يتطور هذا النزاع فذهب كثارة الى حاكم تلك المنطقة ليشتكو امره فاجابه الحاكم بغاية القسوة قائلا له « الخمر خير منك ومن قومك » وعند ها عقد بهلول المزم على الخروج ولكنه اخفى ذلك حتى يتم حجه فذهب الى مكة وفيها قابل بعض اصدقائه والذين يرون رأيه فمزموا على الخروج معه وتحت امرته واتعدوا مكانا سموه من نواحي الموصل فلما اجتمعوا في تلك القرية اجمع رأيهم ان لا يمروا بأحد الا قالوا له بانهم راجعين من عند الخليفة هشام وانهم ذاهبون الى خالد لتولى بعض الاعمال وكانوا يأخذون في طريقهم دواب البريد الى ان وصلوا تلك القرية التي اشترى فيها الخل . قال بهلول نبدأ بهذا العامل فنقله وقال اصحابه ان الغرض الا هم هو قتل خالد فقال كثارة له اني لارجو ان اقتل هذا وخالدا فبدأ وقتله وبلغت اخبارهم خالدا فحذرهم الناس ثم خرج خالد الى الحيرة ومنها ارسل لهم ثمانمائة رجل وعندما بدأت الحرب بينهم انهزموا امام الخوارج .

فلما وصلت اخبارهم خالدا بعث اليهم جيشا آخر يقوده رجل من بنى شيبان وحين لقيهم بهلول شد عليهم فقال له ذلك القائد نشدتك بالرحم فاني جانح مستجير فكف عنه وانهزم اصحابه ثم طمحت نفس كثارة الى قتل الخليفة هشام نفسه ما دام كثارة قد خرج لله ثم عزم على السير لقتل هشام ولكن عمال هشام خافوا ان وصل كثارة الى الشام ان ينتقم منهم الخليفة فجند له خالد جندا من اهل العراق ومثله عامل الجزيرة ووجه اليه هشام ايضا جندا من اهل الشام لاستغاثة عامل الموصل به فبلغت الامداد عشرين الفا يقابلهم الخوارج وهم سبعون رجلا كما يذكر المؤرخون فنشبت معركة بينهم حامية قتل فيها كثارة وتفرق من بقى من اتباعه منهزمين الى الكوفة فقتلهاهم عبيد اهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم (١) .

ثم خرج الضحاك بن قيس سنة ١٢٧ وقتل سنة ١٢٨ .

خرج الضحاك بالعراق وكثر اتباعه حتى بلغوا مائة وعشرون الفا فاستولوا على عدة مناطق وكان ذلك في زمن مروان بن محمد ولم يستطع احد اقواد مروان ايقافه واخيرا قرر الضحاك الذهاب لملاقاة مروان فاجتمعوا في مكان من كهوتوا يسمى الفؤ فدارت معركة قتل فيها الضحاك .

فولس الخواج عليهم رجلا يسمى الخيبرى صبيحة الليلة التي قتل فيها الضحاك وبدأت معركة بين الخيبرى وجند الخلافة وفيهم مروان نفسه فانتصر الخيبرى على القلب من جيش مروان حتى دخل فيهم ووصل الى حجرة مروان فانهزم مروان حتى خرج عن المعسكر ستة اميال منهزما وكانت ميمنة مروان وميسره ثابتة فاقترحم بعض جيش مروان على الخيبرى ومن معه فقتل الخيبرى واخبر بذلك مروان فرجع وانصرف اهل عسكر الخيبرى وولوا عليهم شيبان بن عبد العزيز ثم ارتحلوا من ذلك المكان فتبعهم مروان يقيم عليهم اذا اقاموا ويحاربهم اذا حاربوا فصاروا يتنقلون من مكان الى مكان وهم ينقصون ما بين متسلل بنفسه وبين مقتول الى ان تفرقوا وذهب كل الى جهة فأخذ شيبان في بعض تلك الجهات فقتل بعمان (١١٠)

واخيرا كان خروج عبد الله بن يحيى الملقب " بطالب الحق " سنة ١٢٨ وقتل سنة ١٣٠ وهو من حضرموت كان مشهورا بانه من المباد المجتهدين وكان السبب في ظهوره هو ابا حمزة الشاري فقد كان ابو حمزة يحج في كل سنة ويدعو من يتوسم فيه الاجابة الى خلاف مروان بن محمد والخروج عليه وكان ممن التقى بهم طالب الحق فدعاه الى رايه وحسن له الخروج على مروان فقال له عبد الله بن يحيى " يا رجل اسمع كلاما حسنا واراك تدعو الى حق فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي " فخرج معه الى حضرموت وهناك بايعه ابو حمزة على الخلافة وعلى الخروج على مروان فكتب الى علماء البصرة من الاباصنية يشاورهم في الخروج فكتبوا اليه ان استطعت ان لا تقيم يوما واحدا فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح افضل ولست تدري متى يأتي عليك اجلك والله خيرة من عباد يبعثهم اذا من لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء .

وهنا عزم على الخروج وبدأ في التوسع فأخذ منطقة حضرموت وامتد سلطانها الى صنعاء حيث سار اليها في الفين فقابله عامل مروان على صنعاء القاسم بن عمر في مكان

يسمى لحج ودارت بينهم معركة انتصر فيها الخوارج وواصلوا زحفهم الى صنعاء
فمكث فيها طالب الحق شهرا يحسن السيرة في اهلها والان جانبه لهم فكثر اتباعه
ووافاه الخوارج من كل مكان وسط سيطرته على تلك المنطقة فبعث اليه مروان بن محمد
عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فالتقي هو وطالب الحق فدارت معركة قتل فيها
طالب الحق وحمل رأسه الى مروان بالشام سنة ١٣٠ هـ (١)

وكان هذا هو آخر عهد بني امية بالخوارج حيث انتهت دولتهم ولتهم
في عام ١٣٢ هـ بتيام الدولة العباسية .

٣ - حركات الخوارج الثورية على الدولة العباسية

رأينا سابقا كيف ان الخوارج منذ ان فارقوا على بن ابي طالب رضي الله
عنه - اخذوا في تضخيم السخط على مخالفيهم والحث الشديد على محاربتهم
وتضخيم خطاياهم وفي كل مسألة ينادون بأعلى اصواتهم لا حكم الا لله لا لملي
ولا لبني امية ولا لبني العباس ولا لأحد من الحرب ، الحرب ، لهذا فقلما يجتمع
منهم جماعة الا وسارعوا واعلنوها حربا شعواء لا يمكن ان تنتهي الا بانتصر ومهزوم .

فقد خاضوا مع بني امية كما تقدم حربا لا هوادة فيها كلفوا انفسهم
خسائر ضخمة وكلفوا الخلافة من الانفس والاموال ما لو انفق في جهاد الكفار لكان مفخرة
اسلامية .

استمر الخوارج دلول عهد الدولة الاموية وهم في صراع حاد معهم
فأوهنوا قوتها واهنت قوتهم وكانوا كالشجا في حلق كل خليفة لا يخف اليه الا ليبدأ
من جديد وهكذا الى ان غير الله الحال وانتهت الدولة الاموية برأسها وخلفتها
الدولة العباسية ولا زال مرجل الخوارج يغلي ولكنه يغلي على بقية جمر كاد ان
يصير رمادا واختلف خوارج اليوم عن خوارج الأمس ، فالخوارج على بني امية كانوا
اكثر جمعا واشد بأسا ، اما الخوارج على بني العباس فكانوا كما وصفهم احمد

(١) انظر كشف الغمة ص ٣٠٧ - ٣١٤ . تاريخ الطبري ج ٧ ص ٣٤٨ وص ٤٠٠

كامل ابن الاثير ج ٥ ص ٣٥١ و ٣٩٢ .

امين بقوله " كان الخوارج في حالة تشبه الاحتضار وحركاتهم التي اتوبها في المهدي
المباسي تشبه حركة المذبوح " (١) ومن هنا توالت عليهم الهزائم فلا يخرجون
على خليفة الا ورماهم بكل ما لديه من ثقل الى ان اصبحوا في وضع لا يمكنهم فيه ان يلفتوا
اليهم نظرا فلا يخشى بأسهم ولا يحسب لقوتهم مثل ما كان لاسلافهم .

يقول احمد امين في نتيجة هزائمهم " وكانت هذه الهزائم المتوالية للخوارج
سببا في ضعف امرهم وقلة شأنهم فلم يعد لهم من القوة والقتال اثر في التاريخ
كبير (٢) "

ولنبدا الان بذكر اشهر الخارجين على الدولة المباسية ، واول الخارجيين
كان :

هو الجلندي الذي خرج على السفاح وسمى الجلندي من مسعود بن جيفر
الاودي فقد اراد هو واصحابه من اهل عمان صد جيش الخلافة عن دخول بلادهم
وكان قائد جيش الخليفة ابي المباس السفاح . رجلا يسمى خازم بن خزيمه فالتقوا في
الصحراء فاقتلوا قتالا شديدا يوما كاملا ثم استأنوا القتال في اليوم الثاني في معركة
لا تقل عن اليوم الاول ثم هدأت الامور قليلا ولكنهم استأنفوها على اشد ها وقد فكر جيش
خازم في حيلة اشار بها عليهم رجل من اهل الصفرو وهي ان يجعل كل جندى على
طرف سنانة مشاقة " وهي خامس من القطن والكتان والشعر ويرووها بالنفط ثم يشعلوا فيها
النيران ثم يقذفوها على بيوت الجلندي واصحابه ، وتمت هذه الفكرة بنجاح فاشتعلت النار
في البيوت وكانت من خشب فاشتغل اصحاب الجلندي باخراج اهلهم واموالهم عن النار
وعندما مال عليهم جيش خازم يقتلونهم كيف شاؤوا وانتهت المعركة بقتل عشرة الاف منهم ثم
اخذت رؤوسهم وحثبها الى البصرة فمكت اياما ثم بحث بها الى الكوفة الى ابي المباس
كما هي عادة اهل التجبر والقهر في من يقع تحت رحمتهم (٣) .

(١) ضحى الاسم ج ٣ ص ٣٣٥

(٢) ضحى الاسم ج ٣ ص ٣٣٥

(٣) انظر تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤٦٣ . وانظر تاريخ ابن كثر ج ١٠ ص ٥٧

وخرج بعد ذلك ملبّد بن حرملة الشيباني على المنصور بناحية الجزيرة بالمراق وكان فيه شجاعة شبيب ودّهائه وخبرته بالحرب وانواعها .

خرج اليه في اول الامر الف فارس من المرابطين في الجزيرة فهزمهم ثم تابعت الجيوش بعد ذلك على حربه فسارت اليه روابط الموصول فهزمهم ثم سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه وعجز الناس عنه فبعث اليه ابو جعفر المنصور مولاه المهلهل بن صفوان في الفين من نخبة الجند فهزمهم ثم وجه اليه قائد آخر خراسانيا يسمى نزارا فهزمهم ثم وجه اليه صلاح بن مشكان فهزمهم ثم وجه اليه صالح بن صبيح فانهزم ايضا ثم سار اليه حميد بن قحطبة فهزمه هو الآخر .

فأرهب الناس واهمهم امره ثم وجه اليه ابو جعفر عبد العزيز بن عبد الرحمن وضم اليه زياد بن مشكان فانهزما ايضا فبعث اليه المنصور خازم بن خزيمة في ثمانية الاف فدارت بينهم معركة قتل في نهايتها ملبّد واكثر جيشه وهرب من بقي منهم متسللين بأنفسهم (١) .

وقد خرج على المنصور ايضا اهل المغرب بقيادة ابو حاتم الاباضي . وسمى يعقوب بن حبيب وكان عامل تلك الجهة وهي طرابلس يسمى الجنيد بن بشّار فكتب الى عمر بن حفص القائد العام لافريقية يستمده فامده بمسكر التقى مع الاباضية في معركة فانهزموا امام ابو حاتم الى قابس فلحقهم وحاصروهم فيها ثم حاصر القيروان وكثر اتباعه وضيق عليها الحصار مدة ثمانية اشهر حتى اكلوا دوابهم وكلابهم وفي هذه الاثناء جاءهم الخبر بوصول عمر بن حفص فاستبشروا وجاء عمر حتى نزل مكانا يسمى الهريش فلما علم به ابو حاتم ترك حصار القيروان وحول جمعه لملاقاة عمر فلما علم بهم عمر وكان في سبعماية فارس ذهب الى تونس فقبضه البربر فماد الى القيروان مسرعا وادخل اليها كل ما يلزم من دواب واطعام وغير ذلك فجاء ابو حاتم الى القيروان وحاصرها كحصار المرة الاولى حتى اجهدوا وكانوا في اثنا الحصار تحصل بينهم مناوشات غير مجددة وهنا عزم عمر على منازلتهم كيفما كانت النتيجة ثم التحم معهم في معركة قتل فيها فقام بالامر بعده اخوه لأمه حميد بن صخر فوادع الثائرين ريثما يجيء مدد الخليفة

المكون من ستين الفا على رأسهم يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب ثم حصلت حروب عدة قضي فيها على تلك الحركات جميعها في معارك بلغت ٣٧٥ معركة فيما قيل (١).

ثم خرج الصحصح بالجزيرة على الرشيد * وكان عامله على الجزيرة يسمى ابو هريرة محمد بن فروخ فوجه اليه الصحصح جيشا ولكنه انهزم ثم توسع الصحصح وخرج الي الموصل فلقه عسكرها واقتتلوا فقتل منهم كثيرا ثم رجع الى الجزيرة فسير اليه الرشيد جيشا التقوا به في دورين في معركة قتل فيها الصحصح واصحابه (٢).

ثم خرج على الرشيد ايضا الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة واستولى عليها وعلى نصيبين ووصل الى ارمينية واذ ريجان وحلوان وارض السواد فوجه اليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني وقد اراد يزيد ان يطاوله ليضعفه ويكربسه الا ان البرامكة كانت في نفوسهم حزازة عليه فقالوا للرشيد انما يتجافى يزيد عن الوليد للرحم لانهما كلاهما من وائل واخذوا يهونون امر الوليد فكتب اليه الرشيد كتاب مفضب وقال له : " لو وجهت احد الخدم لقام باكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب واقسم بالله ان اخرت مناجزته لا وجهن اليك من يحمل رأسك فقام يحرض اصحابه قائلا لهم " فداكم ابي وامى انما هي الخواج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا ثم نشبت المعركة فقتل الوليد و فرثته اخته بقصيدة منها :

بتل تباثا رقص قبر كأنه	على علم فوق الجبال منيف
الا يا القومي للنوائب والردى	ودهر ملح بالكرام غنيف
فيا شجر الخابور مالك مورقا	كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى	ولا المال الا من قنا وسيوف (٣)
فلا تجزعا يا ابني طريف قانسي	ارى الموت نزلا بكل شريف بالغ

(١) الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٥٩٩ / ٦٠١

(٢) الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ١١٢

(٣) تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ١٤١ - ١٤٣

ثم خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بالجزيرة ايضا وكثر اتباعه بها وذلك في زمن المهدي * فبعث اليه المهدي الجيش تلو الجيش وهو يهزمهم اولا بأول فأرسل المهدي الى القائد الذي يحيا لهم ويسمى شبيب بن واج الف فارس وكان المهدي قد قوى نفوسهم فجعل لكل جندي الف درهم وألحقهم بشبيب فلما وصلوا اليه خرج بهم في طلب عبد السلام فانهزم منهم عبد السلام فاتبعوه حتى اتى قنسرين فاحيط به وقتل هناك (١) .

ثم كان خروج يوسف بن ابراهيم البرم على المهدي بخراسان ناقما على المهدي سيرته فتبعه خلق كثير في تلك النواحي *

فبعث اليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني فالتقوا في معركة اسر فيها البرم فنوجه به يزيد الى المهدي ومعه وجوه اصحابه فلما وصلوا الى المهدي امر بقطع يد يوسف ورجليه وضرب عنقه وعنق اصحابه الذين معه (٢) .

وكان آخر الخارجين على المهدي يسمى التميمي وكان خروجه بالموصل محكما وكان على رأي صالح بن مسرح واجتمع له خلق كثير اخذ في التوسع فأخذ أكثر ربيعة والجزيرة فخرج لقتاله عسكر الموصل ولكنه هزمهم *

فوجه المهدي قائدين احدهما ابو هريرة محمد بن فروخ والاخر هرثمة بن اعين فدارت بينهما معارك انتهت بقتله وانهزم من بقي من اتباعه (٣) .

وبانهزامة انتهت حركات الخوارج ضد الدولة العباسية في المشرق والمغرب وان اصبحت للباباضية منهم دولة في عمان والمغرب فتناولوها بالدراسة في الفصل التالي .

(١) تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٤٢

(٢) انظر تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٢٤

(٣) الكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٧٨

الفصل السادس

دولة الخوان

الفصل السادس

دولة الخوارج

رأينا في عرضنا السابق لحركات الخوارج الثورية على الخلافة الاموية والعباسية كيف انها لم تغد في تحقيق ما يريدون من الاصلاح في الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية خلال هاتين الدولتين بل ولم يستطع الخوارج ان يقيموا من خلالها مجتمعا خاصا بهم يحكمهم حسب ارائهم وانما كانت تلك الحركات مجرد فورات سرعان ما ينتهي امرها - طال الامد او قصر - باضعاف شوكة الخوارج او القضاء على قلوبهم المهزومة •

واذا كانوا قد شغلوا الخلافة الاسلامية خلال هذه القرون الطويلة فان الصراع الذي دار بينهم وبينها لم تكن له محصلة ايجابية بالنسبة لهم أو لغيرهم وانما كانت محصلته هو انها كقوة الدولة وتوتهم هم ايضا في تلك الحروب الاهلية الشارية •

حقا لقد كانت جيوش الخلافة بالمرصاد لهذه الحركات الثائرة وسط الدولة الاسلامية وفي المناطق التي سهل على تلك الجيوش لقاءهم بها ولا سيما ابان قوة هذه الدولة •

ومع ذلك فقد افلح بعض الخوارج في بعض المناطق البعيدة في الدولة الاسلامية كعمان وفي الاطراف النائية لتلك الدولة كالمغرب العربي •

افلح هؤلاء الخوارج في اقامة دولة لهم كان لهم فيها حكم ولهم عليها سلطان وتمثل تلك الدولة الخارجية في دولة الاباضية في عمان ودولتهم هم والصفورية في المغرب العربي وسوف نوجز الحديث هنا عن هاتين الدولتين وائمتهم وموقف الخلافة الاسلامية منهم •

" دولة الاباضية في عمان "

دخل المذهب الاباضى الى عمان مبكرا واستقر هناك وتكون له اتباع واخذوا في الازدياد مع مرور الزمن الى ان اصبحت كما يقول لوريمر " يتمتع بنفوذ واسع وعلى الاقل له من النفوذ مثل ما لغيره " " وسرعان ما تبني اهل عمان مبادئ المذهب الاباضى ويقال انه بمطلع القرن ١٣ م لم تصبح هذه المبادئ مهيمنة فقط ولكنها اصبحت لها صفة عامة تقريبا (١) " .

وهكذا انتشر المذهب الاباضى في تلك البقاع النائية من الجزيرة العربية ذات المسالك الوعرة التي ساعدتهم في استقلالهم الذى طالما كانوا ينزعون اليه في عهد الدولتين الاموية والعباسية متأثرين بنظرياتهم الخاصة تجاه الخلافة الوراثية في دمشق وبغداد وهو ما لا يتفق وآراءهم الاعتقادية .

اما عن الكيفية التي دخل بها المذهب الى هناك فمن المعروف ان معركة النهروان قد اتت على قسم كبير منهم ونجا منها من كتب له النجاة ومعد لها فر من بقي منهم الى مناطق بعيدة عن مركز الخلافة واخذوا في نشر مبادئ الخوارج بين القبائل التي آوتهم يضمهم الحقد الدفين على ما ناله اخوانهم من قتل على يد الخليفة الراشد على بن ابي طالب رضي الله عنه واتباعه ومن هنا يذهب لوريمر الى القول بأن الذى انشأ المذهب في عمان هو رجل من الخوارج الذين نجوا من تلك المعركة .

" ويقال ان مبادئ الاباضية ادخلها الى عمان احد الخوارج الذين نجوا من الهلاك الذى حل بجماعتهم كحزب سياسي على يد على بن ابي طالب في معركة النهروان وهذا يؤكد أن مذهب الاباضية يرجع الى اصله الى الخوارج (٢) " .

(١) دليل الخليج ج ٦ ص ٣٤٠٣

(٢) دليل الخليج ج ٦ ص ٣٤٠٣

بينما يرى السالمي ان انتشار المذهب الاباضى في عمان كان على يد
عبد الله ابن اباض ويقول في ذلك :

" والرواة المسلمون يذكرون بأنه قدم الى عمان رجلان احد هما
الامام عبد الله بن اباض ونشر هناك مبادئ المحكمة (١) "

وسوف يكون لنا في الفصل التالي حديث عن فرقة الاباضية وعن بد * نشأتها
وسبب نسبتها بعد ذلك الى عبد الله بن اباض *

وعلى كل فقد اشدت ساعد المذهب الاباضى في عمان ومن هنا اتجهوا
الى التفكير في اقامة دولة باسمهم مستقلة بنفسها عن التبعية للخلافة العباسية
وقد بدأت محاولة تكوين تلك الدولة سنة ١٢٩ هـ في آخر دولة بني امية
واول دولة بني العباس *

فلما انس اهل عمان من انفسهم القوة ثاروا بصد الاستقلال عن الخلافة
وكان ذلك على عهد السفاح وولاية اخيه المنصور على العراق الذي عين بدوره واليا
من قبله على عمان الا ان العنانيين كانت نظرتهم كنظرة اسلافهم من الخوارج يرون ان
توارث الخلافة امر غير شرعي لهذا فلم تكن الدولة العباسية بأحسن حالا من الدولة
الاموية عندهم *

فقامت الثورة في عمان وانتخبوا اول امام لهم وهو الجلندى بن مسعود بن جعفر
الازدى ولكنه لم يدم في الحكم الا سنتين وشهرا واحدا اذ ان نزعتهم الى
استقلال عمان عن الدولة العباسية اغضبهم عليه فتقابل في معركة مع جيش الخلافة
الذى يقوده خازم بن خزيمة والتحموا في معركة اسفرت عن قتل الجلندى وأصحابه وانتهت
حركة النزوع الى الامامة وظلت عمان جزءا من الدولة العباسية الى سنة ١٧٧ *

فقام امام آخر لهم وهو محمد بن ابن عفان الازدى واجتمعوا على طاعته ولكنهم
نقموا عليه اخيرا أنه تجاوز الحدود وتكبر فخلعوه سنة ١٧٩ هـ ولولا عليهم اماما آخر

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٣١ *

ويسمى الوارث بن كعب الخروصي فأحسن فهم السيرة واجتهدت عليه كلمتهم وحارب بهم جيش الخلافة الذي أرسل لاختلاعهم بقيادة عيسى بن جعفر عم الخليفة هارون الرشيد فانتصر الوارث واخذ عيسى أسيرا وأودع السجن الى ان قتل ثم انتهت مدة الوارث وما تغربت في اثنا محاولته انقاذ سجناء كان السيل قد داهمهم بعد حكم دام اثني عشر عاما اي انه تولى الى سنة ١٩٢ هـ.

فبايع الاباضية بعده غسان بن عبد الله وكان يوصف بحزم وأس فأمن البلاد وقضى على الفتن وازد هرت في عهده عمان بل وحاول ان يوسع نفوذه الى الهند ولكنه توفي قبل تحقيق هدفه سنة ٢٠٧ هـ.

فبايع الاباضية بعده الامام عبد الملك بن حميد الازدي فسار فيهم سيرة مرضية كسبته الى ان توفي سنة ٢٢٦ هـ. فاختير بعده الامام المهنا بن جعفر اليماني الخروصي فحمد الاباضية سيرته وانتعشت في عهده البلاد وكان رجلا مهيبا حازما لا يجروا احد على التكلم في مجلسه كما يجفه علماء الاباضية (١) وكون له جيشا كثيفا وأسطولا قويا الى ان توفي سنة ٢٣٧ هـ فانتخبوا بعده الامام الصلت بن مالك الخروصي بالاجماع وقد حدث في اثنا حكمه اعتداء من الحبشة فهاجموا جزيرة سقطرى واحتلوها وقتلوا عامل الصلت عليها فكون عند ذاك الامام الصلت جيشا وكون اسطولا يبلغ اكثر من مائة سفينة التحم مع الاحباش في معركة انتصر فيها الامام وانهزمت الاحباش تاركين سقطرة للامام الصلت وكانت ولايته طويلة لهذا فقد طلب منه ان يتنازل نظرا للمصلحة في ذلك فتنازل سنة ٢٧٣ هـ وعاش كواحد من الناس الى ان توفي.

ومعد تنازله عين الامام راشد بن النضر اليماني الخروصي وفي عهده برزت المصيبة القبلية بين المدنانية واليمانية واشتد ساعد ها حتى كاد ان يذهب ضحية لها فقد اراد خصومه الاطاحة به ولكنه قاومهم في معركة تسمى معركة الروضة انتصر فيها على معارضيهم وقتل منهم كثيرا واستمر اربع سنوات ارغم في نهايتها على التنازل سنة ٢٨٠ هـ.

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٥

فتولى الامر بعده الامام عزان بن تميم الخروصي سنة ٢٧٢ واشتد ضرام المصيبة القبلية واشتملت الفتن واصبح الامر على غاية ما يتوقع من المكروه فأُشْـبِـبَ بانصاره معركة مع معارضيه فهزمهم فذهب بعض من المهزمين مستصرخين المعتضد الخليفة المباسي لنصرتهم على عزان ومن معه فكانت فرصة ذهبية للعباسيين للانقضاض على عمان والاستيلاء عليها واعادتها الى حضيرة الخلافة فأمر عامله محمد بن بور بفتح عمان فوجه هذا خمسة وعشرين الفا لفتحها فلما علم اهل عمان بهذا الجيش خافوا منه وهاجروا يتسللون هربا عن الامام عزان الى ان بقي معه من بقي فتقابل مع جيوش الخلافة في معركة انتهت بقتل الامام بل وانتهت الامامة من عمان لعدة اربعين عاما الى سنة ٢٨٠ الى سنة ٣٢٠ حين تولى الامام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب وكان مطاعا في الكل موصوفا بالصالح بينهم الى ان قتل سنة ٣٢٨ هـ.

محمد سعيد بايع الاباضية رجلا اخباره مجهولة عند الاباضية ويسمى راشد بن الوليد . يقول عنه محمد السالمي انه " تولى الامامة بعد سعيد بن عبد الله واخباره مجهولة لقلة التواريخ (١) " . وقد حاول ان يصعد جيش الخلافة المباسية ولكنه انهزم ثم آمنه العامل المباسي ومعه بتليل مات سنة ٣٤٢ هـ وانتهت الامامة ودخلت عمان في طاعة الدولة العباسية سنة ٤٠٢ هـ فبايع الاباضية الامام الخليل بن شاذان وطرد عامل الدولة المباسية هناك واجتمعوا على طاعة الخليل الى ان اسر من قبل المباسيين فاختاروا بعده رجلا يسمى محمد بن علي ثم اطلق المباسيون الخليل فلما عاد تنازل له محمد بن علي عن رضى فاستمر الخليل حاكما الى سنة وفاته ٤٣٥ هـ .

فتولى الامامة بعده الامام راشد بن سعيد واجتمعوا على طاعته الا ما كان من قبيلتي نهد وعقيل فانهم ثاروا عليه ولكنه اخمد ثورتهم واستمر في الحكم الى ان توفي فيقال انهم بايعوا بعده ابنه حفص واستمر من سنة ٤٤٥ الى ٤٥٣ هـ ولكن محمد السالمي ينفي هذا تماما (٢) .

ثم تولى بعده ائمة غير مشهورين ومنهم الامام راشد بن علي الخروص ولم يرضى بعض العلماء عن سيرته فطلبوا منه التوبة عن اعماله ففعل فتولى بعده الامام عامر بن راشد بن الوليد الخروصي

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٤١

(٢) المرجع السابق ص ١٤٦

وقد احسن القيام بأمر الحكم الى ان توفي •

فتولى بعده الامام محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي وقد استمر في الحكم الى ان توفي والناس مجمعون على طاعته •

فتولى بعده الامام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الخليل بن شاذان فنقل العاصمة الى نزوى ثم استمر في مقاتلة بني نهسان الى ان توفي •

ثم تولى امامة عمان الامام محمد بن ابي غسان • يقول عنه محمد السالمي :

" واخباره قليلة لم نقف على اى شي منها مع شدة البحث (١) " •

ثم تولى بعده الامام موسى بن ابي المعالي بن موسى بن نجاد التقي مع محمد بن مالك في معركة قتل فيها موسى بن ابي المعالي ثم تفرق الناس بعده شيما وهان امرهم كما قال السالمي ثم تولى بعده الامام خنيش بن محمد بن هشام قال السالمي عنه " ولم نقف على شي من اخباره " (٢) •

هذا وقد ظهرت الفتن واقتراق الكلمة في عمان وكانوا لا يولون هذا الا لظاهر ذاك •

فتتابع على البلاد امراء ضعاف ثم ارادوا العودة الى الامامة العامة وفعلا تتابع على عمان عدة ائمة معهم :

الحواري بن مالك من عام ٨٠٩ الى ٨٣٢ هـ

ابو الحسن بن خميس بن عامر تولى عام ٨٣٩ هـ وقد صادف بعض الفتن واستمر الى ان توفي سنة ٨٤٦ هـ •

ثم تولى بعد مدة انقطعت فيها الامامة الامام عمر بن الخطاب بن محمد وقد بيع عام ٨٨٥ هـ وقد ثار عليه النباهنة الذين كانوا يناقشونه في اخذ السلطة الا انه انتصر عليهم في معركة • وبعد وفاته تولى الامام محمد بن اسماعيل الحاضري سنة ٩٠٦ هـ فاحسن السيرة واحبته الرعية وارجع للبلاد الامن والهدوء الى ان توفي فبايع الناس بعده

ابنه الامام بركات بن محمد بن اسماعيل سنة ٩٤٢ هـ فبدأ الاختلاف فيما بينهم — واقتتلوا ولم يعد ذلك الهدوء السابق واستمر بهم الامر من سيء الى اسوأ وكثرت الفتن الى ان توفي الامام بركات وظهر بعده " امراء محليين ضعاف لا هم لهم الا تأكيد نفوذهم والسيطرة على مقدرات الناس دون وجه حق (١) " .

وبعد ان شهدت البلاد بعض الفتن والتحولات برز ائمة اليمارية الذين جعلوا عمان " اقوى دولة في المحيط الهندي والخليج العربي وكانت اساطيلهم البحرية تحمي امراطورية كبيرة (٢) " وعظم شأنهم واستتب الامن .

ويقول ج م لوريمر " تميز عهد اليمارية على العموم بأنه كان عهد أمن داخلي ورخاء ازدادت فيه الثروة وانتصر التعليم كما تميز ايضا بازدياد هائل ومفاجي في القوة البحرية اذ تباعثانيين الى القرصنة والدخول في حروب خاطفة غير منتظمة ابتداء من سنة ١٦٢٧ " وقد افاض المؤلف بذكر مقدار قوتهم الحربية ذاكرا لها بالارقام (٣) .

وأول ائمة اليمارية هو :

الامام ناصر بن مرشد اليمربي : تولى الامامة والبلاد في حالة من الفوضى فوجه اهتمامه الى ابنا الجبهة الداخلية فاحكم قبضته على البلاد " ومجرد انتخابه لتولي الامامة في سنة ١٦٢٥ احوال هذا المنصب من مجرد ظل باهت كما كان الس حقيقة ماثلة بالقوة (٤) " ثم وجه اهتمامه الى تدخل البرتغاليين والفرس في بلادهم فجهز لهم جيشا انتصر عليهم واسترد منهم بالقوة منطقة جلفار " واخضع الاقاليم الداخلية بما فيها الشرقية " ولم يبق لهم الا مسقط وصحار اتم تحريرهما خلف الامام سلطان بن سيف اليمربي ووسع نفوذه فاستولى على سواحل الهند الغربية وكنج

(١) و (٢) عمان تاريخ يتكلم ص ١٥٣ و ١٥٤

(٣) دليل الخليج ص ٦٣٧ ج ٢

(٤) المرجع السابق ص ٦٣٣

وافتح مباسة وكلوة وزنجبار وهي من سواحل افريقيا الشرقية والتحم —
البرتغاليين في ممالك على الساحل الهندي في بومباي وكون امبراطورية كبيرة الس
ان توفي فخلفه ابنه الامام بلعرب بن سلطان اليمري فاتجه اهتمامه الى الاصلاحات
الداخلية فبنى الحصون والقلاع وغرس الاشجار واحيا موات الارض الى ان ثار عليه اخوه
سيف بن سلطان فاحكم قبضته على البلاد ووسع نفوذه وقوى امره وانشأ بعض الاصلاحات
الداخلية كالزراعة وتربية المواشي الى ان توفي فخلفه الامام سلطان بن سيف بن سلطان
اليمري سنة ١٦٠ وقد دام حكمه سبع سنوات حارب خلالها الفرس وانتصر عليهم
في مواقع كثيرة واهتم بالاصلاحات الداخلية والعمران ، يقول عنه الشيخ السالمي :
" لقد هم ان يجعل عمان كجنتي مأرب فحال الحمام بينه وبين ما يؤمل والآجال
تقطع الآمال " (١)

ومعد وفاته خلفه صبيا مراهقا يسمى سيف فارادت العامة ان يتولى الامامة
هو ولكن العلماء رأوا انه لا يجوز توليته ما دام في هذا السن فولوا سرا عن الامامة
رجاله قوة في الحكم الا انه ليس من العلماء ولكنه كان تحت قبضة العلماء فلا يمضي امرا
الا بعد اخذ رأيهم فيه ، هذا الرجل هو مهنا بن سلطان بن ماجد اليمري وصرفوا
العامة بالمداواة ولبث هذا سنة في الحكم ثم ثار عليه يعرب بن بلعرب بن سلطان اليمري
سنة ١١٣٣ هـ فاستقام له الامر موتا ثم انفتحت عليه الفتن وتفرق الناس عنه وارغم على
التنازل عن الحكم الى الامام سيف بن سلطان بن سيف اليمري سنة ١١٣٥ هـ

وكان صغير السن ثم رأوا ان يعزلوه فمزل ثم تولى الامر محمد بن ناصر
المامري وهذا لقي من ثار عليه ايضا فقتل فرجع سيف الى الحكم وهكذا دخلوا فسي
فوضى وتفرق الى ان جاء حكم البوسعديين فتعاقبوا على الحكم وكان المومس
الاول لحكمهم هو الامام احمد بن سعيد *

هو منقذ البلاد ويستحق ان يرفع ليكون اماما للمسلمين وفعلما أصبح احمد بن سعيد امام عمان الفعلي وحاكمها المطلق (١) .

وما جاء بعده من اسرته فانهم في نظر الاباضية ليسوا ائمة وانما هم سلاطين اذ ان الحكم أصبح بعد احمد بن سعيد وراثيا وهو الامر الذي يبطل الامامة عندهم .

وقد قام الامام عزان بن قيس بمحاولة لارجاع البلاد الى حكم الامامة الذي غاب عنها منذ زمن وقد شد ازره علماء البلاد بما اوحوا به الى العامة من الاستبشار ووجوب نصرته فاجتمع له من القبائل من استجاب له فبدأ محاولته لضم اجزاء عمان الى امامته . يقول لوريمر عن علو كلمة العلماء الاباضية في عهد عزان ومنهم سعيد بن خلفان كبير علمائهم ومقدمهم عند الامام .

" واضفى سعيد بن خلفان على حكومة عزان دليلا دينيا مسرفا في التعصب فاستبدل علم عمان الاحمر من قديم الزمان بعلم المطوعة الابيض ومنع التدخين وشرب الخمر ومنع الاستماع الى الاغاني والموسيقى بجميع الوانها والزم اهل مسقط جميعا بالاختلاف الى المساجد بانتظام وصد رت اليهم التعليمات باتباع السنة في تربية الرقون وحف الشوارب (٢) .

ولهذا فقد كانت بريطانيا غير راضية عن سيرته هذه وان سترها لوريمر بأقواله المختلفة ومنها انه كان مفتصبا وان مستشارية كانوا سيئي التصرف في الامور وانه ليس من اسرة البوسعيديين الذين هم احق بحكم عمان في نظر الانجليز الذين لمسوا فيهم من ايثار طاعة بريطانيا والسير في رغباتها ما يرضيهم وهو ما نقصه عليهم علماء الاباضية هناك وكان عزان ينظر الى الانجليز بانهم استعماريون لا ينبغي ربط

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٦٤

(٢) دليل الخليج ص ٧٤٨ ج ٢

اي علاقة بهم فامتنع عن التعاون معهم او تقريبهم *

ومن هنا اخذ الانجليز يحرضون عليه خصومة ومن اشد هم تركي بن

سعيد *

يقول الدكتور جمال زكريا قاسم : " على انه مما يستلفت النظر انه في خلال

الفترة التي قضاها عزان بن قيس في الحكم لم تقم بينه وبين الحكومة البريطانية اية علاقات وربما يرجع ذلك الى التعاليم الاباضية التي لا تقرب وجود هـذـه العلاقات فضلا عن ان الحكومة البريطانية لم تعترف بالوضع القائم في عمان (١) * .

وقد اراد عزان ان يوسع من نفوذه فهاجم مسقط وكاد ان يأخذها لولا ان تدخل

بريطانيا قد حال بينه وبين امتلاكها فاتجه واخذ البريمي وامتلكها ثم اتجه الى

اخضاع القبائل البدوية ولكنها اجتمعت عليه والتحمت معه في معركة " ضنك "

فانهزم جيئه ولم ينج الا هو ونفريسير معه وكانت اقامته بمطرح تشكل تهديدا للقضاة

على اسرة البوسعيديين فرأت بريطانيا ان اعادة الامة الى عمان اذا انتصر عزان

سيقضى على مصالحها لهذا ارسلت تركي بن سعيد - السابق الذكر - الى لنجاة

لاستمالة القبائل التي هناك وتأليبهم على عزان فلما تم له ما اراد اقبل بجيش

قاصدا مطرح لاختطافها وللقضاء على الامام فنشبت هناك معركة اسفرت عن قتل الامام

عزان وتفرق اتباعه بين الناس *

ومعد قتل عزان خفت صوت الامة الى سنة ١٩١٣ فأخذت الدعوة

تنتشر بين الناس في عمان الداخلية للرجوع الى الامة ومحاربة الحكم الوراثي

(سلاطين البوسعيد) " فاجتمع ائمة الاباضية وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي اماما " *

ووصفت هذه الحركة من قبل الاباضية بأنها " حركة ثورية مباركة " فسار فيهم الامام

(١) دراسة لتاريخ الامارات العربية ص ١٠٩

سالم سيرة ارتضوها من عمل بكتاب الله وسنة نبيه الى سنة ١٩٢٠ فدرت له مؤامرة اغتيال فيها . فولى الاباضية عليهم بعده الامام محمد بن عبد الله الخليلى (١) الذى امتد حكمه اربعاً وثلاثين سنة " وقد عم الهدوء والسلام " تلك المناطق الداخلية في عهده رغم ما كان يلاقه من تأمر سلاطين مسقط والانجليز على اسقاط الامامة هناك وضماها الى سلطان مسقط البوسعيدى وقد استمرت الحرب بينهم سبع سنوات ثم تم التوصل الى معاهدة تعرف بمعاهدة السيب (والسيب يقع على بعد ٣٠ ك تقريباً من العاصمة مسقط ويتكون من بيوت قليلة وفيه المطار للعاصمة مسقط) واستمرت هذه المعاهدة الى ان توفي الامام الخليلى فاراد سلطان مسقط ان يهتبل الفرصة لضم عمان الداخلية الى سلطنته ولكن الاباضيين فوتوا عليه الفرصة ولوا عليهم بعده الامام غالب بن على الهنائي الذى بوجع بالامامة سنة ١٩٥٤ م ١٣٧٣ هـ وقد جعل جل اهتمامه في ربط عمان بالدول العربية " فقد قام بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع جميع البلدان التي تتعاطف معه آملاً من ذلك ان تكون عمان كأي دولة من الدول العربية ووجد من يشاظره هذا الامل الا ان هذا التحرك من جانب الامام قد اخاف بريطانيا وسلطان مسقط انه ان رجوع الامامة الى عمان معناه انتهاء مصالح بريطانيا ونفوذها هناك خصوصاً وان آبار البترول قد جذبتهم اليها وان التخلي عنها لا يمكن بحال . ومن هنا اخذت بريطانيا وحليفها سلطان مسقط سعيد بن تيمور في تنظيم الخطط الحربية للقضاء على الامامة بالقول والفعل .

" وفجأة وبدون مقدمات زحفت السيارات العسكرية الى مدينة عبري ومنها الى العاصمة نزوى التي اصبحت تحت ايديهم فانتقلت الامامة الى روءوس الجبال حيث

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ١٧١

قرر الاباضية التحصن بالجبال خصوصا الجبل الاخضر وشن الحملات الهجومية من هناك واستمرت تلك الحرب الضارية بين قوات الامام وبين سلطان مسقط والانجليز وكانت قوات الامام تحرز بعض الانتصارات بعد خسائر فادحة الا ان بريطانيا صبت جام غضبها عليهم يتمثل ذلك في اسراب الدلائث والقنابل والصواريخ المدمرة (١) .

وكانت نهاية الامامة في عمان بعد تلك المعارك التي دارت بين أتباعها من جهة والسلطين والانجليز من جهة اخرى ولم تفلح الجهود السياسية والحربية في اعادة الامامة للبلاد وانما تمكن السلطين البوسعيديين من عمان ولا يزالون حتى الان يتوارثون الحكم فيها .

واذا لم يكن السلطين يلتزمون بالمذهب الاباضى فان هذا المذهب لا يزال له سلطانه ولا سيما في الجوانب الفقهية عند العلماء والامة . وقبل ان تنتهي من الحديث عن دولة الخواجه في عمان نحب ان نذكر هنا ان الخواجه بسطوا نفوذهم على بعض المناطق الاخرى في المشرق غير عمان فقد بسط نافع بن الازرق نفوذه على الاهواز الى كرمان وتمكنوا من دولا بوسلبرى وسلطان تلك النواحي وسط نجد ، نفوذ على اليمامة والبحرين والقطيف وصنعاء وخلفه على تلك المناطق ابو فريك الى غير ذلك من امثال تلك الظواهر التي لا نقف عندها لانها لا تمثل وضعاً من اوضاع الحكم المنظم والمستقر ولم تدم الا سنوات قليلة بل كان بعضها لا يبقى الا شهوراً ولهذا لم ندخلها في الحديث عن دولة الخواجه مكتفين بذكرها عند الحديث عن تلك الفرق التي بسطت سلطانها وقتاً ما على هذه المنطقة او تلك .

(١) انظر عمان تاريخ يتكلم ص ٢٣٢ / ٢٥٤

٢ — " دولة الاباضية في المغرب "

انتشر المذهب الاباضى في المغرب على يد دعاة مخلصين وجدوا من البربر
آذانا صاغية فاستغلوا ذلك لنشر مذهبهم الذى طوره في المشرق القريب من عاصمة
الخلافة الاسلامية فقد رأوا انه حفاظا على بقاء مذهبهم واقامة سلطة باسمه لا بد وان
تكون بميدة عن بطش الخلافة فاختراروا المغرب بين قبائل البربر فقام للخواج في
المغرب مذهبان مذهب الاباضية ومذهب الصقرية وكان مما ساعد هما في الانتعاش
شيئا فشيئا اعتدال دعوتهم التى تهادن الحكام تحت ستار التقية وتعامل المخالفين
بقدر من التسامح الى ان بلغوا ما ارادوا ولولا هذا الاعتدال لكان مصيرهم لا يقل عن
مصير آلئك الذين قلما يجتمع لهم اقل عدد الا واعلنوها ثورة وهصيانا مسلحا
فتنقض عليهم جيوش الخلافة حتى يبادوا * وقد ابعدوا بالفعل وما نشأت خواج المغرب
الا نتيجة من نتائج تلك الابداءة في المشرق * لقد كانت البصرة احدى القواعد الاساسية
لدعاة المذهب الاباضى ومنها انطلق دعاة الاباضية الذين انتشروا في المغرب لتأسيس
دولتهم هناك * وكان زعماء هذه القاعدة هم من اوائل علماء المذهب وعلى رأسهم ابي عبيدة
مسلم بن ابي كريمة *

فكان الدعاة ينتشرون منها الى الاماكن المعينة بل وكان الخارجون على
الخلافة لا يخرجون الا بعد استشارتهم كما كان الحال في خرج طالب الحق في جزيرة
العرب وابو الخطاب (احد حملة العلم) كما يسميهم الاباضية في المغرب ثم خلفه
عبد الرحمن الرستمي ومن جاء بعده من اولاده فكانوا لا يبرمون امرا ذى بال الا عن
مشورة علماء المذهب في البصرة *

وقد رزق مذهب الاباضية في المغرب انصارا مخلصين في اقامته واعلاسه امثال
سلمة بن سعد الذى " كان يقول في مبدأ امره ودلت ان ياتى هذا الامر يوما واحدا
فما ابالي ان تضرب عنقي " (١) وابن مخطير الجنائى وغيرهما من الرجال الذين كانوا

(١) الاباضية في موكب التاريخ ج ٢ ص ٢٥

يذهبون من المغرب الى البصرة ثم يرجعون بعد ان يتزودوا بالعلم والفقه في المذهب
دعاة ومجاهدين وقضاة في دولتهم الناشئة .

وقد انتقل مع المذهب الاباضي الى المغرب مذهب الصفرية — كما قلنا —
وانتشر هناك على يد عكرمة مولى ابن عباس وهو بربري في الاصل ولهذا كان لدعوته
الى المذهب الصفرى تأثير بين البربر لمعرفته بدخائل نفوسهم وكان يدعو الى مذهبه
سرا ثم اخذ في الانتشار الى ان صار مذهباً قوياً فيما بعد خصوصاً وقد كان المهاجرون
من المشرق الذين هربوا من اضطهاد الخلفاء يرتادون المغرب لبث دعوتهم فسي
هذه المناطق النائية عن الخلافة الاسلامية ولم يحدد المؤرخون بالضبط متى بدأ المذهب
الخارجي ينتشر هناك .

يقول الدكتور رفعت فوزى عن تحديد نشأة الاباضية والصفرية بالمغرب :

” واذا كانت الروايات التاريخية لا تبين لنا بالتحديد متى قدم الى المغرب

اول من دعا الى مذهب الخوارج وخمسا سلامة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس رضى الله
عنهما فانه يمكن القول بأنهما قدما في اواخر القرن الاول او اوائل القرن الثاني (١) .”

ويجب ان نلاحظ هنا ان تلك القبائل التي كانت محط الانظار لنشر المذهب

الخارجي بينهم كانت متأرجحة بين المذهب الخارجي والبعيد عنه واغلبهم كان يميل
مع القوى صاحب الغلبة فاذا جاء من هو اقوى منه كان الحال معه كسابقه وهكذا .

لقد كان البربر منذ اسلموا مخلصين في اسلامهم يشتركون في جميع الممارك

التي يخوضها الجيش الاسلامي وكانوا عندما يعاملون بالعدل والرفق كما وصفهم الطبرى :

” من اسمع اهل البلد ان طوعهم الى زمان هشام بن عبد الملك احسن امة سالما وطاعة”

(١) الخلافة والخوارج في المغرب العربي ص ٢٩ .

وقد ظلموا كذلك الى ان بدأوا يحسون بالظلم من قبل ولاية الخليفة هشام
واسوأهم سيرة كان عبيد الله بن الحبحاب من قبل هشام الذي كان جل اهتمامه في جمع
الاموال والتحف ومعتها الى دمشق لارضا الخليفة هناك كغيره من ولاية تلك المناطق .
وسادت هذه المحنة وجود دعاة الخوارج بينهم فكانوا كلما دعواهم الى الخروج
على الخلافة الاموية بسبب ما يفعله ولا تهم من مالم يتأبون عن الاستجابة لهم قائلين
ان هذا ليس ذنب الخليفة حتى نختبره فيقول لهم دعاة الخوارج ان هؤلاء الصالح
لا يقدمون الا بأمر من الخليفة نفسه فلم يقبلوا منهم وهكذا ظلوا كلما دعاهم الخوارج
قالوا " انا لا نخالف الائمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا لهم انما
يحمل هؤلاء بأمر آلك فقالوا لهم لا نقبل ذلك حتى نبورهم " اي نختبرهم .

واخيرا وبعد أن طفع الكيل خرج بضعة عشر يرأسهم ميسرة المطهرى متوجهين
الى دمشق ليشكوا ما حل بهم الى الخليفة هشام الا انه لسوء الحظ لم يقابلهم
بل احتجب عنهم الى ان نفذت نفقاتهم فمزموهم على الرجوع الى بلادهم وهناك
ذهبوا الى الابرش وحملوه رسالة منهم ليؤديها الى هشام كالاغذار لما سيفعلونه فيما بعد
جاء في هذه الرسالة :

" ابلغ امير المؤمنين ان اميرنا يغزو بنا وجنده فاذا اصاب نفلهم دوننا
وقال هم احق به فقلنا هو اخلص لجهادنا لانا لا نأخذ منه شيئا ان كان لنا فهم منه
في حل وان لم يكن لنا لم نرده وقالوا اذا حاصرنا مدينة قال تقدموا واخرج جنده
فقلنا تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى اخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيانا ثم انهم
عمدوا الى ما شئنا فجعلوا ييقرونها على السخال يطلبون الفراء الابيض لاميير المؤمنين
فيقتلون الف شاة في جلد فقلنا ما ايسر هذا لاميير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك
ثم انهم سامونا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن
مسلمون فأحببنا ان نعلم أعن رأي امير المؤمنين ذلك ام لا " .

فأخذ الأبرش هذه الرسالة وقال نفعل وأخيرا ولما يئسوا من الوصول
الى هشام ويئسوا من انصافهم كتبوا اسماهم وانسابهم واعطوا الوزراء قائلين لهم
" هذه اسماؤنا وانسابنا فان سألكم امير المؤمنين عنا فأخبروه " (١) ثم رجموا .

وبالتأمل في تلك الرسالة نجد فيها حرارة المكوى ومدى ما حل بهم ان
صدقوا في كل ما ذكره اذ ان تلك الجرائم التي ارتكبت بحقهم لا يمكن السكوت عنها وهنا
وفر في قلوبهم ما قاله الخوارج سابقا ورجعوا في غاية الغضب والعزم على الخروج
عن الطاعة فبدأوا يعامل هشام على افريقية فقتلوه ثم استولوا على افريقية ولما علم
هشام بذلك سأل عن اسما ذلك الوفد الذي جاء اليه فرفعت اليه اسماؤهم فاذا هم
الذين وقفوا ببابه فاحتجب عنهم .

وهناك سبب آخر يعزوه الاستاذ رفعت الى صاحب كتاب " اخبار
مجموعة " الذي يرى ان سبب قيام خوارج المغرب بالثورة انما هو " الاقتداء بالخوارج
في المشرق اصحاب النهروان والازارقة في الخروج على سلطان الخلافة والتحريض
من رقيتها والكيد لها " (٢) .

ويروى عن صاحب فجر الاندلس رأيا آخر وهو ان تلك الثورة كانت سياسية
قبل ان تكون دينية وذلك في قوله " لسنا نجد على اى الأحوال من اخبار هذه
الثورة الكبيرة دليلا واضحا على صفية القائمين بالحركة او اباغيتهم والاسلم ان محسبهم
خوارج سياسيين لا دينيين " (٣) .

وعلى كل فقد اشتعلت الثورة وسموا ميسرة أمير المؤمنين ثم التحموا مع جيش
الخلافة في معارك عظيمة عاب فيها هشام ثلاثين الف مقاتلة الخوارج وحينما التقوا

(١) انظر تاريخ الدابري ص ٢٥٤ / ٢٥٥ هـ

(٢) الخلافة والخوارج في المغرب ص ٦٧ وهو يعزوه هذا الرأي الى (اخبار مجموعة ص ٣١ / ٣٢)

(٣) = = = = ص ٦٨ = = = (فجر الاندلس ص ١٤٩)

انهزمت جيوش الخلافة شر هزيمة واستتب الامر للخوارج وسطوا نفوذهم بقوة وأس
جعل الخليفة يياً من استعادة افرقية بعد هزيمة جيشه الذي ارسله بقيادة
كلثوم بن عياض امام قائد الخوارج خالد بن حميد الزناتي الذي حقق للخوارج
استقلال المغرب حتى صار المغرب فيما بعد ملجأ كل ناظم على الخلافة الاموية (١)
ثم صارت الامور بعد ذلك في صراع بين الخوارج والخلافة يتبادل الطرفان
فيه النصر والهزيمة حتى انتهت الدولة الاموية واعقبتهما الدولة العباسية ، فبدأت
في مقاومة الخوارج بالمغرب وكان رئيسهم اذ ذاك هو ابو الخطاب * وهو
احد حملة العلم الخمسة الذين ذهبوا الى البصرة وعادوا منها الى المغرب يحملون
فكرة اقامة دولة باسمهم كما اشار عليهم زعيم المذهب الديني في البصرة ابو عبيدة مسلم
بن ابي كريمة الذي اعتبره الاباضية من خيرة اسلافها وعلماؤها الاجلاء فاخذ نجم
الاباضية في الظهور على يد ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمع المصافري الذي كان
مقيماً بطرابلس بعد الخطط لجعلها عاصمة لهم ، وكانت البيعة له في غرب طرابلس
في مكان يسمى " صياد " واتفقوا فيه على وضع خطة للقبض على زمام السلطة
في طرابلس ^{وهي ان يوضع الرجال} في جواليق مربوطة من اسفلها على جمال كل رجلين على جمل ثم يدخلون
طرابلس فلا يفتن الناس الى ما بها وعندما يتوسطون المدينة يخرج الاباضية الذين
بها مصلحين سيوفهم ثم تفتح الجواليق فيخرج الرجال على هيئة حربية كل رجل
يحمل سلاحه ثم جاء الموعد ونجحت الخطة وحين خرجوا كانوا ينادون لا حكم الا لله
ولا طاعة الا لابي الخطاب وتم الاستيلاء على المدينة فعين عبد الرحمن الراسمي
وهو احد حملة العلم الخمسة ايضاً على طرابلس قاضياً (٢) * .

(١) هذا ما اشار اليه الاستاذ رفعت فوزي في كتابه الخلافة والخوارج في المغرب العربي ص ٨٣
والواقع ان الخليفة قد عبأ الجيوش المتلاحقة لخماد تلك الثورات ، انظر الكامل لابن الاثير

ج ٥ ص ١٩٢-١٩٤ .

(٢) الخوارج والخلافة في المغرب الاسلامي ص ١٠٨

فأخذ هذا الرجل بما أوتي من قوة وفكر ونفاد بصيرة في تجميع الاباضية من حوله وأحل التعصب للمذهب بدل التعصب القبلي حتى نجح بهم في إقامة دولة للاباضية استمرت ما يقارب مائة وخمسة وعشرين عاما •

ومنذ ان تم النصر للاباضية في طرابلس بدأوا ينظرون الى ما حولهم فحشدوا الجيوش للاستيلاء على القيروان لانقاذها من بغى ورفجومة (١) الذين عاثوا فيها فسادا وسارت الحملة اليهم في ستة الاف رجل ، وعرضوا في طريقهم على قابس فاحتلوها ثم واصلوا السير الى القيروان فحاصروها مدة ثم خدعوا ورفجومة واوهموهم انهم منهزمون منهم فلما خرجوا في لحاقهم عطف الاباضية عليهم فقتلوهم قتلا ذريعا عند مكان يسمى رقادة •

ثم خرج ابو الخطاب عن القيروان بعد ان ولى عليها عبد الرحمن بن رستم •

وبعد القضاء على ورفجومة رجع ابو الخطاب الى طرابلس ولكن حدث ان ذهب أحد أتباعه يسمى جميل السدراتي - لمنافرة وقعت بينه وبين ابي الخطاب - الى ابي جعفر المنصور الخليفة العباسي طالبا منه انقاذ ذلك الجزء من المغرب من حكم ابي الخطاب ، فبعث اليهم ابو جعفر الجيش بعد الجيش وهم ينهزمون امام الاباضية ، ولكن الاباضية عادوا فانهزموا اخيرا على يد محمد بن الاشعث وانتصر عليهم الانتصار الحاسم (٢) فقتل ابو الخطاب وكل من كان معه اثناء المعركة وتفرقت الاباضية في الجبال والاماكن النائية •

ثم جاء مؤسس الدولة الاباضية الحقيقي وهو عبد الرحمن بن رستم وهو الذي اليه " يعزى الفضل في تكهن دولة الخوارج الاباضية كان حكمها في اسرها من بعده " (٣) وهو فارسي الاصل من طبقة حكام الفرس الكاسرة وقد انتقل بعد مقتل

(١) ورفجومة هم قبيلة من قبائل البربر، انظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٥١ ج ١

(٢) انظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٥٣ ج ١ وانظر الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٣١٧

(٣) الخوارج في المغرب ص ١٠٧

ابي الخطاب الى تشهرت التي صارت فيما بعد عاصمة الاباضية ، فاجتمعت عليه كلمة الاباضية وسلموا عليه بالخلافة سنة ١٦٠ هـ وكان جل اتباعه من قبائل البربر لواته ورجالة ونفزاوة ولماية ونفوسة التي اشتهرت بأنها قلعة حصينة للاباضية .

وقد اصبحت تاهرت من اعظم المدن واجملها وقد فصل القول فيها الشيخ سليمان بن عبد الله الباروني وذكر كثيرا من دقائق اخبارها يعجب له السامع واستشهد بعدة شواهد من كلام غير الاباضية نفي لما قد يتوهم من مبالغة في وصفها كما يقول (١) وقد تأسست هذه المدينة واكمل عمرانها سنة ١٣٦ هـ . وقد سار عبد الرحمن في حكمه سيرة ارتضاها الاباضية وتوالت عليه الاعانات من اباضية المشرق ، الاعانات المعنوية والمادية وكان على اتصال في قضايا المهمة بعلماء المشرق الاباضى يقول محمود اسماعيل :

" واستطاع عبد الرحمن بهذه الاموال تسليح رجاله من الاباضية وتمكن بفضلهم - على حد تعبيره - من بسط سيادة الدولة على سائر قبائل البربر " (٢) .

وكان يجاور دولته دولة الصفوية التي اتخذت سجلماسة عاصمة لها حين تكونت سنة ١٤٠ هـ وقد تمت بين عبد الرحمن وملك الصفوية علاقة مصاهرة اذ تزوج ابن ملك الصفوية وسمى مدار بك سومة عبد الرحمن وذلك من ذلك الجانب ولولا تلك المصاهرة لجرى بينهم من الحروب والفتن الشيء الكثير وهذا من حنكة عبد الرحمن ومهارته في الامور .

(١) انظر الصفحات الاولى من كتاب الازهار الرياضية ج ٢

(٢) الخواص في المغرب الاسلامي ص ١١٣

وقد استمر الحال بالاباضية هناك في هدوء واستقرار الى أن توفي
عبد الرحمن الرستمي سنة ١٧١ تقريباً * وكى يضمن استمرار ذلك الاستمرار
لدولته اوصى قبل وفاته بتميين مجلس شورى يختار امام الدولة من بين اعضاءه " (١) .

فبايع الاباضية بعده ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي في هذا
التاريخ ، فاجتمعت عليه كلمة الاباضية واحبوه لما امتاز به من الصلاح والحرز
ولم ينقموا عليه امراً الا ما كان من ابن فندين وهو من بايعه فانه خرج عنه
غاضباً لأنه لم يشركه في حكمه ولم يسند اليه فيه منصبا وهذا تعليل الاباضية
لخروجه عن طاعة عبد الوهاب ولكن هذا التعليل ينفيه بعضهم ويرى انه من صنع
الاباضية لتشويه مطلب ابن فندين في حمل الامام على اتخاذ مجلس شورى أخذ
برأيه واسباب اخرى غير هذا (٢) ثم انضم الى ابن فندين ثائر آخر من الاباضية
الطامعين في الحكم وهو شعيب العصى حسب ما تقول مصادرا الاباضية ، ويقول
غيرهم بأن هذا الحكم على شعيب " مبالغ فيه والاقرب للتصديق انه توجه لنصح
عبد الوهاب وانها " الخلاف في تاهرت فلما لم يجبه انضم الى ابن فندين (٣) " .
وحينذاك دبر هذان الرجلان الثورة لنزع الحكم من عبد الوهاب فانشبوا معركة
على ابواب عاصمة الاباضية بتيهت انهزم فيها الثوار وقتل ابن فندين وهرب
شعيب الى طرابلس ناقماً على الامام مظهراً البراءة منه ، فلما وصلت هذه الاخبار
الى علماء الشرق من الاباضية اجتمعوا على البراءة منه ومن ابن فندين .

وموت ابن فندين اختفت المشاكل التي كانت شاغلة لمبدى الوهاب وهدأت
الامور ، ولكن هذا الهدوء كدته ثورة اخرى قام بها قبائل من البربر تدين بالاعتزال
واكثرهم من قبيلة زناتة التحموا معه في معركة طلب فيها ^{من} الثائرين عقد هدنة للنظر

(١) المصدر السابق ص ١١٤

(٢) راجع الخواج في المغرب الاسلامي ص ١١٧

(٣) الخواج في المغرب ص ١١٧

في الاصلح من الامور فعمدت الهدنة وهنا كتب الامام الى اهل جبل نفوسة طالبيا منهم العدد ، ولما جاءه ما طلب التحم معهم في معركة اخرى انتصر فيها الامام وظفر بتلك الطائفة من الواصلية المعتزلة واذعنوا بالطاعة ، وكانت تتشأ بين الحين والآخر بعض الانشقاقات فلا تلبث ان تنتهي وامتد سلطان الامام الى طرابلس وما حولها وقد دامت خلافته ١٩ سنة اذ توفي في سنة ١٩٠ هـ تقريبا وهو الصحيح عند الباروني من بين الاقوال التي قيلت في ذلك (١) تاركا وراءه ثورة خلف بن المسح في اشتعال .

ومعد وفاة عبد الوهاب بايع الاباضية ابنه افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي سنة ١٩٠ هـ وكان عليه ان يواجه محاربة خلف المنشق عن طاعته الرستمية ، فأمر ابو عبيدة وكان واليا من قبل عبد الوهاب على طرابلس بمحاربة خلف ومعد مراسلات بينهما لم تجد نفعا ، التحموا في معركة انتصر فيها ابو عبيدة وكانت تلك المعركة في ١٣ من شهر رجب سنة ٢٢١ هـ ، الا ان هذه المعركة لم تنهي عصيان خلف بل ثار مرة ثانية بعد وفاة ابو عبيدة وتولية المباسرين ايوب مكانه فراسل خلفا لاعادته الى الطاعة ولما لم تفلح معه المراسلة تقابلوا في معركة انهزم فيها خلف وتفرق جمعه ومات بعد ذلك منكسرا (٢) .

ومعد خلف جاء نائرا آخر هو فرج بن نصر النفوس المعروف (بنفاث) والذي تنسب اليه فرقة النفاثية من الاباضية وكان له اطلاع في العلم الا انه اخرجته الخضب لنفسه اذ لم يول ولاية في دولة افلح حسب ما تقول مصادر الاباضية وهذا لا ينفي ان تكون ثورته انتقاما من حكم الرستميين الذين جعلوا الخلافة وراثية ولكنه لم تكن له شوكة او منازلة مع جيش افلح بل كان خروجه بمجرد الكلام فقط واخيرا غص أمره وانتهى دوره

(١) الازهار الرياضية ص ١٦٣ ج ٢

(٢) انظر الخواص في المغرب الاسلامي ص ١٢٣

الى ان حانت وفاة الامام افلح سنة ٢٤ هـ وكان المرشح لتوليها بعده هو ابنه
ابن اليقظان محمد بن افلح الا انه حين وفاة والده كان مسجوناً في بغداد
وذلك انه كان قد اختطف في حجة وادع سجن بغداد فبايع الناس بعد وفاة افلح
ابنه ابو بكر بن افلح الا انه لم يكن مرضياً من جميع الناس ووقعت فتن في عهده وحرب
اهلية .

وقد عاد ابن اليقظان من بغداد اثر اطلاقه من السجن فنظم الامور
واحبه الناس فتمت بيعته سنة ٢٤١ واجتمعت عليه الكلمة واتته وفود البيعة
من كل ارجاء مملكته واستتب الامن وكثر الرخاء الى ان توفي سنة ٢٨١ هـ .

وبعد وفاته بايع الاباضية ابنه ابي حاتم يوسف بن محمد باتفاق
الكافة ولم ينكر احد في الظاهر أى امر الا انه كان في نفوس بعض الناس ميل عنه وهم
عنه يعقوب بن افلح الا انه لم يحرك ساكناً حينئذ ثم حدثت فتنة بعد ذلك بقيادة
بعض المشايخ ومسموعي الكلمة وتطور الخلاف الى ان اصبح لا يمكن حله الا بالمعركة
وجمع كل فريق ما عنده من قوة استعداداً لخوض الحرب .

وقد اسند اهل مدينة تيهرت زعامتهم الى عم ابي حاتم السابق الذكر
يعقوب بن افلح بينما كان الامام محاصراً لها من خارجها ولم يبق الا الدخول
في المعركة فابتدأت رحاها بين الامام وعنه فاهرقت الدماء وتقطعت السبل وعاش
الناس في اشد الضيق الى ان توسط بعض اهل الاصلاح بين الامام وعنه لعقد هدنة
وصلح على ان يقف كل منهما عن منازعة الاخر مدة اربعة اشهر حتى ينظر الناس في
امرهم ورجاء ما يمن الله به من حسن تدبيره .

وقد حدث في اثناء هذه المدة ان استمال الامام كثيراً من الناس ووعدهم
ومناهم الى ان مال اليه اكثر اهل المدينة (مدينة تيهرت) فرأى يعقوب ومن معه
من خاصته ان الخطر قد احدث بهم وهنا قرروا الهرب الى طرابلس التي كانت الفتن

فيها وفي جبل نفوسة على اشدّها ليكونوا على بعد عن الامام .
وهنا دخل الامام المدينة بعد ان كان مقيما خارجها في اثنا تلك الاربعة
الاشهر وصفي له الجو في تيهرت وما حولها باستثناء طرابلس ونفوسة وما حولهما فقد
وقعت فيها بعض الفتن الداخلية ثم اعقبهم نزول جيش ابراهيم بن الاغلب التابع
للخلافة العباسية فقتل اهل نفوسة قتلا ذريعا وانهزموا شر هزيمة ومن هنا بدأ نجم
دولة الاباضية الرسمية في الافول شيئا فشيئا الى ان توفي الامام ابو حاتم
سنة ٢٩٤ هـ مقتولا على يد ابنا اخيه باتفاق تم بينهم للاستيلاء على الحكم
وشايعهم على هذا بعض الناس فقتلوه ثم تولى بعده اليقظان بن ابي اليقظان وهو
ابن اخيه ومجرد توليه بدأ انقراض دولة بني رستم على يد الشيعة وذلك على يد
عبيد الله الشيعي وظهور دعوته في المغرب فقد احتل مولاة ويسمى ابو عبد الله الحجاني
تيهert العاصمة الاباضية وقضى على اسرة بني رستم وانتهى امرهم وذلك في سنة
٢٩٦ هـ فرثاهم علماء الاباضية بالمرائي المحزنة ورثوا تيهert وما اصابها من خراب
بعد بني رستم .

الفصل السابع

فريق الخواج

بعد عرضنا لوضع الخواج الفكرى والحربى والسياسى نبدأ الان بالحدِيث
عن فرق الخواج متى بدأ تكونها وماهى الاسباب التى أدت الى الافتراق
الخواج بعد أن كانوا على رأى واحد • وماهى مناهج معوى الفرق المختلفة
فى التاريخ لها •

وأخيرا نقدم عرضا موجزا لتاريخ هذه الفرق مرجئين بيان آرائها ومناقشتها
فى تلك الآراء الى الباب التالى اللهم الا ما ذكره عرضا عن بعض آراء الفرق الفرعية •

أ - نشأة فرق الخواج وأسبابها :

بدأ تكون فرق الخواج - كما قلنا سابقا - بظهور نافع بن الأزرق وجماعته
التي تنتسب اليه والتي عرفت باسم الأزارقة وذلك فى أوائل الستينات وتتابع بعد
ذلك ظهور تلك الفرق سواء الفرق الكبرى أو ما تشعب عنها من فرق صفوى •

ولقد كان لهذا الافتراق أسبابه الظاهرة والخفية وإن لم تكن فى أغلب
الاحيان أسبابا لها قيمتها • فقد عرفنا عنهم أنهم كانوا يختلفون ويفترقون لاتفه
الاسباب وهما يكن من أمر فالى جانب اختلافهم حول سلوك بعضهم على هذا
النحو أو ذاك كانت هناك أسباب لهذا الاختلاف ترجع الى اختلافهم فى الآراء
الدينية وفى مواقفهم من الجماعة الإسلامية • فقد كان الخواج فى مبدأ أمرهم
لا يعترفون تلك التفاصيل فى مذاهبهم التي احدثت بينهم الخلافات فيما بعد
وفسرتهم فرقا متعددة ذات آراء مختلفة • كالإختلاف فى الهدية والتقية والهجرة
من دار مخالفيهم الى دارهم • كذلك حكم أطفال مخالفيهم هل هو تابع لحكم
آبائهم أم يختصون بحكم مستقل مع الاختلاف فى حكم هؤلاء الآباء المخالفين • الخ •

قد أثرت فيهم هذه الاختلافات في الآراء حين حدثت فتعددت طوائفهم واختلفت بتعدد هذه الآراء واختلافها .

قد اختلف العلماء في الشخصية التي أحدثت هذه الخلافات بين صفوف الخوارج وفرقت كلمتهم وجعلت بعضهم يراى من بعض قليل ان اول من أحدث الخلاف بين الخوارج هو نافع بن الأزرق الحنفى وقيل ان اول من أحدثها عبد ربه الكبير او رجل يسمى عبد الله بن الرضين وان نافعاً كان من المخالفين له فى مبدأ أمره ولكنه بعد وفاته تبين له ان الحق كان معه فرجع الى الاخذ بقوله واكفر من يخالفه بعد ذلك . واما من خالفه قبل ذلك - اى قبل ان يرى نافع ان قوله صحيح - فليس بكافر وكأن الحكم يتبدأ عنده من يوم ان تبين له صحة رأى ابن الرضين . وقيل ان اول من أحدثها عبد ربه الصغير (١) .

والحقيقة كما يظهر لى ان خلاف الخوارج لم يشتد ولم ياخذ شكله الحاد الا حين تبين نافع بن الأزرق آراءه الخاصة فى تلك المسائل التى لم يعرفها سلف الخوارج ولم يخوضوا فيها بالتفصيل وحينما اخذ نافع فى تطبيقها اعتبرها الخوارج آراءً متطرفة لم يقل بها سلفهم من اهل النهروان ولا غيرهم فمثلاً حرم التقية واعتبرها خشية من غير الله لانجوز بحال مستدلاً بقوله تعالى * اذا فریق منهم يخشون الناس كخشية الله واشد خشية * (النساء : ٧٧) .

وعلى هذا فان القندقالدين يستندون الى التقية غير مؤمنين فى نظره واعتبر كل مخالفه مشركين كفرة لانحل مباحثتهم ولا موارثتهم ولا اكل ذبائحهم ولا يجب رد اماناتهم اليهم . وحل ايضاً قتل نساءهم واطفالهم كما قال تعالى :

(١) انظر مقالات الاشعري ج ١ ص ١٧٠ ، الفرق بين الفرق ص ٨٤ .

• ولا يلد الا فاجرا كفارا • (نح : ٢٧) •

وهنما وصل الى هذا الحد انفصلت عن النجدات بقيادة نجدة بن عامر لانهم راوا ان هذه الاراء مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله والسلف القديم قائلين له: " احدث ما لم يكن عمله السلف من اهل النهروان واهل القبلة " فاجابهم بأن هذه حجة عرفها وقامت عليه وينبغي الاخذ بها (١) • قال عبد الرحمن النجم " ان الاراء الشديدة الغالبة التي تبناها نافع بن الازرق وضعت الخواارج في بداية مرحلة خطيرة فقد فتحت مجالا واسعا امام مجتهدتهم لمناقشات نظرية واسعة استمرت فترة من الزمن وادت الى ظهور آراء متباينة ومواقف مختلفة وكانت سببا في تفرقهم •

ولايب أن الاتجاه المعتدل الذي يمثل النجدات هو اقرب الى آراء عامة المسلمين (٢) • وابن عديده يرى ان الخواارج قهلا وجود نافع بن الازرق كانوا لا يختلفون الا في الشيء الشاذ حتى جاء نافع فاوجد فجوات بينهم يقوول ابن عديده " الازارقة اصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكانوا قهلا على راي واحد لا يختلفون الا في الشيء الشاذ " (٣) •

وسهما يكن من اختلاف العلماء حول تحديد اول من احدث الافتراق بين الخواارج فقد كان لهذه الاختلافات اثرها السيء على مجرى حياتهم اذ أخذ كل فريق منهم يشنع على مخالفيه قوله كما سيتبين لنا ذلك فيما بعد •

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٠ - الفرق بين الفرق ص ٨٤

(٢) البحرية في صدر الاسلام ص ١٢٨

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩١ •

٢ - مناهج مؤرخى الفرق فى ذكر فرق الخوارج :

عندما يريد الباحث حصر فرق الخوارج الاصلية منها او الفرعية يفاجأ بكثرة اختلاف العلماء فى ذلك وذلك لان كتب الفرق الاسلامية لم تتفق أبدا على تقسيم فرقهم الرئيسية او الفرعية على عدد معين ، فنجد بعضهم يعدها أربعا وبعضهم يعدها خمسا وبعضهم يعدها سبعا وبعضهم يعدها ثمان واخرون خمسا وعشرين .. الخ .

وهكذا يتباين عددهم عند علماء الفرق وهذا يعود بالطبع الى عوامل هامة ومنها :

١ - أن الخوارج كانوا من الفرق الشائرة المضطهدة من جهة خصومهم وهم عامة الناس ، الامر الذى ادى الى عدم التمكن من الدراسة الدقيقة لفرقهم فى عصر خروجهم .

٢ - انهم هم انفسهم ساءلوا فى اخفاء امرهم بحيث اخفوا كتبهم عن اعين الناس اما خوفا عليها منهم او ظنا بها عنهم وهى قليلة جدا قلة فـسـراغ الخوارج الذين وهبوا كل اوقاتهم للحرب او الاعداد لها على طول حياتهم .

٣ - انهم لم ينعموا بالاستقرار والهدوء الذى ينتج عنها نظرهم فى الملـس وتحقيقهم لمدىهم وتاريخهم لفرقهم المختلفة تاريخا مضبوطة يساعدهم على حصرها حصرا صحيحا .

٤ - انهم كانوا - كما قلنا سابقا - سريعى التفرق اذ حصول اقل سبب تافه كان كافيا لتفرقهم الى فرق .

ولهذا تشعبت فرقهم واختلط امرها على المؤرخين .

وقد ذكر العلماء أقوالا كثيرة في ندرة كتبهم وفي صعوبة الوصول الى حقيقة أمرهم وشكوا من هذا الامر الذي يقف الباحث امام مشكلة هامة • وقد مر بنا الحديث في هذه المسألة في مقدمة الرسالة •

وقد نتج عن سرعتهم لاقبل سبب يحدث ان كثر رؤسائهم وفرقتهم كثرة اختلط امرهم بسببها على المؤرخين وفي هذا يقول احد امين رحمه الله " والخوارج لم يكونوا وحدة ولم يكونوا كتلة واحدة وانما كان واضحا فيهم الطبيعة المبريقا لهدية فسرعان ما يختلفون وينضمون تحت الجمة مختلفة يضرب بعضهم بعضا ولو اتحدوا لكانوا قوة في منتهى الخطورة " (١) •

وكذلك يقول الشيخ ابو زهرة فانه يرجع سبب تفرقهم الى فرق متباينة الى كثرة الاختلاف فيما بينهم وتحيز كل فرقة لما ارتأت وتجمعها حوله حتى صاروا مذاهب وجماعات متباينة " (٢) •

ويقول الاستاذ محمد الداهر النيفر عنهم :

" وكانوا كثيرى التشاجر فيما بينهم لاتفه الاسباب وربما كان هذا هو السر في انهزامهم مع قوة شكيتهم في القتال " (٣) •

وفيما يلي بيان للاختلاف الحميد بين علماء الفرق في عد فرق الخوارج •

(١) فجر الاسلام ص ٢٥٩

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٨٠

(٣) اهم الفرق الاسلامية ص ٦١

فلاشمري يرى أنهم اربع فرق : الازارقة ، والنجدات ، والاباضية والصغرية ، ثم يقول " وكل الاصناف سوى الازارقة والاباضية والنجدية فانما تفرعوا من الصغرية " (١) .

ويشاركه في هذا الحصر ابن عديده . الا انه ذكر البهية مكان النجدات فهي عنده من فرقهم الكبرى (٢) بينما هي عند غيره فرقة فرعية .

ويرى صاحب ابانة المناهج انها خمس فرق رئيسية وذكر الفرق التي تقدمت عند الاشعري وابن عديده مثبتا ان الكل من كبار فرقهم وبلاحظ عليه انه اختلط عليه اسم عبد الله بن اباض بعبد الله بن يحيى . طلب الحق فغلب الاباضية اليه وهو خطأ تاريخي . (٣) .

ويرى البعض انها سبع فرق رئيسية ومنهم محي الدين الدبسي حيث أضاف الى ما تقدم في ابانة المناهج فرقة المحكمة والمجاردة (٤) . وذكر ان فروع الاباضية عنده اربع فرق والمجاردة عشر فرق . ومثله الشاطبي فهو يعد هـا سبع فرق وهي " المحكمة والبهية ، والازارقة ، والحراث ، والعبدية ، والاباضية " .

والغريب في هذا التقسيم ذكر فرقة الحراث فلم يذكرها غيره في فرق الخوارج لا الرئيسية ولا الفرعية . وجوز الشيخ محمد رشيد رضا ان تكون هي النجدات وقد صحفها النساخ .

(١) المقالات ج ١ ص ١٨٣

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩١

(٣) ابانة المناهج ص ١٥٥

(٤) رسالة الدبسي في فرق الشيعة والخوارج وتكفير غلاتهم ص ٢٦ خ .

وأيضاً ذكر الشاطبي المهدية وهي كذلك ليست مذكورة عند المؤرخين ففى
فرق الخوارج الا ان يكون قصده المهدية فهي وان كانت من فرق الخوارج الا انها
فرق فرعية صغيرة من فرق الثعلبية وقد ذكرها هو نفسه بانها من فرق الثعلبية حين
ذكر تقسيم الثعلبية وقد قسم الاباضية الى اربع فرق والمجاردة الى احدى عشرة
فرقة والثعلبية التى هى احدى فرق المجاردة اربع فرق . (١)

ومعها الشهرستاني ثمان فرق وهي كبار فرق الخوارج عنده مضيها الى
ما ذكره الديلمي فرقة الثعلبية بانها من فرقهم الكبار وقد ان ذكر تلك الفرق
قال " والهاقون فرعهم " (٢) .

أما البخدادى فقد أصلها الى عشرين فرقة ذكرا لها جميعا فى موضعين
من كتابه الفرق بين الفرق وكان ذكره لفرق الخوارج فى كل منهما عاما . لم يبين
الفرق التى يعتبرها اصولا ولا الفرق التى يعتبرها فرعا وانما قال " وأما الخوارج
فانها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه اسماءها " (٣) . ثم شرع فى بيان
تلك الاسماء سردا .

أما عند الرازى فهم احدى وعشرون فرقة (٤) . بينما هم عند الملطسى
خمس وعشرون فرقة (٥) .

(١) الاعتصام ج ٢ ص ٢١٩ / ٢٢٠

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٤ و ٢٢

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٤٦ / ٥١

(٥) التنبيه والرد ص ١٦٧ .

وهكذا يجد الباحث نفسه امام اختلاف العلماء في هذا العدد الكبير من فرق الخوارج كل واحد قد اختار لنفسه العدد الذي وصل اليه اجتهاده ونظيره . ولقد صدق الاستاذ الغرابي حين قال " ونتيجة لما تقدم من ان الخوارج يكونون على رأى واحد ثم لا يلبث ان يحصل بينهم خلاف على رأى فينقسمون ويخرجون على امامهم قد انقسمت الخوارج الى فرق كثيرة لم يتفق المؤرخون على عدد هم " ويقول " والحق انه لا يمكن معرفة عدد فرق الخوارج ولا ضبطهم لان الخلافات كانت توجد بينهم على اقل شئ " . ويقول ايضا " وانه كما قلت ليس من السهل الاتفاق على كيفية تقسيم فرق الخوارج وايها فروع كما انه ليس من السهل ضبط عدد فرقها كذلك لكثرة اختلافاتها وتقلباتها وخروج بعضها على بعض لا مرقد يكون بسيطا " (١) .

على كل فسوف اقدم هنا تعريفا موجزا لجميع الفرق التي ذكرها المؤرخون سواء ما اتفقوا على ذكره او اختلفوا فيه وسواء ما اتفقوا كذلك على كونه اصليا او فرعيا وما اختلفوا فيه مركزين على الجانب التاريخي لكل فرقة . أما اراء وهم فموضوعها القسم الثاني من هذا البحث ان شاء الله .

(١) تاريخ الفرق الاسلامية ص ٢٦٦ و ٢٦٨ و ٢٧١ .

٣ - التعريف بفرق الخوارج :

المحكمة :

وهو اول تجمع يحد بشابة التجمع الام والاسلم لكل الفرق التي أتت بعدها وهذه - كما لا يخفى - انفصلت عن جيش الامام على بن ابي طالب رضى الله عنه حين تمت الموافقة على التحكيم ثم اشتد انفصالها بعد ان ظهرت النتيجة في غير ما كانوا يؤملون .

وحينما خرجوا الى حروراء كانوا يعاملون المسلمين الذين يخالفونهم في الرأي ابشع المعاملات واقساها يصفهم المطلق بقوله :

" فأما الفرقة الاولى من الخوارج فهم المحكمة الذين كانوا يخرجون بسيفهم فـهـمـن يلحقون من الناس فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا . وكان الواحد منهم اذا خرج للتحكيم لا يرجع او يقتل فكان الناس منهم على وجل وقتنة " (١) .

وهو يقصد بخروج الخارجى للتحكيم ان يحمل سيفه ثم يخرج مناديا فى الناس " لاحكم الا لله " . وكان اول رئيس لهم هو عبد الله بن وهب الراسبي الذى قاد المعركة ضد على بن ابي طالب فى النهر وان قتلوا هناك شرقتلة . ومن أبشع جرائمهم قتلهم عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان حدثهم بحديث يوجب القمود عن الفتن فذبحوه على حافة النهر ومقروا بطعن امرأته وكانت حبلى . وكان الذى تولى قتله فيما يذكر الاشعري (٢) مسعد بن مذكى ويذكر الهفدادي (٣) انه رجل يسمى سمعا ويمكن الجمع

(١) التنبيه والرد ص ٥٠ ص ٥١

(٢) المقالات ج ١ ص ٢١٠

(٣) الفرق بين الفرق ص ٧٧

بمنهما بان يقال ان مسعر بن مديكى الذى تولى رئاسة الوفد الذاهب السى
البصرة امر مسعرا بقتل عبد الله بن خباب فقتله (١) ، ولعلهما شخص واحد
حصل التصحيف فى اسمهما لتقارب الشكل .

الازرقية :

تعيم هذه الفرقة هو نافع بن الازرق المشهور بمسألة لقابن عباس وقد ذكره
بهذا الاسم كل من كتب فى التاريخ والفرق الا من شذ وكنته ابوراشد وهو
من بنى حنيفة ومن الذين اخطأوا فى اسمه الملقى رحمه الله فقد سماه عبد الله
بن الازرق خلافا لتسمية الجمهور (٢) .

وما يذكر عن ابتداء ظهور نافع بن الازرق انه اجتمع بالخوارج الذين يسرون
رايه وطلب اليهم ان ينضموا الى ابن الزبير لمقاتلة جيوش اهل الشام الذين حاصروا
مكة قائلا لهم من خطبة له " قد جرد فيكم السيوف اهل الظلم واولوا المدا
والفسم وهذا من ثار بمكة فاخرجوا بنا ناك البيت ونلق هذا الرجل فان يكن
على رايانا جاهدنا معه العدو وان يكن على غير رايانا دافعنا عن البيت ما استطعنا
ونظرنا بعد ذلك فى امورنا " فاطاعوه وخرجوا الى مكة .

واخيرا وجد ان امتحنوا ابن الزبير وتبين لهم خلافه لرأيهم خرجوا عنه سنة
٦٤ هـ فخرجوا من مكة الى جهتين جهة الى البصرة وهم نافع بن الازرق وعبد الله
بن الصغار السعدى وعبد الله بن اباضى الصريعى وحنظلة بن بيهس ونوا لما
حوز عبد الله وعبد الله والزبير وجهة الى اليمامة وهم ابوطالوت وعبد الله بن ثور
ابوفديك وهطبة بن الاسود اليشكرى .

(١) وانظر الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤١ ، المعقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠ .

ايام العرب فى الاسلام ص ٣٨٥/٣٨٦ ، تلبس ابليس ص ٩٣

(٢) التنبيه والرد ص ٥٤

فأما أهل البصرة فقد أمروا عليهم نافع وأقام بالبصرة الى أن خشي من أهلها فخرج الى الأهواز وتبعه أتباعه الى هناك .
وأما أهل اليمامة فولوا عليهم أبطالهم ثم خلعوه وولوا عليهم نجدة بن عامر .
وقد استقر الأمر بنافع ومن معه في الأهواز " فغلبوا عليها وولى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عهد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي " (١)
الى أن قتل نافع في سنة خمس وستين في شهر جمادى الآخرة عندما اشتدت المعركة بينه وبين جيش أهل البصرة بقيادة مسلم بن عيسى بن كرز بن ربيعة في ناحية الأهواز الذي جهزه عامل البصرة من قبل عهد الله بن الزبير عبد الله بن الحارث الخزاعي ومعه قتل نافع في هذه المعركة ولى الخوارج أمرهم قطري ابن الفجاءة الذي انشقت عليه الازارقة فيما بعد (٢) .

وقد تابع حرب الازارقة المهلب بن أبي صفرة الذي عينه ابن الزبير لحربهم فأخذ فيهم واهن قوتهم على ما تميزوا به من قوة وكثرة يقول البغدادي " ولم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولا أشد منهم شوكا " (٣) " ولهذا فقد كان الناس منهم على وجل وقتنة لانهم كانوا يتابعون عليهم الفارات في كل مكان لا يعرفون الهدوء ولا السلم ويقول ابن حزم انهم " انما كانوا أهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق وآخرهم عبيدة بن هلال العسكري - واتصل أمرهم بضماء وعشرين سنة " (٤) والمشهور في هذا الاسم الذي ذكره ابن حزم انه عبيدة بن هلال

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١١٨ / ١١٩

(٢) انظر تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦١٣ و ص ٥٦٤ / ٥٦٧ - الكامل لابن الاثير

ج ٤ ص ١٩٥ - الكامل للهرود ج ٢ ص ١٨١

(٣) الفرق بين الفرق ص ٨٣

(٤) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٩ / ١٩٠

اليشكرى وليس العسكري كما قال •

وتعتبر فرقة الازارقة ام الفرق بعد المحكمة اذ ان النجدات انشقت عنها
وانشقت عن النجدات المعطوية وانشقت عن المعطوية المجردة وهكذا • ويمر
نافع بن الازرق من مشاهير الخوارج فقد كان هو وفرقة السبب في تشييب
آراء الخوارج على هذا النحو فهو اول من فتح ابواب الخلاف بين الخوارج بتلك
الاحداث التي بينها صاحب كتاب الاديان بقوله " ولم يزلوا على ذلك - اى
الاتفاق على الحق - الى ان مرق عليهم نافع بن الازرق فشتت كلمتهم وفرق
جماعتهم وخالف امرهم وحاد عن اعتقادهم احدث امورا خالف فيها المسلمين واهل
الاستقامة في الدين - يعنى بهم الاباضية - وتباينت الخوارج وافترقت الى سبعة
عشرة فرقة بفرقة اهل الاستقامة " • ويقول عن مخالفة نافع لما عرف عن
الخوارج من اعتقاد انه " اول من خالف اعتقاد اهل الاستقامة وشق عصا
المسلمين وفرق جماعتهم انتحل المهجرة وسبى اهل القبلة وغنم اموالهم وسبى
ذرائعهم وسن تشريك اهل القبلة وتبرأ من القاعد ولو كان عارفا لامره تابعا
لذهبه واستحل اعراض الناس بالسيف وانتحل المهجرة وحرم مناعتهم وذبايحهم
وصارثتهم وابتدع اعتقادات فاسدة وآراء حايدة خالف فيها المسلمين واهل
الاستقامة في الدين وخرج من البصرة الى الاهواز فغلب عليها ولى ما والاها من
بلاد فارس وكرمان وسجستان ومكران " (١) •

(١) قطعة من كتاب في الاديان ص ٩٧/٩٨ •

النجدات :

تنسب النجدات الى زعيمهم الاول نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن
المنجج الحنفي او الثقي كما يقول بعضهم . وقد سوا اتباعه بالنجدات الماذرية
لمذرمهم اهل الخطأ في الاجتهاد . اذا كانوا جاهلين بوجه الصواب فيه . وقد
كان نجدة مع نافع يدا واحدة الى أن نقم عليه اشياء رآى نجدة أنها من البدع
المضلة ففارق نافعاً واستقل عنه بمن تبعه من أصحابه .

ويختلف النقل في خروجه . فبعضهم يرى انه كان من اليمامة ومنها انتشر
امره الى بقية البلدان وهذا هو المشهور (١) بينما يذكر المطلبى انه خرج من
جبال عمان (٢) ولم ارى فيما تيسر لي الاطلاع عليه ان غير المطلبى قد قال بقوله
ويصف نجده بأنه كان شجاعاً يتابع الخارات على من حوله حتى بلغ ملكه صنمها
جنوها والبحرين والقطيف اى انه أخذ مساحات واسعة من الدولة الاسلامية ولم
يزل في قوته الى ان اختلف عليه اصحابه وكان اشد هم عليه ابو غديك وكان نجده
حين علم بآمره ومن معه على قتله استخفى في قرية من قرى حجر الا انه اكتشف
أمره فاستخفى عند اخواله من بنى تميم وندما عزم على السير الى عبد الملك بن مروان
فأتى بيته ليصعد الى زوجته بما يلزم ولكن الفديكة غشوه فقتلوه وكان يقاتلهم
بشجاعة نادرة وهو يمثل هذا البيت :

وان جر مولانا علينا جريسة صبرنا لها ان الكرام الدعائم

(١) انظر الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٠١/٢٠٦ - الملل والنحل ج ١ ص ١٢٢
مقالات الاشعري ج ١ ص ١٧٤ - تلخيص ابليس ص ٩٥ - الفرق بين
الفرق ص ٨٧ - كتاب الاديان ص ١٠١
(٢) التنبيه والرد ص ٥٥ .

وكان قتله في السنة الثانية والسبعين من الهجرة •

وقد تعددت الاسباب التي ثار من اجلها اصحاب نجدة عليه وهي اسباب وقعت متفرقة الا ان الحق الذي امتلئت به قلوب الخارجين عليه ساعد على تجميعها وتضييقها حتى صارت بحيث لم يطاق القديكون الصبر على طاعة نجدة غدروا قتله وقد تم لهم ذلك • ومن هذه الاسباب ما يلي :

١ - أن أبا سنان وسمى حتى بن وائل اشار على نجدة بان يقتل كل من اجابة تقية بعد أخذهم ولكن نجدة قابله بحنف وشمته قائلا له : كلف الله احدا

علم الخيب • قال لا • قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر •

٢ - ان نجدة سير سررتين الاولى منهما بحرا والثانية برا وعند القسمة فضل سرية البحر على سرية البر فأغضب ذلك عطية بن الاسود احد أتباعه وغضب نجدة ايضا عليه وشمته فأخذ هذا يحرض الناس على الخروج عن طاعة نجدة وهسيانه •

٣ - ونقم عليه اصحابه بانه عطل حد الخمر وكان سبب ذلك ان رجلا من عسكره كان يشرب الخمر فبلغوا امره الى نجدة فقال لهم : " انه رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركيين ولكن هذا الجواب كان غير مقنع لهم •

٤ - انه حين أغار على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت جارية من بنات عثمان بن عفان في يد احد جنوده فاشتراها منه وردها الى عهد الملك بن مروان فأغضب هذا اتباعه وقالوا له انك رددت جارية لنا على عدونا •

٥ - أنه جرت بينه وبين عهد الملك مكاتبات كان عهد الملك يطلب منه الدخول في طاعته وان يوليه اليمامة ويهدر له كل ما اصاب من مال او دماء فقال عطية :

مكاتبه عهد الملك الا وهو يعرف انه مدها من في الدين •

- ٦ — ومنها ان بعض قومه فارقه وشرطوا لعودتهم ان يتوب علنا نفعل ذلك ولكنهم عاد واقتالوا انه لا ينبغي لنا ان نستتيه وهو الامام والمهاجرون ان يتوب من توبته تلك توقع بينهم الاختلاف .
- ٧ — انه حكم بالشفاعة وذلك حينما كلمه اصحابه في رجل فاهطاه فرسا .
- ٨ — ونقموا عليه ايضا عطاءه مالك بن مسعم ما يقدر بعشرة الاف درهم حين امر عامله هميان بن عدي السدوسي بذلك . (١)

وهكذا القت تلك الاسباب الظاهرة وغيرها جوا من المداء المستحكم لنجدة وهي في ظاهرها حجج واضحة ان صحت نسبتها اليه ولكن الحقيقة ان تلك الاسباب كان لها ما يفديها وهو التعصب القبلي بين بني حنيفة وبني قيس بن ثعلبة الذين ينتسب اليهم ابوفدك حيث اراد هؤلاء نقل السلالة من بني حنيفة اليهم هم وفعلا تم لهم ما ارادوا وذلك بعد تولية ابوفدك مكان نجدة الحنفي. ثم نقل ابوفدك عاصمة الحكم من اليمامة الى البحرين مقر قبيلته قيس بن ثعلبة وبعد قتل نجدة اصبح النجدات على ثلاث غزى فريقتين مازال على تاييده له وثريق مع ابوشور وثريق مع عطية بن الاسود الحنفي .

أما ابوفدك فقد قتل سنة ٧٢ هـ حين ارسل له عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله الزبير محمرا في عشرة الاف مقاتل ساروا حتى التقوا بابي قديك في البحرين بالمشقر فدارت بينهم معركة اسفرت عن قتل ابي قديك ونزل اصحابه على حكم عمر بن عبيد الله وقد قتل منهم نحو ستة الاف واسر ثمانمائة . (٢) وانتهي امر ابوفدك .

(١) انظر مقالات الاشعري ج ١ ص ١٢٥/١٢٦ — الفرق بين الفرق ص ٨٨ الملل والنحل ج ١ ص ١٢٣ — الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٠٥ — البحرين في صدر الاسلام ص ١٣٢/١٣٣ .

(٢) انظر الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٣٦٢ .

أما عطية فقد لاحقته جيوش المهلب بن أبي صفرة وهو يفر من قطر السبي
آخر حتى لاحقته بالسند فقتل هناك وانتهى أمره .

ولقد كانت فرقة النجدات من الفرق المشهورة كالازارقة . وحينما يذكر
العلماء سيرتهم يختلفون فبينما هم عند المظلي ومن يرى رأيه اذا خرجوا يقتل
الاطفال ويسبون النساء وسهرقون الدماء ويستحلون الفروج والاموال . اذا هم عند
آخرين من الرحماء يجوزون التقية ويرون الامانات الى اهلها . وجها ولم
يقتلوا بقتل الاطفال ويرون المقام بين مخالفهم لابلأى به وانهم يشلون الانجاء
المعتدل الذي يقرهم الى آراء عامة المسلمين . وهذا نموذج لتضارب اقوال العلماء
عنهم فمنهم من اشد عليهم حتى حكم عليهم بالكفر الصريح ومنهم من قال عنهم
غير ذلك . ومن الذين وقفوا منهم موقف التشدد ونسبوا اليهم الافعال القبيحة
التي تخرج الشخص من الاسلام غير المظلي صاحب كتاب الاديان والدبسي . (١)

ومن الذين قالوا عنهم خيرا ونسبوا اليهم الاعتدال واللين في مسامحة مخالفهم
من المسلمين ابن الجوزي والاشمري والهندادى والشهرستاني وغيرهم (٢) .

(١) التنبيه والرد . ص ٥٥ . رسالة الدبسي ص ٢٦ — كتاب الاديان ص ١٠١ /
١٠٢ .

(٢) تلخيص ابلبيس ص ٩٥ . الفرق بين الفرق ص ٨٩ — الملل والنحل ج ١ ص ١٢٣
البحرين في صدر الاسلام ص ١٢٨ — مقالات الاشمري ج ١ ص ١٢٥ .

" الاباضية "

زعيمهم الاول والحقيقى الذى يقدمونه على كل أحد هو جابر بن زيد الازدى ونسبوا الى عبد الله بن اباض شهرة موافقه مع الحكام المخالفين لهم وقد اشتهروا بهذا الاسم عند جميع من كتب عن الفرق لم يخالف فى هذا الا من شذ • اتفقوا جميعا على انه عبد الله بن يحيى بن اباض المرمى من بنى مرة بن عبيد ونسب الى بنى تميم ولكن سماه المطلبى " اباض بن عمرو " (١) • وهذا خرج على ما ذكره الجمهور من صحة اسمه • والغريب ان المطلبى ذكر بعد صفحات اسمه الصحيح فقال (٢)
(ومنهم الاباضية سموا بعبد الله بن اباض) •

اما صاحب ابانة المناهج فقد سماه يحيى بن عبد الله الاباضى (٣) وقد كان ابن اباض معاصرا لابن الزبير مع الخوارج الذين حاربوا معه ضد جيوش الشام كما يذكر ذلك الحافظ بن كثير • (٤) ولعل شبهة من سماه يحيى بن عبد الله اسمه التيس عليه اسم ابن اباض باسم يحيى بن عبد الله طالب الحق — كما ذكرنا من قبل — وهو الذى ثار بالجزيرة العربية باليمن • ولعل هذا الاختلاف فى اسمه هو الذى حدى بابن حزم الى ان يذكر ان الاباضية لا يعرفون ابن اباض وانه شخص مجهول (٥) • وهو بلا شك مبالغ فى هذا الحكم والصحيح انهم يعرفونه ويعترفون به كما تذكر مصادرهم ذلك •

(١) التنبيه والرد ص ٥٥

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨

(٣) ابانة المناهج ص ١٥٥

(٤) الهداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٩

(٥) الفصل ٥٠ ج ٤ ص ١٩١ •

فقد رد عليه على يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية واعتبر
قوله ان الاباضية لا يعرفون عهد الله بن اباض غير صحيح بل يعرفونه كل تاريخه
وان قوله انهم يتهرأون منه تناقض من ابن حزم اذ كيف يتهرأون من اناس
لا يعرفونه . (١) .

ثم نتساءل من اين لهم نسبة الاباضية اذا لم يكن ابن اباض من اوائلهم
ويقول البغدادي في هذا ٢ اجمعت الاباضية على القول بامامة عهد الله بن
اباض . (٢) .

ويقول السالبي :

انا مد يد بتصويب الاولى نكروا	حكومة الحكيم حينما جهلا
والراسي اوالى بعد جملتهم	ومن به نسب الاسلام قد وصلا
عنيت بنجل اباض فهو حجتنا	اما ترى نخره للمسلمين جلا (٣)

ويرى الشهرستاني ان خرج عهد الله بن اباض كان في زمن مروان بن محمد
فوجه اليه عهد الله بن محمد بن عطيته ثقاته بتبالة (٤) ولكن هذا غير صحيح فان
عهد الله بن اباض توفي في اواخر ايام عهد الملك بن مروان . وفي هذا يقول على
يحيى معمر : " كثير من المؤرخين واصحاب المقالات يحسبون ان عهد الله بن
اباض خرج في ايام مروان ابن محمد وانه قتل في معركة تبالة وهو خطأ تاريخي

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٨ / ٥٠

(٢) الفرق بين الفرق - ص ١٠٣ - وانظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٩

(٣) غاية المراد ص ١٨

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤ .

لان عبد الله بن ابي الذي تنسب اليه الاباضية توفي في اواخر ايام عبد الملك وهو اكبر من جابر في السن وتابع له في المذهب والرأي ونسب المذهب اليه لانه كان اكثر ظهورا في الميدان السياسي عند الدولة الاموية والتسمية منها (١) وهكذا يقول عمرو خليفة الناصي في مقدمة كتاب "اجوة بن خلفون" فهو يذكر ان مؤسس المذهب الاباضي هو ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدي وهو من اخير تلاميذ بن عباس *

ثم يذكر ان نسبة المذهب الاباضي الى ابن ابي - وهو تابعي ايضا - عامر معاوية وتوفي في اواخر ايام عبد الملك بن مروان - نسبة عرضية كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي اشتهر بها ابن ابي - وتميز بها عن سبب المذهب الاباضي اليه * ولم يستعمل الاباضية في تاريخهم المبكر هذه التسمية فكانوا يستعملون عبارة "جماعة المسلمين" او "اهل الدعوة" واول ما ظهر استعمالهم للكلمة لاباضية كان في اواخر القرن الثالث الهجري * (٢) *

اما فرقة الاباضية نفسها فقد اشتهرت باللين والمسامحة تجاه مخالفيهم وهذا ما يذكره اكثر علماء التاريخ والشرق ولكن نجد بين العلماء من يذكر خلاف هذا كالمطري فانه يقول عنهم "الاباضية اصحاب ابي بن عمرو خرجوا من سواد الكوفة قتلوا الناس وسبوا الذرية وقتلوا الاطفال وكفروا الامة وانحدوا في المعاد والهلاك" (٣) *

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٥٣

(٢) اجوة بن خلفون ص ٩

(٣) التنبيه والرد ص ٥٥

أما الدبس فهو لا يقل عنصفاً فقد قال " الفرقة السادسة من فرق الخوارج الاباضية يجب تكفيرهم لانهم كفروا علياً رضي الله عنه واكثر الصحابة " (١) .

بينما نراهم عند بعض العلماء اهل تواضع فهم " لا يسمون امامهم —————
امير المؤمنين ولا انفسهم مهاجرين " (٢) .

ونرى ان منهم من يذكر ان قول عبد الله بن اباض هو اقرب الاقارب الى السنة (٣)
كما يستفيض النقل عنهم بان معاملتهم لمخالفاتهم تنقسم بكثير من التسامح والميلين
وهكذا .

ويقول الاستاذ ابوزهرة " الاباضية هم اتباع عبد الله بن اباض وهم اكثر الخوارج
اعتدالا واقربهم الى الجماعة الاسلامية تفكيراً فسيماً ابعدهم عن الشطط والفلو
ولذلك بقوا ولهم فقه جيد وفيهم علماء متازون (٤) . الخ "

والواقع ان الاباضية شديدوا التمسك بمذهبهم يخفون غيره من المذاهب
ويرون انها كلها باطلة ما عدا مذهبهم وفي ذلك يقول الميرزاى " الحمد لله الذى
جعل الحق واحداً في البيانات فنقول معشر الاباضية الوهبية الحق مانحن عليه والباطل
ما عليه خصوصاً لان الحق عند الله واحد ومذهبنا في الفروع صواب . يحتمل الخطأ
ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق (٥)

(١) رسالة الدبس ص ٢٧

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤

(٣) الكامل للبرد ج ٢ ص ١٨٠

(٤) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٨٥

(٥) الحجة في بيان المحجة ص ٣٧

وهذا نموذج من اراد الزيادة في هذا فليراجع كتب الاباضية مثل اللمعة المرضية من اشعة الاباضية وكتاب الدليل لاهل العقول وكذا مخطوطة المارغيني (١) الخ .

هذا وقد انقسمت الاباضية الى فرق منها ما يعترفون بها ومنها ما ينكرونها
واولى هذه الفرق :

الحفصية : وزعيمهم يسمى حفص بن ابي المقدام وله اقوال تخرجه عن الاسلام كإنكاره النبوة وإنكاره الجنة والنار واستحلال كثير من المحرمات .
قد أثبت علماء الفرق بانها اولى فرق الاباضية (٢) ولكن على يحيى معمر ينفي أن تكون هذه الفرقة من الاباضية اشد النفي بل ويشك فيها وفي وجودها وينكر ان يكون لهذه الفرقة او زعيمها ذكر في كتب الاباضية . (٣)

والفرقة الثانية من الاباضية تسمى اليزيدية نسبة الى امامهم المسمى يزيد بن انيسة وابن ابي انيسة كما يسميه بعضهم . وليزيد هذا من الاقوال ما تخرجه عن الاسلام صراحة كاعتقاده مجيء رسول غير محمد "ص" وكفوله "ان نفي هذه الامة شاهد ين عليها هو احدهما والاخر لا يدري من هو ولا متى هو ولا يدري لعله قد كان قبله (٥) . . الى غير هذا من الخلط .

(١) اللمعة المرضية من اشعة الاباضية ص ٥٤ - ٦٧ - الدليل لاهل العقول ص ٢٢ و ٣٥
و مخطوطة المارغيني ص ١٣

(٢) انظر مقالات الاشعري ج ١ ص ١٨٣ - الفرق بين الفرق ص ١٠٤ - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥ - الفصل لابن حزم ص ١٩١ ج ٤

(٣) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢١

(٤) مقالات الاشعري ج ١ ص ١٨٤ . الفرق بين الفرق ص ٢٢٩ - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦ .

(٥) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٨

ورغم أن علماء الفرق قد قالوا بأن هذه الفرقة من الإباضية إلا أن على يحيى معمر
ينفيها كما نفى الفرقة السابقة وهي الحفصية (١) ويستغرب من ابن الحسن كيف
نسبها إلى الإباضية مع أنه حكم عليها بالكفر في قوله " فترك يزيد بن أنيسة شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم رداً بشريعة غيرها "

والفرقة الثالثة تسمى الحارثية نسبة إلى حارث بن يزيد الإباضى * وهذه الفرقة
تزعم أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن إباض وحده حارث
بن يزيد الإباضى (٢) ورغم هذا فإن على يحيى معمر يقول عنه " وهذا الحارث
أيضاً لم يحرث عند الإباضية ولم يزرع لا آراء ولا حبوا ولم يحصد الإباضية عنه أو عن
فرقته شيئاً إن كان حقاً حرث في أى مكان " (٣) .

والفرقة الرابعة من فرق الإباضية يسميها أصحاب المقالات " أصحاب طاعة
لا يراد بها الله " وذلك لاعتقادهم بأن الشخص قد يفعل شيئاً من أوامر الله
دون قصد الله بذلك العمل ولا إرادة له في تنفيذ أمر الله ولكنه مع هذا يكون مطيعاً
لله * وهي مسألة تافهة لا يخرج الناظر فيها بفائدة * وهذه الفرقة من الفرق
التي تنسب إلى الإباضية حسب ما ذكره الأشمري والهندادى والشهرستانسى
والدبس (٤) * غير أن على يحيى معمر الذى نفى تلك الفرق السابقة نفى هذه
أيضاً ورد على من قال باندخالها في الإباضية رداً عنيفاً كما في قوله وهو يرد على

(١) الإباضية بين الفرق ص ٢٢

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٠٥

(٣) الإباضية بين الفرق الاسامية ص ٢٢

(٤) انظر مقالات الأشمري ج ١ ص ١٨٥ — الفرق بين الفرق ص ١٠٥ — الملل

والنحل ج ١ ص ١٣٥ * رسالة الدبس ص ٢٨ *

الاشعري " ويد وأن ابا الحسن لم يجد لهذه الفرقة اماما فلم يذكر لها اماما
وانما جاء يسوق اتباعها كما يساق القطيع حتى ادخلهم في حظيرة الاباضية
وتركهم .. وعلى كل حال فهذه فرقة ليس لها امام وليس لها اسم وكل ما في
الامر انه نسب اليها قولا يناقض مناقضة كاملة ما عند الاباضية في هذا الموضوع " (١)

وفيما يتعلق بنفي عيسى يحيى محمدا لصحة انتساب الفرق السابقة الى الاباضية
فان انحراف زعماء هذه الفرق فسي ارائهم لا يقوم دليلا قاطعا على عدم انتسابهم
الى الاباضية . اذ يجوز ان يكون هؤلاء الزعماء في صفوف الاباضية ثم انفصلوا
عنها بارائهم الشاذة ومن شايهم على تلك الاراء وتظل نسبتهم الى الاباضية
بعد ذلك ثابتة نظرا لكونهم في صفوف الاباضيين في الاصل .

وهناك ست فرق للاباضية في المغرب : هي :

" النكار ، النفائية ، الثلثية ، الحسينية ، السكاكية ، الفرثية "

الفرقة الاولى :

فرقة النكار ، وتسمى ايضا النكات والنجومية والشخبية ، ظهرت سنة ١٧١
بزعماء ابوقدامة يزيد بن فندين الذي انشق عن الاباضية لسبب سياسي وذلك ان
عبد الرحمن بن رستم حينما احس بدنو أجله عين لمن يلي الخلافة بعده ، سبحة
أفراد من بينهم من ارتضوه وكان من بين هؤلاء السبحة ولد عبد الوهاب وابوقدامة
ومعد الخوض في الموضوع انتخبوا عبد الوهاب حين اراد ابوقدامة لامها يمس
ببيع ولكنه شرط في بيعته قوله " نبايع على الا يقضى في شيء دون مشورة جماعة
مخصوصة من الناس " ولكن رد عليه أحد الحاضرين بقوله " لانعرف شرطنا للبيعة
الا العمل بكتاب الله وسيرة السلف الصالحين " . ثم اغفل هذا الموضوع وتمت

البيعة لعبد الوهاب الا ان يزيد بن عبد الله كان يستشير التطلع الى الخلافة والحكم
فاعلم انبيعة عبد الوهاب باطلة لانه لم ينفذ الشرط الذي اشترطه يزيد
وهو استشارة تلك الجماعة • ثم قام بمحاولة انقلاب كان هو نفسه ضحيته • وقد
أوضحنا ذلك عند كلامنا في دولة الخوارج بالمغرب • ثم تزعم النكار بعده رجل
يسمى ابو معروف شعيب بن معروف ومن هنا اخذت حركة النكار في التوسع التي
أنقضى عليها الشهيدون في حروب ملوحة ومن اهم مبادئها انه لا تصح امامة
المفضول مع وجود الافضل منه • وانه يصح الاشتراط عند مبايعة الحاكم واذا خالف
تلك الشروط بطلت بيعته • ولهذا غمهم يبررون خروجهم على عبد الوهاب بانه لم
يف بتلك الشروط التي اشترطوها حين البيعة • وقد كفرهم المارغيني وذكر عددا
من رجالاتهم بقوله " قالت المشائخ بتكفير النكار الفرقة الملحدة في الاسماء
واولهم عبد الله بن يزيد القزاري وعبد الله بن عبد العزيز وابو المؤرج عمرو بن محمد
السدي وشعيب بن المعروف وحاتم بن منصور ويزيد بن فندين وابو المتوكّل "
ثم استرسل في ذكر كثير من ارائهم التي نقصها عليهم وان لم يذكر منها شيئا
صالحا لتبرير ما ذهب اليه في تكفيرهم •

ويقول ابي اسحاق اطفئوا انهم سموا انكاثا لنكسهمبيعة الامام عبد الوهاب
وسموا نجوية لكثرة تناجيهم ليلة تامرهم على قتل الامام •

ولمزيد من الايضاح لتلك الوقائع المؤلمة بين ابن فندك والامام عبد الوهاب
ارجع الى الازهار الرياضية فقد توسع كثيرا في هذا الموضوع ولتري الحيلة التي
دبرها ابن فندك واتباعه لا تيال عبد الوهاب وكيف نجا منها وهو حيلة ان صحت
فهي اشبه ماتكون بحيل الصبيان السذج •

الفرقة الثانية : النفاثية

هذه الفرقة تنسب الى رجل يسمى فرجانه نصر النفوس ويعرف بنفسه باسماء المارغني نفاث بن نصر النفوس ويوصف بأنه كان على جانب كبير من الذكاء والشهم المجيب وكانت نفسه ميالة الى ان يتولى منصباً كبيراً في دولة امام الاباضية اطلع بن عبد الوهاب والذات ولاية قنطرار المنطقة التي يعيش فيها فرجان وحين خاب امه اخذ في انتقاد الامام اطلع علنا تكذب الامام الى اهل مملكته بمقاطعتهم وهجره وحين ضاقت على فرجان السبل ذهب الى بغداد واقام مدة ولكنه لم يطمع يطمح له المقام فرجع الى بلده وهنا تختلف الرواية عنه فحضرهم يرى انه تائب ومعضهم يرى انه كان يعمل في السر ضد اطلع .

واهم ما اثاره من آراء :

- انه انكر الخطيئة في الجمعة وقال انها بدعة .
 - وانكر ارسال الامام الجهاد لاخت الزكاة
 - وانه يرى ان ابن الاخ الشقيق احق بالميراث من الاخ لاب .
 - وان بيع المضطر بالبيع لا ينفذ . .
- وهناك انتقادات على اطلع بخصوصه وهي انتقادات شخصية . قد كفرهم المارغني بعد ان ذكر غير هذه الاقوال .

الفرقة الثالثة : الخلفية

من فرق الاباضية بالمغرب - الخلفية - هذه الفرقة تنسب الى خلف بن السمع بن ابي الخطاب عبد الاعلى المعافري كان جده اماماً للاباضية في المغرب ثم عين السمع واليا . من قبل امام الاباضية حينذاك عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثم توفي السمع فبادر الناس بتولية خلف دون استشارة الامام وبدأ يتصرف تصرف الولاة ولكن حين بلغت هذه الاحداث الامام عبد الوهاب رأى ان هذا التصرف

غير صحيح ولا يمكن التخلي عنه كتب الى خلف يلومه على تصرفه بتلك المجلة ويأمره باعتزال امر الناس، ولكن خلفا قد ذاق حلاوة الحكم فلم يمثل لامره وهنا بدأت الفتنة في الظهور وشارك كل واحد يعد الحدة للآخر ووقعت الحروب الطويلة بينهم التي انتهت بانتصار الامام وهزيمة خلف ونهائيه . هذا ما قاله علي يحيى معمر ويقول المارغيني عنهم " فليس بيننا وبينهم مسائل الا واحدة وهي قولهم لكل حوزة امام لا يعدوها الى غيرها وتلوا ضلالا بعيدا لخازنهم الاجماع ونقضهم ما سارت به الامة اجمعين " .

الفرقة الرابعة : الحسينية

أما الفرقة الرابعة من تلك الفرق فهي الحسينية وتنسب الى رجل يسمى احمد بن الحسين الاطربلسي ويلقب ابو زياد ظهر في القرن الثالث الهجري وبذلك امر ان له مؤلفات ولكن لم تعرف وقد امتزجت فرقته بفرقة اخرى تسمى العمديسية تنسب الى عبد الله بن مسعود وهي فرقة غامضة فيما يظهر ولهم بعض الآراء كقولهم بانه يسع الشخص جهل محرقة محمد عليه الصلاة والسلام - واباحوا الزنا واخذ الاموال لمن اكره على ذلك ليعتق بها ويغفر به محمد ذلك . وان حجة الله تنال بالفكر في دين الله اضطرابا . وقالوا بان الله لم يمه المشركين والبالغيين عن غير الشرك ولم يأمروهم بخير التوحيد فاذا وحدوا لزمهم جميع الفرائض ونهوا عن جميع المحاصي . . الخ ارائهم .

ولهم عند المارغيني اقوال اخرى غير هذه . وقد كفرهم ايضا .

الفرقة الخامسة : السكاكية

تنسب هذه الفرقة الى عبد الله السكاك اللواتي وهو من سكان بلدة قنطراو كان صائفا ماهرا وله المام واسع بالكتب فخالف الاباضية في مسائل كثيرة ووجد له اتباع

كثيرين • وكانت الاباضية تعامل اتباعه بأقصى المعاملة بحيث انهم كانوا اذا مات فيهم سكاكى ربحوا في رجليه حبلا ثم جرّوه الى حفرة فيلقى فيهم — دون صلاة ولا كفن • وقد حكموا على اتباعه بانهم مشركون وحضهم يقول بانهم منافقون وكانت لهم اراء في غاية البعد والسقوط منها :

— انهم انكروا السنة والاجماع والراى — وزعموا ان الدين يفهم من القسran
نحسب •

— ويقولون بان صلاة الجماعة بدعة •

— ويقولون بان الاذان بدعة فاذا سمعوه قالوا نهى الحمار

— ويقولون لا تجوز الصلاة الا بما عرف تفسيره من القرآن •

واخيرا تاتى الفرقة السادسة من فرق الاباضية بالمغرب وهى فرقة الفرشية وتنسب الى عالم من علماء الاباضية وهو ابوسليمان بن يعقوب بن اقلح كان بيته بيت علم وفتوى وقد انفرد اوخرج عن جمهور الاباضية ببعض الاراء التى جرت عليه — نعتهم ومن هذه الاراء انه كان يرى ان الزكاة لا ينشئ اخراجها عن قرابة المزكى وان اكل الجنين لا يجوز وحرم دم المروق ولو بعد غسل مكان الذبح وكان يرى بان عرق الجنب والحائض نجسان •

ومع ان مؤرخى الفرق يعدون هذه الفرق الست من الاباضية فان على يحيى

معمر قد نفى كونها من الاباضية ونفى ان تكون بعضها مجرد فرقة بل هم عند اناس غضبوا على الحاكم فخرجوا عنه كما يخرج غيرهم عن حكمهم بينما المارغينى منهم يقول بعد نهايته لهشهم :

” وهذه فرق ست من الاباضية قد بينا ما الحدوا فيه ولم يقصدوا “ (١)

(١) راجع فى بحث تلك الفرق مخطوط المارغينى فى افتراق فرق الاباضية الست

بالمغرب ص ١ — ٧ • وانظر كتاب الاباضية بين الفرق ص ٢٥٨ — ٢٧٨ وانظر

تعليق ابى اسحاق اطفيش على كتاب الوضع للجناونى • وانظر كتاب الازهار

الرياضية ج ٢ ص ١٤٨ — ١٥٢ ١٦٧ — ١٧٤ ١٠٢٤ — ١١٢ وكذا ص ٢٠٦ •

المجاردة :

تنسب المجاردة الى رجل يسمى عبدالكريم بن عجرد وقد اختلف في هدا أمره فذهب الاشعري والهندادى الى انه كان من أصحاب علي بن الاسود الحنفى (١) .

وذهب صاحب كتاب الاديان (٢) الى انه ينسب الى رجل يسمى ابي سعيد ثم خالفه وذهب الشهرستانى (٣) الى انه - على قول - كان من أصحاب ابي بيهم ثم خالفه . ويذكر بعضهم انه كان من اهل بلخ .

والمجاردة او العجاردة كما يسميها الملطى (٤) فرقة من فرق الخوارج الكبيرة وقد انقسمت فيما بينها الى فرق كثيرة اختلف اهل المقالات في عددهم لكنهم تفرعهم وكان تجمعهم في منطقة غراسان وهم أكثر الخوارج بها .

ونرقمهم اجمالاً عند الاشعري (٥) خمس عشرة فرقة بما في ذلك الفرق الفرعية للشمالية احدى فرق المجاردة وهي الفرقة الاولى منهم / الميمونية / الخلفية / الحمزية : الشيبية / الخازمية / الملوونية / المجهولية / الصلتية / الشمالية / الاخنسية / المهدية / الشيبانية / الرشيدية / المكرمية .

(١) انظر مقالات الاشعري ج ١ ص ١٢٧ / ١٢٨ - الشرق بين الفرق ص ٩٣ / ٩٤

(٢) كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨

(٤) التنبيه والرد ص ١٦٨

(٥) المقالات ج ١ ص ١٢٧ / ١٨٢ .

أما عند الهندادى (١) فهي عشر فرق • وزاد الشهرستانى (٢) على
الاشعرى فذكر فرقة تسمى الاطرائية منفصلة عن الحمزية •

وعند الدبسى (٣) عشر فرق الا انه سعى الصلتية المصلية ولم يكفر من
تلك الفرق الا الشيعانية وذلك لانهم قالوا بالجهر ونفى القدرة الحادثة كالجهرية •
وقد جعل ابن حزم (٤) المجاردة فرقة من الصغرية وذكرها غيره بانها فرقة
قائمة بنفسها انشقت عن العطوية او البهية كما تقدم • وفيما يلى تقدم تعريفها
موجزا بفرق المجاردة السابقة •

الفرقة الاولى منهم ذكرها الاشعرى وذكر لها رايا واحدا في الاطفال
وهوانهم " يزعمون انه يجب ان يدعى الطفل اذا بلغ وجب البراءة منه قبل ذلك
حتى يدعى الى الاسلام ويصفه هو " (٥) •

٢ — الميمونية : وهم اتباع ميمون بن خالد كان من المجاردة وهو من اهل
بلخ كما ذكر الاشعرى وقد خرج ميمون عن المجاردة بسبب موته الى القدرية
وقوله بان خير العبد وشره من نفسه • " واثبات الفعل المبد خلقا وابداعا •"
ووافقهم في الاستطاعة وقال بانها تكون قبل الفعل وفي الارادة ايضا فقد قال

(١) الفرق بين الفرق ص ٩٤

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠

(٣) رسالة الدبسى ص ٣١

(٤) الفصل ج ٤ ص ١٩٠

(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٧٧ •

بأن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر وأنه لا يريد معاصي العباد ولا مشيئة له في ذلك . وقد كفرهم علماء الفرق لما عرف عنهم من اقوال تخرج صاحبها عن الاسلام كاستحلالهم نكاح ذوات المحارم وانكار سورة يوسف انها من القرآن (١)

٣ — الخلافة : وهي الفرقة الثالثة من فرق المجاردة قال الاشعري انهم " اصحاب رجل يقال له خلف " قال الشهرستاني " الخلافة اصحاب خلف الخارجي وهم خواج کرمان وکرمان " (٢) .

٤ — الحمزية : تنسب هذه الفرقة الى رجل يسمى حمزة بن اكرک او ادرك كما يقول الشهرستاني ظهر سنة ١٢٩ في خلافة هارون الرشيد وطلب على خراسان وسجستان وکرمان وقهستان وکرمان وكان له اتباع كثيرون وكان له معارك عنيفة مع بعض فرق الخواج وهزم الجيوش هات في الارض فسادا لا يقف في طريقه احد الا استحل دمه فخانته الناس وكانوا على وجل منه . فكان كلما ارسل اليه جيش لمحارته هزمه الى ان انتصب لحربه والى خراسان علي بن عيسى بن ماديان فنصره الله عليه وقتل من غواده ستين قائدا سوى اتباعه فانهمزم الى سجستان ومنهمسا الى نهر شعبه ثم بسط نفوذه على خراسان وکرمان وقهستان وسجستان الى ان تمكن المامون من اخماد الثورة التي كانت تشغله فكتب الى حمزة كتابا يدعوه فيه الى الدخول في طاعته فتعاطم حمزة هذا الامر واستكبر فارسل اليه المامون قائده الشجاع طاهر بن الحسين فدارت بينهم معارك رهيبة انهزم في نهايتها حمزة وهرب الى کرمان ثم عاد طاهر بن الحسين فطاع حمزة حينئذ في استعادة ملكه وخرج بجيشه من کرمان ولكن الله قيظ له والى نيسابور عبد الرحمن النيسابوري حيث خرج اليه

(١) انظر كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤ — مقالات الاشعري ج ١ ص ١٢٨ — الفرق

بين الفرق ص ٢٨٠ — الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

(٢) انظر كتاب المقالات ج ١ ص ١٢٢ — الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠

في عشرين الف مقاتل فنهزمه وقتل أكثر جيشه فنجوا حمزه من هذه المعركة مستخفيا
بنفسه حيث مات بعد ذلك فاستراح منه الناس وتفرق من بقي من أتباعه *

يقول الملطى عن فرقة الحمزية :

" واما الفرقة الثامنة فهم الحمزية يقولون بكل قول الحرورية غير انهم لا يستحلون
اخذ مال احد حتى يقتلوه فان لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال
شيئا دون ان يظهر صاحبه فيقتلوه * فاذا قتلوه حينئذ استحلوا ماله قد جعلوا
هذا شريعة لهم " (١) وكانهم يبنون استحلالهم للمال بعد قتل صاحبه
على انه غنيمة حربية * ويقول عنهم الديلمي " الفرقة الثانية من المجاراة الحمزية
يجب تكفيرهم لانهم والقوا الميمونية الا انهم قالوا اطفال الكفار في النار " (٢)

ومن الحمزية فرقة تسمى الاطرافية ورئيسهم يسمى غالب بن شاذك السجستاني
وقد سماوا الاطرافية نسبة الى مذهبهم القاضى بمحذر اهل الاطراف في ترك ما لم
يمرغوه ولو كان من صميم الشريعة اذا فعلوا بحقولهم ما يوجب العقل من الامور (٢) *

٥ — الشعيبية : هذه فرقة صغيرة تنسب الى رجل يسمى شعيب

بن محمد كان من جملة المجاراة الا انه خرج عنهم حين قال بالقدر ووافق
القدريه وقد كفرهم الديلمي ايضا كسابقتها *

(١) انظر مقالات الاشعري ج ١ ص ١٧٧ / الفرق بين الفرق ص ٩٨ / ١٠٠ /
الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩ — التنبيه والرد ص ٥٦ — رسالة الديلمي
ص ٢٩ *

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠ — رسالة الديلمي ص ٣٠

٦ - الخازمية : يسميها الاشعري الخازمية بالخاء • وشله الهندادي

ويسميها الشهرستاني الخازمية وهم اتباع حازم بن علي وهم اكثر عجاردة سجستان وقد كفرهم الدبسي في وكانوا يعتقدون في اقدربالاثبات كاهل السنة
وهان الولاية والعداوة من صفات الله الذاتية • وقالوا بان الله يتولى الشخـص
بحسب ما يصير اليه بعد موته •

٧ - ٨ المعلومية والمجهولية : هاتان الفرقتان كانتا من الخازمية ثم

انفصلت عن الخازمية لاراء احدهما ثم انفصلت كل منهما عن الاخرى وكفـرت
احدهما الاخرى في مسألة معرفة الله بجميع اسمائه فالمعلومية ترى " ان من
لم يعرف لله تعالى بجميع اسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر " بينما ترى
المجهولية ان " من عرف الله ببعض اسمائه فقد عرفه " وهذا كفرت المعلومية (١) -

٩ - الصلتية : اختلف اهل المقالات في اسم زعيم هذه الفرقة

فهو عند الاشعري والشهرستاني عثمان بن ابي الصلت وهو عند الهندادي " صلت
بن عثمان وقيل صلت بن ابي الصلت " •

وهو من العجاردة الحمزية ولكنه خرج عنهم بما قرره من اراء تخالفهم •

وفرقتة عند اهل المقالات تسمى الصلتية ولكن المطلق سماها الصليدية
وسماها الدبسي الصلبة ثم كفرها • يقول المطلق عن هذه الفرقة " والفرقة التاسعة
الصليدية من الحمزية ايضا يقولون بقول الحرورية والحمزية ويقتلون ويستحلون الاموال
على الاحوال كلها وهم اشر الخوايج واقد رهم واكثرهم فسادا ولهم عدد وجمع بناحية
سجستان ونواحيها " (٢) •

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٨ / ١٧٩ - الفرق بين الفرق ص ٩٤ / ٩٥ / ٩٧ - الملل

والنحل ج ١ ص ١٣١ / ١٣٣ - رسالة الدبسي ص ٢٩

(٢) انظر مقالات الاشعري ج ١ ص ١٧٩ / التنبيه والرد ص ٥٧ / رسالة الدبسي ص ٣٠
الفرق بين الفرق ص ٩٧ - الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

١٠ — الشمالية : الشمالية فرقة من المجاردة ولكنها انفصلت عنها

بزعامة شميلة بن مشكان كما سماه البندادي والشهرستاني سماه شميلة بن عامر
وسبب انفصال شميلة عن عبد الكريم ان رجلاً خطب بنت شميلة ليان المهر وقيل
ان يخبره الخاطب بالمهر ارسل امراة لتري الهنت هل هي بالغ محترفة بالاسلام
على الشرط المطلوب ام لا . فقالت امها للمرأة هي مسلمة سواء بلغت ام لا وتطهر
الامر الى ان بلغ عبد الكريم بن عجرد شميلة كان راي عبد الكريم ان من كان
دون البلوغ في حكم الهراة الى ان يبلغ فيقر بالاسلام . حينئذ تتم ولايته والا فيتبرأ
منه . ولكن شميلة خالفه وقال نحن على ولايتهم صفارا وكبارا الى ان يتبين امرهم
واشتد بينهما النزاع حتى تبرأ كل واحد من الآخر وانفصل كل واحد بمن واقفه
عن الآخر وصارت الشمالية فرقة پرأسها . وقد انقسمت هذه الفرقة ايضا الى الفرق
الاتية :

الفرقة الاولى : الاخنسية : وينسبون الى رئيسهم الاخنس بن قيس وقد

خرج عن قول الشمالية حين توقف عن جميع من في دار التقية من متحلي الاسلام
واهل القبلة وحرّم الاغتيا ل والقتل قبل الدعوة فبرئت منهم الشمالية . (١)

الفرقة الثانية : المعهدية : تنسب هذه الفرقة الى رجل يسمى معبد بن

عبد الرحمن وكان من الشمالية ثم من الاخنسية ولكنه خالف الشمالية والاحنسية فبرئت
منه كلا الفرقتين خالف الشمالية في تجويزه اخذ زكاة عبيدهم واعطاهم منها
اذا افتقروا وخالف الاخنسية في الخطأ الذي وقع له في تزويج المسلمات من مشرك

(١) المقالات ج ١ ص ١٨٠ — الملل والنحل ج ١ ص ١٣١/١٣٢ — الفرق

بين الفرق ص ١٠٠/١٠١ .

وهذه عبارة الشهرستاني ولم يذكر غيره ان الاخنس جوز تزويج المسلمين من المشركين (١)

الفرقة الثالثة من الثعلبية : الشيعانية :

تنسب هذه الفرقة الى شيان بن سلمة خرج في ايام ابي مسلم الخراساني فاعانه شيان وناصره في حربه وناصر ايضا على بن الكرمانى على نصر بن سيار وكسان من الثعلبية . فعند ذلك برئت منه الثعلبية وقالوا انه قتل المواتقين لنا في المذاهب واخذ اموالهم فادعى قوم من الثعلبيات شيان قد تاب ولكن الزيدية من الثعلبية اتباع زياد بن عبد الرحمن رفضوا توبته بحجة انه ذنوبه كانت من عالم المعبود التي لا تسقط بالتوبة ثم انقسموا فيه فمن قبل توبته صار شيانيا قال بقوله ومن رفضها برى منه (٢)

الفرقة الرابعة : الرشيدية او العشرية

وهم ينسبون الى رشيد الطوسي الذي خرج عن الثعلبية حين اصر على ان زكاة ماسق بالانهار والقنى العشر نهرت منهم الثعلبية وسموهم العشرية وكان الذي اتقيا بها العشر هو زياد بن عبد الرحمن وكان تقيه الثعلبية ورئيسهم وكانت له فرق تسمى الزيدية وهم اعظم الثعلبية واكثرهم عددا .

اما الفرقة الخامسة والاخيرة من الثعلبية ومن المجاردة ايضا : المكرمية

تنسب هذه الفرقة الى رجل يسمى مكرم بن عبد الله الحجلي كما قال الشهرستاني وسماه الاشعري وابن حزم ابي مكرم وكان ثعلبيا الا انه تفرد عنهم بآراء نهرت منه الثعلبية عند ذلك (٣)

(١) و (٢) المقالات ج ١ ص ١٨٠ / ١٨١ - الفرق بين الفرق ص ١٠١ / ١٠٢ - الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢

(٣) انظر المقالات ج ١ ص ١٨١ / ١٨٢ وانظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢ / ١٣٣ وانظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩١ .

البيهسية :

وهي احدى الفرق الرئيسية للخوارج وتنسب الى ابي بيهس وقد اقتصر الاشعري وابن حزم وصاحب ابانة المناهج على هذه الكيفية ولكنه عند البغدادى هيصم بن عامر وعند الشهرستاني بن جابر وهو واحد بنى سعد بن ضبيعة • واما الملقب فيسميه هيصم ابن بيهس بن عامر وهو خلط في الاسم ويسميه محمد رشيد رضا بيهيسى بن جابر وعند صاحب كتاب الاديان الهيفم بالضاد بن جابر • وقد احدث امورا غريبة عليه الحجاج بسببها وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك فطلب الحجاج ابا بيهسى فهرب الى المدينة فطلبه به عثمان بن حيان المني فظفر به فاردعه السجن وكان له علاقة وصحبة وسامرة مع عثمان ولكن هذه الصحبة فقدت عندما جاء الامر من الوليد بقطع يدى ابي بيهس ورجليه ثم بقتله بعد ذلك • فنفذ عثمان هذا الامر وقتل بابى بيهس تلك المثلة المنكرة ثم قتله •

يقول صاحب كتاب الاديان عنه انه " ابتدع اشياء لم يتدعها احد قبله منها انه استحل الهدي قبل محله والله سبحانه وتعالى يقول " يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد " (المائدة : ٢) • ولم يزل بهم الشيطان حتى استحلوا نكاح المجوس ما لم يستحله احد ممن مضى • واستحل اكل كل ذي مخلب من الطير وذي ناب من السباع • وذهب الى قوله تعالى " قل لا اجد في ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير " وما سوى ذلك عنده حلال التي ان يقول : " ومن عجايبه ان الامام اذا كفر كفرت الرعية الشاهد منهم والشائب • الخ ما حكاه عنه " (١) •

قد قال الدبس بان " الفرقة الثانية من الخوارج البهسية يجب تكفيرهم لانهم وافقوا القدرية في اسناد افعال الجهاد اليهم " (١)

قد جعل الاشعري ومثله الشهرستاني والبغدادي صاحب كتاب الاديان والملطى (٢) هذه الفرقة من فرق الخوارج الرئيسية ولم يعزوها الى احدى الفرق ولكن ابن حزم يقول فيهم " وهم من فرق الصفرية " (٣) ولكن الاكثرية على خلافه كما هو ظاهر .

الصفرية :

هذه الفرقة الخارجية تنسب الى زياد بن الاصفر عند الاشعري (٤) والبغدادي (٥) والشهرستاني (٦) صاحب كتاب الاديان (٧) وغيرهم .

وقد ترجم لهم الشهرستاني باسم الصفرية الزيادية وقد نسبهم الاشعري في قول ضعيف فيما يظهر الى عبدة وهو شخص لم يوضحه قال انه " كان ممن خالف نجده ورجع من اليمامة " . فحينما كتب نجدة الى اهل البصرة وجاء الكتاب قرئ عليهم وكان هناك ابن ابي عبدة هذا فاختلفوا بسبب ما جاء فيه نحو

(١) رسالة الدبس ص ٢٦

(٢) المقالات ج ١ ص ١٩١ - الملل والنحل ج ١ ص ١٢٥ - الفرق بين الفرق ص ١٠٨

وانظر ابانة المناهج ص ١٥٥ - الاعتصام ج ٢ ص ٢١٤

(٣) الفصل ج ٤ ص ١٩٠

(٤) المقالات ج ١ ص ١٨٢

(٥) الفرق بين الفرق ص ٩٠

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧

(٧) قطعة من كتاب في الاديان والفرق ص ١٠٤

مخالفيهم اذ كان يرى ابن ابي ان مخالفيهم كفار نعمة وكان عبدة يــــرى
أن مخالفيهم مشركون السيرة فيهم السيرة من اهل حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذين حاربوا من المشركين * .

اما الملطي فقد خلط رحمه الله في نسبة هذه الفرقة وفي اسم زعيمها بما خالف
به كل من كتب عن الصفورية فهو يقول عنهم " الصفورية وهم اصحاب المهلب بن ابي صفرة
خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب فقاتلوا الحجاج ولم يؤذوا الناس ولا كفروا
الامة ولا قالوا بشي " من اقوال الخوارج الذين تقدم ذكرهم حتى هزمهم الحجاج
وابادهم ودخل يزيد في طاعته بعد ذلك * (١) .

فنسبة هذه الفرقة الى المهلب بن ابي صفرة غير صحيح اذا كان المهلب من
اعدى اعداء الخوارج وهو الذي قتل بهم فتكا ذريعا في عدة معارك رهيبة ، وقد عاد
الملطي بعد عدة صفحات من قوله هذا فقال " ومنهم صنف يقال لهم الصفورية
سموا بعبدة بن الاصغر * (٢) . ولعل هذا هو الذي اشار اليه الاشعري .

وقد قدمنا انه كان لهذه الفرقة دولة في المغرب ظهرت بسبب وصول عكرمة
مولى بن عباس فكان يدعو الى ذلك المذهب فتأثر البربر كثيرا به اذ كان هو منهم
ايضا وفيهم طبعاتهم وما ينسجم معهم ليكون ادعى لقبولهم .

وقد أنشأ حلقة تدريس في مسجد القيروان وتركه بنوا امية يميل ظاهرا في الحياة
العامة ما يدل على ان دعوته كانت سرية والا لما تركوه يواصل تدريسه . ثم اخذت
الدعوة تنتشر بكثرة الدعاة حتى شملت كثيرا من البربر * (٣) .

وقد نسب ابن حزم اليهم (٤) فرقة الفضيلية وهي الفضيلية عند الاشعري (٥)

(١) التبيين والرد ص ١٠٥

(٢) المرجع السابق ص ١٦٢

(٣) الخلافة والخوارج في المغرب ص ٢٨ / ٢٩ - وانظر ابانة المناهج ص ١٥٥ ورسالة
الدبس ص ٢٧

(٤) الفصل ج ٤ ص ١٩٠

(٥) المقالات ج ١ ص ١٩٢

ومن اقوالهم ان من "ألفظ بقول وهو يريد به خلافه في قرارة نفسه فانه لا يكفر
ولو كان هذا الكلام الذي اضمر المقصود منه يؤدي الى الكفر في حقيقته .
وقد بين الملطي اسم صاحب هذه الفرقة بانه يسمى فضل او فضيل كما قال
بعضهم .

هذا وفي نهاية بيان تلك الفرق المشهورة احب أن اذكر ان هناك فرقا صغيرة
لم يهتم اصحاب المقالات بها اهتماما كبيرا ولم ينسبوها الى احدى الفرق المشهورة
وهي :

١ - الحسينية : يقول الاشعري عنها فيما يحكيه عن اليمان بن رباب * وذكر

أن صنفا منهم يدعون الحسينية ورؤسهم رجل يعرف بابي الحسين ^(١) * ولمنع

يقصد بها فرقة الحسينية التي ظهرت في المغرب .

٢ - البدعية : قال الشهرستاني * البدعية اصحاب يحيى بن اصدمة * (٢) وكان من

اعتقادهم انهم من اهل الجنة قطعا من قال ان شاء الله فهو شاك بل يجب

القطع بانهم من اهل الجنة كما يزعمون لانفسهم .

٣ - الجسعدية : قال الملطي * ومنهم الجسعدية : وانما سمو بمسلم بن الجسعد

وكان من اهل الكوفة * (٣) .

٤ - التغلبية قال الملطي ايضا عن هذه الفرقة * ومنهم التغلبية سموا بتغلب راسهم ^(٤)

(١) المقالات ج ١ ص ١٩٨

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤

(٣) التنبيه والرد ص ١٧٠

(٤) التنبيه والرد ص ١٦٨

٥ - وذكر فرقة اخرى تسمى العززية فقال " ومنهم العززية سموا براسهم بن عزرة * .
٦ - وذكر ايضا فرقة لم ينسبها الى احد وهى السرية فقال " ومنهم السرية * .
وقد ذكر الملقى ايضا فرقة سماها النجرانية ولم ينسبها الى احد ولعلها
فرقة شبيب النجراني * وقد ذكر لهذه الفرقة سببا قال بانه كان من اسباب تفرقهم
وتكفير بعضهم بعضا وهو سبب تافه بل من اتفه الامور واحقرها حيث قال " ومنهم
النجرانية اغترقوا فى امرأة يقال لها ام نجران - ولعل الملقى نسب هذه الفرقة
اليها غير ان المتبادر الى الذهن نسبتها الى شبيب لشهرة فرقة - هاجرت الى بعض
خوارجهم فتزوجت رجلا فى المهجرة بالبصرة من قوسها ثم استخفت فتزوجت رجلا
من اصحابها سرا ثم ظهر عليها زوجها الاول من قوسها فقربها اليه فتبرا منها
بعضهم وتولاها بعضهم وكفروا من خالفهم بعضهم بعضا * (١) .

وهكذا على هذا السبب يبلغ بهم التناحر والعداء فان لم يكن قد تحامل
عليهم الملقى فهم حقا جديرون بكل ما قيل فيهم من ذم .

وذكر صاحب كتاب الاديان فرقة تسمى الاعسمية نسبة الى رئيسهم زياد بن
الاعسم وكان من امره انه خرج غاضبا على الازارقة والنجدات والعطوية على احداثهم
التي احدثوها والتي راي انهم استوجبوا بها البراءة منهم (٢) .

هذا هو الوضع التاريخى لفرق الخوارج الاصلية والفرعية قدمناه امام
عرضنا لارائهم ومناقشاتنا لها فى الباب التالى ان شاء الله .

(١) التنبيه والرد ص ١٦٨

(٢) قطعة من كتاب فى الاديان والفرق ص ١٠٢/١٠٣

الفصل الثامن

خصائص الخمس وأرج

للخوارج من الخصائص الدينية والخلقية والعقلية ما يميزهم عن غيرهم من الفرق وهي خصائص تعد من الظواهر التي تعم مجموعهم • ويتميز فيها الأفراد منهم •

ونحب ان نعرض في هذا الفصل لبيان اهم الخصائص مع ذكر بعض الامثلة والشواهد عليها •

أ - شجاعتهم وسرعة اندفاعهم :

لقد بلغ الخوارج القمة في الاقدام على الموت في ساحات القتال لا يهابون بطش احد ولا يقف دون غضبهم حاجز وقد اشتهروا شهرة لا يخطئها مطلع على احوالهم في مجال الشجاعة النادرة والاستبسال في الممارك • وقد ساعد على شجاعتهم النادرة وجود العدد الكافية من خيل جياد واسلحة تامة ذلك انهم كانوا سرعى الاغارة والتحرك من مكان الى مكان فكانوا يتخبرون ركوب الخيل الجياد وأعتقد ان تلك الشجاعة وذلك الاستبسال لوجه وجهة صحيحة لكان له أثر بالغ في مجرى التاريخ فكانوا جنودا عالمين في نشر الفتوحات الاسلامية بدلا من حربهم للمسلمين واضاعفهم لقوة الدولة الاسلامية وكذلك لوعمل الخوارج معاملة حسنة بالصبر والحكمة اخفت تلك الثورة العنيفة • ولكن موقف الحكام تجاههم كان موقفا عنيدا زاد الطين بلة • فلوعولجوا ببعض الحكمة والرافة لقل او لربما انعدمت تلك الممارك التي ذهب ضحيتها الاف البشر مما لا يحصيهم الا الله • وهذا يذكرنا بموقف يزيد بن عبد الملك حين ارسل الى الخارجى عقنان اخاه يستعطفه حتى رده عن خروجه فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاه امر العصاة تقدم ابنه من خراسان غاضبا فشدته وثاقا ومحبته الى هشام فاطلقه لابييه وقال لو خاننا عققنا لكتم امر ابنه واستعمل عقنان على الصدقة فبقى عليها الى ان توفي هشام * (١)

فبنوا أمة محد هم بنو العبلس لو كانوا قد سلكوا معهم مثل هذا المسلك
لتغير الوضع بالنسبة لهم او لم يكن على اقل تقدير يثمل ماكانوا عليه من الحدة والعنف
ولكنهم كانوا لا يراعون في الخوارج الا ولا ذمة يقتلونهم قتلا تقشعر منه الجلود
مستعملين في ذلك كل ما استطاعوه من بطش وارهاب ضد هم * ومن هنا جاش غضب
الخوارج اضافة الى ماكان في اعتقادهم من أن المجتمع قد فسد * والحكام قد خرجوا
عن طاعة الله وتحكيم كتابه فاطاعوا الشيطان وخرجوا عن حكم الله كما كانوا يتصورون
فكانت شجاعتهم واستبسالهم امرا طبيعيا ازاء هذه الاوضاع .

يقول عنهم ابن عبد ربه " وليس في الفرق كلها واهل الهدى اشد بصائر من
الخوارج واكثر اجتهادا ولا اوطن نفسا على الموت فمنهم الذي طمن فانفسه
الرمح فجعل يسمى الى قاتله ويقول وهجت اليك ربي لترضى * (١) .

ويقول ابوزهرة عن شجاعتهم والسر فيها كما يرى * ولم تكن الحماسة والتمسك
بظواهر الالفاظ وحدها ما امتاز به الخوارج بل هناك صفات اخرى منها حب الفدا *
والرغبة في الموت والاستعداد للمخاطر من غير داع قوى يدفع الى ذلك ورسم
كان منشأه هوسا عند بعضهم واضطرابا في اعصابهم لا مجرد الشجاعة * (٢) .

هذا ما قاله ابوزهرة رحمه الله وهو يصدق عليهم ككل بينما نجد ان من
الخوارج من كان مشهورا بالثبات والاستبسال في الساعات الحرجة ولهم في هذا مجال
واسع وقصص مشهورة كما نرى في القصة الاتيقاتي يذكرها ابن الجوزي * عن الربيع
قال كنت قائما على راس المنصور اذ اتى خارجي قد هنم له جيوشا فاقامه ليضرب عنقه
ثم قال له يا ابن الفاعلة مثلك يهنم الجيوش فقال له الخارجى وملك وسوءة لك بينى
ومينك امس القتل والسيف واليه القذف والسب وما كان يعومك أن ارد عليك وقد
يئست من الحياة فلا تستقبلها ابدا فاستحى المنصور منه واطلقه * (٣) .

(١) المقعد الفريد ج ١ ص ٢١٩

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٦٦/٦٧

(٣) الاذكياء ص ١٤١

ولقد أكثر شعراء الخوارج من التمدح بالشجاعة والاستبسال في محاربة
مخالفهم الذين يسمونهم بذي الجمائل تعبيرا لهم بانهم لا يجاهدون فسى
سبيل الله وانما يجاهدون لاجل الجمل الذي يقدر لهم وان الفرق بينهم وبين
مخالفهم يتمثل في صدق الجهاد والنية الخالصة لمرضاة الله فينبغي ان هذا
البون الشاسع من البعد وسنأتي هنا بنماذج من شعرهم لتتضح الصورة التي يريدون
المهامها للناس .

قال عيسى بن فاتك الخطي يصف حملة الخوارج على جيش الخلافة بقيادة
عبد الله بن رباح الانصارى وكان معه من الجيش ما بلغ الالفين بينما كان الخوارج
اربعون رجلا يتزعمهم ابو لال بن مرداس . ومع ذلك فقد انهزم جيش الخلافة
وولوا هاربين من الخوارج فقال عيسى :

فلما أصبحوا صلوا وقاموا	الى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم	فظل ذو الجمائل يقتلوننا
بقية يومهم حتى اتاهم	سواد الليل فيه يراخوننا
ألفا مؤ من فيما زعمتم	ويهزمهم بأسك ارحموننا (١)

الخ القصيدة .

ويقول عمرو القناني وصف الخوارج :

(١) شعراء الخوارج ص ٥٤

القائلين اذا هم بالقنا خرجوا
عادوا فعادوا كراما لا تنابله
في غمرة الموت في حوماتها عودوا
عند اللقاء ولا رعين رعاد يسد (١)
لاقوم اكرم منهم يوم قال لهم
محرض الموت عن احسابكم ذوندوا

ولهم في هذا المعنى ما لا يمكن استقصاءه وكله مدح وثناء على شجاعتهم وسيرهم
وطلبهم للشهادة في سبيل الله كما يتصورون .

ومن الامثلة المشهورة في ذكر شجاعتهم قول قطري بن الشجاعة :

اقول لها قد طارت شعاعا
فانك لو سألت بقاء يوم
من الابطال ويحك لن تراعى
على الاجل الذي لك لم تطاعى
فصبرا في مجال الموت صبرا
ولاثوب الهاء بثوب عـز
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوى عن اخ الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حـى
فداعيه لاهل الارض داع (٢)

ويقول ابن كثير فيهم " وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم انهم متقربون
بذلك فهم لا يصطلى لهم بنار ولا يطمع في ان يؤخذ منها بشار " (٣)

نعم . . . انهم بلغوا في الشجاعة مبلغا عظيما ولكنها كانت شجاعة غير محسودة
اذ ان تلك الشجاعة قد جرتهم الى ارتكاب افظح الجرائم واشنعها بمخالفهم .

(١) المرجع السابق ص ٨٩

(٢) انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٠

(٣) البداية والنهاية ص ٢٨٧ ج ٧

قد اشتهروا بسفك الدماء دون تورع فكانوا يستعرضون النصارى بالطرق
وفى اماكنهم فلا يسلم منهم أحد وقد اكر المؤرخون ايزاد شواهد تسمئز منهم
النفس ويقشمر الجلود يقتلون الرجال والنساء والاطفال ويعقرون الدواب ويشقون
اجواف الحبالى فلا يسمعون لقول ولا يلينون لترحم • فعندما كان الخوارج يسيرون
الى حرب خصوصهم من جيوش الخلافة " اخذوا رجلا اسمه ^{ابن} يزيد معه بنت لـه
فاخذوها ليقتلوهما فقالت لهم يا اهل الاسلام ان ابى مصاب فلا تقتلوه • واما انا
فجارية والله ما اتيت فاحشة قط ولا اذيت جارة لى ولا تطلمت ولا تشوفت قط • فلما
ارادوا قتلها سقطت ميتة فقاموها باسيافهم وفى سماك معهم حتى اشرعوا على
الصراة فاستقبل اهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل حيث فخرسوا
عنقه وصلوه " (١) • فهذه جارية بريئة تتلطف اليهم فى ذل وخضوع ولكن
دون جدوى ولقد كان من تاريخهم المشين ان الزبير بن الماحوز حينما اتى المدائن
قام هو وأتباعه بمجازر هيبية فقد " شنوا الفارة على اهل المدائن يقتلون الرجال
والنساء والولدان ويشقون اجواف الحبالى واقبلوا الى ساباط ووضعوا السيف فى
الناس يقتلون " (٢) • من هذا يتبين ان الخوارج كانوا متعطشين فى حروبهم
للقتل فحينما يخرجون من مكان يخرجون وكانهم بركان ثائر لا يفرقون بين مستحق
للمقومة وغير مستحق لانهم كانوا يرون ان جميع مخالفهم لا وزن لدمائهم حيث
تركوا سنة الهدى واتبعوا حكاهم الظلمة كما عبر عن هذا حيان بن ظبيان بحسب
اصحابه على الخروج فى كلمة له زهدهم فيها فى الحياة ثم قال لهم : " فانصرفوا
بنا رحكم الله الى مصرنا فلنا اخواننا فلندعهم الى الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والى جهاد الاغزاب فانه لا عذر لنا فى القعود وولاتنا ظلمة وسنة الهدى

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٨٤

(٢) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٢٨٣

متركة (١) الخ . . فواقوه وخرجوا مقبلين الى الكوفة وكان اسعدهم من ظفر بصيد من مخالفيه يقتله قربة الى الله يزعمه وجهادا في سبيله لاعلاء كلمة الله وهذا من اعجب ما في الانسان من تناقض .

ومن الشنائع التي تروى ايضا في شدتهم على مخالفيهم وغلظ قلوبهم عليهم ما يروى عنهم من انهم اخذوا امرأة فقتلوا اباهما بين يديها وكانت جميلة ثم ارادوا قتلها فقالت اتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مهين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنك ثم قدموها فقتلوها . (٢) .

وكما اشتهر رجالهم بالشجاعة اشتهرت نساؤهم كذلك فاشتهرت عدة منهم بمواقف عجيبة في الثبات كانت المرأة يوءى بها اسيرة حتى يقف بها امام الحجاج ذلك الجبار المخيف فلا تخضع له بل ترى وكأنها غير مكتثرة به .

لقد كانت غزالة الخارجية مضرب الامثال ولقد عير بها الحجاج ف قيل فيه :

اسد على وفي الحروب نعامة	رياء تجفل من صفر الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى	ام كان قلبك في جناحي طائر

وذلك حينما نذرت ان تدخل مسجد الكوفة وتصلى فيه ركعتين وقد تم لها ذلك فدخلت المسجد في مائتين من نساء الخوارج متقلدات السيوف مفتلات الرماح وكان الحجاج قد اقفل ابوابه وجلس ينتظر ما ياتي به القدر ولم يعد ذلك الجبار العنيد الى ان ذهبت غزالة (٣)

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٧٣ / ١٧٤

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦٤

(٣) راجع الفرق بين الفرق ص ١١٣

ولقد صدق المسمودي حين قال فيها * وكانت الخزاة من الشجاعة
والفرسية بالوضع العظيم وكذلك ام شبيب (١) * ومن اعجب المواقف الثابتة موقف
ام علقمة هذه المرأة جي * بها اسيرة امام الحجاج فلم تلتفت اليه ولم تستمع لكلامه
فاستغرب الحاضرون هذا الاعراض منها فقيل لها * الامر يكلمك يا ام علقمة
وانت لاتنظرين اليه ؟ قالت اني لاستحى ان انظر الى من لا ينظر الله اليه
فامر الحجاج بقتلها * ثم جي * باخرى فقال لها الحجاج * والله لاحصد نكس
حمدا * فقالت الله يزرع وانت تحصد فابن قدرة المخلوق من الخالق * (٢) *
وهذا الجواب قلما يخطر على البال في ذلك الموقف الذي يتلوه الحاكم فيه
غيظا والسيوف تلمع من حوله ولكنها الشجاعة والاستهانة بالموت * ومنهن ايضا
كحيلة وقطام فكانتا محاربتين بارعتين * ولما اشتد على جيوشاين عامر وقصصها
جعلوا يعمرون جيش الخوارج ويصيحون بهم يا اصحاب كحيلة وقطام يمرضون
لهم بالفجور فيجيبهم الخوارج كما يقول المبرد * بالدفع والردع ويقول قائلهم
لاتقف مالم يمس لك به علم * (٣) *

ومنهن البلجاء تلك المرأة التي كانت لاتخاف سطوة ابن زياد او تهديده
فكانت تذمه وتؤلب عليه الناس حتى اشفق عليها مرداس (وهو من زهاد الخوارج)
فذكر لها ان ابن زياد قد ذكرها بشر وان عليها ان تستتر بالتقية فلم تفلح محاولة
مرداس معها بل رات ان في قتلها استشهادا تتطلع اليه واخيرا وقعت في قبضة
ابن زياد فاستعمل معها ابشع انواع الجزاء واحطه لقد امر بها بقطع يداها
ورجلها ثم القى بها في السوق ولما دخل مرداس السوق راى من بعيد رجلا

(١) مرجع الذهب ج ٣ ص ١٤٧

(٢) انظر * ابن جلا * ص ٢٣

(٣) انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٤

الناس نجاء لينظر فاذا بالهلعاء فجعل شمر لحيته في فمه متأسفا وقال
 " لهذه اطيب نفعا بالموت منك يا مرداس " ثم اشتد عزمه على الخروج فكانت
 هي الشرارة التي اشعلته وجعلت منه بركانا ثائرا يهزم جيوش الخلافة وهو في اربعين
 من الخوارج .

ويقول الملقى عن شجاعتهم " وتقاتل نساءهم على الخيل مهنرات كما
 يقاتل رجالهم " (١) وكان ينشأ أولادهم على الشجاعة والاقدام في ساحات
 الحروب فلم يكن كغيرهم من النساء اللاتي يدلن أولادهن ويظهرن امامهم
 الخوف عليهم والتعلق بهم وهذا مانراه واضحا في ام كهس الذي صار ابنهما
 أحد شجمان الخوارج فقد كان بارا بامه وذات يوم قال لها يتحسر على عدم
 خوض الحروب مع صاحبه الخوارج يا امه لولا مكانتك لخبرجت فاجابته قد وهبتك
 لله يا بنى . (٢)

ومن الطرائف المحببة لهم في الممارك انه في اثناء محاربة يزيد بن المهلب
 للخوارج وفي معركة من معاركهم حمل يزيد عليهم غولي الجمع " وحماهم
 فارسان فقال يزيد لقيس الخشن مولى الحتيك من لهذين قال انا نحمل عليهما
 نعطف عليه احدهما نطعمه قيس الخشن فصرعه وحمل عليه الاخر فمات فسقطا
 جميعا الى الارض فصاح قيس الخشن اقتلونا جميعا نحملت خيل هؤلاء وخيل
 هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا مماتة امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد اما انت
 نهارتتها على انها رجل فقال ارايت لو قتلت اما كان يقال قتلت امرأة " .

(١) التنبيه والرد ص ٥٦

(٢) انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٣٣

وهذه ام حكيم الخارجية تتبرم من حمل رأسها ودهنه وغسله وتمسني
أن يارزها قارق فتاك يحمله عنها فتقول :

احمل راسا قد سئمت حملـه قد ملكت دهنه وغسلـه
الا يا فتى يحمـل عـنـي ثقلـه (١)

وقد كن يسارعن الى الخروج للقتال جنباً الى جنب مع الرجال فابتكر زياد
طريقة بشعة جدا للحد من كسر جموحهم وفعلوا نجحت هذه الطريقة يقول
البرد عنه " وله اخرى في الخواجه اخرجوا معهم امرأة فظفروا بها ثم عراها
فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التحريصة
لسارعنا " (١)

وهكذا ادت الشجاعة بالخواجه الى التهور في الحرب وسفك الدماء السي
هذا الحد السيء .

(١) شغراء الخواجه ص ١٣٤

مباختهم في العبادة والزهد

اشتهر الخوارج بالمبالغة في العبادة فقد بلغوا فيها مهلنا عظيما وكذا لك
كان لهم اشتغالهم الدائم بقراءة القرآن قد لا يدركه الكثير من غيرهم .

يصفهم جندب الازدي بقوله * لما عدلنا الى الخوارج ونحن مع علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه قال فانتبهنا الى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل
من قراءة القرآن واذا فيهم اصحاب البرانس (اى الذين كانوا معروفين بالزهد
والعبادة) (١) . وقد وصف اول زعيم منهم وهو عبد الله بن وهب بانـه
ذى الثغفات (٢) لشدة عبادته واجتهاده وكثرة سجوده حتى اصبحت يـسـداه
كثفات الابل من كثرة ضمها على الارض . وهذا ابولال مرداس كان مـسـن
عبادهم وزهادهم مرباعراي وهو يدوى بعيره بالقطران فهرج البعير من شدة
القطران فوقف عليه ابولال فلما راه غشى عليه ققام الاعرابى يرقبه فلما ان به مسا
فلما اتفق قال له قد رقيتك قال له ليس بى شىء ما خفته على وانما ذكرت به
قطران جهنم فاصابنى مارأيت * (٣) . بل لقد وصل الاجتهاد في العبادة
ببعضهم الى حد المخالاة والخرج عن الرفق بالنفس الى الامر بالذمم فقد
طلب ابن زياد من مولى عروة بن حدير ان يصف له امر عروة بعد ما قتله قائلاً له
صف لى امره واصدق فقال الطنب ام اختصر فقال بل اختصر قال ما اتيت بطعام
فى نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط . قال الشهرستاني بعد ان ذكر هذه
الحادثة * هذه معاملته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده * (٤) وقد ذكر ابن ابي
الحديد فى ترجمته المختصرة له انه كان له اصحاب واتباع وشيعة * (٥) .

(١) تلبس ابليس ص ٩٣ فتح البارى ج ١٢ ص ٢٩٦

(٢) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٥

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٨

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٢

وكان الخوارج دائما يتواصون بالتقوى والرغبة فيما عند الله والزهد عن الدنيا وذكر لقاء الله والدار الآخرة وفراق الظالمين وائمة الجور كما نتبين ههنا في نصيحة صالح بن مسرج لاتباعه حيث قال لهم " واصلكم بتقوى الله والزهد ففى الدنيا والرغبة فى الآخرة وكثرة ذكر الموت وفرق الفاسقين وحب المؤمنين ——— فان الزهادة فى الدنيا ترغب المهد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله " (١) وحينما جاءهم ابن عباس شاهد قوما ادهشوه باجتهادهم فى العبادة فوصفهم بقوله " نأتيتهم قد خلت على قوم لم ارى اشد اجتهادا منهم ايدىهم كانها ثفن الابل ووجوههم مملئة من آثار السجود " (٢)

وحتى نافع بن الأزرق وهو المشهور بسفك الدماء يكتب الى اهل البصرة ويذم فى كتابه الدنيا ويصفها بانها غرارة مكاراة ينبغى الحذر منها ومن الركون اليها فى كلام عذب اخاذ عليه فصاحة العرب وقوة حجتهم فمعه قوله " فلا تغتـروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكاراة لذتها نافذة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا واظهرت حيرة واضمت عمرة فليس اكل منها اكل القسرة ولا شارب شرية تؤنقه الا دنابها درجة الى اجله وتباعد بها مسافة من امله وانما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والمعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حلیم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى " (٣) . واما خلف ابى حمزة الخارجى فله خطبة مشهورة خطبها حين دخل المدينة المنورة غازيا وصف فى هذه الخطبة اصحابه بالعبادة قائلاً :

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٢١٦/٢١٧

(٢) فتح البارى ج ١٢ ص ٢٨٩

(٣) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٩

" يا أهل المدينة بلغنى انكم تنتقصون : اصحابي . قلتهم شباب احداث واعراب
جناة ويلكم يا أهل المدينة وهل كان اصحاب رسول الله * من الا شبابا احداثا
شباب والله مكشعلون في شبابهم غيبة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل اقدامهم
قد باعوا الله عز وجل انفسا : تمت بانفس لا تمت قد خالطوا كلالهم بكلالهم
وقيام ليلهم بصيام نهارهم منحنية اصلاصهم على اجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف
شهقوا : خوقا من النار واذا مروا بآية شوق شهقوا شوقا الى الجنة بهم يستمر
في تزكيتهم والثناء عليهم الى ان يقول . .

" فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل
وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها في سجوده لله وكم من خد
عتيق وجبين رقيق فلق بحد الحديد رحمة الله على تلك الايدان وادخل
ارواحها الجنان . . . الخ (١)

واجتهادهم في العبادة امر قد عرف لهم والذي يقرأ كتاب منهاج السنة
لابن تيمية يجد الكثير من الشواهد التي تدل على ذلك حيث يجعلهم دائما ارجح
واقل من الشيعة والرافضة حينما يقارن بينهم وبين الخوارج كقوله عنهم * وايمن
الخوارج من الرافضة الخالية ؟ فالخوارج من اعظم الناس صلاة وصياما وقراءة
للقران ولهم جيوش وسائر وهم متدينون بدين الاسلام باطنا وظاهرا (٢)

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٩٦ / ٣٩٧

(٢) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٠

ولقد أكثر شمراؤهم في ذكر وصفهم بالعبادة والرغبة الى الله والزهد في الدنيا بقصائد من الشعر طويلة جدا لا يمكن استقصاؤها ولكن من اراد ان يستزيد من هذا النوع فعليه بكتاب «شمراء الخوارج» فقد جمع هذا الكتاب مجموعة ناعمة من شعرهم في مختلف الفنون فما جاء في وصفهم بالعبادة قول عيسى بن فاتك الخطي الخارجي في رثاء ابي بلال ومن قتل معه من الخوارج :

اذا ما الليل اظلم كابدوا	فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا	واهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجد	انين منه تنفج الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت	وان خفضوا فربهم سميع (١)

وقال احد شمراء الخوارج يرثى بعض الخوارج الذين قتلوا ويصف عبادتهم فيقول :

غنية تعرف التخشع فيهم	كلهم حكم القران غلاما
قد برى لحمه التهجد حتى	عاد جلدا مصفرا وظام (٢)

وهذا النموذج من شعرهم الذي يصور فيه شمراؤهم ما هم عليه من الاجتهاد في العبادة وشدة الخوف من خشية الله يوضح لنا مدى البعد بينهم وبين مخالفتهم في نظرهم .

وقد روى عن ابن ملجم ما يحير العقل من تناقضهم في سلوكهم الديني فحينما هم شديدوا الفلو في الدين والعبادة اذا هم شديدوا الحقد على خيار الصحابة ومستحلون لذمائهم . فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقتل على بن ابي طالب ومع ذلك يقف عند القصص منه كائنت الناس واعيدهم يقول ابن الجوزي " فلما مات على رضى الله عنه اخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع

(١) انظر شمراء الخوارج ص ٣٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠

ولم يتكلم فكحل عينيه بمسار محى فلم يجزع وجعل يقرأ * اقرأ باسم ربك الذى خلق - خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * حتى ختمها * وان عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه فجزع فقيل له لم تجزع فقال اكره ان اكون نسي الدنيا مواتا لا اذكر الله * (١) .

ومثله فى هذا عروة بن حدير الذى تحدثنا عنه آنفا فهينما هو يتبرأ ممن خيار الصحابة علنا دون خوف احد اذا به من اعبد الناس واصومهم وقد قتلته ابن زياد بعد ان تمت بينهما المناقشة الحادة التى يحكيها الشهرستاني بقوله: " عروة بن حدير نجا بعد ذلك من حرب النهروان وفى الى ايام معاوية ثم اتى : الى زياد بن ابيه ومعه مولى له فسأله زياد عن ابي بكر وهو رضى الله عنهما فقال فيها خيرا وسأله عن عثمان فقال كنت اوالى عثمان على احواله فى خلافته ست سنين ثم تبرأت منه بعد ذلك للاحداث التى احدثها وشهد عليه بالكفر وسأله عن امير المؤمنين على رضى الله عنه فقال كنت اتولاه الى ان حكم الحكيمين ثم تبرأت منه بعد ذلك * وشهد عليه بالكفر وسأله عن معاوية نفسه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال اولك لزينة واخرك لدعوة وانت فيما بينهما بعد عاص رسك فأمر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاة فقال له صف لى امره واصدق فقال الطنب ام اختصر فقال بل اختصر * فقال ما اتيت بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط " (٢)

وما يذكر عن ورج بعضهم هفته ما وقع لد اوود بن عقبة المبدى وهو من عبيد الخوارج وكان بالبصرة غطليه واليهما فاخفى عند احد اصحابه فاراد هذا الرجل ان يسافر فاوصى : زوجته بد اوود فتاب ارحمين ليلة ثم عاد فسأل ضيفه عن خدمه زوجته له وكانت زرقاء العمين فقال له زوجها كيف رايت خدمك الزرقاء فقال له والله ما ادرى ازرقاء هى ام كحلاء - وكان يوصف بنفض البصر لا ينظر الى شىء ومن شمره

(١) تلبيس ابليس ص ٩٤

(٢) الطلل والنحل ج ١ ص ١١٨

يتحصر على فرقة اصحابه قوله :

الى الله اشكو فقد فتیان غارة	شهدتهم يوم النخيلة والنهر
شهدتهم اسدا اذا الحرب شميت	مسامح بهم بالمهندة البثر
مضوا سلفا قبلى واخبرت بعدهم	وحيدا لاقوام تنابله خزر (١)

ولقد كان خليقا بهم وهم على هذه الدرجة من العبادة والورع ان يعفوا عن ما وقصوا فيه من المحارم وما ولغوا فيه من دماء المسلمين ولكن تدنيهم على هذا النحو الذي كانوا عليه ليس هو الصورة الصحيحة للتدين المشر الذي يحسول بين صاحبه وبين محارم الله .

٣ - فصاحتهم قوة تأثيرهم :

قد اشتهر الخوارج بالفصاحة وقوة الاسلوب وحرص مذهبهم والدعاء اليه بصورة شيقة تجذب اليهم القلوب وتناثر بكلامهم ايما تاجر فلهم خطب واشهرار وامثال ومناظرات مشهورة في كتب الادب تتميز بفصاحتها وقوة تأثيرها ومن امثلة ذلك :

"ان عبد الملك بن مروان اتى برجل منهم فبحثه فراى منه ماشاء فهما ولما ثم بحثه فراى منه ماشاء ادبيا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبهم فرآه مستبصرا محققا فزاده في الاستدعاء فقال له لتغنىك الاولى عن الثانية وقد قلت نسيمت فاسمع اقل قال له قل فجعل يسطر له من قول الخوارج ويترجم له مذهبهم بلسان طلق والفاظ بيينة ومعان قريبة . فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كان يوقع في خاطري ان الجنة خلقت لهم واني اولى بالجهنم منهم ثم رجعت الى ما ثبت الله على من الحجة وقرر في قلبي من الحق ثقلت لـه

(١) انظر شعراء الخوارج ص ٦٤ وص ١٤٢

لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب
بالقول • والله لاقتلك ان لم تطع * (١) الخ •

قد وصف ابن زياد أسلوب الخوارج قوة بيانهم بقوله * لكلام هؤلاء اسرع
بينة الى القلوب من النار الى اليراع * (٢) •

قد القى ابو حمزة الخارجى خطبة بليغة وصفت بانها قد حيرت المصـرـر
وردت المرتاب • يقول الشيخ عبد الله بن حميد السالى فى كتابه اللـمـة
المرضية * وقد اعترف لهم الخصم بذلك - يعنى بصواب مذهب الاباضية -
والفضل ما شهدت به الاعداء فمن اعترف لهم قد يما عالم المدينة مالك بن انس
فانه قال خطبنا ابو حمزة خطبة حيرت المصـرـر وردت المرتاب * ويقول ايضا
* وابو حمزة هو المختار بن عوف قائد الجيش لامام المسلمين طالب الحق عبد الله
بن يحيى الكندى رضوان الله عليهم * • الخ •

قد فسر قوله حيرت المصـرـر • اى جعلت العالم المتبحر فى مذهبه مختاراً •
وقوله وردت المرتاب : اى جعلت من كان مرتاباً فى دينه رده عند الى مذهب
ابى حمزة (٣) •

ومعنىهم الشيخ ابو زهرة بقوله انهم * اتصفوا بالفصاحة وطلاقة اللسان والعلم
بطرق التأثير البيانى وكانوا ثابتى الجنان لا تأخذهم حيرة فكرية ويقول * وكانوا
يحبون الجدل والمناقشة ومذاكرة الشعر وكلام العرب وكانوا يذكرون مخالفيهم
حتى فى ازمان القتال * ويقول ايضا * وقد كان التعصب يسود جدلهم فهم لا يسلمون
لخصومهم بحجة ولا يقتنعون بفكرة مهما تكن قريبة من الحق وواضحة الصواب بل
لاتزيدهم قوة الحجة عند خصومهم الا ايماناً فى اعتقادهم وحثاً عما يؤيده * (٤)

(١) انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٤٦
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٥
(٣) اللـمة المرضية ص ٥٤/٥٥
(٤) تاريخ المذاهب الاسلمية ج ١ ص ٧٦ - ٧٨

٤ - صدقهم في الحديث

مع فصاحة الخوارج ولهاقتهم ، فقد اشتهروا بالصدق والنفرة عن الكذب لانهم يعتبرونه من صفات الجبناء الذين لا مكان لهم عندهم . يقول المبرور " قال ابوالمعالي والخوارج في جميع اصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة " (١)

وقد وصفهم ابن تيمية بانهم " ليسوا ممن يعتمد الكذب بل هم معروفون بالصدق حتى يقال ان حديثهم من اصح الحديث " (٢) . وقال في تفضيلهم على الرافضة " وهم اصح منهم عقلا وقصدا والرافضة اكذب وافسد دينا " (٣) . ويصفهم بان بدعتهم لم تكن عن زندقة والحاد بل كانت عن جهل وضلال ففى معرفة معاني الكتاب . (٤)

٥ - ميلهم الى الجدل بقوتهم فيه

لقد بذل الخوارج في الدفاع عن ارائهم وجعل السيطرة لها على الناس جهدا كبيرا سواء كان ذلك بقوتهم الحربية او كان بقوتهم الجدلية وقد حفلت كتب التاريخ والادب بذكر مجاداتهم مع الامام على وابن عباس وغيرهما ممن اعلام المسلمين كمعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز ويطول بنا القول لو ذهبنا نذكر اخبار تلك المنازعات والمحاورات التى دارت بينهم وبين خصومهم وظهر فيها

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٦

(٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٥

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٤

(٤) منهاج السنة ج ١ ص ١٥

قوتهم في الجدل ولددهم في الخصومة وذلك لكثرة هذا الاخبار وطول تلك المناظرات وقد سبق ان ذكرنا ما دار بينهم وبين الامام على وابن عباس رضي الله عنهما عبد العزيز من مناظرات تتعلق بأسباب خروجهم او بموقفهم من قضية التحكيم الى غير ذلك من الموضوعات التي كانت تثار خلاف بين الفريقين •

قد وصفهم المبرد بعدة صفات من اهمها وصفهم بنفاذ البصيرة والالدد في الخصومة والاحتجاج والبراعة الفائقة في الخطابة والشعر بقوله :

" قال ابو العباس وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين انفسهم على الموت " (١) ويخص المبرد منهم نافع بن الازرق فيصفه بأنه كان متعمقا صاحب نظر وفيلسوف وانه ايضا كان ذا لسان غضب واحتجاج وصبر على المناجعة (٢) • ويصف بأنه كان شجاعا مقدما في فقه الخوارج •

بل لقد كان عقلاء الخوارج ومفكرهم يشكون من كثرة انتشار الجدل بينهم الذي كان سببا مباشرا من اسباب تفرق الخوارج على نحو ما يصفه الصلت بن مرة بقوله :

قل للمحليين قد قرت عيونكم	بغرة القم والبغضاء والهرب
كنا اناسا على دين فخيرنا	طول الجدل وخطب الجدل باللعب
ما كان اغنى رجالا ضل سعيهم	عن الجدل واغناهم عن الخطب (٤)

(١) الكامل : للمبرد ج ٢ ص ١٣٩

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٠

(٣) الكامل ج ٢ ص ١٧١

(٤) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٣٨

هذه بعض الخصائص الدينية والخلقية والعقلية التي كانت تغلب على
الخوارج والتي كان لها أثرها الواضح في سلوكهم مع أنفسهم ومع بعضهم ومع
الامة والدولة على نحو ما عرضنا هذا السلوك في فصول هذا الباب .

ولو استقامت بهم الوجهة لكان خليقا بهذه الخصائص ان تضع أقدامهم
على الطريق الصحيح من العمل الى الله والدعوة الى دينه .

الباب الثاني

آراء الخوارج الاعتقادية وموقف الاسلام منها

الفصل الاول

مدخل فني :

موقف الخوارج

بين العقل والشرع

وبين النص والتأويل

١- بين العقل والشرع فى التحسين والتقبيح

للعلماء اتجاهان فى تحديد موقف الخوارج من العقل :-

الاتجاه الاول : وهو اتجاه من يذهب الى ان الخوارج يرون قدرة العقل على ادراك المعرفة بنفسه مستقلا عن السمع وان السمع انما يأتى مصدقا لاحكامه وينسأ على هذا الاتجاه يصح لنا ان نصف الخوارج بانهم عقلانيون ، وذلك لانهم قدموا العقل فى كثير من القضايا مدعين انه يستطيع ان يصل الى معرفة الاشياء الحسنة والاشياء القبيحة بنفسه وان العدل ما يقتضيه العقل ، وهذا هو مذهب المعتزلة وفى هذا يذكر الشيخ المفيد ان المعتزلة والخوارج والزيدية متفقون فى هذا الاعتقاد ، أى القول باستطاعة العقل معرفة الواجبات الشرعية ، دون السمع يقول الشيخ المفيد فى هذا " اما المعتزلة والخوارج والزيدية فعلى خلاف ذلك اجمعوا وزعموا ان العقل تعمل بمجرد ما عن السمع " (١) وقد ظهر تمسك الخوارج بالتحسين والتقبيح العقليين فى اكثر امورهم التى ادعوا ان العقل يدرك حقيقتها دون الرجوع الى الحكم الشرعى فيها لتصحيح الحكم بحسنها او قبحها بل العقل يدرك فى كل خصلة مدى قبحها او حسننها بما فى الفعل من خاصية يدرك العقل حين ورودها عليه الحكم فيها والشرع حين يحكم فيها بحكم انما يأتى كمخبر عنه وليس مثبتا للحكم فيها وفى هذا يقول البغدادي بعد ان ذكر بعض الفرق التى اتفقت فى الاعتقاد فى هذا الباب وهم الثنوية والتناسخية والبراهمة والخوارج والكرامية والمعتزلة الخ اتفق هؤلاء كلهم فيما يذكر " فصاروا الى ان العقل يستدل

(١) نقلا عن آراء الخوارج ص ١٦٥ .

به على حسن الافعال وقبحها على معنى أنه يجب على الله الثواب والثناء على
الفعل الحسن ويجب عليه الملام والمقاب على الفعل القبيح والافعال على صفة
نفسية من الحسن والقبيح واذا ورد الشرع بها كان مخبرا عنها لا مثبتا لها (١)
بينما الامر عند اهل الحق في التحسين والتقيح كما يقول " ان العقل
لا يدل على حسن الشئ " وقبحه في حكم التكليف من الله شرطا (٢)

وقد اعتبر ابن الجوزي الخواجه هم اول من نادى بتحسين العقل وتقيحه
اي قبل ظهور المعتزلة ^{وما الميزان} عنده الا آخذه عن الخواجه هذا الاصل ومقده لهم
ويقول في ذلك " ومن رأى هو لا " (يعنى الخواجه) احدث المعتزلة فـ
التحسين والتقيح الى العقل وان العدل ما يقتضيه (٣)

ويقول عنهم عثمان بن عبدالعزيز الحنبلى في محظوظة منهج المعارج
" ومن رأيهم (الخواجه) اخذت المعتزلة التحسين والتقيح بالعقل وضرب
الامثال به وان العدل ما يقتضيه " (٤)

وهناك فرقة من الخواجه وهى " الاطرافيه " تزعم ان العقل يعرف الواجبات
العقلية وانه يعرف به ايضا الواجبات الدينية ، ولهذا فقد رأوا ان اهل
الاطراف النائية من البلدان معذورين فيما لم يعرفوا عن الشرع نصافي امر من
الا مورانا عطوا بما يقره العقل يقول الشهرستانى عن هذه الفرقة انهم
" عذروا اصحاب الاطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بطريق يعرف

(١) ، (٢) نهاية الاقدام ص ٣٧٠ ، ٣٧١

(٣) تلبيس ابليس ص ٩٦

(٤) نقلا عن آراء الخواجه ص ١١٧ .

لزومه من طريق العقل واثبتوا واجبات عقليه * (١) وقد وصف الشهرستاني كذلك المحكمة الاولى بأنهم من " اشد الناس قولا بالقياس " (٢) والقياس استعمال للعقل في تعدية الحكم وان كان قائما على اساس من النص الشرعي بل لقد رأيناه يسند الى ذي الخويصرة الذي يعتبره زعيم الخوارج الاول القول بالتحسين والتبحيح المقيين حيث يقول " وذلك (يعنى به قول ذي الخويصرة للنبي "ص" هذه قسمه ما اريد بها وجه الله - خروج صريح على النبي "ص" ولو صار من - اعترض على الامام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول احق بأن يكون خارجيا وليس ذلك قولا بتحسين العقل وتبحيحه وحكما بالهوى في مقابلة النص واستكبارا على الامر بقياس العقل " (٣)

الاتجاه الثانى :

وفى مقابل القول السابق ان الخوارج يقولون بقدرة العقل على الحكم على الاشياء والافعال نجد من يمكن الا مر ويذهب الى ان الخوارج لا ترى للعقل اى ميزة فى الحكم على الافعال من حسن وقبح وهذا الرأى قد قال به احمد الصابونى الماتريدى فيما يرويه عنه الطالب بقوله انه (اى الصابونى " يزعم ان الخوارج المحكمة يرون مع الملاحدة والروافض المشبهة ان العقل لا يعرف به شىء ولا يوجب شيئا من الاحكام العقلية او الشرعية لا على الافعال ولا على الاشياء " وقد اعتبر الطالب رأى احمد الصابونى كأنه خبر آحاد خاصة انه لم يبين لنا

(١) الطل والنحل ج ١ ص ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١٦ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٢١ .

سنده ولا مصدره بخلاف من تقدم النقل عنهم وهم القائلون بعقلانية الخواج فانهم اولى - على حد تعبيره - بقبول قولهم منه لكثرة اطلاعهم على آراء الخواج (١)

وما نقله الصابوني هنا عن الخواج يتفق مع ما ذكره الاشعري عن حاك لم يمين اسمه حكى عن الخواج انهم " لا يرون على الناس فرضا مالم تأتهم الرسائل وان الفرائض تلزم بالرسول واعتلوا بقول الله عز وجل " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٢) (١٢ : ١٥)

ولعلنا بعد أن عرضنا هذين الاتجاهين في تحديد موقف الخواج بين العقل والنقل فيما يتعلق بالمعرفة وادراك حسن الافعال وقبحها - لعلنا بعد عرضنا لهذين الاتجاهين - نجد ان الاتجاه الاول وهو القول بأن الخواج عظميون قد تضافرت على توثيقه وشرحه اقوال كثرة من العلماء لم تتوافر للاتجاه الثاني وهو القول بأن الخواج يرجعون بالمعرفة وبالتحسين والتقيح الى الشرع. فلا شعري يحكى ذلك عن حاك مجهول لم يذكر اسمه كما قلنا ، وقد قلنا من قبل كذلك ان الطالبي قد جعل قبول اقوال العلماء الكثرين في الاتجاه الاول اولى من قبول كلام الصابوني الذي لم يبين مصدره ولا سنده فيه ولا يفوتنا ان ننوه بالاسماء التي حكمت على الخواج بانهم عظميون كالبيهقي والشهرستاني وابن الجوزي والشيخ المفيد ، وعثمان الحنبلي وان كنا نجد من الواجب علينا ان نختم هذه الكلمة بالاشارة الى تلك الصعوبة التي شرحناها في مقدمة

(١) نقلا عن الخواج ص ١٦٨ (البداية للصابوني ص ١٦٨ .)

(٢) المقالات : ج ١ ص ٢٠٦ .

هذه الرسالة وهي اننا في كثير من الاحيان نأخذ آراء الخوارج من كتب غيرهم
وفيما يتعلق بهذه المسألة بالذات فانه لم يقع لي فيما اطلعت عليه من كتب الخوارج
المطبوعة والمخطوطة ^{نفس} فيها وانما رجحنا كفة الفريق الاول من العلماء لما قد مناه
من مبررات • واذا اردنا ان نضع الاتجاه العقلي في ميزان الاسلام فالواجب
في هذا المقام ان يقال ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية من ان " ما اخبرت به الرسل
من تفاصيل اليوم الاخر وامرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم
كما ان ما اخبرت به الرسل من تفصيل اسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس بعقولهم
وان كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك " (١)

ويجب ان يعتقد كل مسلم ان لاحسن ولاقبح ولا عقل في مقابلة الشرع
فاذا صح النص عن الله تعالى او عن رسوله وجب التسليم له دون معارضة بأي نوع
من المعارضة فان معارضة العقل للنقل خطأ واضح معلوم الفساد كما قال ابن القيم
رحمه الله " (٢)

واخيرا فان مذهب السلفي هذا الباب هو الاعتقاد بأنه ليس في فصل
من الافعال معنى حسن يقتضي وجوبه او ندمه او ثواب فاعله او معنى قبيح يقتضي
كراهيته وحرمة وجزا • ذلك بل الافعال كلها سواسية بل حسن الفعل هو امر
الله تعالى به وقبحه هو نهى الله تعالى عنه وليس فيه معنى يوجب ذلك حتى
لو امر بشيء كان حسنا فاذا ما نهى عنه بعد ذلك صار قبيحا وبالعكس اذا نهى
عن امر كان قبيحا فاذا امر به بعد ذلك كان حسنا ولا سبيل الى العلم بذلك الا بالشرع والوحي •

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٣ ص ١١٥ •

(٢) انظر مختصر الصواعق ص ٨٤ •

٢- بين ظاهر النص والتأويل

لمب التأويل دورا بارزا فى مفاهيم الناس ، وكانت له نتائج خطيرة فى حياتهم خصوصا تلك التأويلات المذمومة التى جرت على المسلمين محنا شتى بسبب سوء الفهم لكثير من القضايا الاسلامية ، فكانت له آثار سيئة اذ فرق بين كلمة المسلمين وباعد بينهم وبين جوهر الشريعة واساسها المتين .

ولقد تدبج اهل التأويل من سبى الى اسوء فى فهم المعانى التى يدعون معرفتها ، وذلك لانهم كلما غلوا فى التأويل كلما بعدوا عن المعنى الصحيح الذى تهدف اليه النصوص وفيما يتعلق بموقف الخوارج بين الوقف عند ظاهر النص الشرعى وتأويله ، نجد هناك أيضا اتجاهين فى تصوير موقفهم من هذه القضية .

الاتجاه الاول : القول بأنهم نصيون يقفون عند ظاهر النصوص الشرعية دون تأويل لها او اجتهاد فيها وهذا ما يراه احمد امين رحمه الله ، فهو يرى انهم يقدمون النص على التأويل لانهم كما يذكر على بساطتهم البدوية التى لاتعرف التعمق فى المعانى واستخراجها كما هى عادة اهل المعرفة ويذكر انهم لو عاشوا فى العصر العباسى لكانوا ظاهرة تماما فيقول :-

" ومن اكبر مظاهر بساطتهم وعدم تفلسفهم ان الناظر فيما روى لنا من جد لهم ومناظراتهم يرى انهم التزموا حرفية الكتاب والسنة ولم يتمقوا فى التأويل ، فلو أنهم عاشوا فى العصر العباسى لكانوا من اهل الظاهر الذين لا يقولون بقياس ويرون اتباع ظواهر النصوص من غير تأويل ، وقد ادى تمسك الخوارج بظواهر النصوص الى سخافات " (١)

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٤ .

ويصفهم ابو زهرة بأنهم يتمسكون بظواهر الالفاظ تمسكا شديدا غير ملتفتين الى المعانى التى تطلب من وراء الالفاظ وهم على غاية ما يتصور من التحمس والاندفاع الى تأييد ما رأوه صوابا ، ولو ادى ذلك الى ازهاق أرواحهم ثمنا للدفاع عن ذلك الرأى يصف ابو زهره هذا الاندفاع بقوله :-

" وهم فى دفاعهم وتهورهم مستمسكون بالفاظ قد اخذوا بظواهرها وظنوا هذه الظواهر ديننا مقدسا لا يحيد عنه مؤمن " (١) ولهذا كانت مناظرات الامام على لهم فى بعض المواقف ليست بالرجوع الى النصوص لانهم سطحيين فى فهمها يفسرونها بما يحبون من موافقة آرائهم وهذا ما عناه ابو زهرة بقوله " ولأنهم يتمسكون بظواهر الالفاظ نرى عليا عندما يناقشهم فى هذا لم يجادلهم بالنصوص لانهم لا يأخذون الا بظواهرها بل كان يناقشهم بحمل الرسول " ص " (٢)

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .

الاتجاه الثانى

اما الاتجاه الثانى فى تصوير موقف الخوارج بين الالتزام بظاهر النص والتأويل فيذهب اصحابه الى القول بأن الخوارج خاضوا غمار التأويلات التى انتجت من المآسى والحروب ما جعلهم محل بغض لدى جميع مخالفينهم .

ويرد على القيم افتراق الفرق الاسلامية الى ثلاث وسبعين فرقة الى بلية التأويل ، ويرى انه كان السبب فى نشأة الخوارج وفى مقتل الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب رضى الله عنهما ثم ادى بالخوارج الى تلك المعتقدات الباطلة التى اشتهرت عنهم مثل القول بتخليد اهل الكباثر فى النار ونكرانهم شفاعة سيدنا محمد " ص " وغيرهما من الاقوال الخاطئة يقول ابن القيم مقررا الاحداث التى وقعت بسبب التأويل ودور الخوارج فيه

هذا واصل بلية الاسلام من	تأويل ذى التحريف والبطلان
وهو الذى قد فرق السبعين بل	زادت ثلاثا قول ذى البرهان
وهو الذى قتل الخليفة جامع القر	آن ذا النورين والاحسان
وهو الذى قتل الخليفة بعده	اعنى عليا قاتل الاقصران

ويقول ايضا :

وهو الذى انشا الخوارج مثل	انشاء اخيه الحيوان
ولا جله شتموا خيار الخليفة	بعد الرسل بالعدوان والبهتان
ولا جله قد خلدوا اهل الكبا	ثر فى الجحيم كما بد الاوشان
ولا جله قد انكروا شفاعة المختار	فيهم غاية النكران (١)

ويذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان اهل البدع كالخواج وغيرهم هم اهل اهواء وشبهات يتبعون فيما يحبون ويبغضون ماتحبه انفسهم ويوافق اهواءهم من تأويلات فاسدة " فكل فريق منهم قداما لنفسه ديناً وضعه اما برأيه وقياسه الذي يسميه عقليات واما بذوقه وهواه الذي يسميه ذوقيات ، واما بما يتأوله من القرآن ويحرف فيه الكلم عن مواضعه ويقول انه انما يتبع القرآن كالخواج . "

ولكن بدعة الخوانج كما يقول " كان قصد اهلها متابعة النص والرسول لكن غلطوا في فهم النصوص وكذبوا بما يخالف ظنهم من الحديث ومعاني الايات " (١) ويقول ابن حجر عن انحراف الخوانج في التأويل مع كثرة العبادة والزهد " وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة الا انهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه ويستبدون برأيهم ويتنطمعون في الزهد والخشوع وغير ذلك " (٢) وقد وصف ابن عباس الخوانج الذين اشتهروا بقراءاتهم للقرآن وعبادتهم التي يباليون في آدائها بأنهم " يؤمنون بمحكمه ويضلون عند مثله " (٣) وذلك بسبب ما اخطوا فيه من تأويلات باطلة معتقدين صحتها وبالتالي طبقوها في اقوالهم وافعالهم التي تميزت بالانحراف البين في كثير من الآراء .

وقد ارسله على بن ابي طالب اليهم ليراجعهم ويطلب منهم العودة فلم يرجع قال له على رضي الله عنه " ما رأيت ؟ فقال ابن عباس : والله ما سيماهم بسيا المنافقين ان بين اعينهم لا شر السجود وهم يتأولون القرآن . " (٤)

-
- (١) النبوات ص ٨٩ .
 - (٢) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٣ .
 - (٣) الاعتصام ج ١ ص ٥٥ .
 - (٤) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣١٠ .

وكان من نتيجة تأويلهم القرآن وتبعضهم لمنشأه ان كفروا الناس وائمة مخالفيهم لانهم حكموا بغير ما انزل الله فاستحقوا الكفر وهذا هو الباعث لهم على تكفير غيرهم فيما يراه سعيد بن جبير كما اخرج عنه ابن المنذر انه قال " المتشابهات آيات في القرآن يتشابهن على الناس اذا قرأوهن ومن اجل ذلك يضل من ضل فكل فرقة يقرأون آية من القرآن يزعمون انها لهم فمنها يتبع الحرورية من المتشابه قول الله " ومن لم يحكم بما انزل الله فآلئك هم الكافرون " ثم يقرأون معها والذين كفروا بربهم يعدلون " فاذا رأوا الامام يحكم بغير الحق " ا . قالوا قد كفر فمن كفر عدل بربه ومن عدل بربه فقد اشرك به فهذه الائمة مشركون " (١) وقال السيوطي ايضا ومثله الشوكاني " واخرج عبد الرزاق واحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابى امامة عن النبي " ص " في قوله " فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه " قال هم الخوارج " (٢) وقد اخبر عمر بن عبد العزيز عن بعض جرائم الخوارج متأولين القرآن على غير وجهه وذلك في قوله لوفد الخوارج الذين ارسلوهم لمناظرتهم في المسائل التي نقموها على بنى امية فكان من كلام عمران قال لهم " فاخبروني عن عبد الله بن وهب الراسبي حين خرب البصرة هو واصحابه يريدون اصحابكم بالكوفة فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه وقرؤا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بني قطيمة فقتلوا الرجال واخذوا الاموال وغلوا الاطفال في المراحل وتأولوا قول الله " انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " فلم يسمعهم الا الاعتراف بذلك " (٣)

(١) تفسير الدر المنثور ج ٢ ص ٤

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٥ فتح القدير ج ١ ص ٣١٨

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٢٩

ومن اقبح تأويلات الخوارج واحقها بالمقت ما ذكره علماء الفرق كالاشعري
والبغدادى والشهرستانى وغيرهم عن فرقة الازارقة والحفصية من الاباضية من تأويلهم
لبعض الايات كذبا وافتراء بتأويلاتهم الباطلة كما وقع لهم فى حق الامام على رضى
الله عنه . (١) مما سنذكره عند عرض موقفهم من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

ومما تقدم بيانه نعرف مدى تعلق الخوارج بالتأويل وانه كان السبب فى
كثير من اخطائهم الجسيمة التى ارتكبوها بحجة ان القرآن يطلب منهم ذلك حين فتحوا
لانفسهم باب التأويل الذى لم يسبقهم اليه احد فيما يرى الطالب ويقرر ذلك
بقوله " ونحن نزعم ان الخوارج هم اول من فتح باب التأويل فى تاريخ الفرق
الاسلامية وفى تاريخ هذه الملة " وكان لتأويلاتهم نتائج عملية خطيرة اعقبتهما
بدورها آراء نظرية " ويرى ايضا ان تطور آراء الخوارج منذ نشأتهم كان اساسه
التأويل والجدل ومجاوزة ظاهر النصوص الى ما يوافق ما يرونه من آراء . وما يعتقد ونسب
من اعتقادات . (٢)

وكان من مذهب قطرى وهو من رؤساء الخوارج ان المتأول المخطئ معذور لا يبنى
معاقبته ولهذا فقد قال لمن طلب اليه ان يقتل المقعطر وهو احد شجعانهم بقتيل
منهم فقال لهم قطرى معتذرا له " رجل تأول فأخطأ فى التأويل ما ارى ان تقتلوه " (٣)
والتأويل مظهر من مظاهر التفكير الحر الذى تميز به الخوان ولجؤ اليه
فى معارضة المذاهب الاخرى وهذا هو مسيراه جولد زيهير حيث يقول :-

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٨٣ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٤ ،

الملل والنحل ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) آراء الخوارج ص ١٠٧ / ١١٢ . (٣) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٠٢

في تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٠٢ .

" وفي العهد الذي كان المذهب الخارجى فيه لا يزال مضطربا مهوشا لم يبلغ درجة التماسك والاستقرار ولم يصبح نظاما وضعيا محكما كانت قد ظهرت عند فقهاء الخوارج نزعات عقلية دفعت بهم الى التفكير فى المسائل الدينية تفكيراً حراً وذلك عندما غلبت على مذهبهم المظاهر السلبية التى عارضوا بها مذهب اهل السنة (١)

وهكذا نجد انفسنا فى تصوير موقف الخوارج من النصوص الشرعية بين الوقوف عند ظاهرها واعمال العقل فيها بالاجتهاد والتأويل - نجد انفسنا فى هذه القضية - بين هذين الاتجاهين السابقين ولكننا فى الوقت ذاته نرى الامام الاشعري لا يطلق أيا من هذين الحكيمين على الخوارج جميعا بل يمايز بين النصيين منهم والاجتهاديين فيقول " وهم صنفان فمنهم من يجيز الاجتهاد فى الاحكام كنحو النجدات وغيرهم ومنهم من ينكر ذلك ولا يقول الا بظاهر القرآن وهم الازارقة " (٢) بل اننا نجد ان نجدة لا يؤخذ على اى فعل يفعله الانسان حتى ولو كان تكاسح المحرمات مادام ذلك صادرا عن اجتهاد خاطئ " وهذا ما يرويه عنه ابن ابي الحديد فى قوله عند بيان الاحداث التى احدثها نجدة فجرت عليه نقمة اتباعه . . . " ومنها قوله ان المجتهد المخطئ " يمد الاجتهاد بمعذور . . . فمن استحل محرما من طريق الاجتهاد فهو معذور . " (٣)

والواقع ان الامام الاشعري كان على حق عندما ادرك انه لا يمكن وصف جميع الخوارج بانهم نصيون او بانهم مؤولون ولا يقتصر الامر على ما ذكره من اعتبار بعض

(١) العقيدة والشرعة ص ١٩٣ .

(٢) المقالات ج ١ ص ٢٠٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٤ .

الفرق نصيين ومعضهم مؤولين مجتهدين ، وانما يتردد امر الخواج بين هذين الموقفين داخل الفرق الواحدة وعلى حسب اختلاف مواقفهم من مسائل العقيدة ويبدو ان الذين حكموا على الخواج بأنهم نصيون كان لهم ما يبرر حكمهم مما وجدوه في موقف الخواج من بعض مسائل الخلاصان الذين حكموا عليهم بأنهم متأولون للنصوص على غير تأويلها الصحيح حاملون لها على غير محاملها وجدوا في مواقف الخواج من بعض مسائل العقيدة ما يبرر حكمهم هذا وكل نظر الى ناحية معينة ولو نظرنا في آرائهم واستدلالاتهم لوجدنا هاتين الظاهرتين موجودتين عند الخواج فمرة يقفون هذا الموقفومة يقفون ذاك بل ربما ادى بهم التمسك بظاهر النص دون تأويل صحيح له ودون جمع بينه وبين غيره من النصوص ربما ادى بهم ذلك الى حمله على غير محمله الصحيح وسوفيتبين لنا ذلك بوضوح بعد عرضنا لمختلف آراء الخواج ومواقفهم وانهم يقفون من النصوص احد هذين الموقفين تبعا لما يخدم اغراضهم ويساير آرائهم .

ويبدو لي ان التأويل الذي نفاه الاستاذ احمد امين والشيخ ابو زهرة رحمهما الله انما هو التأويل الصحيح الذي يفهم فيه صاحب النص الشرعي على ضوء الجمع بينه وبين غيره من النصوص الاخرى وعلى ضوء مقاصد الشريعة العامة .

اما التأويل الذي يثبت للخواج اصحاب الاتجاه الثاني فهو حمل الكلام على غير محمله الصحيح وتفسيره تفسيراً غير دقيق وهذا النوع من التأويل لا اظن ان الشيخين احمد امين وابا زهرة كانا يطلبانه من الخواج عندما ذمواهم بأنهم كانوا نصيين لا مؤولين وانما كانا يقصدان التأويل الصحيح الذي ذكرناه من قبل وهذا النوع الخامس من التأويل مذموم شرعا وهو اساس انحراف الفرق الضالة عن جادة الصواب في آرائها واحكامها وهو الذي ذم الله به اقواما تتبعوا متشابه القرآن ابتغاء

تأويله ومادخل على الفلاسفة والصوفية والمعتزلة وغيرهم من المأولين للنصوص على
هذا النحو الفاسد - مادخل عليهم - خطأهم في الرأي وفهم الشرع الا من قبل
ميلهم الى التأويل واخراج النص عن ظاهره وهو الامر الذى ادى بهم الى حمل النصوص
على غير محاملها الصحيحة ولفسیرها بغير ما یصح فیها من تفسیر .

وقد وصف ابن القيم التأويل بأنه شر من التعطيل لانه - كما يذكر - يتضمن
التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وآساءة الظن بها (١)

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٢٠

الفصل الثاني

" في بعض مسائل الالهيات والسمعيات "

تمهيد :

لم يكن للخوارج بصفة عامة بحوث مدونة في المسائل الكلامية التي تتعلق بالالهيات والنبوات والسمعيات ، اللهم الا ما حكى عنهم من آراء قليلة في بعض المسائل الاعتقادية مما لا يشكل مذهباً متكاملأ في العقيدة كمذاهب الفرق الاخرى ، وسوف نورد في هذا الفصل بعض مسائل الالهيات وما كان للخوارج اوبعضهم فيها من رأى .

آ - الالهيات :

١ - " صفات الله تعالى " :

لم اجد - فيما اطلعت عليه - من كتب علماء الفرق بياناً لرأى الخوارج في الصفات الالهية بصفة عامة والصفات الجبرية بصفة خاصة اللهم الا ما ذكره الشهرستاني عن رأى فرقة الشيبانية في صفة العلم بقوله : " وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني ابن خالد انه قال : ان الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه علماً وان الاشياء انما تصير معلومة له عند حدوثها " . (١)

مطلان هذا القول ظاهر فصفات الله قديمة بقدمه غير مخلوقة وما يخلق الله من الموجودات انما يخلقه عن علم وارادة فيستحيل التوجه الى ايجاد المجهول ثم كيف علم الله انه بغير علم حتى يخلق لنفسه علماً هذا تناقض ظاهر واما الاباضية فقد رجعنا الى كتبهم هم انفسهم لنرى رأيهم في الصفات الالهية

فتبين لنا انهم يققون منها موقف النفي او التاويل بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبهة فيها ويرون ان اثباتها يؤول الى التشبيه المذموم الذي حذروه بزعمهم - بينما هو لم يخطر على بال الصحابة الذين تلقوا تعليمهم الصافي من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم طريا قبل ان تعرف تلك التعمقات الباطلة والخوض في تلك المهمة المقفرة من علم الكلام .

وخلاصة ما يذهب اليه الاباضية في هذا المقام هو انهم يرجعون صفات العلم والقدرة والارادة الخ تلك الصفات التي اثبتها الله لنفسه والتي هي صفات كمال من لم يتصف بها كان فيه من النقص والعيب ما لا يدرك الا في الجمادات - ارجعوا تلك الصفات - الى الذات فقالوا انه عالم بذاته وقادر بذاته وهكذا كما يقول صاحب كتاب الاديان الاباضي : " وقال اهل الاستقامة ان الله سبحانه عالم بذاته وقادر بذاته لا بقدرة سواء وحى بذاته ومريد بذاته ومتكلم بذاته وسميع وصير بذاته ليس كمثل شئ وهو السميع البصير " (١)

وقال احمد بن النضر وهو من الاباضية ايضا :

وهو السميع بلا ادات تسمع	الا بقدرة قادر وحده اني
وهو البصير بغير عين ركبت	في الرأس بالاجفان وللحظاك (٢)
جل المهيم عن مقال مكيف	او ان ينال دراكه بمكان
او ان تحيط به صفات معبر	او تعتره همام الوسان (٢)

يقول السالمي :

اسماؤه وصفات الذات ليس بغير الذات بل عينها فافهم ولا تحلا

(١) الاديان والفرق ص ٥٧

(٢) كتاب الدعائم ص ٣٤ .

ولا يحيط به سبحانه بصر
دنيا واخرى فدع اقوال من نصلا
وهو على العرش والاشياء استوى وانذا

عدلت فهو استواء غير ما عـقـلا
وانما استوى ملك ومقدرة

له على كلها استيلاء وقد عدلا
كما يقال استوى سلطانهم فعلا

على البلاد فحاز السهل والجبال (١)

وانهم يشاركون في تأويل الصفات الخبرية غيرهم من الفرق المأولة كالمعتزلة والاشاعرة
وفيما يتعلق بالصفات الخبرية التي ذكرنا تأويلها التي اولها السالمى في ابياته
السابقة .

فقد شنع الوجداني ايضا على الذين يثبتونها لله مدعيا انهم رجعوا
بذلك الى التشبيه الذى وقع فيه عباد الاوثان ومن هذه الصفات التي اوردوها
صفات ، اليد ، والوجه ، والجنب والساق واليمين واليسار والاستواء وهو
يرى ان مخالفي الاباضية المثبتين لتلك الصفات " يمتنعون - كما يقول
من مذهب المسلمين الذين صرفوا هذه المعاني الى ما يليق بالبارى سبحانه
وتعالى وموجود في لغة العرب ان اليد النعمة والقدرة والوجه ذاته واليمين
القدرة والقوة والجنب والكف والساق الشدة " ثم قال ايضا " ولم يصرحوا
(اى الاباضية) بالمعنى المكروه والاولون (اى المثبتين لتلك الصفات بدون -
تأويل) وقد ردوا على الله عز وجل قوله " ليس كمثله شيء " ، فالاولون مشركون
والاخرون (ومعنى بهم الذين توقفوا في هذه الصفات فلم يقولوا فيها بشيء)

تجاهلوا فهم جاهلون • (١)

وقد استدل الميزابي عقليا على ضرورة تأويل تلك الصفات بقوله في الاستواء : (١) " الحمد لله الذي استوى على العرش أى ملك الخلق واستولى عليه وألا لزوم التحيز وصفات الخلق " • (٢)

وقال في الحجاب " الحمد لله الذى احتجب عن خلقه لا بحجاب اذا الحجاب من خلقه بمنعه اياهم عن مشاهدته " • (٣)

وهكذا قال في النزول والمجيء وغيرها من صفات اخرى ذكرها ثم اولها تأويلا باطلا لا معنى له غير التعطيل •

وقد عقد الربيع بن حبيب فصلا في مسنده " الجامع الصحيح " اورد فيه عدة احاديث عن الصحابة كلها تشير الى التأويل المحض للصفات التي تقدم ذكرها وغيرها عن علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرها من الصحابة بما لا يمكن استقصاؤه هنا •

فقد فسر فيما يرويه عن ابن عباس وغيره قوله تعالى : " والسموات مطويات بيمينه " اى في ملكه ، وفسر اليد " بالملك والقدرة " ومثلها اليمين ، وأن قوله تعالى " بل يدها مبسوطتان " اى بل رزقه مبسوط على جميع خلقه •

وفسر مجيئ الله بمجيئ امره لفصل القضاء •
واول قوله تعالى الرحمن على العرش استوى " الى معنى ارتفاع

(١) الدليل لاهل الحقول ص ٣٢

(٢) الحجة في بيان المحجة ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ١٨

ذكره وتناوله على خلقه وفسر الوجه بالذات والعين بالحفظ والنفس بالعلم
والساق بالشدة وهكذا . يورد الربيع بن حبيب الاحاديث والاثار الكثيرة
في تأويل الصفات وانكار الرومية : (١)

والواقع ان موضوع الصفات الالهية من اهم الموضوعات في مباحث الالهيات
وذلك لعلاقته بتوحيد الله تعالى في ذاته وصفاته .

ولسنا بصدد عرض اختلافات المذاهب في تلك القضية بين التعطيل
والتمثيل والتأويل ولكننا نقتصر في هذا المقام على مجرد التعقيب على رأى الاباضية
مبينين ما فيه من زيف ومطلان على هدى كتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

ففيما يتعلق بنفيهم لصفات الكمال الالهي من العلم والقدرة
والارادة والسمع والبصر والكلام والحياة وانه ليس هناك الا الذات مجردة
عن صفاتها القائمة بها - فان الله سبحانه وتعالى - قد اثبت لنفسه
تلك الصفات قال تعالى في اثبات صفة العلم : " أنزله يعلمه " .
وقد تعالى " حتى يسمع كلام الله " .

وقد سمي الله تعالى نفسه بالاسماء الحسنى كالحي القيوم
وعالم الغيب والشهادة والقوى المتين والسميع البصير الى غير ذلك ممن
الاسماء المشتقة التي يستحيل تسمية الله تعالى بها دون ان تقوم به
مصادرها الاشتقاقية وهي الصفات القائمة بذاته تعالى من العلم والحياة
والسمع والبصر الخ ولولم يكن الا الذات لكان العلم قدرة والقدرة ارادة ثم
كيف تكون الذات الالهية مجردة عن كمالاتها ثم يكون لها علم بالاشياء

(١) انظر الجامع الصحيح من ص ٣٥ الى ص ٦٠

أو قوة عليها أو ارادة لها •

ان من المستحيل وجود الذات بدون صفات وهكذا يستحيل خلو
الذات الالهية من صفاتها القائمة بها •

هذا ولم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من
الصحابه او السلف الصالح مثل هذا النفي لصفات الله تعالى عن ذاته بل
نعتوه سبحانه وتعالى بكل نعموت الكمال والعظمة والجلال ، دون ان يجدوا
فيما اثبتوه له تشبيها له سبحانه وتعالى بخلقه فكما تنزهت ذاته عن -
مشابهة ذوات المخلوقين فكذلك تنزه صفاته عن مشابهة صفاتهم •

وفيما يتعلق بالصفات الخبرية التي اولها الاباضية - سواء منها
صفات الذات او صفات الفعل - فانهم لم يفعلوا اكثر من ترديد ما قاله
غيرهم من المأولة •

ومذهب السلف في امثال هذه الصفات هو ما قاله عنهم ابن تيمية من
" أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف
ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل " (١) وهذا هو التوحيد في الصفات
كما سماه بذلك في كتابه الرسالة التدمرية • (٢)

وقول ابن القيم " لا ريب ان الله وصف نفسه بصفات وسمى
نفسه باسماء واخبر عن نفسه بأفعال واخبر انه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويسخط
ويحيي ويأتي وينزل الى السماء الدنيا وانه استوى على عرشه وان له علما
وحياة وقدرة وارادة وسما وصرا ووجها وان له يدين وانه فوق عباده وان -
الملائكة تخرج اليه وتنزل من عنده وأنه قريب وانه مع المحننين و -

(١) الفتوى الحموية ص ١٠١

(٢) الرسالة التدمرية ص ٦

الصابرين ومع المتقين وأن السموات مهابات بيمينه ووصفه رسوله بأنه يفرح
بضحك وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك * (١)

ثم استمر ابن القيم بعد هذا الكلام في مناقشة المتأولة لتلك الصفات
مثبتاً في مواضع كثيرة رأى السلف وطريقتهم في إثبات تلك الصفات لله تعالى
على ما يليق بجلال الله وعظمته دون تعطيل أو تمثيل أو تأويل ما يؤول
المقام لو نقلنا كلامه فيه .

يقول ابن تيمية * ومن تمام التوحيد أن يوصف الله تعالى بما وصف
به نفسه وما وصفه به رسوله وصان ذلك عن التحريف والتعطيل والتكييف
والتمثيل * . (٢)

وقد وصف الله نفسه بعدة صفات فقال تعالى * فيفسي وجه ربك *
وقال تعالى * بل يدها مبسوطتان * وقال تعالى أخبرا عن عيسى
أنه قال * تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك * وقال تعالى * وجاء
ربك * وقوله * هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله * وقوله * رضي الله
عنهم ورضوا عنه * وقوله * يحبهم ويحبونه * وقوله في الكفار
* غضب الله عليهم * وقوله * اتبعوا ما أسخط الله * وقوله * كره
الله أن يعذبهم * وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى * وكذا قوله * أأمنتم
من في السماء * .

ووصفه رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله * ينزل ربنا إلى سماء
الدنيا * وقوله * يعجب ربك من الشاب ليست له صبرة * وقوله

(١) مختصر الصواعق من ص ١٦ إلى ص ٢٩ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ص ٢٨٤ ج ١

" يضحك الله الى رجلين قتل احدهما الآخر ثم يدخلان الجنة " وقوله
للجارية " اين الله قالت في السماء قال اعتقها فانها مؤمنة " وفي اثبات ما
تقدم يقول ابن قدامة رحمه الله " فهذا وامثاله ما صح سنده وهدلت
رواته ثؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل " يخالف ظاهره ولا يشبهه
بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين ونعلم ان الله سبحانه لا شبيه له
ولا نظير " ليس كمثله شيء " وهو السميع البصير " وكل ما يتخيل في الذهن
او يخطر بالبال فان الله تعالى بخلافه " (١).

وهكذا يرد مذهب السلف في الصفات الخيرية كل ما ادعاه الاباضية
وغيرهم من المأولة من ان اثبات هذه الصفات يؤول الى التشبيه واثبات
الجوارح تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاثبات الكتاب والسنة لتلك الصفات
هو في حدود قوله تعالى ليس كمثله شيء " وهو السميع البصير وقوله
تعالى " قل هو الله احد الله الصمد " وهذا التنزيه لا يتناقى مع اثبات
الكلمات لله تعالى ، وحسبك ان ترى آية التنزيه في القرآن اثبتت لله صفات
السمع والبصر قال تعالى " ليس كمثله شيء " وهو السميع البصير " فسمعه
وبصره ليس كأسماعنا وابصارنا وهكذا كل ما وصف الله به من الصفات واسند
اليه من الافعال .

٢ - رؤية الله تعالى :

لقد كثر الجدل بين علماء الفرق حول مسألة رؤية الله ، واخذ كل فريق يؤيد مذهبه بأدلة يزعم انها تؤيد ما يذهب اليه من اثبات الروئية او نفيها .

اما فيما يتعلق بفرضنا هنا وهو بيان موقف الخوارج بصفة عامة والاباضية منهم بصفة خاصة من هذه المسألة ، فان الخوارج يذهبون الى استحالتها تنزيها لله بزعمهم - يقول النووي " زعمت طائفة من اهل البدع المعتزلة والخوارج ومحض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا " (١)

وقول ابن ابي العز " المخالف في الروئية الجهمية والمعتزلة ومن تبهم من الخوارج والامامية " (٢)

وقد استدل الاباضية على نفيها من القرآن الكريم بقوله تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " الانعام : ١٠٣

وصف صاحب كتاب الاديان هذا الدليل بانه يقرر ان " الله سبحانه نفى عن نفسه الروئية بآية محكمة غير متشابهة ولا متصرفة في المعاني وهو قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " (٣)

ويستدلون ايضا بقوله تعالى " قال رب ارني انظر اليك قال لمن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني " الاعراف : ١٤٣

(١) شرح النووي ج ٣ ص ١٥

(٢) شرح الطحاوية ص ١٢٩

(٣) كتاب الاديان والفرق ص ٥١

ويرد صاحب كتاب الاديان على من يحتج بقوله تعالى * وجـوـه
يوسف ناضرة الى ربها ناظرة * سورة القيامة : ٢٢ : ٢٣

الذي يستدل به على اثبات الرومية - يرد عليه - بتأويل الآية
تأويلا بعيدا لا يخفى فيه التكلف والتعسف وهو من التأويلات المذمومة .
فقد فسر ناضرة بانها حسنة مشرقة مستبشرة بثواب ربها * وفسر * السـ
ربها ناظرة * اى منتظرة لما يأتيتها من خيره واحسانه * .

واستشهد بعدة ابيات شعرية على ان ناظرة تأتى بمعنى
منتظرة ومنها قول الشاعر :

فان يك صدر هذا اليوم ولّى فان غدا لناظره قريب
ومعد ان اورد تلك الشواهد قال : * فقد دل الكتاب واللغة على صحة
ما ذهبنا اليه ومطلان ما ذهب اليه مخالفونا * (١) ومعنى بهم المبتـ
ل للرومية .

اما من السنة فقد استدلوا باحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم *
في حديث مسروق الذى يرويه عن عائشة رضى الله عنها * يا امته هل رأى محمد
ربه ليلة الاسراء فقالت لقد قف شعرى (اى قام فزعاً) مما قلت اين انت من
ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محققا رأى ربه فقد كذب ثم
قرأت * لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه
ما يشاء * الخ الحديث كما رواه صاحب وفاء الضمانة الاباضى (٢) . ثم
قال معقبا عليه * والحديث دليل لأصحابنا كالمعتزلة على تقي الرومية

(١) المصدر السابق ص ٥٢

(٢) وفاء الضمانة ص ٣٧٦ / ٣٧٧

دنيا واخرى لان ما كان نفيه تنزيها يكون عاما في الدنيا والاخرة •

وقد اورد الربيع بن حبيب الاباضي في صحيحه عدة احاديث ففى
نفي الروئية منها قوله : " قال الربيع يلفنى عن جهير عن الضحاك عن ابن
عباس أنه خرج ذات يوم فاذا هو برجل يدعوره شاخصا بصره الى السماء
رافعا يده فوق رأسه فقال له ابن عباس ادعورك بأصبعك اليمنى واسأل
بكك اليسرى واغضض بصرك وكف يدك فانك لن تراه ولن تناله فقال الرجل
ولا في الاخرة ؟ قال ولا في الاخرة فقال الرجل فما وجه قول الله تعالى
" وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال ابن عباس الست تقرأ قوله تعالى
" لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " ثم قال ابن عباس
ان اولياء الله تنظر وجوههم يوم القيامة وهو الاشرار ثم ينظرون الى ربهم متى
يأذن لهم في دخول الجنة بعد الفراغ من الحساب " ثم اورد روايات
كثيرة عن ابن عباس في نفي الروئية لله تعالى •

والملاحظ هنا ان المؤلف اورد اولا في هذا الحديث عن ابن عباس
انه نفي رؤية الله في الدنيا والاخرة في اجابته للسائل ، ثم اورد اخيرا عن ابن
عباس اثبات الروئية لاولياء الله وذلك في قوله " ثم ينظرون الى ربهم متى
يأذن لهم في دخول الجنة " • (١)

ومن الامثلة ايضا قوله " قال حدثنا افلح بن محمد عن ابي نعمر
السعدي عن علي بن ابي طالب في قوله " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة " قال تنظر وجوههم وهو الاشرار " الى ربها ناظرة " قال تنظر متى
يأذن لهم ربهم في دخول الجنة " ثم قال الربيع ايضا " وقال علي ابن ابي طالب

وعبد الله بن عباس وعائشة أم المؤمنين ومجاهد وإبراهيم النخعي ومكحول الدمشقي وعطاء ابن يسار وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وأبو صالح صاحب التفسير وعكرمة ومحمد بن كعب وابن شهاب الزهري أن الله لا يراه أحد من خلقه . (١)

وما يجدر ذكره هنا تعليقا على ما أسند إلى هؤلاء الصحابة والتابعين من نفي الرؤية أن ابن تيمية نفى أن يكون قد ورد عن أحد من السلف نفي الرؤية في الآخرة بقوله " ولم يثبت عن أحد منهم (يعني ابن عباس وعائشة وابن زريق رضي الله عنهم) إثبات الرؤية بالعين في الدنيا كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة " (٢) وما كان للصحابة أن ينفوا الرؤية بعد ما اثبتها ^{الله} نفسه واثبتها رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ناقش الورجاني أيضا بحث الرؤية بفصل طويل في كتابه الدليل لأهل العقول ورد على الأشعرى إثباته لرؤية الله في الدار الآخرة وخطأه فيما لم يخطئ فيه . (٣) ويقول صاحب كتاب المقود الفضية منهم كذلك نافية إمكان رؤية الله تعالى .

"فالأباضية يمنعون ذلك، والمنع قول عائشة من الصحابة وقادة الزمخشري وغيرهم من المعتزلة والشيعة والحجة " قوله تعالى " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " والادراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير ، فنفي ذلك عن نفسه ، وقوله تعالى لموس عليه السلام " لن تراني " وهو يقتضي

(١) المصدر السابق ص ٣٧

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٥

(٣) الدليل لأهل العقول ص ٦٣ - ٦٨

التأييد ، والاحاديث الواردة احادية ، وتقبل التأويل لتطبيق مــــع
الايات ، ولأنه يلزم من يقول بالرؤية اثبات الجهة واللون لله تعالى
وهو باطل . (١)

وكل هذه الحجج التي اوردتها الحارثي حجة باطلة مردودة على
من قال بها لان استدلاله بالايات غير صحيح وليست قاطعة في نفى الرؤية
في الدار الآخرة .

وما اسنده الى ام المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة في نفى
الرؤية في الآخرة فهو غير صحيح ايضا عند السلف كما يذكر شيخ الاسلام
ابن تيمية . (٢)

واما الزمخشري والمعتزلة والشيعة ، فليسوا بحجة في مثل
هذه المسائل التي لا تثبت الا بالنقل الصحيح ، والنقل الصحيح ولله الحمد انما
هو في جانب اهل الحق القائلين باثبات رؤية ربهم يوم القيامة .

نعم ان الابصار لا تدرك تعالى ولا تحيط به ولكنها تراه كما يليق
بجلاله وهذا لم تنفك الآية بل قد تقيد اثبات الرؤية اذ ان نفى الادراك
يقتضى اثبات الرؤية من غير ادراك ولا احاطة وهذا الجواب في نهاية
الحسن مع اختصاره كما قال النووي . (٣)

وهو ... ما عليه اكثر العلماء ، يقول ابن تيمية :

" وكذلك لا تدرك الابصار انما نفى الادراك الذي هو الاحاطة
كما قاله اكثر العلماء " . (٤)

(١) المقود الفضية ص ٢٨٧

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٦٥

(٣) شرح النووي على مسلم ج ٣ ص ٦

(٤) الرسالة التدمرية ص ٢٥

وقد جزم اسماعيل بن عليّة بان المراد بقوله تعالى " لا تدركه الابصار " اي في الدنيا . (١)

واما استدلاله بقول الله لموسى " لن تراني " على نفسي الروئية مطلقا فهو غير صحيح وقد علق الله رؤيته على ممكن وهو استقرار الجبل والمعلق على الممكن ممكن .

واما تفسير صاحب كتاب الاديان لناظرة بمعنى " منتظرة " فانه غير صحيح في هذا المقام وذلك لان النظر " اذا وصل بالى تعين للروئية ولا يجوز حمله على الثواب فان نفس روئية الثواب لا يكون انعاما وقد اورد النظر في معرض الانعام واللفظ نص في روئية البصر بعد ما نفيت عنه التأويلات الفاسدة " . (٢)

وقد قال الهراعي عن تأويل ناظرة بمعنى منتظرة وان السمع بمعنى النعمة والتقدير ثواب ربه (منتظرة) قال عن هذا التأويل انه " تأويل مضحك " . (٣)

ويقول الميزابي مستدلا على نفى الروئية " الحمد لله الذي لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة لان الروئية توجب الحلول واللون والتحيز والطول والمعرض والجهات والتراكيب والعجز والحدوث وغير ذلك من صفات الخلق " . (٤)

ويقول على يحيى ميمر ان المتطرفين من الاباضية " يغفرون من كل

(١) كتاب السنة ص ٥٨ ج ١

(٢) نهاية الاقدام ص ٣٦٩

(٣) شرح المفيدة الواسطية ص ٨٦

(٤) الحجة في بيان المحجة ص ٥ وانظر غاية المراد ص ٧ .

ما يـ وهم التشبيه ولو بتأويل بعيد فرارا شديدا * (١) وذكر عن امامهم جابر بن زيد انه اقتدى بالصحابه في نفي الرويه مثل حديث عائشه رضي الله عنها * من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية * (٢)

والواقع ان هذا النفي هنا انما هو في الدنيا اى ان ام المؤمنين لم تنفى وقوع الرويه في الآخرة وانما نفت وقوعها قبل يوم القيامة .
ولكن الاباضية وهم ينفون الرويه عموا دلالة الحديث ليستقيم لهم الاستدلال به على نفي الرويه مطلقا .

وقد حاول على محمدر ان يوفق بين المثبتين للرويه من السلف والنافين لها من الخوارج والمعتزلة وغيرهم من اهل البدع فذهب الى القول بأن بعض علماء اهل السنة يقولون بأن الرويه معناها حصول كمال العلم بالله تبارك وتعالى وعبر عنها آخرون منهم بان الرويه فيما يقول - تقع بحاسة سادسة هي كمال العلم ، ثم قال :

" واختلف تعابيرا لكثير منهم ولكنها تتلاقى في النهاية على نفس كامل الصورة التي يتخيلها الانسان لصورة رائى ورئى وما تستلزمه فـ في حدود وتشبيه وتتفق في النهاية على الابتعاد عما يشعر بأى تشبيه في اى مراتبه بالمحدودية في كل اشكالها * (٣) وقال مثبتا رأى المعتدلين منهم في الرويه " المعتدلون من الاباضية لا يمتنعون ان يكون معنى الرويه هو كمال العلم به تعالى ويمنعون الرويه بالصورة المتخيلة

(١) الاباضية بين الفرق ص ٢٢٧ .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ ص ٦٠ .

(٣) الاباضية بين الفرق ص ٢٤٥ .

عند الناس * (١)

والواقع ان كمال العلم شئ، والرؤية شئ آخر لان الرؤية
انكشاف تام لا يكون الا عن طريق الابصار، اما كمال العلم فهو بالعقل •
وتفسير الرؤية بالكمال في العلم تاويل للفظها بغير ما يستعمل
به في العربية •

ثم ان الرؤية لا تستلزم التشبيه في جانب الله تعالى والاتصاف
بأوصاف الحوادث التي ذكروها لانها رؤية لله كما يليق بذاته ويجزى
الامر في مسألة الرؤية على نحو ما يجزى عليه من صفات الله تعالى وأفعاله
من تنزهه فيها عن مشابهة المخلوقين وحيث لا تتساوى ذاته بذواتهم
فلا يلزم من رؤيتهم له ما يلزم من رؤية بعضهم لبعض •

واذا انتهينا الى هذا الحد من الرد على المانعين لرؤية الله تعالى
نقلا وعقلا، فإنا نقرر هنا ان السلف يذهبون الى اثبات ما اثبته الله لنفسه
وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم اثباتا حقيقيا بعيدا عن تأويلات اهل البدع
الذين يذهبون الى نفى رؤية الله تعالى التي ثبتت صحتها ووجوب اعتقادها
على كل مسلم بعد ان دلت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية على صحة وقوعها
يوم القيامة •

لقد ثبت باجماع السلف والائمة ان الله تعالى يرى في الآخرة
يراه اهل محبته ورضوانه وهو خير ما وعد الله به عباده المؤمنين بل هو كمال

النعميم في الدار الآخرة كما قال ابن القيم ^(١) رحمه الله ، لا يشك في صحة وقوعه إلا أهل البدع والضلالات .

وطول بنا القول لو اردنا اثبات الأدلة على الروئية واقـوال السلف في هذا الامر ومن تلك الأدلة التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى * وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة * وقوله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة * فقد فسرت الزيادة بأنها النظر الى الله تعالى كما ذهب اليه علماء السلف . (٢)

وقوله تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجومون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون * يقول الدارمي * ففي هذا دليل ان الكفار كلهم محجومون عن النظر الى الرحمن عز وجل وان أهل الجنة غير محجومين عنه * (٣)

ومثله قوله تعالى * ولدينا مزيد * فوها انس بن مالك * بأن الله يتجلى لهم كل جمعة * . (٤)

ومن السنة ما جاء عن جرير قال كما جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر قال انكم ستشرون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا * . (٥)

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم أيما والد جحد ولده احتجب الله

(١) طريق الهجرتين ص ٥٩

(٢) انظر الرد علي الجهمية ص ٤٦ وانظر ص ٥٢ وانظر كتاب السنة ص ٤٥

(٣) الرد علي الجهمية ص ٤٥

(٤) المصدر السابق ص ٥٣

(٥) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٧٩ .

منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين * قال أبو سعيد * ففي هذا الحديث دليل انه اذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض * (١)

وكذا ما جاء عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال * انكم لن تتروا ركم حتى تموتوا * (٢)
فلا اعتبار للكلام هؤلاء المبطلين في نفى الرواية مع قول الله عز وجل وقول رسوله الكريم وقول السلف الصالح الذين لهم القدم الراسخة في العلم .

يقول الطحاوى * والرواية حق لاهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا * وجوه يؤخذ ناضرة الى ربها ناظرة * وقول ابن ابي المزمع معلقا على هذا الكلام * المخالف في الرواية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والامامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد قال بثبوت الرواية الصحابة والتابعون وائمة الاسلام المعروفون بالامامة في الدين واهل الحديث وسائر طوائف اهل الكلام المنسوبون الى السنة والجماعة * (٣)
ويقول ابن تيمية * ان كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت باجماع السلف والائمة مثل ما روى اللالكائي عن علي بن ابي طالب انه قال ان من تمام النعمة دخول الجنة والنظر الى الله في جنته .

وعن عبد الله بن مسعود انه قال في مسجد الكوفة * والله ما منكم من انسان الا ان ربه سيخلو به يوم القيامة قبل الحديث فقال : * والله ما منكم من انسان الا ان ربه سيخلو به يوم القيامة

(١) الرد على الجهمية ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩ .

(٣) شرح الطحاوية ص ١٢٩ .

كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ماترك بي يا ابن آدم (ثلاث مرات) ماذا اجبت المرسلين (ثلاثا) كيف عملت فيما علمت "

وعن اشهب قال : وسئل مالك عن قوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " اينظر الله عز وجل قال نعم ، فقلت ان اقواما يقولون ينظر ما عنده قال بل ينظر اليه نظرا .

وعن الازاعي انه قال اني لأرجو ان يحجب الله جهما واصحابه افضل ثوابه الذي وعده اوليائه حيث يقول (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) - فوجد جهم واصحابه افضل ثوابه الذي وعده اوليائه .

وعن عبد الله بن المبارك قال ما حجب الله عنه احدا الا عذبه ثم قرأ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) قال بالرواية (١) .

ومن اراد التوسع في هذا فان في كتابات شيخ الاسلام ابن تيمية غنى لكل طالب وقد جاء في كتابه " بيان تلبيس الجهمية " بعدة اقوال عن علماء السلف كلها ثبت وقوع رؤية الله تعالى ولا بن القيم في كتابه " حادى الارواح " (٢) فصل طويل اورد فيه مالا مزيد بعده من النقل والاحتجاج لاثبات الرؤية وابطل كل ما احتج به اهل البدع من نفيها ادلة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واقوال الائمة الاربعة .

وخلاصة القول في هذه المسألة ان رؤية الله تعالى تعتبر عند السلف امرا معلوما من الدين بالضرورة لا يمارى فيها احد منهم .

(١) بيان تلبيس الجهمية ص ٤١٥ / ٤١٨

(٢) انظر حادى الارواح ص ١٩٦ الى ص ٢٤٠ وانظر الابانة ص ١٠ و ص ١٢ - ١٩ وانظر " الرد على الجهمية ص ٥٣ / ٥٤ ، لكلمة الاعتقاد ص ١٩ .

٣ - القول بخلق القرآن :

هذه المسألة من المسائل التي أخذت من الوقت والجهد وشدة الجدل بين أرباب المذاهب الكلامية أكثر مما ينبغي لها ، فقد سفكت بسببها دماء كثيرة وجرت من أجلها محن عظيمة ولأيا متتالية على العلماء في زمن المأمون والمعتصم ، واشتد الأمر وضحت السجون بالمخالفين فيها القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود .

وكان أكبر من تزعم تلك الفتنة ابن أبي دؤاد الذي اشتهر بانسه من أكبر من ناضل في سبيل القول بخلق القرآن فغلب المأمون على أمره ووقع تحت تأثيره وجرى ما قد كتبه الله في سابق علمه .

ولست الآن بصدد التاريخ لما حدث في تلك الفتنة وإنما نقصد هنا بيان رأي الخوارج في مسألة القول بخلق القرآن ، الذي لم يعد وللهم الحمد يذكر على لسان أحد إلا في بطون الكتب وبين العلماء .

لقد ذكر علماء الفرق أن الخوارج قد قالوا بخلق القرآن واعتقدوه حقاً لا يمارى فيه بزعمهم ولهم شبه وأهية وتاويلات بعيدة وفي ذلك يروى الأشعري أن الخوارج كلهم يقولون بأن القرآن مخلوق باجماع منهم على هذا الحكم فيقول : - " والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن " . (١)

ويقول ابن جميع الاباض في مقدمة التوحيد " وليس من قال ان - القرآن غير مخلوق " (٢) وقد بين الوريثاني الاباض أدلتهم على خلق القرآن وناقش فيه المخالفين لهم بقوله " والدليل على خلق القرآن ان لاهل الحق

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٣

(٢) مقدمة التوحيد ص ١٩ .

عليهم أدلة كثيرة وأعظمها استدلالهم على خلقه بالأدلة الدالة على خلقهم هم
فإن أبوا من خلق القرآن أبينا لهم من خلقهم ، وقد وصفه الله عز وجل في كتابه
وجعله قرآنا عربيا مجمولا * (١)

ثم جاء بالأدلة وهي الآيات التي ذكر فيها نزول القرآن وهي كثيرة
مثل قوله تعالى :

" انا انزلناه في ليلة القدر " القدر : ١ وقوله تعالى : " نزل
به الروح الامين " الشعراء : ١٩٣ وقوله " انا انزلناه في ليلة مباركة
انا كنا منذرين " الدخان : ٣ وغيرها من الآيات ، ويقول الحارثي الاباضي
في اثبات رأى الخواجه في القول بخلق القرآن ايضا * فعند المحققين من
الاباضية انه مخلوق اذ لا تخلق الاشياء اما ان تكون خالقا او مخلوقا وهذا القرآن
الذي بايدنا نقرؤه مخلوق لا خالق لانه منزل ومتلو وهو قول الممتزلة * (٢) .
وفيما يتعلق بموقف السلف في هذه القضية فانهم يمتنعون عن
وصف القرآن بما لم يوصف به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
السنة الصحابة من انه مخلوق او غير مخلوق وفي هذا يقول ابن تيمية مبينا رأى
السلف في هذه المسألة :

" وكما لم يقل احد من السلف انه مخلوق فلم يقل احد منهم انه قديم
لم يقل واحدا من القولين احد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا من
بعدهم من الائمة ولا غيرهم بل الاثار متواترة عنهم بانهم كانوا يقولون القرآن كلام
الله * (٣)

(١) الدليل لاهل العقول ص ٥٠ ثم انظر ص ٦٨-٧٢

(٢) المقود الفضية ص ٢٨٧

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٣ ص ٢٠ (كتاب مذهب السلف القديم)

يقول ابن قدامه * ومن كلام الله تعالى القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود * (١)

وقد كثر من علماء السلف من قال بخلق القرآن اورد منهم الاشعري عددا كثيرا ثم قال * ومن قال ان القرآن غير مخلوق وان من قال بخلقه كافر من العلماء وحملة الاثار ونقله الاخبار لا يحصون كثرة * يقول ايضا * " وقد احتججنا لصحة قولنا ان القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل وما تضمنه من البرهان ووضحه من البيان ولم نجد احدا ممن تحمل عنه الاثار وتتقل عنه الاخبار يأتهم به المومنون من اهل العلم يقول بخلق القرآن وانما قال ذلك رعاى الناس وجهال من جهالهم لا موقع لقولهم * (٢)

ومثله ما اورد الدارمي والامام احمد بن حنبل من اقوال العلماء السلف يگفرون فيها من قال بخلق القرآن (٣) وهي اقوال كثيرة لا حاجة بنا الى سردها هنا لأن مضمونها كما قلنا واحد وهو اثبات القول بعدم خلق القرآن وتكفير من قال بخلقه .

واما احتجاج القائلين بخلق القرآن بقوله تعالى * انا جعلناه قرآنا عربيا * الزخرف : ٣ اى خلقناه قرآنا عربيا فهذا احتجاج باطل اذ ان جعل التي بمعنى خلق تتعدى الى مفعول واحد وهنا تعدت الى مفعولين فهي ليست بمعنى خلق .

(١) لمعة الاعتقاد ص ١٧

(٢) انظر الابانة ص ٢٩ وانظر شرح الطحاوية ص ١٠٦

(٣) انظر كتاب السنة ص ١٥ الى ص ٢٩ الرد على الجهمية من ص ٨٥ الى ٨٩

وينقض ايضا احتجاجهم هذا قوله تعالى " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا " سورة الزخرف : ١٩ .

وكذا قوله تعالى " ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كهيلا " النحل : ٩١ .

فهل يصح جعل في هاتين الآيتين وامثالهما بمعنى خلق هذا لا يمكن . فلو كانت جعل تأتي بمعنى خلق دائما على ما قالوه لكان المعنى واضحا وهو ان قريشا خلقت الملائكة ، وكذا الآية الاخرى " وقد جعلتم الله عليكم كهيلا " تعالى الله وتقدس .

واما الاحتجاج على خلقه بانزاله فان هذا لا دلالة لهم فيه ، وذلك ان الانزال او النزول لا يعرف من اطلاقه على الحقيقة الا انه هبوط من مكان عال الى مكان اسفل منه وقد اثبت الله تعالى ان القرآن منزل منه تعالى بمعنى انه تكلم به الى نبيه عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام الذي نزل به الى قلب سيد المرسلين وهذا هو الواضح والمعروف فيه ولهذا فقد فهمه الصحابة ولم يبحثوا فيما وراءه لعلهم بانه غير مقصود ، ولكن الجهلة من المبتدعة القائلين بخلقهم تجاوزوا هذا الامر الواضح وتعسفوا النصوص على ما يوافق اهواءهم المنحرفة ، مع ان النزول والتنزيل والانزال في الحقيقة كما يقول العلامة ابن القيم " مجيء الشيء او الاتيان به من علو الى اسفل هذا المفهوم منه لغة " (١) ولا يلزم منه خلق المنزل فقد أسند النزول الى الله عز وجل وهو قديم ، كما وصفه به رسوله انه ينزل الى سماء الدنيا .

(١) مختصر الصواعق ص ٢٧٨

وقد حاول على يحيى معمر الاباضى ان يجعل الخلاف بين القائلين بخلق القرآن وبين النافين له خلافا لفظيا اذا اهل جانبا التطرف — كما يقول —
 ومخني به انه لما اشتد الجدل بين الطرفين في مسألة خلق القرآن انقسموا
 الى فريقين " فتطرف جانب حتى زعم ان المصاحف والحروف قديمة ، وتطـرف
 جانب اخر حتى نفى صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى " (١) ويرى
 أنه " يكفي ان يلتقى المسلمون على حقيقتين في هذا الموضوع هي ان الله
 تبارك وتعالى سميع بصير متكلم ، وان القرآن الكريم كلام الله عز وجل انزله
 على رسوله صلى الله عليه وسلم " (٢) ولا شيء فيما يريد على معمر ان يجمع
 عليه الناس في هذه القضية لولا انه لم يوضح رأيه في خلق القرآن بل اكتفى بالقول
 بانه كلام الله انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو كذلك لولا ان الاباضية
 يستدلون على خلق القرآن بانزاله فلا يكفي اذا ما رآه كافيا للتوفيق بين القائلين
 بخلق القرآن او انزاله وبين القائلين بعدم خلقه .

هذا ولا بد من الاشارة الى ان بعض العلماء من الاباضية قد خرج
 عن القول بخلق القرآن ، فصاحب كتاب الاديان وهو اباضى يرد على المعتزلة
 ويبتل قولهم بخلقه فيقول " فان عارض معارض واحتج بقول الله سبحانه
 (خلق السموات والارض وما بينهما) السجدة : ٤ فكل شيء بين السماء والارض
 فهو مخلوق قلنا لهم وقد قال الله تعالى " وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
 الا بالحق " الحجر : ٨٥ فالحق الذى خلق به السموات والارض وما بينهما هو
 كالمه وهو خارج عن الاشياء " (٣)

(١) و (٢) الاباضية بين الفرق ص ٢٤٤ / ٢٤٥

(٣) نقلا عن اراء الخوان ص ١٥٤ / ١٥٥

ومن ائمة الاباضية القائلين بان القرآن غير مخلوق ايضا ابو النضر
الهماني فانه كان ينكر ذلك القول انكارا شديدا وله قصيدة طويلة
يرد بها على القائلين بخلق القرآن بلغت خمسة وسبعون بيتا وهي قصيدة جيدة
فيها ابطال كل ما احتج به القائلون بخلقه يقول في هذه القصيدة :

يا من يقول بفطرة القرآن	جهلا وثبت خلقه بلسان
لا تحل القرآن منك تكلفا	بيدائع التكليف والبهتان
هل في الكتاب دلالة من خلقه	او في الرواية فأتنا ببيان
الله سماه كلاما فادعه	بدعائه في السر والاعلان
الا فهات وما اظنك واجدا	في خلقه يا غر من برهان (١)

ثم شرع في الرد بالتفصيل مبينا ان الجمل في قوله تعالى " انا جعلناه
قرآنا عربيا " ليس نصا صريحا في الخلق ثم استدل بدعاء ابراهيم الوارد في
قوله تعالى " رب اجعل هذا البلد آمنا " ابراهيم : ٣٥ وقوله " ربي اجعلني
مقيم الصلاة " ابراهيم : ٤٠ الخ .

وعلى كل حال فان الخواج لم يقتصروا على القول بخلق القرآن بل
كانت منهم طائفتان اقدمتا على ما لم يخطر على بال مسلم يؤمن بأن القرآن
كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وانه كلام حق من فاتحته
الى خاتمته لم يدخله باطل في كل آياته - لم يخطر هذا القول في حساب
مسلم يؤمن بالله ربا ومحمدا نبيا فضلا عن اعتقاده هاتان الطائفتان هما
المجاردة واليمونية فقد انكرتا سورة يوسف وادعتا بانها ليست من القرآن
وحجتهم في هذا ان القرآن جاء بالجد وسورة يوسف اشتملت على قصص الحب -

(١) انظر كتاب الدعائم ص ٣١ - ٣٥

والعشق ، وقد جزم كثير من العلماء بصحة ما نسب الى الميمونية والمجاردة في هذا الاعتقاد وان كان الاشعري قد حكى عنهم هذا القول وهو غير جازم بصحته حيث قال " وحكى لنا عنهم ما لم نتحققه انهم يزعمون - يعنى - المجاردة - ان سورة يوسف ليست من القرآن " (١)

وتبعه الشهرستاني فذكر هذا القول على انه قد حكى عنهم ، ولكن صاحب كتاب الاديان يقول عنهم " ونكرون سورة يوسف انها ليست من القرآن ويقولون هي قصة من القصص خلافا لأهل الاستقامة - يعنى بحسبهم الاباضية - يقولون القرآن كله كلام الله " (٢) وكما قال الاشعري في المجاردة ، قال في الميمونية ، فحكى عنهم هذا القول وهو غير مثبت من صحته ، ولكن البغدادي قد بين سند هذا القول اليهم بأنه من حكاية الكرابيسي وذلك في قوله :

وحكى الكرابيسي عن الميمونية من الخواج انهم انكروا ان تكون سورة يوسف من القرآن ونكر بعض القرآن كمنكر كله " (٣) ويزيد الشهرستاني في السند الكمبي والاشعري فيقول " وحكى الكمبي والاشعري عن الميمونية انكار كون سورة يوسف من القرآن " (٤) ويجزم صاحب كتاب الاديان والفرق بأن ميمونا انكر سورة يوسف انها من القرآن وذلك في قوله عنه " وانكر سورة يوسف انها ليست من القرآن على قول عبد الكريم بن عجرد " (٥)

(١) المقالات ج ١ ص ١٢٨ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨

(٢) قطعة من كتاب في الاديان ص ١٠٤

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨١

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

(٥) الاديان والفرق ص ١٠٤

٤ - القدر :

الخواجه في مسألة القدر ثلاث طوائف .

الطائفة الاولى :

منهم ذهب الى القول بانكار القدر ، والقول بخلق الانسان

لافعاله الاختيارية وهم بهذا الرأي يذهبون الى قول القدرية .

وتضم هذه الطائفة من فرق الخواجه الميمونية ، والحمزية والحارثية

والشيبية . وقد ذهب الميمونية الى القول بان الله تعالى لما خلق ^{الطائفة} اودع فيهم

القدرة على اختيار كل ما يريدون من افعال واعمال ليس لله مع مشيئتهم مشيئة

فهم الخالقون لافعالهم خيرها وشرها دون ان يكون لله في ذلك اي اثر

قال الاصحى عنهم " والذي تفردوا به القول بالقدر على مذهب المعتزلة وذلك

انهم يزعمون ان الله سبحانه فوض الاعمال الى العباد وجعل لهم الاستطاعة

الى كل ما كلفوا فهم يستطيعون الكفر والايمان جميعا ، وليس لله سبحانه وتعالى

في اعمال العباد مشيئة وليست اعمال العباد مخلوقة لله " (١)

ومثل هذا ما اورده البغدادي عنهم (٢) ويقول عنهم الشهرستاني

" الميمونية اصحاب ميمون بن خالد كان من جملة المجاردة الا انه تفرد عنهم

باثبات القدر خيره وشره من العبد واثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا واثبات

الاستطاعة قبل الفعل والقول بأن الله تعالى يريد الخير دون الشر وليس

له مشيئة في معاصي العباد " (٣)

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٧ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٠

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩ .

ومثل قول الميمونية في القدر قالت الحمزية فصارت هذه الفرقــــــــــــــــة
قد رية ، وهم ينسبون الى زعيمهم حمزة بن اكر ك الذي كان في الاصل من العجاردة
الغازمية فلما قال في القدر بقول القدرية اكثرته الغازمية وتبرأت منه . (١)
وقد خرجت عن فرقة الاباضية فرقة تسمى الحارثية اتباع حارث بن الاباضي
هذه الفرقة قد مالت الى القدرية فقالوا بقولهم مخالفين سائر فرق الاباضية
فيذكر الاشعري عنهم انهم * قالوا في القدر بقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر
الاباضية * (٢) ولكن * اكثرهم سائر الاباضية في ذلك * (٣)

ومن قال في القدر بقول القدرية من الخوارج ايضا الشبيبية وهم
اتباع شبيب فقد قالت هذه الفرقة بقول المعتزلة فبرئت منهم البيهــــــــــــــــسية
وكانت تقول * ان الله تعالى فوض الى العباد ، فليس لله في اعمال العباد
مشيئة * (٤)

الطائفة الثانية :

وهم الذين ذهبوا الى القول بالجبر كما قال جهم بن صفوان
وهم طائفة من الازارقة زعموا ان المبد مجبر على افعاله وان لا استطاعة له اصلا ،
وقد ذكرهم ابن حزم ووصفهم بانهم يوافقون قول جهم بن صفوان في هذا الباب . (٥)

-
- (١) المقالات ج ١ ص ١٧٧ ، الفرق بين الفرق ص ٩٨ .
(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٤ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٥ .
(٤) المقالات ج ١ ص ١٩٤ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧ .
(٥) الفصل : ج ٣ ص ٢٢

ومثل هذه الطائفة من الازارقة فرقة الشيعانية فانها تقول بالجبر
ايضا كالجهنم فيما يذكر الشهرستاني عنهم بقوله * ومن مذهب شيان انه
قال بالجبر ووافق جهنم بن صفوان في مذهبه الى الجبر * (١)
أما الطائفة الثالثة :

فهم المعتدلون الذين قالوا بقول اهل السنة في اثبات القدر خيره
وشره حلوه ومرة من الله تعالى وان الله خالق كل شيء وان الانسان
فاعل لافعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها *

وقد ذهب الى هذا القول بعض فرق الخواج كالاباضية ، وكفرق اخرى
مثل الشيعية اصحاب شعيب الذي انفصل عن اليمونية فاثبت شعيب خلاقا
ليمون خلق الله لاعمال العباد وعموم مشيئته كما قال الاشعري ومثله
البغدادي والشهرستاني في حكايتهم لاعتقاده بانه يقول * ان الله تعالى
خالق اعمال الخلق والعبد مكتسب لها قدرة وارادة مسئول عنها خيرا او شرا
مجازي عليها ثوابا وعقابا ولا يكون شيء في الوجود الا بمشيئة الله تعالى * (٢)

وعلى مثل هذا الاعتقاد فرقة الخلفية ، اصحاب خلف ، هذه الفرقة اثبتت

القدر والاستطاعة والمشيئة وقالت في هذه الثلاثة بقول اهل السنة فاضافوا القدر
خيره وشره الى الله تعالى * (٣) ، وكانت لهم معارك حامية مع الحمزية اتباع
حمزة بن اكرع في بلاد كرمان حريا وجدا لا ، ومثلها تماما في الاعتقاد فرقة الخازمية
كما نصر على ذلك الاشعري والبغدادي والشهرستاني فقالوا لا خالق الا الله ولا يكون
الا ما شاء الله وان الاستطاعة مع الفعل ، وكفروا اليمونية ليلهم الى القدرية في هذا
الباب *

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٣

(٢) انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣١ المقالات ج ١ ص ١٧٨ الفرق بين الفرق ص ٩٥

(٣) المقالات ج ١ ص ١٧٧ الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠ ، الفرق ص ٩٦ رسالة
الدبسي ص ٣٠ *

ومن قال يثبت القدر وان افعال العباد مخلوقة لله تعالى من فرق
الخوارج المجهولية كما اثبت الاشعري والشهرستاني وغيرهما من علماء الفرق عنهم
ذلك الاعتقاد .

اما رأى الاباضية في باب القدر فهم يؤمنون بان الله خالق كل شئ
خلق المبد وفعله وهم يمتنعون عن مذهبي الجبرية والقدرية فيقولون افعالنا خلق
من الله ونحن المكتسبون لها والمجازون عليها ثوابا وعقابا يقول النفوس في
متن عقيدة التوحيد الاباضية :

فأفعالنا خلق من الله كلها ومنا اكتساب بالتحرك بالبدن (١)
ويقول السالمى :

والقضاء ، والرحمن قدره وانه خالق افعالنا جللا
لكنه لا يجبر كان منه لنا وعلمه سابق في كل ما جهلا
وانما الفعل مخلوق ومكتسب فالخلق لله والكسب لمن فعلا (٢)

وقال الميزابي منهم : الحمد لله الذى افعالنا خلق منه وكسب منا لا جبر ولو كانت
اجبارا لم يكن عليها مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب ولا أمر ولا نهى ولا كتاب
ولا رسول ولا نصب دليلا " (٣)

ويقول على يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية :
" بيد وانه لا خلاف بين الاباضية واهل السنة في موضع القدر " (٤) . ثم
قال في موضع اخر مبينا عقيدة الاباضية في القدر وان من اعتقادهم " ان الايمان
لا يتم حتى يؤمن المسلم بالقدر خيره وشره انه من الله تبارك وتعالى ، وان افعال

(١) متن النونية ص ١٢
(٢) غاية المراد ص ٩
(٣) الحجة في بيان المحجة ص ٢٣
(٤) الاباضية بين الفرق ص ٢٤٨

الانسان خلق من الله واكتساب من الانسان يعتمدون عن رأى المجبرة كما
يعتمدون عن رأى . . . من يقول بان الانسان يخلق افعاله (١) وهكذا
في كتابه الاخر الاباضية في موكب التاريخ وزاد مستقلا على ذلك بالايات الالهية
" والله خلقكم وما تعملون " الاله الخلق والامر " هل من خالق غير الله " -
" والله خلق كل شيء " (٢)

وقد نقل عنهم علماء الفرق هذا الرأى كالأشعري والشهرستاني فيما
يحكيه عن الكعبي والبغدادى . (٣)

والاستنطاعة عند جمهورهم مع الفعل وليس قبله وهي التي يحصل بها
الفعل قال قطب الاثمة " واما الاستنطاعة فهي عندنا مع الفعل لا قبله " (٤)
ويقول الحارثي في بيان اعتقادهم " ومن ذلك انهم يؤمنون بالقضاء
والقدر انه من الله ولمن الخير والشر من الله وكسب من العباد وهو
يرافقون اهل السنة في هذا والحجة قوله تعالى " والله خلقكم وما تعملون "
" والله خالق كل شيء " " الاله الخلق والامر " لا يسأل عمل يفعل وهم
يسألون " ولو ثبت للمباد خلق لزم ثبوت شريك " هل من خالق غير الله " -
" هذا خلق الله فارضى ماذا خلق الذين من دونه " (٥) .

والواقع ان الرأى الاخير وهو القائم على الايمان بالقدر الأزلى وخلق الله
لكل شيء في الكون وفعل العبد لافعاله الاختيارية وسوء وليته عنها وهو مذهب

-
- (١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣٥٧
(٢) الاباضية في موكب التاريخ ص ٦٠
(٣) انظر مقالات الأشعري ج ١ ص ١٨٧ / الفرق بين الفرق ص ١٠٥ / الملل والنحل ص ١٣٤
(٤) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٨٤
(٥) العقود الغضية ص ٢٩٠ .

السلف الصالح - الواقع - ان هذا الرأي هو اصح الآراء في هذا المقام فهو مقتضى الايمان بالله المتفرد بالربوبية والالوهية في الكون ومقتضى ما جاء في الشرع من التكليف والجزاء ، فمذهب كل من الجبرية والقدرية مردود وقد اخطأ الخوارج الذين قالوا بهذين المذهبين الباطلين •

ب - السـمـمـيـات :

١ - وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة :

ينكر الخوارج وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة ويقولون ان خلقهما لا يتم الا في الدار الآخرة وهذا ما ذكره ابن حزم عنهم بقوله :

" ذهب طائفة من المعتزلة والخوارج الى ان الجنة والنار لم يخلقا بعد " ويقولون عن ادلتهم على دعواهم هذه : " وما نعلم لمن قال لانهما لم يخلقا بعد حجة أصلا اكثر من ان بعضهم قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وذكر اشياء من اعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة ويقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون انها قالت " رب ابني لي عندك بيتا في الجنة قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى " (١)

والواقع ان الجدل في كونها موجودتين الان او غير موجودتين جدال لا ينبغي ان يحتدم بهذه الحدة بين اولئك النافين لوجودهما الان سـمـوا كانوا من الخوارج او من غيرهم ، فالجنة والنار موجودتان قد اعدت كل منهما لاهلها كما تقرره الايات البيّنات والاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو مذهب جمهور المسلمين كما حكاه ابن حزم • (٢)

وأما ما احتج به المنكرون سبقا من أن الجنة لو كانت موجودة الآن لما ذكر في الأحاديث أن الأعمال الصالحة يفرس بها لصاحبها شجر في الجنة ، فهو قول غير صحيح إذ أن البيت الجميل المتكامل البناء والحسن لا يمنع أن يـزاد فيه أنواع التحسينات والنقوش والزخرفة ما يزيده جمالا وحسنا •

وأما الأدلة على وجودهما الآن فهي كثيرة جدا ، من الكتاب والسنة وقد ذكر العلماء كثيرا من تلك الأدلة ومن ذلك قوله تعالى عن الجنة أنها " أعدت للمتقين " آل عمران : ١٣٣ وعن النام أنها " أعدت للكافرين " آل عمران : ١٣١ وقوله تعالى " ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى " النجم : ١٣

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأسراء والمعراج " ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى ففضيها الوان لا أدري ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا هي جنبذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك " (١) ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " أن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالفداء والمشى أن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " (٢)

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رأى الجنة وتناول منها عنقودا وقال لهم " ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا " (٣) •

وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت في الجنة

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٠٧

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٥

(٣) أخرجه مسلم ج ٣ ص ٣٤

فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء * (١)
وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم * (٢)
إلى آخر ما ورد من الأحاديث في هذا الباب تدحض رأي القائلين بعدم وجود
الجنة والنار الآن كالخواجه ومن قال بقولهم من المعتزلة والقدرية •
٢ - عذاب القبر :

وأما عذاب القبر فأكثر الخواجه شكره ، وتزعم أنه غير صحيح ولم
يلتفتوا إلى ما جاء فيه من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد بثبوته •
يقول الأشعري * والخواجه لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى
أحدا يعذب في قبره * (٣)

يقول ابن حزم كذلك * قال أبو محمد ذهب ضرار بن عمرو الفطفاني
أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخواجه (٤)
وأما الإباضية فالظاهر أنهم غير متفقين على نفي عذاب القبر أو ثبوته
بل انقسموا إلى فريقين فريق يقول بثبوته وآخر ينفيه ، وهذا ما يذكره النفوسى
بقوله :

وأما عذاب القبر ثبت جابر وضمفه بعض الأئمة بالوهدن
وأما ورد الناس للنار أنه ورد يقين الملم واللمع بالعين (٥)
وأما رأى السلف في عذاب القبر فهو الاعتقاد بأن ذلك كائن لا محالة كما أخبر

(١) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٥ وانظر صحيح مسلم ج ٣ ص ٣٤

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٩

(٣) المقالات ج ١ ص ٢٠٦ (٤) الفصل ج ٤ ص ٦٦

(٥) متن النونية ص ٢٧

بذلك الصادق المصدق وان الشخص يعذب فيه او ينعم على هيئة لا يعلمها الا الله تعالى وحده ، وهذا العذاب هو جزاء بسيط من عذاب يوم القيامة كما قال تعالى في ثبوت ذلك عن آل فرعون " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب " المؤمن : ٤٦

يقول الطبري عن تعذيب آل فرعون " انهم لما هلكوا وغرقهم الله - جعلت ارواحهم في اجواف طير سود فهي تعرض على النار كل يوم مرتين - غدوا وعشيا الى ان تقوم الساعة " (١)

وقد جاءت الاحاديث بصحة القول بوجود عذاب القبر ونعيمه بروايات عديدة توجب الاعتقاد الجازم بصحة وقوعه ومنها :

١ - عن ابي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيى والممات ومن فتنة المسيح الدجال *

٢ - ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من انه دعا لجنائزة بدعاء قال فيه " وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر او من عذاب النار " (٢)

٣ - عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتبهنا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأننا على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الارض فرفع رأسه فقال " استمعوا من عذاب القبر " مرتين او ثلاثا " (٣)

(١) تفسير الطبري ج ٢٤ ص ٧١

(٢) انظر صحيح البخارى ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٣ / صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٩

(٣) سنن ابي داود ص ٥٤٠ ج ٢

والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا كلها تدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض على حقيقة عذاب القبر فلا يكذب به بعد ورود هذه الاحاديث الا من هلك فالايان بذلك عند السلف من الضروريات المسلمة يقول ابن ابي العز عن حديث البراء الانف الذكر * وذهب الى موجب هذا الحديث جميع اهل السنة والحديث وله شواهد من الصحيح * ثم اورد عدة شواهد للبخارى والباحث ثم قال * وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والايان به ولا يتكلم في كفيته اذ ليس للعقل وقوف على كفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار * (١)

واما انكار من ينكر عذاب القبر بحجة ان الميت يفنى فيه ويصبح ترابا اوبحجة ان من احرق او اكلته السباع لا يمكن تعذيبه فانه امر لا ينبغي اعتباره في مقابلة النصوص الثابتة ، اذ ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعذب الميت بحاسبه في اى صورة كان فان التعذيب ليس على الجسد المعمود فقط فاذا ذهب انتهى عذابه * وانما الروح هو الذى يعذب او ينعم في القبر قبل يوم القيامة ولا مانع في قدرة الله ان يصل المذاب الى الجسد بأى طريقة وعلى اى نحو كان لأن " عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصله به " (٢) وليس على الله شئ مستحيل .

(١) شرح الطحاوية ص ٣٤٧

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٨ .

٣ - الشفاعة :

ينكر معظم الخوارج ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسي
ثبوت الشفاعة لأهل المعاصي من أمته كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة
المتواترة والآيات القرآنية .

قال ابن هزم * قال أبو محمد اختلف الناس في الشفاعة فانكرها
قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لا يخرج احد من النار
بعد دخولها * (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان موقف الخوارج من الشفاعة
* واما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعته انما هي للمؤمنين
خاصة في رفع الدرجات ومنهم من انكر الشفاعة مطلقا * ويقول ايضا * وعند
الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لأهل الكبائر لان الكبائر لا تغفر ولا يخرجون
من النار بعد ان يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها * (٢)

ويقول علي بن علي الحنفى شارح الطحاوية * والمعتزلة والخوارج

انكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره في اهل الكبائر * (٣)

ويقول المرداوى شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات

قد وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى وانعقد عليها اجماع

اهل الحق قبل ظهور الخوارج الذين ينكرون الشفاعة * (٤)

(١) الفصل ج ٤ ص ٦٣

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ١٠ و ١١ ، التوسل والوسيلة ص ١٣١

(٣) شرح الطحاوية ص ١٨١

(٤) اللآلى البهيمة ص ٩٤

وقد ذكر صاحب احدى الرسائل المخطوطة في الفرق الاسلامية اعتقاد طائفة من الخوارج فقال " وهم قوم يرون القرآن مخلوقا وينكرون الميزان والصراط والشفاعة والحوض وعذاب القبر وقولهم قول المعتزلة " (١)

وقد استند الخوارج في نفهم الشفاعة الى آيات من القرآن الكريم - اخذوها على ظاهرها وقصروا معناها على ما يريدون من حكم ، غير طفتين الى غيرها من الآيات والاحاديث التي تثبت الشفاعة ، ومن هذه الآيات التي استندوا اليها في نفى الشفاعة :

قوله تعالى " فما تفعمهم شفاعة الشافعين " المدثر : ٤٨ وقوله تعالى " ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة " البقرة : ١٢٣ وقوله تعالى " فما لنا من شافعين " الشعراء : ١٠٠ وقوله تعالى " يا ايها الذين امنوا انفقوا ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " البقرة : ٢٥٤ وأمثلة هذه الآيات التي يدل ظاهرها على ابطال الشفاعة . (٢)

اما الشفاعة عند الاباضية فانهم يشبثونها ولكن لغير العصاة بل للمتقين ، وكأن المتقى احوج الى الشفاعة من المؤمن المذنب في رأيهم . يقول صاحب كتاب الاديان منهم " والشفاعة حق للمتقين وليسست للمعاصين " (٣) .

(١) رسالة في افتراق الفرق الاسلامية ص ٢٩٩

(٢) انظر الفصل ج ٤ ص ٦٣ ، التوسل والوسيلة ص ١١ ، مجموع فتاوى

شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١١٦ ج ١ .

(٣) كتاب الاديان ص ٥٣

وقال السالمي :

" وما الشفاعة الا للتعق كما قد قال رب العلا فيها وقد فصلا (١)
وقد استشهد الربيع بن حبيب لهذا الرأي في مسنده بما رواه عن جابر بن زيد
امام الاباضية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " ليست الشفاعة لاهل
الكبائر من امتي " يحلف جابر بن زيد عند ذلك ما لاهل الكبائر شفاعة
لان الله قد اوعد اهل الكبائر النار في كتابه وان جاء الحديث عن انس بن -
مالك ان الشفاعة لاهل الكبائر فوالله ما عنى القتل والزنى والسحر وما اوعد
الله عليه النار " ويقول الربيع ايضا " حتى بلغنا ان الشهيد يشفع في سبعين
من اهل بيته اذا كانوا مؤمنين متقين " .

واستشهد الربيع بن حبيب لهذا الرأي ايضا بما رواه من قوله
صلى الله عليه وسلم " يا بنى عبد المطلب ان الله امرني ان اذكركم فاني لا اغنى
عنكم من الله شيئا الا ان اوليائي منكم المتقون الا لا اعرفن ما جاء الناس غدا
بالدين فجئتم بالدنيا تحملونها على رقابكم ، يا فاطمة بنت محمد ويا صفية
عمة محمد اشترىا انفسكما من الله فاني لا اغنى عنكما من الله شيئا " (٢)
وهذا ما تورره الحارثي ايضا في نفى الشفاعة في كتابه " العقود
الفضية " (٣) .

والواقع ان الايات التي استدل بها الخوارج على نفى الشفاعة
والتي ذكرناها من قبل انما تدل على نفى الشفاعة عن اهل الشرك او نفى
الشفاعة التي يثبتها الكفار لشركائهم من الاصنام او نفى الشفاعة التي تكون

(١) غاية المراد ص ٩

(٢) الجامع الصحيح ج ٤ ص ٣١ - ٣٤

(٣) انظر العقود الفضية ص ٢٨٦

بغير ان الله ورضاه (١) كما يدل على ذلك ظواهر الايات " اما ما ورد في مسند الربيع بن حبيب فهو خال من السند الصحيح ومعارض بما ورد في الصحيحين من الاحاديث التي تثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انواع - الشفاعات المختلفة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفح فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الشعير قبلت ما الشعير قال الضفاري ، وكان قد سقط فمه فقلت لعمر بن دينار ابا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يخرج بالشفاعة من النار ؟ قال نعم .

ومنها ما ورد في حديث انس رضي الله عنه وهو حديث طويل ورد في طلب اهل الموقف من الانبياء عليهم السلام ، من يشفع لهم الى الله لفصل القضاء وكل يعتذر بذنب اصابه حتى يأتوا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم عند ذلك " (٢) .

وقد اخرج الامام مسلم احاديث كثيرة في ثبوت الشفاعة فذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابو هريرة قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤثاها ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٨

(٢) انظر لهذه الاحاديث صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٢-٢٠٣

لأمتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله من مات من امتي لا يشرك بالله شيئاً " الى غير هذا من الاحاديث التي اوردها الامام مسلم في هذا الباب . (١)

(والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ولسنا بصدد البحث في تفاصيل الشفاعة من اقسامها وشروطها الخ . . . وانما الغرض هو اثبات وجودها الذي ينفيه الخوارج) والايان بثبوت الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على ما صح فيها من الاحاديث هو اجماع الامة وهو مذهب السلف الصالح رضى الله عنهم جميعا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى " اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأل الناس ذلك وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة " .

ويقول ايضا " والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله اى يطلب منه ان يسأل ربه الشفاعة من الخلق ان يقضى الله بينهم وفي ان يدخلهم الجنة ويشفع في اهل الكبائر من امته ويشفع في بعض من يستحق النار ان لا يدخلها ويشفع في من دخلها ان يخرج منها ، ولا نزاع بين جماهير الامة انه يجوز ان يشفع لأهل الطاعة المستحقين للثواب " .

ويقول ايضا " ومذهب اهل السنة والجماعة انه يشفع في اهل الكبائر ولا يخلد احد في النار من اهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة ايمان او مثقال ذرة " (٣)

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ١ ص ١٣١

(٢) = = = صحيح مسلم ج ١ ص ١٣١

(٣) انظر مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ١٠-١١ وكذا التوسل والوسيلة

ص ١١ و ١٣١ وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١ ص ١١٦ .

٤ - الميزان :

اما الميزان فيعتقد الاباضية فيه انه ليس ميزانا له عمود وكفتان ولسان كما هو المشهور وانما يثبتون وزن الله للنيات والاعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسي* وان الله يفصل بين الناس في ا. موزهم ويقفون عند هذا الحد .
يقول النفوسى الاباضى في متن النونية :

فوزن افاعيل العباد تميز لينظر في عقبى مسى* ومحسن
وليس بميزان العمود وكفة بل الوزن للنيات من كل دين (١)
ويقول السالمسى :

وما هنالك ميزان يقام كما قالو عمود وكفات لما عملا
وانما الوزن حق منه عزالم تسمع الى آية الاعراف محتفلا (٢)

وقد اراد معمر ان يوفق بين رأى الاباضية ورأى اهل السنة فقال :
* ان كلا من الاباضية واهل السنة مؤمنون ان الله سبحانه وتعالى
يوم الجزاء* يفصل بين عباد* وان قوله تعالى الفصل ووزن الحق وحكمه العدل
وكفى هذا لقاء* بينهما * (٣) ولكن هذا التوفيق غير كامل لنفيهم حقيقة
الميزان الثابت بالكتاب والسنة وان كان هناك اتفاق بينهم على ما ذكر
من المعانى الاخرى .

(١) متن النونية ص ٢٥

(٢) غاية المراد ص ٩

(٣) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٤٦

والواقع ان الايات والاحاديث كلها تشير الى ان هناك ميزان توضع فيه الحسنات والسيئات وذلك ان الله تعالى قال " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " ويعتقد علماء السلف انه ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به اعمال العباد (١) بناء على الاحاديث الواردة في ذلك - وان امتثلوا عن تكليفهما - فقد اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك كله لا ينكره الا اهل البدع يقول الاصفهاني :

كل ما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من احوال القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فهو حق لانه ممكن وقد اخبر به الصادق فيلزم صدقه " (٢)

ويقول ابن تيمية انه قد استفاضت باخبار يوم القيامة تلك الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكرها الا اهل البدع من خوارج ومعتزلة " (٣)

ويقول علي بن علي الحنفي مثبتا وزن الاعمال والعباد انفسهم وكفتي الميزان :

" والذي دل عليه السنة ان ميزان الاعمال له كفتان حسيتان - مشاهدتان " .

(١) انظر لمعة الاعتقاد ص ٢٢ ، مختصر الواسطية ص ٩٠
(٢) شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤٦ ضمن الفتاوى الكبرى ج ٥ .
(٣) الفتاوى الكبرى ص ١٤٩ ج ٥ .

ثم استدلل بحديث صاحب البطاقة قال " فثبت وزن الاعمال
والعامل وصحائف الاعمال وثبت ان الميزان له كفتان والله تعالى اعلم بما
بما وراء ذلك من الكيفيات " (١)

وقد اراد الله تعالى لبيان كمال عدله وظهور امره للعيان ان ينصب
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من
خردل ، واما نفى وزن الاعمال باى حجة من الحجج كالقول بانها اعراض لا
تقبل الوزن بخلاف الاجسام فان هذا قول خاطي* سببه قياس قدرة الله تعالى
بقدره العبد الضعيفة فلا يستحيل على الله تعالى ان يزن الاعمال وزنا
ظاهرا يرى للعيان بل ويوزن العبد نفسه كما جاء في الحديث " توضع
الموازين يوم القيامة فيوثق بالرجل فيوضع في كفة " وروى البخارى عن
ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " انه ليأتى
الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة " قال اقروا
ان شئتم (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) وقال صلى الله عليه وسلم في حق
ابن مسعود حنتين ضحك الصحابة من دقة ساقيه " والذي نفسى بيده
لهما أثقل في الميزان من أحد " (١)

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٣٣٦ - ٣٣٧

هـ - الصراط :

وكما انكر الابهاضية الميزان انكروا كذلك الصراط وقالوا انه ليس
بجسر على ظهر جهنم كما وصف في الاحاديث النبوية ، يقول
السالمي :

وما الصراط بجسر مثل ما زعموا وما الحساب بعد مثل من ذهلا (١)
اما السلف فانهم يعتقدون بأن الصراط هو جسر جهنم وقد سوب البخاري
رحمه الله على هذا بقوله :

" باب الصراط جسر جهنم " ثم اورد حديثا عن ابي هريرة
وفيه يقول صلى الله عليه وسلم " ويضرب جسر جهنم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعا الرسل يومئذ اللهم سلم
مسلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان غيرانها لا يعلم قدر عظمها الا الله
فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموق بعطه ومنهم المخردل ثم ينجو (٢)
ويقول ابن قدامة " والصراط حق وتجوزه الابرار ويزل عنه الفجار (٣)
ويقول ابن حجر عن الصراط انه " الجسر المنسوب على جهنم
لعبور المسلمين عليه الى الجنة " (٤) وكذا عند الشوكاني (٥) وهذا
هو اعتقاد السلف فيه . (٦)

(١) غاية المراد ص ٩

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠٥

(٣) لمعة الاعتقاد ص ٢٣

(٤) فتح الباري ج ١١ ص ٤٤٦

(٥) فتح القدير ج ٣ ص ٣٤٤

(٦) مختصر الواسطية ص ٩٣ وانظر شرح النووي ج ١ ص ٢٠

الفصل الثالث الايمان

* تمهيد :

بحث العلماء في حقيقة الايمان واختلفوا في ذلك اشد الاختلاف فمئذ ان خرج الخوارج والنزاع قائم فيه بين عامة الطوائف كما قال ابن تيمية (١) .

واختلافهم في حقيقته وفي الفرق بينه وبين الاسلام هل هما سواء او هما مختلفان او بينهما عموم وخصوص وهل الايمان يزيد وينقص ام انه لا يتغير وهل الاعمال من الايمان وداخلة في حقيقته ام انها من مكملاته .

وقد بحث الخوارج في موضوع الايمان على هذا النحو كما بحثه غيرهم . وقد رتب الخوارج على بحثهم فيه نتائج خطيرة ولا سيما في حكمهم على مرتكبي الذنوب وما اذا كان قد بقي من ايمانهم او زال عنهم .

والواقع انهم - شان غيرهم من الفرق - قد اختلفوا فيما بينهم في مبحث الايمان كاختلافهم في غيره من المباحث واختلفوا كذلك فيما بينهم فيما رتبوه على ارائهم في الايمان من احكام وان كنا سنرى ان كل هذه الاختلافات في الراى لم تكن لفروق رئيسية فيهم وانما كان بعضها لافراد ولطوائف شذت عن معظمهم في الراى وهذا هو ما سنبينه في عرضنا التالى لارائهم في حقيقة الايمان ومنزلة العمل منه .

٢ - حقيقة الايمان :

في بيان حقيقة الايمان عند الخوارج نجد ان لهم في ذلك اتجاهين :

(١) الايمان ص ٣ .

أما الاتجاه الاول :

فهو ما يراه ابويهسى زعيم فرقة البهسية وواقته عليه فرقة الشبيسية
احدى فروع البهسية وهو ان الايمان عبارة عن المعرفة والاقرار . المعرفة بالله
ورسوله وما جاء به محمد جملة والولاية لاولياء الله سبحانه والبراءة من اعداء الله
والاقرار بكل ذلك .

يقول الاشعري فى تقريره لراى ابويهسى هذا

" وزعم ابويهسيانه لا يسلم احد حتى يقر بمعرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة
ما جاء به محمد والولاية لاولياء الله سبحانه والبراءة من اعداء الله " (١)

ويقول الشهرستاني فى بيانه لاراء ابويهسى :

" والايمان هو ان يعلم كل حق واطل وان الايمان هو العلم بالقلب دون القول
والعمل ويحكى عنه انه قال : الايمان هو الاقرار والعلم وليس هو احد الامرين دون الآخر
وعامة البهسية على ان العلم والاقرار والعمل كله ايمان " (٢) .

اى انهم يخالفون ابا بيهمس فى حقيقة الايمان .

وما يجدر ذكره ان ابا بيهمس انفرد عن اكثر الخوارج بهذا الراى وهو اخراج
العمل من الايمان بينما ان دخول العمل فى حقيقة الايمان هو ما يقول به عامة
الخوارج كما سنرى فيما بعد .

وهكذا عند الشبيسية حيث " زعموا ان الرجل يكون مسلماً اذا شهد ان لا اله
الا الله وان محمداً عبده ورسوله وتولى اولياء الله وتبرأ من اعدائه واخذ بما جاء
من عند الله جملة وان لم يعلم سائر ما افترض الله سبحانه عليه مما

(١) المقالات ج ١ ص ١٩١ قد قال بعد ان ذكر تلك الاراء التى زعمها ابويهسى :

" فتابعه على ذلك الناس كثير من الخوارج " .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٦

مما سوى ذلك افرض هوام لا فهم وسلم حتى يتلى بالعمل به فيسأل * (١)

ونحو هذا عند الشهرستاني الا انه قال في تمام النص انهم يقولون " ولا يضـره ان لا يعلم حق يتلى به فيسأل * (٢) . وتعبير الشبهة هنا بالاسلام لا يختلف عن تعبير سابقهم بالايمان فهما عند الخوارج بمعنى واحد كما سنرى فيما بعد واذا كانوا قد اضافوا الشهادتين كجزء منه ولا يكون ذلك الا نطقا باللسان الا انهم كما رأينا لا يذكرون العمل بانه جزءا من الاسلام بل يكون الشخص مسلما حتى يتلى بالعمل فيسأل كما يقول الأشعري والشهرستاني . وفي هذا تظهر موافقتهم لابي بيهس .

أما الاتجاه الثاني :

فهو اتجاه عامة الخوارج وهو ان حقيقة الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان والعمل بكل ما جاء به الشرع فلايمان لاحد عندهم لا يتحقق فيه القول والعمل باوامر الشرع ونواهيه وهو مالا طريق لنا سواء للاستدلال على ما في قسرة نفسه من تصديق .

يقول ابن حزم " وذهب سائر الفقهاء واصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ويثبت ابن حزم ايضا ان الخوارج " يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال * (٣) . اي ان الايمان لا يتجزأ فاما ان يأتى به الشخص كاملا وحينئذ يسمى مؤمنا او ينقص منه بعض الاعمال فيخرج عن الايمان .

(١) المقالات ج ١ ص ١٩٤

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧

(٣) الفصل ٠٠ ج ٣ ص ١٨٨ / ١٨٩ .

ويثبت ابن تيمية أن الخوارج ترى أن " الإيمان المطلق يتناول جميع ما أمر الله به ورسوله . وأنه لا يتحضر " نعمتي ذهب بعض ذلك فيلزم تكثير أهمل الذنوب " (١) . كما قال .

ويقول أحمد أمين " وأهم ما قرره الخوارج في ذلك أن العمل بأوامر الدين من صلاة وصيام صدق وهدل جزء من الإيمان وليس الإيمان الاعتقاد وحده . فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر " (٢) .

ويقول الشيخ عبد العزيز المحمد سلمان " وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يسمى مؤمنا إلا من أدى الواجبات واجتنب الكبائر ويقولون أن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد ولكن لا يزيد ولا ينقص . فمن أتى كبيرة كالقتل والمواطة وقذف المحصنات ونحوها كفر عند الحرورية واستحلوا منه ما يستحلون من الكفار " (٣) لأنه في نظرهم قد خرج عن الإيمان بفعل هذه المعاصي التي عملها والتي أيضا تحل منه ما يحل من الكفار . ويقول صاحب كتاب الأديان مبنيا لحقيقة الأعمال في الإيمان :

" ولا ينفع إيمان إلا بالعمل كما قال المسلمون الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالإركان " . (٤)

(١) الإيمان ص ١٨٥

(٢) فجر الإسلام ص ٢٥٩ وانظر الإسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ٦٣ وكذلك قصة الديانات ص ٥٥٠

(٣) مختصر الواسطية ص ٨٥ وراجع أيضا الخلافة والخوارج ص ١٥ وكذلك آراء الخوارج ص ١٣٨

(٤) كتاب الأديان ص ٥٣ وانظر غايات المراد ص ٧

والخوارج يتفقون في الرأي من مذهب السلف في حقيقة الايمان من انه تصديق
قول وعمل . وقد اشار القاسم بن سلام الى عدم انفراء الخوارج في قولهم بدخول
الاقوال والاعمال في حقيقة الايمان والى مشابهتهم للسلف في ذلك وان اختلفوا
عنهم في مراتبهم على ذلك من نتائج يقول في كتابه الايمان * ولم ينفرد الخوارج
بالقول بان الايمان قول وعمل وانما هو قول اهل السنة وكل ما انفرد به الخوارج انه
كفروا من لم يعمل واقرب باللسان * (١) .

- واعتبار العمل جزءاً من الايمان هو ما اطبق عليه السلف جميعاً .

يقول الامام ابو الحسن علي بن خلف بن بطلال المالكي المغربي في شرح صحيح البخارى عن دخول الاقوال والاعمال في حقيقة الايمان " مذهب جماعة اهل السنة من سلف الامة وخلقيها ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص . . فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص " (٢) .

ويقرر شيخ الاسلام ابن تيمية انه لا ايمان بالعمل فيقول : * ففى القرآن والسنة من نفى الايمان عن لم يات بالعمل مواضع كثيرة . . ودلالة الشرع على ان الاعمال الواجبة من تمام الايمان لا تحصى كثرة * (٣) ثم ذكر تعاريف السلف للايمان وانهم يعرفونه بمهارات مختلفة وكلها صحيح ومو دأها واحد فهم * تارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة

(١) نقلا عن كتاب الخلافة والخوارج ص ١٦

(۲) شرح النووی علی مسلم ج ۱ ص ۱۴۶

(۳) الايمان ص ۱۲۰

وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وهمل بالجوارح وكل هذا صحيح * (١) .

وقد عرفه الشيخ بدر الدين الحنبلي في مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية بقوله * وهو قول وعمل يزيد وينقص بالطلاعة والحصنات وينقص بالفسوق والمصيان * (٢) .

قال البخاري * وهو قول وفعل * (٣) . وقال علي بن علقم الحنفى * ولا خلاف بين اهل السنة ان الله تعالى اراد من العباد القول والعمل واعنى بالقول التصديق بالقلب والاقرار باللسان * (٤) . وروى ابن حجر عن ابى القاسم اللالكائى قوله * وروى سنده الصحيح عن البخارى قال : لقيت اكثر من الف رجل من العلماء بالامصار فما رايت احدا منهم يختلف فى ان الايمان قول وعمل . وينقص * (٥) ونحو هذا عند الشافعى فقد * قال الحاكم فى مناقب الشافعى : حدثنا ابو العباس الاصم اخبرنا الربيع قال : سمعت الشافعى يقول : * الايمان قول وعمل يزيد وينقص * (٦) . ثم قال * وقد استدلل الشافعى واحمد وغيرهما على ان الاعمال تدخل فى الايمان بهذه الاية * وما امروا الا ليعبدوا الله — الى قوله — دين القيمة (سورة البينة ١ — ٥) . قال الشافعى ليس عليهم ا حج من هذه الاية * (٧) .

(١) الايمان ص ١٤٢

(٢) مختصر الفتاوى ص ٢٦٧

(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ٢

(٤) شرح الطحاوية ص ٢٧٩

(٥) و (٦) فتح البارى ج ١ ص ٤٧ .

(٧) فتح البارى ج ١ ص ٤٨ .

وقد اورد البخارى فى صحيحه عدة تراجم كلها تشير الى ان الاعمال من الايمان كقوله " باب قيام ليلة القدر من الايمان باب الجهاد من الايمان ، باب طه — قيام رمضان من الايمان ، باب صوم رمضان احتسابا من الايمان ، باب الصلاة من الايمان ٠٠ الى اخر ما ذكره من امثال هذه التراجم " . (١)

ويقول النووى عن دخول الاعمال فى الايمان عند السلف * واما اطلاق اسم الايمان على الاعمال فمتفق عليه عند اهل الحق ودلائله فى الكتاب والسنة اكثر من ان تحصر واشهر من ان تشهر قال تعالى : * وما كان الله ليضيع ايمانكم * (البقرة : ١٤٣) اجمعوا على ان المراد صلاتكم * (٢) .

واذا كانت الاعمال داخلية فى حقيقة الايمان عند السلف — كما راينا — فان ذلك باعتبارها شرط كمال فيه قال ابن حجر بعد ان عرف الايمان عند السلف بانـه " هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وهمل بالاركان " قال * وارادوا بذلك ان الاعمال شرط كماله ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقص * (٣) . بينما هى عند الخوارج جزء من حقيقة الايمان ولهذا رتبوا عليها كفر مرتكبى الذنوب وبناء على اعتبار العمل شرطا من كمال الايمان فان السلف لا يطلقون اسم الايمان الكامل على احد الا اذا كان غير مرتكب لكبيرة ولا يطلقون على من اخل بفريضة من فرائض الاسلام الايمان الا مقيدا بمحصية فيقال مؤمن بايمان فاسق بكبيرته

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١٤/١٥

(٢) شرح مسلم ج ١ ص ١٤٩

(٣) فتح البارى ج ١ ص ٤٦ .

قال النووي " ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة او بسدل
فريضة لان اسم الشئ مطلقا يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهر
الابقية ولذلك جاز اطلاق نفيه عنه في قوله " ص " لا يسرق السارق حين
يسرق وهو مؤمن " (١) اى كامل الايمان .

ويذكر ابن تيمية في حق من لم يستكمل الايمان ان التحقيق عنده فيمنه
" ان يقال انه مؤمن ناقص الايمان مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ولا يعطى الاسم المطلق
فان الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق واسم الايمان يتناولهما فيما امر الله به
ورسوله لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزمه غيره وانما الكلام
في اسم المدح المطلق " (٢) .

ويقول السلطان في هذا الحكم " وما اهل السنة فقالوا الايمان قول باللسان
 واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية " وان " من اتى
كبيرة فهو عندهم مؤمن ناقص الايمان ومحاربة اخرى مؤمن بايمانه فاسق
بكبيرته وفي الاخرة تحت مشيئة الله " (٣) .

(١) النووي ج ١ ص ١٤٨

(٢) الايمان ص ٢٠٢

(٣) مختصر العقيدة الواسطية ص ٨٥

وهكذا يفتضح لنا مذهب الخسواج بصفة عامة في حقيقة الايمان ومشابهتهم
للسلف في قولهم بدخول الاقوال والاعمال في تلك الحقيقة وان اختلفوا عنهم
في جعل الاعمال جزءا حقيقيا من الايمان يضيح الايمان بضياعه ، وفيما ترتب
على ذلك من احكام تتصل بمرتكب الكبيرة كما سنرى فيما بعد ، بينما جعله السلف
جزءا مكملًا يتوقف عليه كمال الايمان .

وان كان لنا ما نلاحظه على تعبيرنا بقى حجر فهو اعتباره شرطًا لكمال جزءا
من الحقيقة . وليس الامر كذلك والا للزومه ما رتبته الخواج من ضياع الحقيقة بضياع
جزئها ثم ان شرط الشيء غير جزئه لان الشرط خارج عن الحقيقة والجزء داخل
فيها .

واذا كنا قد ذكرنا فيما سبق اجماع كتاب المقالات على ان الخواج يعتبرون
العمل جزءا اساسيا من الايمان بل لا يكون الايمان الا بالعمل عندهم فاننا نجد
ان الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله في كتابه "التفكير الفلسفي في الاسلام" يخرج
عن هذا الاجماع ويقرر بان الخواج لم يبحثوا مسألة الايمان والعمل وذلك في قوله
" ان الخواج باعتبارهم خواج - لا راي لهم خاصا بهم في مسائل الدين
الاساسية من ايمان بالله ومن بحث في صفاته ومن دراسة في البحث " (١) .

والواقع ان الخواج باعتبارهم خواج كان لهم رأيهم الخاص في الايمان وعلاقته
بالعمل به ، وهو الذي بنوا عليه موقفهم من الخلقاء خاصة والمسلمين عامة الذين

(١) التفكير الفلسفي ص ١٩٠ ج ١

خرجوا عليهم حيث كفرهم الخوارج واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار على اساس رأيهم في دخول العمل في حقيقة الايمان كما ذكرنا فهو بحث متصل بقضية الخروج نفسها الى جانب بحث الامة العظمى وغيرها ما يتصل بخروجهم
او يكون من مباحث الدين وان لم يكن له علاقة بذلك الخروج •

٣ — زيادة الايمان ونقصه :

وبناءً على ما قدمنا من ان الخواج يقولون باعتبار العمل جزءاً من الايمان يقوم رأيهم في مسألة زيادة الايمان ونقصه وحكم مرتكب الكبيرة وسوف نبين رأيهم في حكم مرتكب الكبيرة في الفصل التالي .

أما فيما يتعلق بالمسألة الاولى وهي زيادة الايمان ونقصه فان الخواج ينقسمون فيها الى فريقين : الاباضية منهم بصفة خاصة وبقية غيرهم من الخواج بصفة عامة فخير الاباضيين من الخواج يرون ان الايمان لا يزيد ولا ينقص فهو اما ان يبقى كله واما ان يذهب كله (١) وذهب الايمان عندهم يكون بنقص بعض الاعمال او ارتكاب بعض الكبائر وعلى هذا فان نقص البعض يؤدى الى ذهاب الكل فليس نالهم .

وقد سبق ان ذكرنا عند عرضنا لحقيقة الايمان عندهم ما اثبتته ابن حزم عنهم من انهم " يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال " اى انه ليس هناك زيادة ولا نقص فيه .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض بيانه لاهل البدع في زيادة الايمان ونقصانه " واما قول القائل ان الايمان اذا ذهب بعضه ذهب كله فهذا منوع ، وهذا هو الاصل الذى تفرعت عنه البدع في الايمان فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شئ ثم قالت الخواج والمعتزلة هو مجموع ما امر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق كما قاله اهل الحديث قالوا فاذا ذهب شئ منه لم يبق مع

(١) انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

صاحبه من الايمان شىء فيخلد في النار" (١) • ويستطرد ابن تيمية في هذا الموضوع ويكرر ان رأى الخوارج هو القول بذهاب الايمان جملة عن اهل الذنوب وانهم متى خرجوا عن الايمان خرجوا عن الاسلام ايضا اذ لا فرق بين الاسلام والايمان عندهم فيقول : " واما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان والاسلام عند واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام •

وما يجدر ذكره هنا ان الخوارج وان اشبهوا المعتزلة في قولهم بعدم زيادة الايمان ونقصه وخروج مرتكب الكبيرة من مفهوم الايمان الا ان المعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين ويحكمون عليه بالخلود في النار اما الخوارج فانهم يحكمون عليهم بالكفر كما سنفصل رايهم بعد قليل في حكم مرتكب الكبيرة •

ويقول بدر الدين الحنبلى في مختصره لفتاوى ابن تيمية عن رأى الخوارج فى زيادة الايمان ونقصه •

" فآلئك - يعنى بهم الخوارج والمعتزلة - اعتقدوا ان الايمان متى ذهب بعضه ذهب جميعه " • (٢)

وعلى هذا فان الايمان عندهم لا ينقص بالمصيبة بل ان الشخص يخرج عن الايمان ويحبط ما قدم من خير بمجرد ان يرتكب اى كبيرة لان الايمان اما ان يبقى جملة او يذهب جملة فلا زيادة ولا نقص ولا مخففة لكبيرة فهى تهدم الايمان ولا تنقصه •

(١) الايمان ص ١٨٦

(٢) مختصر الفتاوى المصرية ص ٢٠٤

كما يقول ايضا في تأكيد ماسبق " وخالف الخوارج والمعتزلة فقالوا ان من اتى
كبيرة استحق العقوبة حتما فذهب جميع حسناته بتلك الكبيرة ويستحق التخليد في
النار لا يخرج منها بشفاعاة ولا غيرها " (١)

أما الفريق الثاني من الخوارج : " وهم الاباضية كما قلنا " فانهم يــــرون
ان الايمان يزيد وينقص وهم بذلك يخالفون عامة الخوارج ويتفقون في هذا القول
مع مذهب السلف ومن يذهب اليه من غيرهم من المتكلمين .

يقول على يحيى معمر الاباضى " يرى الاشاعرة ان الايمان يزيد وينقص ويرى
الحنفية وامام الحرمين انه لا يزيد ولا ينقص ويتفق الاباضية مع الاشاعرة في هــــذه
المقالة " (٢)

قد اورد الربيع بن حبيب في مسنده الجامع الصحيح (وهو اصح كتب
الحدیث عند الاباضية) هذا بين الحديثين الذين يدلان على ان الايمان يتفاضل فقال
" وسئل النبی "ص" اى المؤمن افضل ايمانا قال احسنهم خلقا " وقال
"ص" الايمان مائة جزء اعظمها قول لا اله الا الله وادناها امامة الاذى عــــن
الطريق " (٣) .

وسوف نرى عند دراستنا التالية لحكم مرتكب الكبيرة عند الخوارج كيف ان الاباضية
مع موافقتهم في القول بزيادة الايمان ونقصه للسلف والاشعريين انهم وان لم يحكموا على

(١) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٧٦

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٤٤١

(٣) الجامع الصحيح ج ٣ ص ٧

مرتكب الكبيرة بالكفر كفر ملّة كبقية الخواج الا انهم يخالفون السلف والاشعريين فيحكمون عليه بالكفر كفر نعمة • ولقد كان مقتضى القول بزيادة الايمان ونقصه ان لا يخرج مرتكب الكبيرة عن حقيقة الايمان عند الاباضية وهذا ما ذهبوا اليه فعلا - كما ذهب اليه السلف والاشعريون - الا ان الاباضية خالفوهم فغالوا بالحكم عليه بلقّب بالكفر وان لم يكن كفر ملّة كما قلنا ونفى النظر عما يتبعه الخواج من احكام على ما يرونه في مسألة زيادة الايمان ونقصه - مما سيكون موضع دراستنا وتحقيقنا قريبا - فانه يتبين لنا مما سبق انهم يذهبون في هذه المسألة الى رأيين :

الرأى الاول هو القول بعدم زيادته ونقصه بل هو اما ان يبقى كله او يذهب كله بذهاب بعضه وهذا رأى عامة الخواج •

الرأى الثانى : وهو القول بزيادة الايمان ونقصه وهو ما تقول به الاباضية منهم والواقع ان الحق الذى يؤيده الكتاب والسنة ويشهد له صحيح المعقول وهو كده اقوال السلف في هذه المسألة هو القول بزيادة الايمان ونقصه • فان الناس يختلفون في اداء الاوامر واجتناب النواهي وفي الرضى بما قدر الله واليقين به تعالى والتوكل عليه على درجات يلحظها الشخص في نفسه وفي غيره ففي بعض الاوقات يحس الانسان ان ايمانه وثقته بالله اقوى منها في بعض الاحيان •

وهذا هو ما دل عليه كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء من سلف الامة وخلفها ، قال تعالى اخبارا عن المناققين الذين في قلوبهم مرض في مسا لتهم غيرهم عند نزول الايات " واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون " (التوبة ١٢٤) • وقال تعالى في وصف المؤمنين عندما راوا الاحزاب من حولهم " ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا

ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما " (الاحزاب اية ٢٢) . وقال تعالى مبينا حالة الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه حينما خوفوا من قريش وغيرهم " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا " (ال عمران : ١٧٣) .

وقال تعالى في السبب الذي من اجله جعل اصحاب النار ملائكة وفي عدتهم ايضا " وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين ارتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا " . (المدثر : ٣١) . وقال تعالى في اصحاب الكهف " انهم فقية امنوا برسهم وزدناهم هدى " (الكهف ١٣) وقال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى " والايات في هذا المعنى كثيرة في كتاب الله تعالى واذ اثبتت الزيادة فان مقابلها وهو النقص ثابت ايضا لان ما قبل الزيادة يقبل النقص وقد استدل البخارى رحمه الله في صحيحه بالآيات بهذه الايات واثبت ان الايمان " يزيد وينقص " (١) .

واما الادلة من الحديث فقد وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة تشير الى ان الايمان يزيد وينقص وان الناس يتفاضلون فيه .

قال صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين " (٢) . قال علي الحنفى " والمراد نفي الكمال " (٣) وقد وصف صلى الله عليه وسلم النساء بنقصان العقل ونقصان الدين وذلك في قوله من حديث عبد الله بن عمر " وما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب لمنكنا قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين قال اما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٧ وانظر شرح الطحاوية ص ٢٨٨ .

(٢) أخرجه مسلم ج ١ ص ٤٩

(٣) شرح الطحاوية ص ٢٩٠

رجل ، فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلى وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين * (١)

فقد وصفه عليه السلام بنقص الدين وذلك بسبب نقص الطاعات • قال النووي
 " واذا ثبت هذا علمنا ان من كثرت عبادته زاد ايمانه ودينه ومن نقصت عبادته نقص دينه * (٢)

اما نقص الايمان بالمعاصي فقد وردت عدة احاديث فيها مجموعة من المعاصي
 تنقص ايمان من ارتكب منها واحدا كما ورد في حديث ابي هريرة رضي الله عنه وهو
 " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق
 السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وفي رواية
 عن ابي هريرة " ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم حين
 ينتهبها وهو مؤمن * (٣) ان هذا الحديث وما في معناه ليس المراد به نفس
 الايمان مطلقا ولكن المقصود به نفي كمال الايمان • يقول النووي " فالقول الصحيح
 الذي قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كمال الايمان وهذا من
 الالفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله * (٤) •

وورد في الحديث ان الاعمال تتفاضل وان بعضها يفضل بعضها والمفضل يكون
 ناقصا عن الفاضل كما يشير اليه حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في روايته
 الالية : " قالوا يا رسول الله اي الاسلام افضل ؟ قال من سلم المسلمون من لسانه
 ويده " وقد اورد البخاري شاهدا على قبول الايمان للزيادة والنقص (٥) لانه كما
 قال ابن حجر " الاسلام والايمان عنده مترادفان * (٦) •

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٦١

(٢) شرح النووي ج ١ ص ٦٨

(٣) مسلم ج ١ ص ٥٤

(٤) شرح النووي ج ١ ص ٤١ وانظر اللمع ص ١٢٤

(٥) صحيح البخاري ج ١ ص ٩

(٦) فتح الباري ج ١ ص ٥٥

ويشهد لهذا ايضا حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقول الله تعالى " اخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا - او الحياة شك مالك * (وهو احد رواة الحديث) " فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل الم تر انها تخرج صفراء ملتوية * (١)

وقد وردت عن السلف اقوال كثيرة فى زيادة الايمان ونقصه اورد منها البخارى ما قاله معاذ ل احد الصحابة * اجلس بنا نؤمن ساعة * وقول ابن مسعود اليقين الايمان كله * وقول ابن عمر : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حين يدع ما حاك فى الصدر * (٢) .

ومثل ما سبق عند البخارى ما ورد عن ابى الدرداء رضى الله عنه حيث قال : " من فقه العبد ان يتعاهد ايمانه وما نقص منه ومن فقه العبد ان يعلم ايزداد هو ام ينقص * . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول فى دعائه " اللهم زدنا ايمانا وبقينا وفقها * (٣)

وقد استفاض النقل عن السلف انهم يرون ان الايمان يزيد وينقص .

يقول بدر الدين الحنبلى فى مختصر الفتاوى بعد ان عرف الايمان بانه قول وعمل قال : وهو - اى الايمان - " يزيد وينقص يزيد بالطاعة والحسنات وينقص بالفسوق والعصيان * (٤) .

ويقول ايضا " والايمان يتهمض ويتفاضل الناس فيه * (٥)

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١١

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٨

(٣) شرح الطحاوية ص ٢٩٠

(٤) مختصر الفتاوى المصرية ص ٢٦٧ وانظر الابانة للاشعرى ص ١٠

(٥) المرجع السابق ص ١٤٢ وانظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤٤

ويقول الأشعري في إبانة قول أهل الحق والسنة أنهم يقولون أن "الإيمان قول وهمل
يؤيد وينقص (١)" وهذا هو ما يذهب إليه أصحاب الحديث وأهل السنة ويقولون به (٢).

وأخيرا نقول أن ما يراه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان يزيد وينقص وإن أهله
يتفاضلون فيه كل بما رزقه الله ووفقه وشرح صدره لذلك هو ما يشهد به العقل ويشتهه
الواقع إذ أن من أول الهدى التي تدل على تفضل النفس في الإيمان ما يشاهد من
إخلاص بعضهم وقوة صبرهم على احتمال أوامر الله ونواهيه بصدر رحب وطمانينة تامة
بينما نرى البعض الآخر لا يؤدى ما أوجبه الله عليه إلا بكره من نفسه وكسل تام وهذا
أمر ظاهر • ولقد كان السحابة رضوان الله عليهم وهم خير الأمة يعرضون تفضلهم
فيه كما تشهد بذلك أقوالهم وأنه لمن غير الانصاف والمعدل أن نقول أن الإيمان
ويقين أى شخص كان كإيمان أبى بكر وبقينه وحبه للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
له إلا إذا كان الحق وتجنبنا الطريق الواضح كما هو رأى الخوارج في عدم زيادة
الإيمان ونقصه وقد قدمنا كثيرا من النصوص والبراهين التي تبطل زعمهم هذا ويكفى
دليلا على بطلانه — بعد تلك الأدلة — ما رتبوه عليه من نتائج خطيرة كتكفيرهم
لحصة المسلمين وتخايدهم في النار واستحلالهم أخذ أموالهم وسبي نسائهم
وذرائعهم كما سنبين هذا في بحث الكبيرة إن شاء الله •

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ١٠

(٢) المقالات ج ١ ص ٣٤٧

ويقول الطالبي " ومن هنا فان الخوارج وحدوا بين مفهوم الايمان ومفهوم الاسلام
اي بين الاعتقاد والفعل - على حد تمهيره - ففلسفتهم فلسفة عملية واقعية " (٢)
وقد وافق الخوارج بهذا القول ما يراه بعض اهل السنة كابن خوارزمي رحمه الله
الله فانه يرى ان الاسلام والايمان مترادفان كما نقل عنه ابن حجر ذك (٣) .

والايمان هو الاسلام لافرق بينهما واستدل بهذه الاية الكريمة * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * (الذاريات ٣٥ - ٣٦) قال :

”فہذا نھی جلی علی ان الاسلام هو الایمان وقد وجب قبل بما ذکرنا ان اعمال البہر
 کلہا اول الاسلام ^{ہو الاسلام} فاعمال البہر کلہا ایمان وهذا برہان ضروری لا محید عنہ“ (۴)

ويذكر الأشعري أن من اعتقاد أصحاب الحديث وأهل السنة أن الإسلام عندهم غير

(۱) الايمان ص ۳۵۴

(٢) آراء الخواج ص ١٣٩

(۳) فتح الباری ج ۱ ص ۵۵

(٤) الفصل ٠٠ ج ٣ ص ١٩٥.

غير الايمان " (١) .

وقد قال الشهرستاني ايضا بالتفريق بين معنى الاسلام والايمان والاحسان وذلك في قوله " فكان الاسلام هداة والايمان وسطا والاحسان كمالا " (٢)

ويرى ابن تيمية ان بين الاسلام والايمان تداخلا فالايان اخص من الاسلام واذ ثبت الاخص ثبت الاعم ولا عكس بحيث لا يوصف بالايمان من ثبت له وصف الاسلام فقط الا بدليل منفصل يقول ابن تيمية " فتبين ان ديننا يجمع الثلاثة لكن هو درجات ثلاث مسلم ثم مؤمن ثم محسن فالاحسان يدخل فيه الايمان والايمان يدخل فيه الاسلام والمحسنون اخص من المؤمنين والمؤمنون اخص من المسلمين " (٣) . ويؤيد

ابن تيمية هذا المعنى ايضا بقوله " الاسلام فرض والايمان فرض داخل فيه فمن اتى بالايمان الذي امر به فلا بد ان يكون قد اتى بالاسلام المتناول لجميع الاعمال الواجبة ومن اتى بما سوى اسلامه لم يلزم ان يكون قد اتى بالايمان الا بدليل منفصل (٤) " وقد اكثر في كتابه الايمان من اثبات الفرق بين معنى الايمان ومعنى الاسلام ومن جعل معنى هذا معنى هذا فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك " (٥) . ويثبت انه اذا ذكر الايمان مع الاسلام فانه يجعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة كالشهادتان والصلاة والزكاة والصوم الخ . ويجعل الايمان مافي القلب من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الخ . واذ ذكر اسم الايمان مجردا فانه حينئذ يدخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة " (٦)

(١) المقالات ج ١ ص ٣٤٧

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٤١/٤٠

(٣) كتاب الايمان ص ٧

(٤) المصدر السابق ص ٣٥٠

(٥) الايمان ص ٣٥٢

(٦) الايمان ص ١٠

وهذا ما يؤكد ايضا الشيخ بدر الدين الحنبلي في مختصره فتاوى ابن تيمية حيث يقول : " فالايان المطلق يدخل فيه الاسلام كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو قد عهد القيس أتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة وصيام رمضان وان تحطوا الخصم من المنم^(١) فاما اذا اقترن لفظ الايمان بالعمل والاسلام فانه يفرق بينهما • واستدل على هذا بقوله تعالى " الذين آمنوا وعملوا الصالحات " وحديث جبريل حيث سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان ثم قال " ففترق بين الايمان والاسلام لما فترق السائل بينهما وفي ذلك النص — يعنى به حديث عهد القيس — ادخل الاسلام فى الايمان لما افرد به بالذكر " (٢) .

وفاية القول عنه ابن تيمية ان الايمان اذا ذكر وحده كان الاسلام لازما لله ود اخلا فيه دون العكس لا بدليل منفصل اما اذا ذكر امرا فانه يجب التفريق بينهما فى المفهوم وهذا خلاف ما راه الخواجه من الترادف بينهما مجتمعين او مفترقين •

وللشوكاني رأى يخالف كل ما تقدم من اراء فيقول موضحا الفرق بين الاسلام والايمان ومعتبرا ما عداه اقوالا مضطربة متناقضة " وقد اوضح الفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الاسلام والايمان فى الحديث فى الصحيحين وغيرهما الثابت من طرق انه سئل عن الاسلام فقال " ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان " وسئل عن الايمان فقال " ان تؤمن بالله وما نزل به وكتبه ورسوله والقدر

(١) اخرجه البخارى ج ١ ص ١٩ ومسلم ج ١ ص ٣٦ وهذا لفظ البخارى

(٢) مختصر الفتاوى ص ١٣٢

خيره وشوه " فالمرجع في الفرق بينهما هو هذا الذي قاله الصادق المصدوق
ولا التفات الى غيره مما قاله اهل العلم في رسم كل واحد منهما برسم مضطربة
مختلفة متناقضة • واما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الاسلام والايمان
فذلك باعتبار المعاني اللغوية والاستعمالات العربية والواجب تقديم الحقيقة
الشرعية على اللغوية والحقيقة الشرعية هي هذه التي اخبرنا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجاب سؤال السائل له عن ذلك بها " (١) •

والشوكاني بهذا القول يوافق بعض المتكلمين الذين يجعلون الايمان هو
التصديق فقط ويجعلون العمل خارجا عن حقيقته •

الفصل الرابع

حكم الخواج على مرتكبي الذنوب

يختلف الخواج في الحكم على مرتكبي الذنوب بالكفر كفر ملة او بالكفر كفر نعممة او بالنفاق ويختلف القائلون بكفر المذنبين كفر ملة فسي تعيين سبب هذا الحكم متى يكون وذلك باختلاف المعاصي بين صغيرة وكبيرة واختلاف مرتكبيها اذا كان منهم او من غيرهم واختلاف احواله بين الاصرار عليها او عدمه . الخ .

حسب هذه الاختلافات السابقة في ارتكاب المعاصي تختلف اراء الخواج واحكامهم على مرتكبيها وذلك على النحو الاتي :

أ - الحكم بتكفير المعصاة كفر ملة :

وهذا هو الراي الاول : وهو انهم كفار ملة خارجون عن الاسلام بارتكابهم الكبائر مخلدون في النار مع سائر الكفار بتلك المعاصي وهذا راى الازارقة بالاجماع كما يذكر الشهرستاني فيقول * اجتمعت الازارقة على ان من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا في النار مع سائر الكفار * (١) .

ويقول الاشعري عنهم كذلك * والازارقة تقول ان كل كبيرة كفر . وان كل مرتكب معصية كبيرة ففى النار خالدا مخلدا * وهذا هو ما ذكره عنهم غيرهم من العلماء كالملطى وابن الجوزى والجيظالى من الاباضية وابن تيمية وابن حزم وغيرهم * (٢)

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٢

(٢) انظر المقالات ج ١ ص ١٢٠

- التنبيه والرد ص ٥٤ - تلخيص بلقيس ص ٩٥ .

- قواعد الاسلام ص ٣٢ . الايمان ص ٢٠٢ - الفصل ج ٤ ص ٤٥

ابانة المناهج ص ١٦٣

ويذكر الشهرستاني ان المجارد قايفضا كالا زارقة يكفرون اهل الكباثر الا انه لم يبين نوع الكفر الذي يقولون به فقال في معرض تعداد لرائهم " ويكفرون بالكباثر " (١) وهذا يتبادر منه الى الذهن انهم يكفرونه كفر ملة ولكن صاحب كتاب الاديان الاباضي يذكر ان راي المجاردة هذا ورأي اهل الاستقامة - ويعنى بهم الاباضية - واحد وهو الحكم على مرتكب الكبيرة بانه كافر كفر نعمة على حسب ما تقول الاباضية وذلك في قوله الاتي : " ويكفرون اهل الكباثر كفر نعمة على قول اهل الاستقامة " (٢) .

ومن الفرق الاخرى التي توافق الازارقة ايضا في الحكم على مرتكب الكبيرة بانفسه كافر المكرمية الا انهم يختلفون عنهم في سبب كفره فعند المكرمية ان كفره ليس من حيث تركه للواجبات التي امر الله بها او ارتكابه للمحظورات بل من حيث انه جهل حق الله عليه فلم يقدره حق قدره وذلك في كل كبيرة يرتكبها بينما هو عند الازارقة كافر بسبب ما ارتكب من محظورات . يقول الاشعري عن رأي المكرمية هذا " ومما تفردوا به انهم زعموا ان تارك الصلاة كافر وليس هو من قبل تركه الصلاة كفر ولكن من قبل جهله بالله وكذا لكثرت في سائر الكبار وزعموا ان من اتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه وتعالى وتلك الجهالة كفر لا بركوبه المحصية " وكذا نقل عنهم البغدادى والشهرستاني وابن حزم (٣) .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٨

(٢) كتاب الاديان ص ١٠٤

(٣) انظر : المقالات ج ١ ص ١٨٢ الفرق بين الفرق ص ١٠٣ . الملل والنحل ج ١

ص ١٣٣ الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩١ .

ولم يكن الا زارقة هم اول من كفر مرتكب المعاصي من الخوارج بل ان ذلك الحكم بدأ
عند المحكمة الاولى الذين يسميهم الملقى بالشرارة ويذكر عنهم بانهم يكفرون اهل الكبائر
والمعاصي ، فاذا كانت المحكمة تكفر بالمعاصي فان الا زارقة قد قالوا بقولهم
ايضا ولم يشتهر القول بتكفير المحكمة لاهل الذنوب كاشتهاره عند الا زارقة . قال
الملقى : " والشرارة كلهم يكفرون اصحاب المعاصي ومن خالفهم في مذاهبهم
مع اختلاف اقوالهم ومذاهبهم " (١) . ومثل هذا عند البغدادى ايضا فقد
ذكر عن المحكمة الاولى انهم يكفرون اهل الكبائر وخيار الصحابة رضوان الله عليهم
بقوله " فهذه قصة المحكمة الاولى وكان دينهم اكفار على عثمان واصحاب الجمل
ومعاوية واصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم وكفار كل ذى ذنب ومحصية " (٢)

وتكفير اهل الذنوب هو راي للشبيبة من البيهسية الا انها غالت فيه فحكمت
بالكفر على من اجتري ذنبا ولو كان جاهلا بالحكم فيه فقالوا ان من " واقع حراما لم يعلم
تحريمه فقد كفر " (٣) .

ونجد نحو هذه المقالات عند يزيد بن ابي نيسة واصحابه حيث يكفرون كل مذنب حتى ،
مرتكب الصغيرة فعنده ان " اصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل
ذنب صغير او كبير فهو شرك " (٤) .

(١) التنبيه والرد ص ٥١

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨١

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧

(٤) رسالة الدبسى ص ٢٨ : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦

أما النجذات فقد فصلوا القول في مرتكب الذنوب وجزائه وذلك باختلاف حاله الاصرار على الذنب وعدمه فهم يرون ان من ارتكب من المعاصي شيئا وهو مصر عليه فهو كافر مشرك ولو كانت هذه المعاصي من صفات الذنوب كالنظرة الصغيرة والكذب الصغيرة والصغيرة وان من ارتكب من تلك المعاصي شيئا وهو غير مصر عليه فهو مسلم ولو كانت هذه المعاصي من كبائر الذنوب كالزنى والسرقه وشرب الخمر وغيرها • يقول الاشعري : " وزعموا ان من نظر نظرة صغيرة او كذب كذبة صغيرة ثم اصر عليها فهو مشرك وان من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر فهو مسلم " (١) • وكذا عند البغدادى والشهرستانى وابن حزم • ولهم تفصيل اخر بالنسبة لمرتكب الذنوب اذا كانوا من موافقيهم او مخالفيهم وهو ان مرتكب الكبيرة اذا كان منهم فهو غير كافر بل هو من اهل الولاية • واذا كان من مخالفيهم فهو كافر من اهل النار • ثم زعموا ان موافقيهم ان عذبهم الله فلعنه يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة • قال الاشعري " وتولوا اصحاب الحد والجنائيات من موافقيهم وقالوا لانفسهم لعل الله يعذبهم بالموت منين بذنوبهم فان فعل فانما يعذبهم في غير النار بقدر ذنوبهم ولا يدخلهم في العذاب ثم يدخلهم الجنة " • ونحو هذا قال البغدادى والشهرستانى (٢) وقال ابن حزم عنهم " وقالوا (اي النجذات) اصحاب الكبائر منهم ليسوا كافرا واصحاب الكبائر من غيرهم كفار " (٣)

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٥ الفرق بين الفرق ص ٨٩ • الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤

الفصل ج ٤ ص ١٩٠

(٢) المقالات ج ١ ص ١٧٥ — الفرق بين الفرق ص ٨٩ • الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤

(٣) الفصل ج ٤ ص ١٩٠

هذا بالنسبة لارتكاب الكبائر • اما الصفائر فلا يكفرون بها كما قال عنهم الجيظالى
فى نصه الا ترى : " وقالت النجدية منهم الكبائر كلها شرك واما الصفائر فلا " (١)

ومثل هذه التفرقة فى حكم مرتكب الكبيرة بين من يكون من الخوارج ومن يكون من
غيرهم نجد ما عند الحسينية وهم من اباضية المغرب فيرجأون الحكم فى مواقيبهم
واما مخالفتهم المرتكبون للكبائر فهم عندهم كفار مشركون وهذا هو ما يرويه الاشعرى
عن اليمان بن رباب ^{ان} من الحسينية . يقولون " بالارجاء فى مواقيبهم خاصة كما حكى
عن نجدة ويقولون فيمن خالفهم : انهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون " (٢) وكانهم
بهذا الحكم الخاطى يحاكون اليهود والنصارى فيما ذكره الله عنهم بقوله
تعالى " وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه " (المائدة : ١٨) والخريب
فى هذا التفكير ان يتصور الشخص ان صدق ما من الذنوب ثم يختلف الناس
فى حكم ارتكابه فبعضهم يكفر به والبعض الاخر لا يكفر به او مسكوت عنه مع ان الكل
من اهل التكليف هذا هو اتباع الهوى والامانى الباطلة •

ولاشك ان النجدات بقولهم هذا يجمعون بين الخطأ فى الراى والتناقض فى
المذهب نالى جانب مخالفتهم فى القول بتكفير مرتكب الاثرب كما سنبين ذلك فيما بعد — يتناقضون
مع انفسهم فيفترقون فى ذلك الحكم بين من هو منهم ومن هو من غيرهم بينما لا فرق بين
الاثنين فى ارتكاب كل منهما الممحصية وهو منادى الحكم بالكفر عند ههنا اقد كان من هو
منهم اولى بالتزام الشريعة والتكفير اذا اقتضى محصية ما دام رايهم تكفير مرتكب الكبيرة

(١) قواعد الاسلام ص ٣٧
(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٨

بخلاف غيرهم ممن لا يرون هذا الرأي ولا مجال للصحية المذهبية في التفرقة بينهم وبين غيرهم مادام مناط الحكم بالتكفير واحداً^١، والا فهو التفرقة بين المتماثلين والتناقض في الجص بين النقيضين التكفير وعدمه في حق مرتكب الكبيرة بصفة عامة ومثل ما قلناه لنا عن النجدات نقوله عن الحسينية فالمعنى للارجاء والتوقف في حكم مرتكب الكبيرة اذا كان منهم مادام مناط الحكم بالتكفير كما قلنا واحداً وهو ارتكاب الكبيرة والا فهو التفرقة بين المتماثلين والصحية المذهبية.

ورغم ما تقدم من اقوال مؤرخي الفرق من ان النجدات يكفرون اهل الكهادر الا ان هناك روايات تخالف ما ذكر عنهم وهو انهم لا يكفرون صاحب الكبيرة او يكفرونه كثر نعممة لاكثر ملة على نحو ما نقوله الاباضية وهذا ما اشار اليه الطالبي بقوله :

" واما النجدات فيروى عنهم انهم لا يكفرون صاحب الكبيرة وانهم لا يكفرون بطلاناً^(١) ثم عزا هذا الرأي الى عثمان العامري الحنبلي في كتابه المخطوط "منهج المهاج" وقد ذكر البغدادي عنهم تكفيرهم لمرتكبي الكبيرة كثر نعممة فقال : " وقالت النجدات منهم انه — يعني صاحب الكبيرة — كافر بنعمة وليس بهشرك " (٢) وهذا القول قاله البغدادي في كتابه " اصول الدين " بينما هو يذكر في كتابه الفرق بين الفرق كما اشرنا اليه سابقا ان المصير على الذنب يكون مشركا وان صغر هـذا الذنب وكما فرق القائلون بتكفير مرتكبي الذنوب بين مرتكب الكبيرة او الصغيرة وكذلك بين من كان مصرا ومن لم يكن كذلك الى غير ذلك من الاعتبارات السابقة فان هناك من اصحاب هذا الرأي من يفرقون في هذا الحكم حسب اعتبارات اخرى فالصغرية تكفيرهم

(١) اراء الخوارج ص ١٤٢ عن منهج المهاج ص ٣٥٠

(٢) اصول الدين ص ٢٥٠

من الفرق السابقة يرون ان اهل الذنوب كثار . قال الاشعري " ومن قول الصخرية واكثر الخوارج ان كل ذنب مغلط كثر وكل كفر شرك وكل شرك عبادة للشيطان " ونحوه عند الهخادى والجيطالى " (١) . لكن قوما من الصخرية يذهبون الى الثفرقة بين من ارتكب ذنبا فحد عليه وبين من ارتكب ذنبا لم يحد عليه فيبقى على الايمان الى ان يحد وهذا ما يرويه الاشعري حكاية عن اليمان بن رباب الخارجى بقوله " وحكى اليمان بن رباب الخارجى ان قوما من الصخرية وافقوا بعض الهيمسية على ان كل من واقع ذنبا عليه حرام لا يشهد عليه بانه كفر حتى يرفع الى السلطان ويحد عليه فاذا حد عليه فهو كافر الا ان الهيمسية لا يسمونهم مؤمنين ولا كافرين حتى يحكم عليهم * وهذه المائفة من الصخرية يشتون لهم اسم الايمان حتى تقام عليهم الحدود * " وهكذا عند الهخادى (٢) وينظر بعض الصخرية فى الحكم بالتكثير الى العمل نفسه فان وجد له حد فى كتاب الله كالزنا والسرقه والخمر والقتل فادعى صاحبه الا بذلك الاسم فيقال له زان وسارق وشارب خمر وهكذا وحكمه انه غير كافر ولكنه ليس بمؤمن ايضا وفى هذا رفع للتقيدين كما لا يخفى . او لم يوجد له حد مبين فى كتاب الله كتراء الصلاة والحج والصوم ونحو ذلك فمتركه كافر وليس بمؤمن كذلك يقول الهخادى " وقد زعمت فرقة من الصخرية ان ما كان من الاعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه الا بالاسم الموضوع له كزان وسارق وقاذف وقتل عمد وليس صاحبه كافرا ولا مشركا وكل ذنب ليس فيه حد كتراء الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وان المؤمن المذنب يتقد اسم الايمان فى الوجهين جميعا " (٣) ونحو هذا

(١) المقالات ج ١ ص ١٩٦ - الفرق بين الفرق ص ٩١ . قواعد الاسلام ص ٣٩

(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٢ . الفرق بين الفرق ص ٩١

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩١ . المجلد والنحل ج ١ ص ١٣٧ - الفصل ج ٤ ص ١٩١ .

عند الشهرستاني وابن حزم .

وفيما يتعلق بالبيهسية فانهم يرون ان أهل الذنوب مشركون ومثلهم من جهل الدين الا في ذنب لم يحكم الله فيه بتخليط عذاب فاعله فهذا مغفور . والتائبون من الذنوب في مواضع الحدود المقرون على انفسهم بارتكابها هؤلاء مشركون كفرة ايضا لان الحدود عندهم لا تقع الا على كافر معلوم الكفر باقراره وتوهمه علم كفره حين ذاك وهذا من اغرب ما يكون اى أن نحكم على الشخص بالكفر حين يعلن توهمه . قال الاشعري * وقالت البيهسية : الناس مشركون بجهل الدين مشركون بمواقعة الذنوب وان كان ذنب لم يحكم الله فيه حكما مطلقا ولم يوقفنا على تخليطه فهو مغفور . . وقالوا التائب في موضع الحدود وفي موضع القصاص والمقر على نفسه يلزمه الشرك اذا اقر من ذلك بشئ * وهو كائن — لانه لا يحكم بشئ من الحدود والقصاص الا على كل كافر يشهد عليه بالكفر عند الله * (١) ويقابل هذا التشدد منهم تساهل وتسامح مع السكران حتى كان السكران حين يرتكب جريمة سكر متسقط عنه جميع التكاليف الشرعية وجميع ما يدر عنه في تلك الحال من آثام * وكل ما كان في السكر من ترك الصلاة او شتم الله سبحانه فهو موضوع لاحد غيبه ولا حكم ولا يكفر اهله بشئ * من ذلك ما داموا في سكرهم * (٢) . الا ان طائفة منهم تسمى العموية تقول * السكر كفر اذا كان معه غيره من ترك الصلاة ونحوه * (٣) .

وسخر البيهسية يقولون * من واقع زنا لم تشهد عليه بالكفر حتى يرفع الى الامام او الوالى ويحد * (٤) * وقبل الرفع الى الامام الوالى يبقى حكمه محققا لا مؤمنا ولا كافرا والبغدادى ينسب هذا الراى لكل البيهسية وكان الطهارة من الاثام بالحدود لا تنرفع

(١) المقالات ج ١ ص ٢٩٥ . الفرق بين الفرق ص ١٠٩

(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٥ . الفرق بين الفرق ص ١٠٩

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٩ . الملل والنحل ج ١ ص ١٢٧

(٤) المقالات ج ١ ص ١٩٤ . الفرق بين الفرق ص ١٠٩ . الملل والنحل ج ١

ص ١٢٧

عنه الاثم . وهذا خلاف ما عليه المسلمون فان وقوع الحد على المذنب وخصوصا التائب المقرب بذنبه تجعله في عدد التائبين الذين عفى الله عنهم كما قال عليه الصلاة والسلام في حق ماعز " لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لمستهم " (١) . وفي حق الغاهرية قال عليه السلام " لمرح حين نهاء عن الصلاة عليها " لقد تاب توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لمستهم " (٢) . وقال عليه الصلاة والسلام في بيان ان الحد وكفارة لمن وقعت عليه " بايموني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا وقرأ هذه الآية كلها : فمن وفى منكم فأجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه " (٣) .

ولا يستبعد منهم هذا التردد والتنطع فقد خالفوا ما قرره القرآن في بعض الاحكام فهينما الله تعالى يقول : " ولا تزر وازرة وزر اخرى " . اذ ابيهم يقررون انهم اذا كفر بالامام كفرت الرعية " (٤) .

ويجدر بنا في نهاية سياقنا لاراء الخوارج القائلين بتكفير العصاة ان نذكر ان منهم من تردد بين الحكم بتوليهم او التبرى منهم او التوقف في شأنهم وهم فرقة النحاكية من الخوارج وهذا ما ذكره الاشعري عن هذه الفرقة بقوله / :

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١١٩

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢١

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥

(٤) المقالات ج ١ ص ١٩٤ . الفرق بين الفرق ص ١٠٩

— الملل والنحل ج ١ ص ١٢٦

* واختلفوا في اصحاب الحد ودم منهم من يرى منهم ومنهم من تولاهم ومنهم من وقف واختلف هو لا في اهل دار الكفر عند هم منهم من قال ائمتنا كفار الا ممن عرفنا ايمانه بحسينه ومنهم من قال هم اهل دار خلط فلا نقول الا من عرفنا نبيهم اسلاما ونقف فبين لم نعرف اسامه وتولي بعض هو لا بعضا بلوا اخلافهم وقالوا التولية نجمعنا * (۱)

— — —

٢ - النحكم بتكثير العصاة كفر نعمة :

وهذا هو الرأي الثاني من آراء الخوارج وهو للاباضية وهم يرون في ذلك ان من ارتكب كبيرة من الكبائر فهو موحد ان انه غير مشرك لكنه ليس بمؤمن ان انه يخلو في النار خلود الكافرين اذا مات وهو على كبريته وهو لذلك كافر كفر نعمة لا كفر ملة .

يقول قطب الائمة منهم في رسالته المخطوطة لدى سالم بن يعقوب الجهرى * واما كون مرتكب الكبيرة موحدًا غير مؤمن فهو مذنبنا * (١)

ويقول الاشعري عنهم * وقالوا ان كل طاعة ايمان ودين وان مرتكب الكبائر موحد ون وليسوا بمؤمنين * (٢) . قال ايضا * والاباضية يقولون : ان جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه ايمان وان كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك وان مرتكب الكبائر في النار خالد ون مخلد ون فيها * (٣)

وكذا الشهرستاني فيما يرويه عن الكشي ان هذا الرأي هو رأي الاباضية بالاجماع وهو ما أكد الحارثي الاباضي * (٤)

ولا ندري وجهها للفرقة بين التوحيد والايمان في حكم مرتكب الكبيرة حيث يشبّهون له التوحيد وينفون عنه الايمان . فالتوحيد ايمان بالله الواحد . اللهم الا ان يكون مرادهم هو وصفه بالتوحيد لمجرد نطق بكلمة التوحيد ولو ظاهرا . ثم انهم عندما ينفون عن

(١) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٤٨٤

(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٥ وانظر الاباضية بين الفرق ص ٣٢٠

(٣) المقالات ج ١ ص ١٨٩ وانظر ص ٢٠٤ وانظر الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٤٦

وانظر العقود الفضية ص ٢٨٥

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥

وانظر العقود الفضية ص ١٢٠ وص ٢٨٨ .

المذنب الايمان يلزمهم القول بتكفيرهم له كفرملة نفى احد النقيضين يستلزم ثبوت
الاخر فما وجه حكمهم على المذنب بالتكفير كفر نعمة لا كفرملة وهو عند هم غير مؤمن
ويخلد في النار كما هو مذهب عامة الخوارج ثم انهم يستدلون على عدم ايمانه بخلوده
في النار بينما ان خلوده في النار انما هو نتيجة لعدم ايمانه وهذا خلط وتناقض فليس
الرأى وما ذكرناه سابقا من حكم الاباضية على مرتكبي الكبائر بالخلود في النار خلود الكافرين
انما هو في شان من مات مصرا على كبريته وفي هذا يقول النفوس من علمائهم :

ودنا بانفاذ الوعيد وحكمه	وتخليد اهل النار في النار والهون
فحمد الكبير الحد في عاجل الدنيا	وسوء عذاب النار ياشر مسكن
ثلاثة اسماء ممان تجاوزت	كبير وكفر والعقاب بحقرون
فمن مات من اهل الكبائر ابى	مصرا فما اقصاه عن جنة عدن (١)

صاحب كتاب الاديان وهو باضى ايضا بعد ان استشهد بقوله تعالى " وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا " (الزمر : ٧٣) وقوله تعالى " وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا " (الزمر : ٧١) وقوله تعالى " واتقوا النار التي اعدت للكافرين "
(ال عمران : ١٣١) قال " فقد سى الله من دخل النار كافر العينا وكل من عصى الله
بكبيرة ومات مصرا عليها فقد كفر بنعمة الله ويخلد في النار بكبيرته " (٢) . ثم اثبت
ايضا ان هذا هو اعتقاد اهل الاستقامة ويعنى بهم الاباضية وان من اعتقادهم
" ان صاحب الكبيرة اذا مات مصرا يرى حسناته محبطة وسيئاته مثبتة وصاحب التوبة والاقلاع
عن المعصية يرى حسناته مثبتة وسيئاته محبطة " (٣) .

(١) متن النونية في عقيدة التوحيد ص ١٨

(٢) من كتاب في الاديان والفرق ص ٥٥

(٣) المرجع السابق ص ٥٨ .

وفي هذا يقول الأشعري أيضا * قالوا الاصرار على اى ذنب كان كفر * (١)
وهو عند هم فى منزلة البراءة والهدى حتى يتوب من ذنبه كما تقول مصادر الاباضية (٢)

والحكم على مرتكب الكبر قبانه كافر كفر ملة لا كفر نعمة قائم على تفرقتهم بين التكذيب
بالمقائد وارتكاب الكبائر بحيث يستوجب اولهما الشرك وانبيهما مجرد كفر النعمة
وفي هذا يذكر السالى ان الكفر عند الاباضية ينقسم الى كفر شرك والى كفر نعمة ومثل
لكلا النوعين بامثلة فمثل لكفر الشرك بالله * بالتكذيب لى * من كتب الله او تكذب
نبي من انبيائه او رد حرف من كتب الله وكانكار الموت والبعث او الحشر والحساب
او الجنة * * ومثل لكفر النعمة * بارتكاب شى * من كبائر الذنوب من المعاصى الظاهرة
او الباطنة * ومثل للمعاصى الباطنة * بالمجب والكبر والحسد والربا وما تولد منها من
الاخلاق الردية * * ومثل للمعاصى الظاهرة والكبائر الظاهرة بالزنا والربا وظلم العباد
وايذاء المسلمين وخويفهم ومكابرة الحق ومساندة اهلل وشرب الخمر ولبس الذهب
والحرير * (٣) الخ .

ومع ما قد من تكبير الاباضية لم ترتكب الكبيرة كفر نعمة لا كفر ملة فاننا نجد بعضهم
يخرج عن هذا المبدأ بل يغالى فى خروجه فيعتبر ارتكاب صغيرة من الصفات شركا

(١) المقالات ج ١ ص ١٨٢

(٢) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٧ وانظر العقود الغضبية ص ٢٨٩

(٣) تلقين الصبيان ص ١٢٣ - ١٢٢

وهذا هو ما يذكره ابن حزم عن غرقة الحارثية من الاباضية ويعدّه من حماقاتهم
 فيقول " ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنـب
 صغيرا وكبيرا ولو كان اخذ حبة خرد ل يفيّر حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهـي
 شرك بالله وفاعلمها كافر مشرك مخلد في النار الا ان يكون من اهل بدر فـهو كافـر
 مشرك من اهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم " (١)

وقد رد عليه معمر الاباضي رد اعنيفا مدعيا بان هذا البكر المجهول النسب الذي
 لا يعرف الا بابن اخت عبد الواحد شخص مجهول لا يعرفه الاباضية وانما اثبتـه
 ابن حزم من الاباضية لانه - على حد تعبير معمر - لم يجد له مكانا فوضعه مع
 الاباضية وكأنه لقيط مجهول فقد قال مانعه " وهذه كما يرى القارىء الكريم ليست من
 حماقات الاباضية وانما هي من حماقات العالم الكبير ابن حزم الاندلسي وللعلماء
 الكبار حماقاتهم .. ان العالم الكبير ابا محمد بن حزم وهو يصنف المسلمين على فـرق
 يمشى على هذا الرجل فلا يجد له مكانا ثم ياتي به يسوقه حتى يجد فراغا بين صفوف
 الاباضية فيلقيه هناك ثم ينسبه اليهم ثم يلقى عليهم تـبعة حماقاته " (٢)

ومهما يكن من رأى على يحيى في رواية ابن حزم عن الحارثية هو لا فان ابن حزم
 يروى عنهم كذ لك ان العصا قاهل الحد ود يجب استتابتهم بعد اقامة الحد عليهم
 فان تابوا تركوا وشانهم وان ابوا فيجب قتلهم وذلك في قوله الاتي " وقالت طائفة من
 اصحاب الحارث الاباضي ان من زنا او سرق او قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب
 مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة " (٣) . وقد رد على معمر

(١) الفصل ج ٤ ص ١٩١

(٢) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٥١

(٣) الفصل ج ٤ ص ١٨٩ .

على ابن حزم في ذلك ايضا فقال : " ولم يذكر احد ان النعمة - الاباضية تجاوزوا حد ود الله في اقامة الحد فقتلوا من لا يلزمه القتل . والاباضية لا يحكمون على من لزمه الحد بالردة تاب او لم يتب واسناد هذا القول الميهم كذب عليهم " (١)

ثم ذكر ان الشخص المحدود " لا يخلو ما ان يقام عليه الحد بعد اعترافه واعلانه للتوبة كما عر مثلاً فهذا لا يختلف اثنان في صدق تهمة ووجوب ولايته واما ان يجب عليه الحد وهو مصر على معصيته ولا يعلن التوبة كما ارتكب وهذا اخلاف بين اثنين من الاباضية وجوب البراءة منه " . (٢)

والواقع ان مذهب السلف هو انهم لا يبرأون من اتيهم عليه الحد ولا يعتبرونه كافرا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه واصحابه بعد ما يصلون عليه من مات في الحد بل ويترحمون عليه كما قال عليه الصلاة والسلام لاصحابه " استغفروا لما عزر بن مالك - قال - الرلوى - فقالوا عفر الله لما عزر بن مالك " (٣)

والى جانب من يذكر عن الاباضية - ماعدا الحارثية منهم - حكمهم على مرتكب الكبيرة بكفر النعمة نجد من ينسب اليهم القول بانه منافق وانهم يوافقون بذلك اهل السنة وهذا ما يفكره يحيى محمر وغيره من الاباضية - كما سيأتى - من ان راي الاباضية في مرتكب الكبائر انه منافق وليس بمشرك وان اهل السنة والاباضية يتفقون ويطلقون لقاء كاملا - كما قال - في ان مرتكب الكبيرة يدخل النار وهذا في الاخرة اما في الدنيا فاحكامه لا تختلف عن احكام المسلمين وانهم في هذا تبع لراى الحسن البصرى ونفى ان يكون راي الاباضية في اهل الكبائر كراى الخوارج فان الاباضية فيما يقول " لا يرون راي الخوارج

(١) و (٢) الاباضية بين الفرق ص ٤٧

(٣) صحى مسلم ج ٥ ص ١١٩

وانما يرون راي الحسن البصري فيعتبرون مرتكب الكبيرة منافقا وليس مشركا
وهنا يلتقى الاباضية واهل السنة لقاء كاملا يقطع النظر عن التسميات - فيتفقون
جميعا على ان مرتكب الكبيرة اذا لم يشب يدخل النار اما معاملته في الدنيا فهي لا تختلف
عن غيره من المسلمين " (١)

والواقع ان قول محمر باتفاق الاباضية واهل السنة على دخول مرتكب الكبيرة
النار ليس على اطلاقه فاهل السنة يقولون انه تحت المشيئة ان شاء الله عذبه ثم ادخله
الجنة وان شاء عفا عنه . ثم انه اغفل القول بالتخليد في النار وهدمه مكثفا بحكمه
على مرتكب الكبيرة بدخول النار بينما راي ان الاباضية يحكمون بخلودها فيها كما هو
مذهب عامة الخوارج ويقول قطبا لائمة مغرقا بين النفاق والشرك " ونحن لا نتوقف فسي
النفاق بل نجزم انه غير شرك ونقطع بذلك " (٢)

بينما الاشعري يذكر انهم لم يجزوا بحكم فيه بل اختلفوا على ثلاث فرق :

الفرقة الاولى منهم يزعمون ان النفاق براءة من الشرك " زاد البخاري في قوله
" براءة من الشرك والايمان جميعا " واحتجوا في ذلك بقول الله عز وجل
" مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء " (النساء : ١٤٣) .

والفرقة الثانية منهم يقولون ان كل نفاق شرك لانه يضاد التوحيد

والفرقة الثالثة منهم يقولون لسنا نزيل اسم النفاق عن موضعه وهو دين القوم
الذين عناهم الله بهذا الاسم في ذلك الزمان ولا نسي غيرهم بالنفاق . . وقال القوم

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٤٧ . وانظر الاباضية في مكتب التاريخ

ص ٩١ ج ١ .

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٤٨٤

الذين زعموا ان المنافق كافر وليس بمشرك ان المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين • وكانوا اصحاب كباكر • زاد الشهرستاني * فكفروا بالكبيرة لا بالشرك * (١)

وننتهي من عرضنا لراى الاباضية فى حكم مرتكب الكبيرة — اذا استثنينا قول الحارثية بتكفيره كفر ملة — انهم يحكمون عليه بكفر النعمة والنفاق فهل هما بمعنى واحد عندهم فلا يكون بينهم خلاف فى هذا الحكم ؟ وهل يعتبر كفر النعمة والنفاق منزلة بين منزلتي الشرك والايمان • ؟

هذا ما تجيب عليه اقوال الاباضيين فى بحثنا التالى عن حقيقة القول بالمنزلة بين المنزلتين عندهم •

(١) انظر المقالات ج ١ ص ١٨٥ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٦ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥

٣ - حقيقة القول بالمنزلة بين المنزلتين عند الاباضية :

يقف الاباضية من هذه المسألة بين امرين • بين النفي من جهة • والاثبات من جهة اخرى • وذلك باعتبارين مختلفين :

فاثباتهم للمنزلة بين المنزلتين يقصدون به النفاق الذي يحكمون به على مرتكب الكبيرة - كما قدمنا - حيث يشتونه منزلة بين منزلة الايمان والشرك ^{بين} كذلك ان النفاق عندهم معنى مرادفا لمعنى كفر النعمة بل هذا هو ما يؤكده كلام ابواسحاق الاباضى مثبتا رأيهم في أنهم يطلقون النفاق على الكبائر المرادفة لكفر النعمة حيث يقول : " ولهذا اطلق اصحابنا النفاق عليها - يعنى بها الكبائر - كما اطلقوا الكفر فصار النفاق فيها مرادفا لكفر النعمة " (١)

وكذلك يعتبر تبغورين الاباضى ان الحكم بالنفاق على مرتكبى الكبائر يتساوى مع الحكم عليه بكفر النعمة فهو يقسم الناس الى ثلاث فرق مؤمنون ومشركون ومناققون • وهذا القسم الاخير يعتبرهم موحدين وليسوا بمشركين ولا بجو منين وهو يقول في ذلك " الفريق الثالث - ويعنى بهم المناققين - هم قوم اعلنوا كلمة التوحيد واتقوا بالاسلام ولكنهم لم يلتزموا به سلوكا وعبادة فهم ليسوا مشركين لانهم يقرون بالتوحيد وهم ليسوا بمؤمنين لانهم لا يلتزمون ما يقتضيه الايمان " (٢) • الى ان يقول " وقد اطلق الاباضية على هذا القسم الثالث اسم المناققين وكفار النعمة " (٣)

(١) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٣٤٢

(٢) الاباضية بين الفرق ص ٣٢٠

(٣) المرجع السابق ص ٣٢١

فالتفاسق كما وضع مرادف لكفر النعمة وهو المراد بالمنزلة بين المنزلتين عندهم وقد قال ايضا في تأكيد هذا " الاصل الخامس في المنزلة بين المنزلتين وهو التفاسق بين الشرك والايمان " (١) .

ويقول الجناوني ايضا في هذا المعنى بالاضافة الى بيان متفهمين السابق

" واما المنزلة بين المنزلتين فهي منزلة التفاسق بين منزلة الايمان ومنزلة الشرك " (٢)

ثم استدل بقوله تعالى " ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيمًا " (سورة الاحزاب: ٧٢)

فالاباضية يعتبرون المنافق في منزلة بين المنزلتين هما منزلة الشرك والايمان كما قد منا ثم يجعلون المنافق موحدا فمنزلة التوحيد هذا وقع اذا بين منزلة الشرك والايمان كما قال ابو محمد عبد الله بن سعيد السدي وكشي في حاشيته على متن الديانة لابن ساكن عامر بن علي الشافعي شارحا ما قاله ابوساكن في هذا الموضوع " قوله ندين بان منزلة التفاسق بين منزلة الايمان ومنزلة الشرك يعني ان المنافق ليس بمشرك ولا بمؤمن بل هو موحدا " ثم يضي في شرحه الى ان يقول " الحاصل انا نقول بمنزلة التفاسق بين منزلة الايمان والشرك ونقول بان لا منزلة بين الايمان والكفر " (٣) .

ثم ان الاباضية يرون بعد هذا ان التفاسق لا يكون الا في الافعال لا في الاعتقادات

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٣١٦

(٢) كتاب الوضع

(٣) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية عن كتاب المقالات في القديم والحديث ص ٣١٥ .

كما يقول السد ويكشى ايضا * والذى عليها صاحبنا ومن واقفهم ان النفاق نفسى
الافعال لا فى الاعتقاد * (١)

والمعروف ان المناقذين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نفاقهم
فى الاعتقاد دونه * واما الافعال فكانت افعالهم كافعال المؤمنين الماهرا وانما
كان النفاق فيهم فى اعتقادهم ان طريقه رسول الله صلى الله عليه وسلم غير صحيحة
وانهم على الهدى والحق مع انيائهم بافعال الاسلام * ولعل هذا هو الذى جعل
السد ويكشى يربط النفاق بالافعال حيث جاءتهم على غير تصديق واذعان *

وغاية القول فى هذا المقام ان الاباضية حينما يحكمون على مرتكب الكبيرة بالنفاق
فانهم يجعلونه فى منزلة بين منزلتي الشرك والايمان ويساوون بينه وبين ما يحكمون به
على مرتكب الكبيرة من كفر الملة *

اما نفى الاباضية للمنزلة بين المنزلتين فى بعض اقوالهم فمرادهم به نفى ان يكون
بين الايمان والكفر منزلة فهما ضدان لا يتقابلان تضاد الحياة والموت والحب والبغض
باجتماع الائمة عندهم وفى ذلك يقول تنغورين الاباضى فيما ينقله عن علي بن يحيى فى كتابه
الاباضية بين الفرق :

" الاصل السادس لا منزلة بين المنزلتين وذلك ان معناه لا منزلتين المنزلتين اى بين
الايمان والكفر وهما ضدان كالاضداد كلها شبه الحركة والسكون والحياة والموت
وقد اجمعت الامة فى اصلهم على ان من ليس بمؤمن فهو كافر * (٢)

ولقائل ان يقول ان هذا هو رأى الخوارج الذين تنهوا عنهم الاباضية اى القول
بان الشخص اما ان يكون مؤمنا بفصل الطاعات او كافرا بارتكاب المعاصى وقد استدل

(١) المرجع السابق ص ٣١٥

(٢) ص ٣١٨

يتخفون بالآيات والاحاديث الاتية التي هي ادلة الخواج انفسهم الذين يكفرون
اهل الذنوب كفومة ومن الآيات التي استدل بها قوله تعالى : " هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " (سورة البقرة : ٢) قوله " انا هديناك
السبيل اما شاكرا واما كفورا " (سورة الانسان : ٢) قوله " يوتيناك وجوه
وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا المذاب
بما كنتم تكفرون ، واما الذين ابيضت ^{وجوههم} فحق رحمة الله هم فيها خالدون " . قوله
تعالى " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة * تلطمقها
قترة . اولئك هم الكفرة الفجرة " . (عيس : ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ / ٤٢)

واستدل من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم " من ترك الصلاة كفر " ليس بيمين
العبد والكفر الا تركه الصلاة " . الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب
بعض " . الرضا في الحكم كفر " . الخ .

وما قد مناعن الاباضية من اثباتهم للنفاق انه منزلة بين منزلتي الشرك والايمان
وانه لا منزلة بين منزلتي الكفر والايمان يظهر لنا خطأ الجنائز عندما فسر نفهم
للمنزلة بين المنزلتين بانهم ينفون وقوعها بين الشرك والايمان وهو خلاف ما ذكره
غيره من الاباضية حيث يقول : " واما قولهم لا منزلة بين المنزلتين - اي لا منزلة
بين منزلة الايمان ومنزلة الشرك - بدليل قوله تعالى " اما شاكرا واما كفورا " .
اي اما مقر بالوحدانية واما جاحد لها " (١)

(١) انظر كتاب الوضع (بتعليق اطفيش)

وقد قدمنا ان اثبات المنزلة بين المنزلتين يريدون به اثبات النفاق منزلة
بين منزلتي الايمان والشرك - وقد نقلناه عن الجناوني سابقا - وان نفى
تلك المنزلة انما يقصدون به نفى وجود منزلة بين الكفر والايمان ، وهذا
يظهر تناقض الجناوني مع نفسه بالاضافة الى خطئه في التفسير .

٤ - وجوب الوعد والوعيد :

ظهر فيما سبق ان الخواج يقولون بان المصاة اهل الكبائر اذا ماتوا على كبائرهم دون توبة انهم ليس لهم الا مصير واحد وهو النار مخلدين فيها ، وقولهم هذا وقول المعتزلة في هذا الموضوع قول واحد وهو تخليدهم في النار الا ان الخواج يرون ان عذابهم كعذاب الكفار والمعتزلة تخالفهم في هذا وترى ان عذابهم ليس كعذاب الكفار (١) بل هم اقل منهم في الدرجة حتى مع خلودهم في النار . قال الاشعري " واجمع اصحاب الوعيد من المعتزلة ان من ادخله الله النار خلده فيها " (٢)

فالخواج كما هو المشهور عنهم وكما تبين مما سبق بحثه انهم من اشد الفرق الاسلامية مخالفة في مسألة ارتكاب الذنوب واخراج اهلها من الايمان اذ ان الايمان ان قول وعمل فاذا خالف عمله الحق بارتكاب بعض الذنوب فلا يبقاء لايمانه وهو ممن اصحاب النار وقد وصف الله نفسه بانه عدل يجازي كل واحد بما عمل وهو عالم الغيوب فلا يمكن ان يكون المؤمن والكافر والطائع والمعاصي والبر والفاجر في ميزانه تعالى عن الكفر والمعاصي لا معنى له . ثم قالوا ان الله صادق وقد قال في كتابه الكريم " ان الله لا يخلف الميعاد " (الانعام / ١٤٦) وقال تعالى " لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد " (ق : ٢٨ / ٢٩) فلا يتصور ان يخلف الله وعده او وعيده والا جاز عليه القول بانه يقول شيئا ثم يبدله ان المصلحة

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٤

في خلافه فيترك الاول وهذا مستحيل على الله وهو من صفات الناس لنقص عقولهم
وتجدد الامور لديهم . كذا لكفان المعروف بداهة ان من استحق العذاب لا يستحق
الشواب ومن استحق الاحسان لا يستحق الازالة والا لزم الجمع بين النقيضين ، وعلى
هذا فان الناس في الدار الآخرة ينقسمون الى قسمين شقي وسعيد * فمن استحق
الشقا لا يستحق السعادة ومن استحق السعادة لا يستحق الشقاء . قال تعالى " فاما
الذين شقوا ففي النار لهم زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما
شاء ربك عطاء غير مجد " (هود ١٠٨ / ١٠٩) وكذا قوله تعالى " فريقتي
في الجنة وفريق في السعير " (الشورى : ٧) الى غير هذه الايات التي فسر
هذا السياق .

وهذه النظرة الضيقة " يكونون غير مراعيين لآيات الرحمة والحق لان الرحمة كما يقال
فوق العدل وهذه هي هذه يؤدى الى شيء من اليأس في ظاهر الامر ولكنهم
يقولون ان من تاب فقد نجا (١) * وهذا يفتحون للذنوب طريقا الى الرحمة
واملا ضعيفا الا انه طريق مخوف بالمخاطر فاقبل زلة قد تجعله من اهل النار .

والاباضية في ذلك كبقية الخوارج يرون ان الله لا يخلف وعده ولا يطل وعيده
كما قال صاحب كتاب الاديان الاباضية " ومن اعتقاد اهل الاستقامة ان الله لا يخلف
وعده ولا يطل وعيده " (٢) ويقول على ممر ايضا في هذه المسألة " كما لا يجوز خلف
الوعد كذلك لا يجوز خلف الوعيد " (٣) . فهم مجمعون على ان الله لا يخلف وعده

(١) اراء الخوارج ص ١٤٦
(٢) من كتاب الاديان والفرق ص ٥٥
(٣) الاباضية بين الفرق ص ٤٤٠

ولا وعيد كما قال تعالى " ما يبدل القول لدى وما انا بظالم للمبيد " (ق : ٢٩) .
وهذا هو استدلالهم من القران . واستدلوا من الشعر العربي بيت لاحد الشعراء
وهو قوله :

قوم اذا وعدوا او اوعدوا عمروا
صدق الرواية ما قالوا بما فعلوا

وهذا ما يصر عنه : . الجنائى فى قوله " واما الوعد والوعيد فقد اتفق الموحدون
كلهم على ان الله صادق فى وعده ووعيده " (١) . ثم استدلى بالايه السابقة وقول الشاعر
المتقدم .

ويرد ابواسحاق الفيش على القائلين بتخلف وعد الله بان هذا القول والقول بالهداء
على الله واحد لا فرق بينهما . فقال " والحق انه لا دليل على تخلف وعد الله بل هو
من القول بالهداء على الله " (٢) . ويقول النفوس منهم مثبتا اعتقادهم فى هذا
الباب :

ودنا بانفاذ الوعد وحكمه وتخليد اهل النار فى النار والهون (٣)

وفيما يتعلق بوجوب الوعد والوعيد فان اهل السنة يقولون ان اخلاف الوعد مذموم
وذ لك غير اخلاف الوعيد فهو كرم وتجاوز كما يفعل اهل الشرف بمبيد هم حين يتعهد ونهم
ثم يعفون عنهم ويخلفون ما تعهد وهم به من المقاب ولهذا فقد " قال اهل السنة واخلاف
الوعيد كرم ويمدح به بخلاف الوعد " (٤)

(١) (٢) كتاب الرضح للجنائى

(٣) كتاب متن النونية فى عقيدة التوحيد ص ١٨

(٤) الاسئلة والاجوبه على الواسطية ص ٨٤

قد اجاب ابو عمرو بن العلاء/ عمرو بن عبيد القدرى حين قال له ابن عبيد
 " وقد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد والله تعالى يصدق وعده ووعيده " قال
 الهند ادى " فاراد بهذا الكلام ان ينصرف بدعته التى ابتدعها فى ان العصاة ممن
 المؤمنين خالدون مخلدون فى النار) . اجاب ابو عمرو بن العلاء عن قول ابى عبيد
 بقوله " فاين انت من قول العرب (ان الكريم اذا اعد عفا واذا وعد وفى واقتضار
 قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وانى اذا اعدته او وعدته ————— لمخلف ايمادى ومنجز موهدى
 فعده من الكرم لا من الخلق المذموم . (١)

ووجوب الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب عند الاباضية يرجع الى الاجاب
 على الله لان احدا لا يوجب عليه سبحانه وتعالى شيئا بل هو مقتضى الحكمة الالهية .
 فيرون وجوب الثواب والعقاب فى حق الحكمة لان الحكمة تقتضى ان يشاب المحسن
 باحسانه . والمسىء باسائه ويرون ان الذين يقولون بوجوب الثواب والعقاب على الله
 وهم المعتزلة قد اساءوا الادب مع رسهم لانهم لم يحتزوا بكلمة " فى حق الحكمة "
 وهذا ما قاله احد ائمتهم ابى يعقوب ^{بن ابراهيم} الوراق لاني " ان الله لا يجب عليه
 شىء " لانه لا موجب عليه . وانما الوجوب فى الحكمة واجب عليه الثواب فى حق الحكمة
 والعقاب كذلك " (٢) . ويقول ايضا فى ايضاح وجوب الثواب والعقاب اضافة
 الى ما تقدم " واما الصنف الثانى من المكلفين بنوا ادم والجن فمؤلا من واجب
 الحكمة ان يجب لهم الاجر والثواب على الله تعالى من جهة الحكمة ومقتضاها لامن
 جهة ايجاب موجب " (٣) .

والقول بايجاب شىء على الله فيه اساءة ادب لا يليق بجناب الله كما قال الوراق لاني
 ايضا يرد على الموجبين " فالذين قالوا ان الثواب حتم على الله قد اساءوا الادب انما
 كان ينبغي لهم ان يقولوا حتم فى واجب الحكمة " (٤) الخ .

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٦٥

(٢) و (٣) الدليل لاهل العقول ص ٥٦

(٤) المرجع السابق ص ٥٨

بعد بيان هذا الاختلاف عند الخوارج في حكم مرتكبي الذنوب أحب أن أشير
إلى أن ما ذكره الدكتور عبد الحلیم محمود والشيخ أبوزهرة رحمهما الله عن الخوارج
من أنهم على رأي واحد في أمر العصاة وهو حكمهم عليه جميعاً بالتكفير فيه تساهل
فقد رأينا كيف اختلفوا في موقفهم من أهل الكبائر بين تكفيرهم كفر ملة أو تكفيرهم كفر نعمة
وكذلك اختلف حكمهم على مرتكبي المعاصي من حيث هي كبيرة أو صغيرة ومن حيث الإصرار
عليها وعدمه وكذلك من حيث كون العصاة منهم أو من غيرهم الخ •

نقول الدكتور عبد الحلیم " رأيهم في مرتكب الكبيرة يتقنون جميعاً عليه " (١)
وقول الشيخ أبوزهرة " فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويمدونه مخلصاً
في النار " (٢) لا يتفق مع تلك الأحكام المختلفة •

ولعلهما استندا في هذا القول إلى الكعبی - وهو من شيخ المعتزلة - الذي
ادعى إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب وكذلك ابن أبي الحديد حيث يقول
" وأعلم أن الخوارج كلها تذهب إلى تكفير أهل الكبائر " (٣) • وذلك يخالف
قول الأشعري " واجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك " (٤)
ولهذا قال البغدادي " والصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم وقد أخطأ الكعبی
في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبي الذنوب منهم " (٥)

(١) التفكير الفلسفي ص ١٩١

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٥ ج ٢

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٣

(٤) المقالات ج ١ ص ١٦٧

(٥) الفرق بين الفرق ص ٧٣

ومثل هذا التعميم في اطلاق الاحكام على الخواج مانراه عند القاضى
عبد الجبار في ادعائه ان الخواج جميعا لا يفرقون بين الصغيرة والكبيرة
بل يعتبرون كل الذنوب من الكبائر فيقول " وقد انكرت الخواج ان يكون شيء
المعاصى صغيرة وحكمت بان الكل كبيرة " (١)

وقد رأينا من قبل تفرقتهم جميعا بين الصغيرة والكبيرة وتفرقتهم كذلك بين
مرتكب كل منهما في الحكم ، اللهم الا الحارثية من الاباضية •

٥ - ادلة الخوارج على تكفير العصاة والرد عليها

رأينا كيف ان معظم الخوارج كفروا مرتكب المعاصي كفر ملّة وكفر نعمة ولهم على ذلك ادة من الكتاب والسنة يستشهدون بها على صحة ما ذهبوا اليه وهي ادة لعمدة كما سيأتى وسوف تقتصر على اهم ادلتهم عرضا وردا . (١)

أ - ادلتهم من الكتاب والرد عليها :

استدل الخوارج على مذاهبهم بقوله تعالى :

١ - ومن لم يحكم بما انزل الله فالتك هم الكافرون * (المائدة ٤٤) .

وجه استدلالهم بالآية انهم ادعوا شمولها للفاسق لان الفاسق لم يحكم بمـا انزل الله فيجب ان يكون كافرا كما هو ظاهر الآية " وهذا نص صريح فى موضع النزاع " (٢) كما قالوا لان كل مرتكب للذنوب لا بد وانه قد حكم بخير ما انزل الله فهو داخل تحت هذا الخطاب .

والرد عليهم انا نقول لهم اما ان يكون الشخص مستحلا للحكم بخير ما انزل الله ولم يجعله له دستورا ولم يرجع اليها الكلية فهذا الاشك فى كفره ولا خلاف حينئذ . واما ان يكون الشخص غير مستحل للحكم بخير ما انزل الله ويعترف بان القرآن هو المرجع الوحيد للاحكام ولكنه يحكم فى بعض اموره بخير ما انزل الله فهذا لا يخرج عن دائرة الايمان مادام انه غير مستحل لمخالفته الكتاب والسنة بل يدعى انتمسك وانه يطبق حكم الله ولكنه يخرج عنه احيانا .

(١) انظر العقود الفضية ص ٢٨٥ / ٢٨٦

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٢ .

وفي هذا يقول ابن عباس في معنى قوله تعالى : " ومن لم يحكم بما انزل الله
 . الخ " الآية " من جحد الحكم بما انزل الله فقد كفر ومن اقرب به ولم يحكم به
 فهو ظالم فاسق " (١)

قال ايضا " انه ليس بالكفر الذي يذهبون اليه وانه ليس كفر ينقل من الملة
 بل دون كفره " (٢) . وقال عطاء ابن ابي رباح معنى قوله تعالى " ومن لم يحكم
 بما انزل الله فالتك هم الكافرون — هم الظالمون — هم الفاسقون — " قال :
 كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق " (٣) .

وقد اورد الشوكاني في معناه عدة اقوال ومنها ان هذا الحكم " محمول على
 ان الحكم بغير ما انزل الله وقع استخفافا واستحلالا او جحدا " (٤) .

وقد اجاب ابو جعفر بن احمد عن استدلال الخوارج بالآية هذه بقوله
 " وجوابنا ان هذا مما لا يصح لكم التعلق به لان صريح هذه الآية ينطق بـ
 من لم يحكم بجميع ما انزل الله فهو كافر لان " ما " تقتضي العموم والاستغراق
 وهذا مما لا نخالفكم فيه فانا نقول من لم يحكم بكل ما انزل الله فهو كافر ولكن ليست هذه
 حال الفاسق الذي اختلفنا فيه فانه ما من فاسق الا وقد حكم بكثير مما انزل الله .

ثم بين وجهها اخر لمعنى الآية وهو ان تكون واردة في المستحل — كما قدمنا —
 قال " فيتناول الآية على ما ذكرناه اولا من ان من لم يحكم بشئ مما انزل الله فهو
 كافر وعلى ان من لم يحكم بما انزل الله مستحلا . على الله فهو كافر " (٥)

(١ - ٣) فتح القدير ج ٢ ص ٤٥

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢

(٥) ابانة المناهج ص ١٦٤

ويقول القاضى عبد الجبار * ان الاية وردت فى شان اليهود ولا شك فى كفر اليهود * (١)

وهو قول بعض المفسرين . فقد اورد الطبرى رحمه الله فى تفسيره لهذه الاية اربعة اقوال فى المراد بهذه الصفة ونسب كل قول الى من قال به من السلف . وهذه الاقوال الاربعة نلخصها بايجاز فيما يلى :

١ - ان الكفر فى هذا الموضع يراد به اليهود بخصوصهم لجحدهم الكثير من الاحكام التى كانت فى التوراة كحكمهم فى الزانين المحصنين وكماتهم الرجم وقضاءهم نفسى بعض قتلاهم بدية كاملة وفى بعض بنصف الدية على حسب هواهم وكحكمهم نفسى الاشراف بالقصاص وفى الادنياء بالدية .

القول الثانى ان الله عني بالكافرين اهل الاسلام والظالمين اليهود والفاسقين النصارى .

القول الثالث . ان الاية نزلت فى اهل الكتاب وهى مراد بها جميع الناس مسلموهم وكفارهم .

القول الرابع : ان معنى الكفر فى الاية اى * ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فاما الظلم والفسق فهو للمقربة * (٢) .

وقد قصر ابن ابي الحديد حكم الاية على اليهود فقط فقال :

* والجواب ان هذا مقصور على اليهود لان ذكرهم هو المقدم فى الاية * (٣)

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٢

(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٢٥٢ - ٢٥٧

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٥

٢ - واستدل الخوارج على ما اعتقدون من كفر مرتكب الذنب بقوله تعالى " فانذرتكم نارا تلظى • لا يصلاها الا الاشقى • الذى كذب وتولى " (الليل: ١٤ ١٥ ١٦) • ووجه استدلالهم بها ان الله تعالى قد اخبر بان هذه النار التى تتلظى هى لشقى مكذب متول عن امر الله فهو فاسق والفاسق فى النار وقد بين الله تعالى ان النار اعدت للكافرين وصاحب الكبيرة الفاسق من اهل النار واذا كان من اهل النار فهو كافر لانها اعدت لهم لا للمؤمنين • والجواب عن هذا ان الله وصف هذا الذى يصلى النار ^{هذه} بانه مكذب ومتول عن امر الله ونهيه ولا شك ان من كانت هذه صفته فهو كافر • ولكن هذه الصفة لا تنطبق على فاسق مصدق بايات الله وهذا ما تنازعهم فيه بل ان هذا الدليل هو عليهم أكثر مما هو لهم كما يـرى القاضى عبد الجبار حيث يقول جوابا عن الاستدلال بهذه الآية " وجوابنا لا يتعلق لكم بظاهر الآية لانقال " لا يصلاها الا الاشقى • الذى كذب وتولى " وليس هذا حال الفاسق فاذا لو كنا مستدلين بها عليكم لكان اولى " (١) • على ان العصاة وان دخلوا النار بذنوبهم فان دخولهم ليس بلامرهم يقول الشوكانى فى معنى قوله تعالى " لا يصلاها الا الاشقى " اى لا يصلاها صليا لازما على جهة الخلود الا الاشقى وهو الكافر وان صليها غيره من العصاة فليس عليه كصليه " (٢) •

وقد اجاب ابن ابي الحديد وجعفر بن احمد بجواب اخر :

يقول ابن ابي الحديد " وغير ممتنع ان يكون فى الآخرة نار مخصصة لا يصلاها الا الذين كذبوا وتولوا ويكون للفاسق نار اخرى غيرها " (٣)

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٣

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٤٥٣

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٥

ويقول جعفر بن احمد " وجوابنا ان الآية لا تدل على شىء مما ذهبوا اليه لانه ذكر النار بلفظ التنكير فصرح الخطاب يقتضى ان فى جهنم نارا مخصوصة لا يصلها الا شقى مكذب فمن اين انه ليس هناك نارا اخرى يصلها الفاسق وهذا الكلام لا يقتضى نفيها بل قد ثبت ان فى جهنم طبقات ودركات بعضها يختص بالكفار وبعضها يختص بالفاسق . على ان الله تعالى وصف هذا الاشقى المذكور بصفة لا توجد فى الفاسق وهو كونه مكذبا ومتوليا عن امر الله وهذه ليست حال الفاسق فان كلا منهما معهم فى فاسق مصدق بايات الله وهو موضع الخلاف . فاما المكذب فلا خلاف بيننا وبينهم فى انه كافر " (١)

وهذا الجواب منهم قائم على اساس ما يراه المعتزلة من وجود نار خاصة بالفاسقين . والقول فى هذا ان الله يحذب الفاسق فى اى مكان اراد من النار ثم يعفو عنه ويدخله الجنة ولا يخلده فى النار كما تقول الخوارج ومن يرى رايهم .
وقد فسر الطبرى معنى قوله تعالى " لا يصلها الا الاشقى الذى كذب وتولى " اى الذى كذب بايات الله واعرض عنها ولم يصدق بها " (٢) . وهى هذا فان الفاسق ليس ممن كذب بايات ربه واعرض عنها ولم يصدق بها فان هذا كافر وهو ما وردت الآية فيه بخلاف الفاسق فانه لا زال تحت كلمة الاسلام وتحت مشيئة الله تعالى .

٣ - واستدل الخوارج بقوله تعالى " ذلك جزيناهم بها كفروا وهل نجازى الا الكفور " . ووجه استدلالهم بالآية : ان صاحب الكبيرة لا بد ان يجازى وقد اخبر تعالى انه لا يجازى الا الكافر والفاسق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافرا بثبوت الجزاء

(١) ابانة المناهج فى تصحيح الخوارج ص ١٦٤

(٢) جامع البيان ج ٣٠ ص ٢٢٦

فلا فرق بينهما •

وهذا الدليل مردود عليهم • إذ انه يقتضى بان الله يجازى الانبياء والمؤمنين وليسوا كفارا وان الآية كانت تعقيبا لبيان ذلك العقاب الذى حل باهل سباً وهو عقاب الاستئصال وهذا ثابت للكفار كما اوضحت الآية •

يقول ابن ابي الحديد * والجواب ان المراد بذلك وهل يجازى بعقاب الاستئصال الا الكفور لان الآية وردت فى قصة اهل سباً لكونهم استؤوا صلوا بالعقوبة * (١)

وفى هذا يقول ايضا جعفر بن احمد * ظاهر الآية يقتضى ان المجازاة لا تثبت الا لمن هو كافر وقد اجمعنا على خلافه فان الانبياء والمؤمنين يجازون وليسوا بكفار * الى ان قال * ثم قالوا انا اثبتنا مجازاة الانبياء والمؤمنين بدلالة اخرى قلنا فنحن ايضا ثبت مجازاة الفاسق بدلالة اخرى فاما هذه الآية فانها محمولة عندنا على عقاب الاستئصال وفيه وردت فان الله تعالى ذكرها فى اخر قصة سباً وهتفب بها حكاية حالهم وما جرى لهم ويليهم * (٢)

٤ - واستدلوا بقوله تعالى * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * (ال عمران ١٠٦) ووجه استدلالهم بذلك ان مسودى الوجوه هم الكفرة والفاسق ليسوا ممن ابيضت وجوههم فيلحقون ممن اسودت وجوههم وهم الكفرة بدليل ان الله قسم المكلفين الى قسمين قسم ابيضت وجوههم فهم مؤمنون فى الجنة وقسم اسودت وجوههم فهم كفار فى النار خصوصا وان الله قد نص على كفرهم وهذا ما ثبت ان الفاسق كافر •

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٦

(٢) ابانة المناهج ص ١٦٥ وانظر شرح الاصول الخمسة ص ٧٢٥

والحقيقة ان هذه الآية لاتدل على الحصر المانع من وجود قسم اخر وذلك لما ياتي :

١ - ان ذكر فريقين بخصوصهما لا يدل على الحصر ونفى ما عداهما كما يشهد لهذا ايات من القرآن الكريم كقوله تعالى " والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع يخلق الله ما يشاء " . فالآية لاتدل على حصر جميع المخلوقات فيها بل " قد ثبت بالمشاهدة ان فيه دواب تمشى على اكثر من اربع " فتخصيص الآية بذكر هذين الفريقين لا ينفي وجود فريق ثالث وهم الحصة من المؤمنين ويكون عذابهم غير عذاب الكفار الاصليين او المرتدين المخلدين في النار .

٢ - ان الله تعالى ذكر في هذه الآية المرتدين من ايمانهم ولم يذكر بقية اصناف الكفار من يهود ونصارى وثنيين وغيرهم " لا " من اصناف الكفار فهي ليست حاصرة لاصناف الكفار فضلا عن ان تكون حاصرة لاصناف الناس بصفة عامة في المؤمنين والكافرين فقط .

ويقول جعفر بن احمد " وجوابنا ان هذه الآية لاتدل على شيء مما ذهبوا اليه ولا تبين عن موضع الخلاف لان غاية ما فيها انه ذكر فريقين موصوفين بصفتين وذلك لا يقتضي نفى ما عداهما من ثالث ورابع لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفى ما عداهما " الى ان يقول " فبان ان تخصيص الله تعالى بهذين الفريقين بالذكر لا يقتضي نفى ما عداهما فيجوز على هذا ان يكون الفسقة فريقا ثالثا ويكون حكمهم المصير الى النار وان لم يذكرهم في هذه الآية بل قد ذكرهم في ايات اخر ولا يدل على كفرهم على ان الله تعالى ما ذكر في هذه الآية من الكفار الا المرتدين بعد الاسلام بدليل قوله تعالى " اكثرتم بعد ايمانكم " ولم يذكر فيها الكافر الاصل كالملاح والثنوي واليهودي والنصراني فاذا لم يكن تخصيص المرتدين بالذكر دالا على نفى من عداهم من اهل الكفر ولا على دخولهم في جملة الكفار " (١)

قال القاضي عبد الجبار مجيباً عن هذا الاستدلال ورداً على الخواص قوله لهم
 " ثم نقول لهم ليس في تخصيص اللقمة بالوجه المسودى الوجه بالذكر ما يدل على
 ان لا مسودى الوجه غيره فان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه " (١)

٥ - واستدلوا بقوله تعالى : " فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول ها اقم اقروا ا
 كتابه " وقوله " واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابه " (الايات
 الحاقة ١٩ / - ٢٤) .

ويقوم استدلالهم بهذه الايات ونحوها على ان الله تعالى قسم الناس الى
 قسمين . القسم الاول يؤتى كتابه بيمينه وهم المؤمنون والقسم الاخر يؤتى كتابه
 بشماله وهم الكافرون والفاسق لا يؤتى كتابه بيمينه بل بشماله فاذا هو كافر .
 ويرد عليهم بان الله ذكر فريقين ثم وصفهما بهذه الصفات فلا يمنع ان يكون هناك
 فريق اخر لم يذكر له صفة اخرى وهم الفاسق ثم ان قوله تعالى فيما بعد في شأن
 من اوتى كتابه بشماله " انه كان لا يؤمن بالله العظيم " يدل على انه غير مؤمن
 وهذا لا شك في كفره . ولا خلاف . وانما الخلاف في الفاسق المؤمن بالله والذي
 يستتر بان الله سبحانه سيجازيه على اعماله ولا يجحد تحريمها وانما غلبت عليه
 شهوته وهذا ما لم تذكره الآية . (٢) وهو تحت المشيئة .

٦ - واستدلوا بقوله تعالى " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " (التائبين : ٢)
 على ان الله تعالى حصر الناس في هذين القسمين اما مؤمن او كافر
 وقد امتدح المؤمنين وذم الكفار والفاسق ليسوا من القسم المدح وهم المؤمنون
 فاذا هم من القسم الاخر المذموم وهم الكفار . ولان الفاسق ليس بمؤمن فيكون كافراً .

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٣ وانظر شرح منهج البلاغة ج ٨ ص ١١٦
 (٢) انظر شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٤ / ٢٢٥ وانظر ابانق المناهج ص ١٦٥

ويرد عليهم بما تقدم في قوله تعالى " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه " —
أن التخصيص لا ينبغي ما عدا المخصص وأثبت الصنفين لا يدل على نفى الثالث •

٢ - أن الآية واردة على سبيل التحريض بمن أي أن بعضكم كافر وبعضكم
مؤمن وهذا لاشك في وقوعه إلا أن أهل الكبائر لم يذكروا هنا كما يدعى الخواج •

يقول جعفر بن أحمد " وهذا لا يمنع من أن يكون بعضهم فاسقا إلا ترى أنه لو
ذكره عقب قوله " ومنكم مؤمن " لم يكن مناقضا في الكلام • ولو كان تخصيصه لمن
ذكر يدل على نفى من عداه لكان متى ذكر الفاسق مناقضا وهذا مما لاشك في فساده " (١)
ويقول الملطي في بيان احتجاجهم بالآية مع قوله تعالى " ومن يكفر بالإيمان فقد
حبط عمله " (المائدة : ٥) وقوله " أنا هدينا السبيل أما شاكرا وأما كفورا " •

وما ورد من أمثال هذه الآيات أنهم يقولون " لم يجعل الله بين الكفر والإيمان
منزلة الثالثة • ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والإيمان رأس الأعمال وأول الفرائض فسي
عمل ومن ترك ما أمر الله به فقد حبط عمله وإيمانه ومن حبط عمله فهو لا إيمان والذي
لا إيمان له مشرك كافر " (٢)

وقد رد عليهم الملطي بأن " الفاسق له منزلة بين الإيمان والكفر واستدل بإيـ
الْقَذْف " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون " • ثم قال " فهم فساق لا مؤمنون
ولا كافرون — وهو رأي المعتزلة — كما قال الله عز وجل واجمع عليه الأمـ
والامة مجمعة على اسم الفسق لأهل الكبائر " (٣)

(١) إبانة المناهج ص ١٦٥ وشرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٨

(٢) التنبيه والرد ص ٥٢

(٣) المصدر السابق ص ٥٣

ونود هنا ان ننبه الى اننا اذا كنا قد ردونا على احتجاج الخوارج بالايات السابقة بانها لا تمنع وجود قسم ثالث وهم الفاسقون فنحن لا نقول بقول مـن نقلنا عنهم في رد الاحتجاج بهذه الايات بان هو لا * الفاسقين في منزلة بيـن المنزلتين منزلة الايمان والكفر فذلك اصيل من اصول المعتزلة لا نقول به وانما نقول بان هو لا * الفاسقين فريق غير كامل الايمان فهم غير كفار وغير كامل الايمان بـل يقال لاحدهم انه مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وانهم من الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا •

٧ - وما استدلوا به على تكفير مرتكبي الكبائر الله تارك الحج - وهو مرتكب للكبيرة بتركه الحج - وقد سماه الله كافرا فقال تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " (ال عمران : ٩٧) •

ووجه استدلالهم بهذه الاية انهم قالوا ان الله تعالى قد نص على ان تارك الحج كافر وهذا الاستدلال لا يسلم لهم وذلك لان الاية مجملة فيها احتمال ان يريد تارك الحج ونفيها احتمال ان يريد تارك اعتقاد وجهه لان الله تعالى لم يذكر الترك فلم يقل ولله على الناس حج البيت ومن تركه فقد كفر وانما بين ان الحج واجب على المستطيع ثم اثبت ان من كفر بالله فا الله غنى عنه او يكون المراد به من ترك الحج مستحلا لتركه فهو كافر وهذا الاشك في كفره • وهذا اما اجاب به كثير من العلماء عن هذه الشبهة من شبه الخوارج في تكفير اهل الذنوب •

يقول جعفر بن احمد " هذه الاية لا تدل على ما راموه لانه لا ذكر فيها لترك الحج ولا لذكر تاركه وانما ذكر الله تعالى فيها ان من كفر فان الله غنى عنه وبين فيها وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا فان اوجبوا تعليق اخر الاية

بأولها ودأبوا على ذلك لم يضرنا تسليمه فان المذكور في اول الآية هو وجوب الحج
لان لفظة على موضوعة للايجاب ولا شك ان من لم يعترف بوجوب الحج ولم يقر بلزومه
فهو كافر وهذا ليست حال الفاسق فان الخلاف واقع بيننا وبينهم في فاسق اقرر
بوجوب الحج ولم يفعله • وليس في هذا ذكر حكم هذا • (١)

وقد اجاب الطبرى عن معنى الآية بقوله " يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن
جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته فانكره وكفر به فان اللغنى عنه وعن حجه وعمله
وعن سائر خلقه من الجن والانس " • وقد ذكر اقوالا اخرى الا ان هذا القول هو
اجمعها • (٢)

ويقول الاستاذ ابو زهرة في الرد على الخوارج في استدلالهم بهذه الآية :
" وايضا الحج ليس بالكفر صفا لمن لم يحج انما الكفر فيها لمن انكر فريضة الحج " •
وقال في تفهيد تلك الادلة التى استدل بها الخوارج : " وكل هذه الدلائل
تمسك بظواهر النصوص واكثرها كان الحديث فيه عن مشركى مكة فهى اوصاف لهم " • (٣)

(١) انظر ابانة المناهج ص ١٦٦ • شرح الاصول الخمسة ص ٢٢٢

— شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ١١٤

(٢) جامع البيان ص ١٩ ج ٤

(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٧٣ ج ١

ب- أدلة الخوارج من السنة والرد عليهم

قد منا فيما مضى أدلة الخوارج من القرآن الكريم على بدعتهم في تكفير
المصالحين أهل الذنوب . والان سنستعرض أدلتهم من السنة النبوية مع إبطال
ما استدلوا به ورد شبهاتهم حول الأحاديث التي استندوا إليها في تلك البدعة (١)

ومن هذه الأحاديث :

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه عند البخاري " ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب
الخمير حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة
يرفع الناس إليها أبصارهم وهو مؤمن " (٢) . فقد فهم الخوارج من هذا الحديث
نفي الايمان عن مرتكبي هذه المعاصي نفيًا تامًا . واذ انفي عنهم الايمان فانهم يكونون
من الكفار ذلك ان الكفر والايمان تقيضان اذا انتفى احد هما ثبت الآخر .

والواقع ان قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني . الخ . جاء
مقيدًا لنفي الايمان بتحتي مواقعة الزنا ومقتضاه كما يقول ابن حجر " انه لا يستمر
بعد فراغه " قال " وهذا هو الظاهر " (٣) . ويؤيد هذا ما ورد من روايات كثيرة عن ابن عباس
وأبي هريرة رضي الله عنهما تفيد رفع الايمان عن الشخص القترف لجريمة الزنا في حالة

(١) انظر العقود الفضية ص ٢٨٦

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٣ - صحيح مسلم ج ١ ص ٥٤

(٣) فتح الباري ج ١٢ ص ٥٩

مواقفته له ويكون فقه كالظلة غاذا اقلع عاد اليه .

وهذا المعنى على فرض ان الحديث لا كلام في صحته بينما الواقع ان فيــــه
كلاما كثيرا للعلماء . قال الطبري "اختلف الرواة في اداء لفظ هذا الحديث وانكسر
بعضهم ان يكون صلى الله عليه وسلم قاله " (١) . ويرى ابن حجر ان الحديث مصروف
عن ظاهره وذلك لاختلاف الحكم في حد الزنا ونحوه فقال " ومن اقوى ما يحمل على صرفه
عن ظاهره ايجاب الحد في الزنا على انحاء مختلفة - في حق الحر المحصن والحر البكر
وفي حق المبد . فلو كان المراد بنفي الايمان : ثبت الكفر لا استتروا في العقوبة لان المكلفين
فيما يتعلق بالايمان والكفر سواء " (٢)

ويذكر النووي ان " هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه " ثم يذكر ان الصحيح
من هذه المعاني هو نفي ان يكون الفاعل كامل الايمان ولا عبرة عنده بتلك الاختلافات
" فالقول الصحيح الذي قاله المحققون ان معناه لا يفعله هذه المعاصي وهو كامل
الايمان " . ثم يذكر ان السبب الحامل له على هذا التأويل ورد نصي كثيرة
تشهد بخلافه فيقول " وانما تأولناه على ما ذكرناه لحديث ابي ذر وغيره من قال
لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق وحديث عباد بن الصامت الصحيح المشهور
انهم يأمرون صلى الله عليه وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنا ولا يعصوا الى اخره
ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم فمن وفى منكم فاجره على الله ومن فعل شيئا من ذلك
فموقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنه
وان شاء عذبه . فهذا الحديثان معظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٥٩

(٢) المصدر السابق ص ٦٠

" ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مع اجماع اهل الحق على ان الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لا يغفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصوا الايمان ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فان شاء الله تعالى عفا عنهم وادخلهم الجنة ولا وان شاء عذبهم ثم ادخلهم الجنة . وكل هذه الادلة تضطرنا الى تاويل هذا الحديث وشبهه . " وهذا التاويل كما يقول " ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثيرا " وهناك اقوال للعلماء في تاويله تلمسوها باجتهادهم وهي محتملة الا ان بعضها غلط . قال النووي ينبغي تركه فقد " تاويل بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلا له مع علمه بمرور الشرع بتحريمه " وبعضهم قال " ينزع منه اسم المدح الذي يسمى به اولياء الله المؤمنين ويستحق اسم الذم فيقال سارق ، وزان وفاجر ، وفاسق .

" وحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه ينزع منه نور الايمان " وقال المهلب ينزع منه بصيرته في طاعة الله تعالى " وذهب الزهري الى ان هذا الحديث وما اشبهه يؤمن بها ويبر على ما جاءت ولا يخاف في معناها وانا لانعلم معناها . وقال امرؤها كما امرها من قبلكم " . وقال النووي بحد ان اورد تلك الراء " وقيل في معنى الحديث غير ما ذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها غلط فتركها وهذه الاقوال التي ذكرتها في تاويله كلها محتملة والصحيح في معنى الحديث ما قدمناه اولا . (١)

وقد زاد ابن حجر فذكر اقوالا لم يذكرها منها :

١ - ان هذا الحديث " خبر بمعنى النهي " والمعنى : لا يزني مؤمن ولا يسرق مؤمن . وقد اخرج الطبري عن طريق محمد بن زيد بن واقد بن عبد الله ابن عمر .

٢ - " أن يكون بذلك منافقا نفاق معصية لانفاق كفر " ويمرّ هذا الرأي الى الأوزاعي .

٣ - أن معنى نفى كونه مؤمنا انه مشابه الكافر في عمله .

٤ - معنى قوله ليس بمؤمن أي ليس بمستحضر في حال قلبه بالكبيرة جلال من آمن به .

٥ - معنى نفى الايمان نفى الايمان من عذاب الله .

٦ - أن المراد بـ لا الزجر والتنفير ولا يراد ظاهره .

٧ - انه يسلب الايمان حال تلبسه بالكبيرة . فاذا فارقها عاد اليه .

وقد بين المازري قاعدة هذه التاويلات بانها " تدفع قول الخوارج ومن واقفهم من الرافضة ان مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار اذا مات من غير توبه وكذا قول المعتزلة انه فاسق مخلد في النار فان الطوائف المذكورين تعلقوا بهذا الحديث وشبهه واذا احتمل ما قلناه اندفعت حججهم " (١) .

قد اشار البخاري رحمه الله الى الجمع بين حديث " لا يشرب الخمر وهو مؤمن " وبين قوله صلى الله عليه وسلم في رجل يسيى عبد الله ويلقب حمارا كان يشرب الخمر فلما جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم " اللهم العنني " ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فوالله ما علمت انه يحب الله ورسوله " . ان المراد به - كما قال ابن حجر - نفى كمال الايمان لا انه يخرج عن الايمان جملة " (٢) .

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٦١ - ٦٢ وانظر كتاب الايمان لابن تيمية ص ٢٦٩ / ٢٧٥

(٢) فتح الباري ج ١٢ ص ٧٦ .

٢ - واستدل الخوارج على تكفير اهل الذنوب بما ورد في الاحاديث التي يدل ظاهرها على تكفير المسلمين المتقاتلين فيما بينهم وذلك كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " فحملوه على انه وارد في تكفير الموصوفين بما ذكر .

وللعلما في معنى هذا الحديث سبعة اقوال وهي :

- (١) ان ذلك كفر في حق المستحل بخير حق .
- (٢) ان المراد كفر النعمة وحق الاسلام .
- (٣) انه يقرب من الكفر ويؤدي اليه .
- (٤) انه فعل كفعل الكفار .
- (٥) المراد حقيقة الكفر ومعناه لا تكفروا بل دوما مسلمين .
- (٦) حكاية الخطابي وغيره ان المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح وهذا بعيد - فيما ارى -

(٧) وهو للخطابي ايضا ان معناه لا يكفر بعضكم بعضا فتستخلوا قتال بعضكم بعضا . (١)

قد رجح النووي من تلك الاقوال القول الرابع وهو ان فعل القتل يشبه فعل الكفار ويقول ابن حزم ان الحديث " على ظاهره وانما في هذا اللفظ النهي عن ان يرتدوا بعده الى الكفر فيقتلوا في ذلك فقط وليس في هذا اللفظ ان القاتل كافر " (٢) .

وهذا - حسب راي - هو احسن الاقوال واقربها الى معنى الحديث اي ان المنع متوجه الى النهي عن ان يرتدوا الى الكفر الذي يترتب عليه ضرب بعضهم رقاب بعض .

(١) شرح النووي ج ٢ ص ٥٥

(٢) الفصل ج ٣ ص ٢٣٧

لعدم المانع لهم حينئذ وهو الاسلام • وشمل قول ابن حزم في القوة الاول والسابع
من الاقوال التي ذكرها النووي رحمه الله •

قول الخوارج بتكفير المتقاتلين غير سديد • فقد سمي الله المتقاتلين من المؤمنين
اخوان مع انهم من اهل الكهائر بتلك المقاتلة فقال تعالى مخاطبا جميع المؤمنين
بما فيهم القتلة " يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانس بالانس فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف
وأدأء اليه باحسان ذلك تخفيف من ركم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب
العظيم " (البقرة : ١٧٨) •

فقد خاطب الله الناس بوجوب القصاص واصفاهم جميعا بالايمان بما فيهم
القتلة وقد نص تعالى في هذه الآية على ان القاتل الذي وجب عليه القصاص وولي
المقتول اخوان • وقد سمي المقتلين مؤمنين بقوله تعالى " وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما " (الحجرات : ٩) وقوله تعالى " انما
المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم " (الحجرات : ١٠) •

٣ - واستدلوا ايضا بحديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " •

يطلق الفسق في الشرع على الخروج عن الطاعة •

والسباب من الامور القبيحة واتبع ما يكون اذا كان بخير حق فانه " حرام باجماع
الامة وفاعله فاسق كما اخبر النبي " • (ص) •

قال النووي " واما قتاله بخير حق فلا يكفر به عند اهل الحق كفرا يخرج به من الملة
كما قد مناه • وفي مواضع كثيرة الا اذا استحله فاذا تقرر هذا فاقبل في تاويل هذا
الحديث اقوال :

- ١ — انه في المستحل .
- ٢ — ان المراد كفر الاحفان والنعمة واخوة الاسلام لا كفر الجحود .
- ٣ — انه يؤول الى الكفر بشيء منه .
- ٤ — انه كفعل الكفار .

٤ — واستدل الخوارج بقوله صلى الله عليه وسلم " ايما امرئ قتل لـاخي يـاكافـر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه " (٢) وسأورد في معناه من احاديث مذهب السلف اهل الحق انه لا يكفر المسلم بالمعاصي^{والسبب بطوعه من ارتكبه المعاصي} ولهذا فقد ذكر النووي رحمه الله ان " هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث ان ظاهره غير مراد " ثم ذكر اوجه التاويله وهي :

- ١ — ان يكون الحديث وايه في حق من استحل تكفير اخاه المسلم معتقدا ذلك
- ٢ — ان يكون المراد رجوع معصية تكفيره ونقيضته عليه هو
- ٣ — التحذير من ان يسترسل الشخص في مثل هذا القول فيؤول به الى الكفر لان المعاصي كما قيل يريد الكفر

٥ — واستدل الخوارج على تكفير فرتكبي الكبائر بحديث ابن هريسة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديده فسيده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن شرب سما فقتل

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٥٢

(٢) شرح النووي ج ٢ ص ٥٠

فهو يتجسد في نار جهنم خالد لا يمتلئ أبداً ومن رد من جيل فجيل نفسه
نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالد مخلداً فيها أبداً (١) .

قال النووي " وأما قوله " ص " فهو في نار جهنم خالد مخلداً فيها أبداً
فقل فيه أقوال :

- (١) انه محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته .
- (٢) ان المراد بالخلود طول المدة والاقامة المتطاولة لاحقية الدوام كما يقال
خلد الله ملك السلطان .

- (٣) ان هذا جزاءه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فاخبر انه لا يخلد في النار من مات
مسلماً (٢) .

وأهل السنة على ان قاتل نفسه ليس بكافر كما في حديث جابر رضي الله عنه
" ان الطفيل بن عمرو الدوسي اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل
لك في حصن حصين ومنعة قال حصن كان لدوس في الجاهلية فابى ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم للذي ذكره الله للانصار . فلما هاجر النبي عليه السلام الى المد ينفقها جسر
اليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتروا المدينة فمرض فجزع فاخذ مشاقه
له فقطع بها براجمه فشخت يدها حتى مات فراه الطفيل بن عمرو في منامه فراه وهيئته
حسنة وراه مغطياً يديه فقال له ما صنع بك ربك فقال غفر لي بهجرتي الى نبي
عليه السلام . فقال مالي اراك مغطياً يديك قال قيل لي لن تصلح منك ما افسدت
فقصها الطفيل على رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم وليد به فاغفر " (٣)

الراجع : مفاتيح الاصاب

- (١) صحيح مسلم ج ١ ص ٧٢
- (٢) شرح النووي ج ٢ ص ١٢٥
- (٣) صحيح مسلم ج ١ ص ٧٦

قال النووي ان في الحديث " حجة لقاعدة عظيمة لاهل السنة ان من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبه فليس بكافر ولا يقطع له بالنسار بل هو في حكم المشيئة " قال " وهذا الحديث شرح للاحاديث التي قبلها الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من اصحاب الكبائر " (١)

٦ - أدلة الاباضية على تكفير المذنبين كفر نعمة والرد عليهم

أما أدلة الاباضية على تكفيرهم المذنبين من اهل القبلة كفر نعمة فقد قال ابن حزم " قال ابو محمد وما نعلم لمن قال هو منافق حجة اصلاً ولا لمن قال انه كافر نعمة الا انهم نزعوا بقول الله تعالى " الهتري الى الذين يدلون نعمة الله كفرا واحلوا قوسهم دار البوار جهنم يصلونها وشر القرار " (ابراهيم ٨٠) قال ابو محمد وهذا لاحجة لهم فيه لان كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر " (٢)

والواقع ان الربيع بن حبيب الاباضى اورد في مسنده احاديث كثيرة يستدل بها على صحة مذهب الاباضية وكثير منها قد استدل به غيرهم من الخوارج على تكفير العصاة كفر ملة فقد اورد المؤلف تحت قوله " باب الحجة على من قال ان اهل الكبائر ليسوا بكافرين " عدة احاديث تحت هذه الترجمة لم يذكر اسانيد الكثير منها نذكر منها ما ياتي :

- ١ - قال صلى الله عليه وسلم " اذا قال رجل لرجل انت عدوى فقد كفر احدهما "
- ٢ - قال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه " لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " .

(١) شرح النووي ج ٢ ص ١٣٢

(٢) الفصل ج ٣ ص ٢٣١

٣ — وكان ابن مسعود يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال " الرشوة فـسـى الحكم كفر " .

٤ — قال صلى الله عليه وسلم " اذا زنا الزانى سلب الاسلام فاذا تاب اليه " .
ثم قال المؤلف " فهذه الاحاديث كلها تثبت الكفر لاهل القبلة وهي اكـثـر من ان تحصى " . (١)

٥ — عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا ايمان لمن لا صلاة له " .

٦ — عن النبي عليه السلام قال : (ليس بين العبد والكفر الا تركه الصلاة) (٢)

ونفى النظر عن مدى صحة هذه الاحاديث او بعضها فان الرصد بالكفر الوارد في هذه الاحاديث وغيرها قد حمله الاباضية على كفر النعمة لا كفر الملة .

وفيما يتعلق بادلة الخوارج على مذهبهم من القرآن الكريم فقد ذكر على يحيى معمر منها قوله تعالى " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر — فان الله غنى عن العالمين " (ال عمران : ٩٧) . وقوله تعالى " ليلوننسى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غنى كريم " (النمل : ٤٠) . وقوله تعالى " ومن لم يحكم بما انزل الله فالتك هم الكافرون " (المائدة : ٤٤) وسداول كل ماورد في هذه النصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على انهم — واردة في كفر النعمة ولهذا يقول " يحسب كثير ممن لاعلم له ان الاباضية يتفقون مع الخوارج في تكفير العصاة كفر شرك ولا يعرفون ان الاباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحدين الذين ينتهكون حرمة الله ويقصدون بذلك كفر النعمة " . (٣)

(١) انظر مسند الربيع بن حبيب ج ٣ ص ٢ — ٦

(٢) الجامع الصحيح ج ١ ص ٨١/٨٢

(٣) الاباضية في موكب التاريخ ص ٨٩ ج ١

٧ - تمقيب على آراء الخوارج في أمر المصنوعة

ان الاجتراء على تكفير أحد يدعى الاسلام بذنب من الذنوب لا يجوز . الا اذا جاء بما يدل على كفره بمقتضى الاحكام الشرعية التى يثبت بها كفره فى الدنيا وهذا ابيه فى الآخرة . وليس للمقل الحكم بكفر أحد بسبب معصية من المعاصى الا بدلالة شرعية تبين ما يستحق الشجر المسلم بفعله الكفر وما لا يستحق من كتاب الله او سنة نبيه او اجماع العلماء عليه .

ونقول ان الكفر لا يجوز اطلاقه على أحد الا بحق لان الكفر له احكام خاصة فتشترط به دماء وتبطل به حقوق وغير ذلك من احكام الدنيا وفى الآخرة قد توحيد الله صاحب العذاب الشديد لهذا فلا يجوز الاجتراء على القول بكفر أحد وتخليده فى النار الا بما وافق الحق .

ولهذا كان لا بد من التفرقة الواضحة بين الكفر والفسق حتى تبطل تكفير الخوارج لاصحاب الذنوب . فالواقع ان دراستنا السابقة لمذهب الخوارج فى حكم المعصاة وادلتهم تدلنا على انهم خلطوا بين حقيقتى الكفر والفسق فسموا الفاسق كافرا واثبتوا له احكامه .

ونحب ان نكشف هنا عن خطأهم فى هذا المقام ذلك ان توحيدهم بين الكفر والفسق يكون على أحد وجهين :

(١) اما ان يكون التوحيد بينهما فى اللفظ فقط دون اثبات احكام احدهما للآخر فيسمون الفسق كفرا او الفاسق كافرا ولو لم يثبت له شىء من احكام الكفار وهذا الوجه لم يقل به الخوارج وهو باطل فى نفسه كذلك لان الكفر فى الشرع قد ورد لمعاصى مخصوصة فلا يسمى كافرا الا من ارتكبها كالكفر بالله واستحلال محارمه وانكار ما عرف من دينه بالضرورة بخلاف الفسق الذى يشمل فى ارتكاب الذنوب الاخرى دون استحلال لها .

قد مايز الله تعالى بين الكفر والفسق والعصيان بقوله تعالى * وكره اليكـم
الكفر والفسوق والعصيان التـك هم الراشدون * (الحجرات : ٧) فقد فصل الله
تعالى بين الكفر والفسق وجعل كل واحد مستقلا بنفسه والمعطوف غير المعطوف عليه •
فصار الكفر نوعا والفسق نوعا آخر • والعصيان كذلك فكرهها جميعا الى قلوب
المؤمنين وحبب اليهم الايمان • وفي بيان هذه الانواع يقول محمد بن نصر
المروزي * لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها
ثلاثة انواع : منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر
ولا فسوق واخبر انه كرهها كلها الى المؤمنين • ولما كانت الطاعات كلها داخلـة فـى
الايمان وليس فيها شىء خارج عنه لم يفرق بينها فيقول حبب اليكـم الايمان
والفرائض وسائر الطاعات بل اجمل ذلك فقال (حبب اليكـم الايمان) فدخل
فى ذلك جميع الطاعات * (١) الخ •

ويقول الشوكانى فى تفسير الاية * اى جعل كل ما هو من جنس الفسوق وهو جنس
العصيان مكروها عندكم والعصيان جنس ما يعصى الله به * (٢)

(٢) واما أن يكون توحيدهم بين الكفر والفسق لفظا ومعنى وحكما
فيدعون ان احكام الكفار واحكام المعصاة الفسقة سواء لا فرق بينهما فى الحكم الدينى
والاخرى • وهذا هو ما يذهب اليه الخواجه وهو باطل ايضا لان الله تعالى قد
اثبت الايمان للمعصاة الفسقة فى احكام كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ماورد فى

(١) نقلا عن كتاب * الايمان * لابن تيمية ص ٣٤

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٦٠

آية اللعان بين الزوجين فان مما لاشك فيه ان احد الزوجين كاذب فيما نفى نفسه
عن نفسه . واذا كان كاذبا والكذب كبيرة فانه فاسق كما نص القرآن الكريم على فسقه
ان كان كاذبا وقد شرع الله بينهما اللعان لان بقاء الزوجية قبل اللعان غير متصف
مع فسق احد الزوجين - كما قلنا - قال في ابانة المناهج " فلو كان الفسق كفرا
والكافر فاسقا لكانت الزوجية مرتفعة بينهما اذ لامناحة بين مؤمن وكافر سيما
اذا كان كفره ردة بعد اسلام متقدم فكان يجب ان لا يصح وقوع الملاعنة بينهما
لان الملاعنة انما شرعت بين الزوجين لابين الاجنبيين . فلما علمنا صحنة
اللعان بين القاذف وزوجته علمنا انه لم يكفر واحد منهما مع ان احدهما فاسق بلا مربية
وذالك يوضح بطلان مذهب الخوارج في ان كل فاسق كافر وفي ذلك غنى لكل
منصف " (١) .

ثم انه لم ينقل عن الصحابة ولا عن التابعين انهم حكموا في الفساق بحكم الكفار فنى
الحقوق والواجبات بل اعتبروا الفاسق مسلما وعاملوه معاملة المسلمين في جميع الحقوق
يقول جعفر بن احمد مبينا الفرق بين معاملة الكافر والمسلم عند سلف الامة :
" وما يدل على ذلك ما ظهر من اجماع الصحابة والتابعين فانه معلوم من
احوالهم انهم لم يحكموا في الفاسق باحكام الكفار فلم يحرموا ميراثه من المسلمين ولا حكموا
بحرمة زوجته عليه لاجل فسقه ولا منحوا من دفنه في مقابر المسلمين وهذا اظهر من
ان يخفى على متأمل لولا شدة الميل عن الصواب والانحراف وقوة التعصب للابناء
والاسلاف " (٢)

(١) ابانة المناهج في نصيحة الخوارج ص ١٦٤

(٢) ابانة المناهج ص ١٦٤

هذا وقد تبين مما سبق انه لاجبة للخواجه في كل ما استدلوا به من احاديث على كفر مرتكب الكبيرة اذ ان تلك الاحاديث لم تدل دلالة صريحة على كفره كفر ملة بينما نجد في الجانب الاخر ما يضاف هذا القول من نصوص صريحة واضحة لا تحتمل اى تاويل او جدل ذلك ان قوله تعالى * قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * (الزمر : ٥٣) دليل على ان الله يغفر الذنوب جميعا لولا انها خصصتها الاية الاخرى وهى قول الله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * (النور : ٢٢) فهذه الاية بيان واضح بان الله يغفر الذنوب كلها ما عدا الشرك به تعالى وهذا هو القول الحق في هذا الباب وهو الاعتقاد بان الله يغفر الذنوب مهما كانت مادام ان العبد قد اجتنب الاشراك بربه الذى هو المحبط الوحيد للعمل واما من مات على كبيرة غير تائب فامرء الى الله ان شاء عذبه ثم اخرججه الى الجنة برحمته وان شاء عفا عنه ولا يخلد في النار غير الكافرين * ٥ واما ما استدلوا به من تلك الاحاديث السابقة فهى كما رأينا كلها اما ان تحمّل على انها واردة في حق المستحل لذلك او تكون واردة للزجر او غير ذلك مما قاله العلماء * على انه قد وردت احاديث صريحة في ان العصاة تحت مشيئته اذ اماتوا من دون توبة ووردت احاديث اخرى تدل دلالة صريحة على ان اهل الكبائر يدخلون الجنة وان عذبوا بالنار بقدر ذنوبهم لكنهم يخرجون منها ولا يخلدون مخلدون الكافرين وهذا هو ما يقتضيه العدل ومن هذه الاحاديث :

(١) ما جاء عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه * ان رسول الله عليه الصلاة والسلام قال وحوله عصابة من اصحابه بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تمصوا فمصروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعرقب في الدنيا فمهلك وكفارة له . ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه * (١) .

فالحديث صريح في ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم على مرتكب الكبيرة الذمى مات قبل ان يتوب بانه كافر وانما قال * فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه * . فلاحتمال قائم في ان يحقو الله عنه تلك الذنوب مادام قد اجتنب الشرك .

واما ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار يجازون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فمثل قوله عليه السلام * يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يقول الله تعالى اخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياء او الحياة شك مالك — احد رواة الحديث — فينبئون كما تنبت الحبة في جانب السيل الم تر انها تخرج صفراء ملتوية * (٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم * يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرقة من خير * وفي رواية من ايمان بدل خير * (٣)

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ١٠

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦

قال صلى الله عليه وسلم * انى لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهـل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا * الخ الحديث (١) .

وعن ابن ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ما من عبد قـال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة * قلت واذا زنى وان سرق ثلاثا . ثم قال فى الرابعة . على رغم انفاى ذر . قال فخرج ابوذر وهو يقول وان رغم انفاى ذر * (٢) .

ولا يخفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتيه مرتكب الكبيرة فيقـسم عليه الحد ولا يطلب اليه أن يعلن اسلامه من جديد ولو كان مرتكب الكبيرة كافرا لا استتابه عليه الصلاة والسلام ولطلب منه اعلان اسلامه من جديد . وهذا ما لم يروه احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فى كبيرة ولا فى صغيرة على ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من جلد الزناة او رجسهم وجلد اهل الخمر . كما انه لم ينقل عن الصحابة ولا عن احد من العلماء انه قال بتكفير اهل الذنوب كفر ملة . اوقال بتخليدهم فى النار . واما ما ورد من الاحاديث التى تصف من ما من عملا من اعمال الجاهلية بانه منهم كقول النبى صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين عبر رجلا بامه * انك امرء فيك جاهلية * فان هذا لا يدل على ان من وجدت فيه خصلة من خصال الجاهلية انه يكفر بذلك وقد بوب البخارى رحمه الله على هذا الحكم بقوله * باب المعاصى من امر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك * (٣) فلا دلالة للخواج على

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١١٨

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٦٦

(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ١٣

تكفير اهل الذنوب وتخليد هم في النار .

فمذهب اهل السنة والجماعة اذا انه لا يخلد احد من الموءنين في النار مهما كان جرمه فان تاب فلا كلام فيه وان لم يتب فامرء مفض لربه . قال النووي " واعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه اهل الحق من السلف والخلف ان من مات مؤمدا دخل الجنة قطما على كل حال واما من كانت له معصيةكبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى فان شاء عفا عنه وادخله الجنة اولا وان شاء عذبه القدر الذي يريد . سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به من الامة على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعى فاذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من احاديث الباب وغيره فاذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تاويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع " (١)

ولكن لماذا تمسك الخوارج ببدعة القول بتكفير العصاة وتخليد هم في النار يقول الدكتور عزت عطيه جوابا عن هذا السؤال :

" الواقع ان القول بهذه البدعة كان وسيلة ساذجة لتجويز قتل المخالفين من المسلمين والتنغيس عن الاحقاد الكامنة في النفوس والوصول الى اغراض اخرى لهم عن هذا الطريق . " (٢) . ومع موقف الخوارج هذا من خصومهم من المسلمين الا اننا نستبعد ان يكون هو الدافع الى تكفيرهم العصاة . فقولهم هذا مهنى

(١) النووي ج ١ ص ٢١٢

(٢) البدعة ص ٤٠٨

على مذهبهم في الايمان وعلاقة العمل به وفي ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية
ان "الذي حمل الخواارج على القول بتخليد اهل الكبائر في النار انهم اعتقدوا
ان الايمان المطلق يتناول جميع ما امر الله به ورسوله فمضى ذهب بعض ذلك
فيلزم تكفير اهل الذنوب" (١) . والقول بذهاب الايمان بذهاب بعض الاعمال
قد نفاه اهل السنة ولم يقولوا به . قال ابن تيمية . "فان هذا القول من البدع المشهورة
وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين على انه لا يخلو
في النار احد ممن في قلبه مثقال ذرة من ايمان واتقوا ايضا على ان نبينا صلى
الله عليه وسلم يشفع فيمن ياذن الله له بالشفاعة فيه من اهل الكبائر من أمته" (٢)

(١) الايمان ص ١٨٥ . وانظر الابانة للاشمري ص ١٠

(٢) انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ١٤

الفصل الخامس

الامامة العظمى

١ : تمهيد :

نشأ الخوارج كقوة مستقلة بعد قضية التحكيم - كما قدمنا - وصار لهم نفوذ وكلمة وقوة فعلية كان لها اثرها البالغ في شغل الخلفاء والولاة وتصعد كيان - الامة الاسلامية زمنا طويلا ، وقد كانت مشكلة الامامة من اهم العوامل التي ادت الى نشأتهم وشغلت اكبر قسط من نشاطهم منذ ان اختلفوا على امام - الامام على رضى الله عنه وطوال عهد الخلفاء الامويين والى زمن متقدم في الدولة العباسية وهم ناقمون على هؤلاء الخلفاء سياستهم في الرعي - من عدم تمكينهم من اختيار امامهم بانفسهم ثم سياستهم الداخلية في الناس ، ولقد شغلتهم مشكلة الامامة فكرا بتحديد شخصية الامام وخصائصه ودوره في المجتمع وعليا بالسمي المتواصل ولولا القوة في سبيل اصلاح سياسة الائمة ، ومن هنا كان الخوارج يزعمون ان خروجهم كان لاجل اسقاط الحكام الظلمة وائمة الجور - كما يمررون عنهم - واقامة حكمهم العادل الذي يطبق احكام الاسلام كما هي قولا وفعلًا وكان خطباؤهم وقوادهم يركزون على هذه الناحية في كل مقال لهم ، فكانوا يرون ان في سكوتهم عن ولاء الدولة الاموية والعباسية وعدم مقاومتهم بكل ما يستطيعون من قوة مداهنة في الدين ورضا بالكفر وان دينهم يحتم عليهم مقاومة ائمة الجور مهما كانت التضحيات ولهذا فهم يخوضون معارك يعلمون تمام العلم انهم لن يخرجوا منها الا اشلاء ، ولكنهم يخوضون غمارها رجاء ان يهدوا من قوة الحكام شيئا فشيئا امثالًا لما يريجه عليهم الغضب لله واعزاز دينه بقتال -

آلئك الظلمة واسقاط حكمهم الجائر وليس لهم - كما يقولون - مطمع من مطامع الدنيا ولا يريدون اكتساب فخر من مفاخرها البراقة التي يسمى اليها اكثر الناس من جمع الاموال والسيطرة وناء القصور الفاخرة وطلب العيشة الناعمة التي يتهالك عليها مخالفوهم - كما يقولون - فليس منصب الخلافة عندهم مختما بل هو مسئولية خطيرة امام الله لا يستهين بها الا جاهل لا يقدر ثقلها لذا فانهم عندما يكون الامر لهم يزهدون عن توليها ويتدافعون فيما بينهم هربا من تبعاتها فما يذكر عن زهدهم عنها انهم حينما ارادوا تولية عبد الله بن وهب خليفة عليهم ابي وتخرج من ذلك ولكنهم كرروا الطلب والالاحاح عليه حتى قبلها المبرد " قال ابو العباس ذكر اهل العلم من الصفيحة ان - الخواج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي من الازد تكبره ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبينوا الرأي اى دعوه يغيب " (١) .

وقول الشهرستاني " وكان يمتنع عليهم تخرجوا مستقبلهم ومضى الى غيره تحرزا فلم يقتنعوا الا به " (٢) وهذا موقف اول رئيس لهم فكان عمله هذا قدوة لمن بعده اذ كان في نظرهم من احق اهل الارض بالخلافة عن جدارة ومقدرة ومع ذلك فانه خاف على نفسه وتخرج ولم يقبلها الا بعد الالاحاح الصادق منهم فقبلها كما يذكر عن نفسه لا حبا في الامارة ولم يدعها خوفا من الموت وما يجدر ذكره انه لم يقبلها الا بعد ان عرضت على زملاء له في مثل قدرته وكفاءته لا يختلفون عنه ولكنهم رفضوها رفضا باتا وذلك حينما قرروا الخروج الى بعض كور الجبال فاخذوا في التشاور وتداولوا

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١١١ .

الرأى فيما بينهم في انتخاب خليفة لهم " فقال حمزة بن سنان الاسدى - كما يروى المبرد - يا قوم ان الراى ما رايتم فولوا امركم رجلا منكم فانكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تمشون بها وترجمون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى وعلى حمزة بن سنان وشريح بن اوفى المبسّى فأبىا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها اما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا ادعها فرقا من الموت فبايعوه " (١)

ومثل هذا الموقف موقف آخر كان في زمن الدولة الاموية في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة حيث يروى المحل بن خليفة تدافع الخوارج عن تولي الخلافة وكان ابرزهم ثلاثة اشخاص هم المستورد بن علفة التيمسي من تيم الرباب وحيان بن ظبيان السلمي ومعاذ بن جهن بن حصين الطائي السنبسي قال المحل بن خليفة فيما يرويه عنه الطبرى " ان الخوارج في ايام المغيرة بن شعبة فزعوا الى ثلاثة نفر منهم المستورد بن علفة التيمسي يتم الرباب والى حيان بن ظبيان السلمي والى معاذ بن جهن بن حصين الطائي السنبسي فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان السلمي فتشاوروا فيمن يولون عليهم قال : فقال لهم المستورد : يا ايها المسلمون والمؤمنون اراكم الله ما تحبون وعزل عنكم ما تكرهون ولو عليكم من احببتم فوالذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ما ابالى من كان الوالي علي منكم وما شرف الدين ما نريد وما الى البقاء فيها من سبيل وما نريد الا الخلود في دار الخلود فقال حيان بن ظبيان اما انا فلا حاجة لي فيها وانا بك وكل امرى من اخواني راض

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٣٣٦ معان تاريخ يتكلم ص ١٢٥

فانظروا من شئتم منكم فسموه فاننا اول من يبايعه فقال لهم معاذ بن جـون بن حصين اذا قلتما انتما هذا وانتما سيدا المسلمين وذوا انسابهم في صلاحكما ودينكما وقدركما فمن يرئس المسلمين وليس كلكم يصلح لهذا الامر وانما ينبغي ان يلى على المسلمين اذا كانوا سواء في الفضل ابصرهم بالحرب وافقهم في الدين واشدهم اضطلالا بما حمل وانتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الامر فليتوله احكما قالا فتوله انت فقد رضيناك فانت والحمد لله الكامل فـي دينك ورايك فقال لهما انتما اسن منى فليتوله احكما فقال حينئذ جماعة من حضرهما من الخوارج : قد رضينا بكم ايها الثلاثة فولوا ايكم احببتم فليس في الثلاثة رجل الا قال لصاحبه : تولها انت فاني بك راض واني فيه غير ذى رجة فلما كثر ذلك بينهم قال حيان بن ظبيان فان معاذ بن جـون قال : انى لا الى عليكما وانتما اسن منى وانا اقول لك مثل ما قال لي ولك لا الى عليك وانت اسن منى ابسط يدك ابايك فبسط يده فبايعه ثم بايعه معاذ بن جـون ثم بايعه القوم جميعا (١).

من هذه المحاوره يظهر عدم رغبتهم في تولي الخلافة حينئذ يكون الامر فيما بينهم فانهم يعتبرونها عبثا ثقيلا ومسئولية عظمى امام الله يوم القيامة .

وذكر البرد ان مرداسا واصحابه حينما خرجوا * ارادوا ان يولوا امرهم حريشا فابى قولوا مرداسا (٢) وذكر البارزى انه بعد وفاة الامام عبد الرحمن بن رستم تحيروا فيمن سيقبل الخلافة من السبعة الاشخاص الذين عينهم الامام لتوليها بعده ومن بينهم ولده عبد الوهاب وانهم

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٢٥ .

(٢) الكامل للبرد ج ٢ ص ١٥٦ .

صاروا - كما يذكر - يتداولون الامر شهرا كاملا دون ان يتحملها
احد لخرج موقفها فيقول في وصف ذلك •

" ثم اجتمع اهل الشورى منهم والصالحون للنظر فيمن يولونه
الامر بعده ولشدة تحريمهم رحمهم الله لم يقصدوا احدا الا وتبرا منها ودفعها
علما بحرج موقفها ، وفق الامر كذلك موقفا نحو شهر كامل لم يثبت لهم فيها
قرار ولم يستقر لهم رأى " (١) . الخ

وايا كان الراى في زهدهم عن تولي الامامة فانها كانت - كما قلنا -
اهم عامل في نشأتهم وكان اصلاح امرها اهم ما يشغلهم ، بياننا لحكمهم
وشرائطها وكيفية اصلاح سياسة الائمة فيها على نحو ما سنبينه في هذا
الفصل •

(١) الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية ص ٩٩ ج ٢ •

٢ : حكم الامامة :

الامامة منصبة خطير لا بد من اقامته اذ لا يمكن ان ينمى
الناس بالحياة وسود الامن بينهم وتتنظم الامور الاحكام يكون المرجع
في تطبيق الشرع وحماية الامة واقامة العدل بين افرادها .
وقد اطبق على هذا جميع العقلاء فمذا كان موقف الخوارج ازاء هذه
المسألة .

والجواب انا نجدهم قد انقسموا فيها الى فريقين :
الفريق الاول : وهم عامة الخوارج وهو لا يوجبون نصب الامام والانضواء
تحت رايته والقتال معه مادام على الطريق الامثل الذى
ارتأوه له .

الفريق الثانى منهم وهم المحكمة والنجدات والاباضية فيما يقال عنهم ، وهو لا
يروون انه قد يستغنى عن الامام ولا تعود اليه حاجة اذا عرف
كل واحد الحق الذى عليه للآخر ففاه حقه ولم يعتمد احدا على
اخر بظلم او اذى ، ولكنهم يقولون ان احتيج اليه فمن اى جنس كان
مادام كفأ لتولى الامامة وهو ما تقول به عامة الخوارج .
قال ابن حزم * اتفق جميع اهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع
الخوارج على وجوب الامامة ، وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم
فيهم احكام الله وسوسهم باحكام الشريعة التي اتى بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس -
فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم * (١)

ويقول المسعودي ان النجدات يقولون " ان الامامة غير واجب
نصبها " (١)

ويقول الاشعري " وحكى زرقان عن النجدات انهم يقولون : انهم
لا يحتاجون الى امام وانما عليهم ان يعلموا كتاب الله فيما بينهم " (٢)

ويقول الشهرستاني عن النجدات حاكيا عن الكعبي " واجمعت النجدات
على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا فيما بينهم فان هم
رأوا ان ذلك لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز " (٣)

فالامر اذا عندهم راجع الى المصلحة وما تقتضيه لا الى انه واجب
وجوبا شرعيا يتحتم عليهم انفاذه .

اما المحكمة فيقول الشهرستاني عن رأيهم في الاستغناء عن نصب
الامام " وجوزوا ان لا يكون في العالم امام اصلا " (٤) فهم كما يذكر رحمه
الله كانوا اسبق الى القول بالاستغناء عن الامام من النجدات ولكن لم يشتهر هذا
القول على السنة العلماء كما اشتهر عن النجدات اللهم الا ما ذكره
الشهرستاني عنهم وربما كان ذلك منهم في اول امرهم حيث نادوا " لا حكم
الا لله " وفيهم الامام علي من شمارهم هذا قولهم بعدم الحاجة الى امير
ولهذا رد عليهم قائلا " كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن
هو لا يقولون لا امرة وانه لا بد للناس من امير برا وفاجر يعمل في امرتهم
المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل وجمع به الفبي ويقا تل به العد و

(١) مرجع الذهب ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) المقالات ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤ وانظر تاريخ الفكر العربي ص ٢٠٧ .

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٦ .

وتأمن به السبل وهو خذ به للضعيف من القوى حتى يستريح برهوتـراج
من فاجر " (١)

ولكن المحكمة لم يبقوا على هذا الرأي فيما بعد بل كان اول ما عملوه
بعد انفصالهم عن الامام علي هو تولية عبد الله بن وهب الراسبي ولهم هذا
قال ابن ابي الحديد مجيبا عن قول الامام علي في الخوارج انهم يقولون
لا امرة " .

" قيل انهم كانوا في بدء امرهم يقولون ذلك وذهبوا الى انه
لا حاجة الى الامام ثم رجعوا عن ذلك القول لما امروا عليهم عبد الله بن
وهب الراسبي " (٢)

اما ما قيل عن الاباضية من ان رأيهم هو القول بالاستغناء عن نصب
الامام فقد ذهب اليه ج م ج . لوريمر وفي ذلك يقول :

" يختلف الاباضيون الاول عن كل من السنة والشيعة في رفضهم
الرأي القائل بن الاسلام في حاجة الى رئيس ظاهر دائم " ويقول ايضا
" وفي حين سمحوا بتعيين امام او زعيم روحى تعيينا قانونيا اذا ما اقتضت
الظروف اصروا بشكل خاص على ان يكون منتخبا في كل حالة والا تكون الخلافة
او الامامة وراثية " (٣)

ولكن الاباضيون ينفون هذا القول عنهم ومدونه من مزاعم خصومهم
وانها اشاعة من الاشاعات المفترضة وان " من يزعم ان الاباضية يجيزون ان
تبقى الامة المسلمة بدون دولة " مخطي " وجاهل بالمذهب الاباضي وقواعده كما

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٨ ج ٢

(٣) دليل الخليج ج ٦ ص ٣٣٠٣ / ٣٤٠٤ .

قال علي يحيى محمدر *

ونقل في هذا عن العلامة نور الدين السالمي في شرحه على مسند
الربيع بن حبيب قوله :

* والامامة فرض بالكتاب والسنة والاجماع والاستدلال (١)

ويقول السالمي في كتابه غاية المراد :

ان الامامة فرض حينما وجبت شروطها لا تكن عن فرضها غفلا
واطل سيرة فيها الامامة في اثنين لوبلفنا في المجد ما كمالا (٢)
وهذا يثبت موقف الاباضية من الامامة ونتهى القول الى انهم يوجبون نصب
الامام كغيرهم من الناس *

ولا بد من وثقة امام رأى النجدات في الاستفتاء عن الامام فهي
التي تزعمت هذا القول وان كنا سنرى فيما بعد انها هي ايضا لم تطبق
هذا القول ولم تعمل بمقتضاه بالفعل حيث بايعوا نجدة بن عامر
بالامامة *

ان ما ذهب اليه النجدات في هذا المقام يحتمل خروجاً على اجماع
عامة الخوارج الذين يرون ضرورة نصب الامام *
والواقع^{انه} لا يشك انسان عاقل في ان بقاء الامة من
دون امام يؤدى بالحياة الى الفوضى والظلم وتشيت الكلمة
واثارة الحروب المدمرة *

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

(١) انظر الاباضية بين الفرق ص ٢٨٩ / ٢٩٠

(٢) غاية المراد ص ١٨ *

فالقول بالاستغناء عن الامام قول في غاية البعد والسقوط ،
 يقول النووي " واجمعوا - اى المسلمون - على انه يجب على المسلمين -
 نصب خليفة ووجهه بالشرع لا بالعقل " (١) وقول القاضي عبد الجبار
 " اتفقت الامة على اختلافها في اعيان الائمة ^{التي} الا بد من امام يقوم بهذه الاحكام
 وينفذها " (٢) وهو رأى واضح لا حاجة الى الاطالة فيه ولكن النجندات
 لم تلتفت الى الناحية الشرعية بل التفتت الى العقل ورأت انه لا يمنع ان يتنافس
 الناس فيما بينهم اذا وجدت الالفه والمحبة وهذا اقرب الى الخيال •
 يريد النجندات بزعمهم هذا ان ينشأ مجتمع مثالى يعرف فيه كل
 شخص واجبه تجاه مجتمعه فيقف عند حقه تحجزه اخلاقه عن ارتكاب
 اى ضرر بالغير كل شخص قد جعل القرآن امامه وحاكمه يعرف فيه واجبه
 نحو الغير ولعل هذا بعض ما يمكن ان يتحمل به القائلون من النجندات
 وغيرهم بالاستغناء عن نصب الامام •

فلننظر الى الواقع هل طبق النجندات هذا القول فاستغنوا عن نصب
 امير منهم •

لا شك ان الامركان بالعكس فنجدة نفسه وهو اول زعيم لهم
 لم يطبق هذا الراى بل كان هو الحاكم على فرقته بعد ازاحة ابى طالوت ولقد
 كان يرسل ولاته على المناطق التي تحت سيطرته ثم كان لا يرسل سرية او جيشا
 الا اختار لهم اميرا كما ارسل ابنه الى القطيف اميرا على سرية ، ومن هنا يشك
 الطالب في صحة ما نسب الى نجدة وانه كما قال " يمكن ان يكون اصحابه هم

(١) شرح النووي ج ١٢ ص ٢٠٥ •

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٧٥١ •

الذين احدثوه من بعده ولعلمهم اولوا قول المحكمة الاولى لا حكم الا للمسلمين
وفهموا منه انه لا حاجة الى امام ولا الى حاكم " (١) ولكنه عاد فاعتذر لهم
عن هذا الرأي الذي ينسب اليهم بانه ناتج عن حياتهم القبلية وذلك في قوله
" ومن جهات النظر التي ابداهم هو " لا مبرر - بيدوانه من طبيعة الحياة المربية
القبلية - وهو ان الناس متساوون كاسنان المشط فكيف تجب طاعة احدهم
لمن هو ند له ونظير هذا بالنسبة لعامة الناس كذلك القول بالنسبة للمجتهدين
فاذا تساوا في الفضل والتدين والاجتهاد والمعارف فكيف نستطيع ان نلزمهم -
بطاعة احدهم " (١)

ونضيف الى التبرير السابق الذي قدمه الطالب لبدأ النجدات عوامل
اخرى يرجع اليها بعض الدارسين الاباضيين هذا البَدْء الذي يجيز النجدات فيه
الاستثناء عن الامة فيذكر السالم عن نظر النجدات في هذه المسألة
ما حاصله :

- ١ - ان النظرية الاساسية التي ارتكزت عليها فكرة الخواج وخصوصا الازارقة
والصفوية والنجديات كانت البَدْء القائل لا حكم الا لله والمعنى الحرفي
لهذا البَدْء يشير صراحة الى انه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقا .
- ٢ - ان الحكم " ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية " .
- ٣ - ان الضروري هو تطبيق احكام الشرع والتمشي بموجب القرآن الكريم
والسنة ، واذا استطاع المسلمون تطبيق هذه الاحكام والتمشي حسب
ما جاء به الاسلام فانه لا ضرورة مطلقا لوجود خليفة او امام وعلى
هذا فالامامة ليست التزاما دينيا يجب تنفيذه .

٤ - قالوا ان وجود الخليفة او الامام لا يكون مفيدا في الاوقات كلها لانـه
ربما يكون بسبب من الاسباب عاجزا عن الاتصال بجميع اتباعه
ومنحصر في بطانة قليلة من الافراد ومنعزل عن الاغلبية والتالي
يكون ابعد ما يكون عن التفهم لمشاكل المسلمين .

٥ - ان على الخليفة ان يتمتع بكفاءات معينة خاصة تجعله جديرا بتولى امور
المسلمين . ومن المحتمل ان لا يكون هذا الرجل الذي يحمل تلك
الكفاءات متوفرا في جميع الاوقات ومنتهج عن القول بضرورة وجود
الخليفة ان نقع في مسالتين محذورتين :

آ - انتخاب خليفة لا تتوفر فيه الكفاءات المطلوبة وذلك نخالف
النصوص والمنطق .

ب - او ان لا نعين اماما وذلك نخالف الافتراض القائل بضرورة وجود
الخليفة .

٦ - ان انتخاب الامام قد يكون سببا في ايجاد حرب اهلية بين المسلمين
انفسهم .

٧ - ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشر صراحة او وضع شروطا لوجود
خلفاء من بعده .

٨ - ان كتاب الله لم يبين حتمية وجود امام وانما ابان " وامرهم بشـورى
بينهم " (١)

ولا شك ان كل تلك البررات التي قيلت عن راي التجسـد لـتـكلمـا
اعتذارات غير مفيدة في تبرير رايهم هذا في مقابل اجماع اللف وهامة الامـة

(١) راجع " عمان تاريخ " يتكلم ص ١٢٣ .

ومنهم الخوارج على وجوب نصب الامام وما يستند اليه هذا الجواب من ادلة شرعية وضرورات اجتماعية قال ابن حزم بعد ان ذكر ان القول بوجوب الامامة قد اجمعت عليه جميع اهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج * قال ابو محمد وقول هذه الفرقة (يعني النجدات) ساقط يقي من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه * (١)

والواقع ان تلك المبررات التي ذكرت لبرأي النجدات مبررات باطلة فليس الناس سواء بل هم متفاوتون في الكمال بحيث يمكن اختيار افضلهم لامة الجماعة الاسلامية والتزام الناس بالاحكام الشرعية يمنع من وقوع الحرب الاهلية بينهم بسبب اختيار الامام كما يقال •

واما القول بعدم وجود الانسان الكامل فانه لا يمنع من نصب الامام حيث يختار لهذا المنصب افضل الموجودين ومن التصور الساذج القول بتناصف الناس فيما بينهم وقيامهم بواجباتهم وحفظهم لحقوق الآخرين دون وجود قيادة حاكمة يرجع اليها الناس في كل ذلك طوعاً او كرها حتى تستقيم امور الامة ومدار الامر بعد ذلك على التزام الامام بواجباته الشرعية فلا يجعل بينه وبين الاملا من الحجب ما يحول بينه وبين رعاية مصالحهم فذلك مناط الحكم بضرورة الامام شرعاً وعقلاً •

يرى اكثر الخوارج كغيرهم من الفرق ان الامامة يجب ان تسند الى امام واحد وان البيعة تلزم للمتقدم فمهما كان صلاح الاخير وفضله لا ينبغي الحدود اليه بل يجب قتاله حتى يعود الى من رضى به الامة والقول باقامة امام واحد مسألة بدعية اطبق عليها جميع العقلاء اذ لا يمكن ان تتحقق المصلحة وتجتمع الكلمة الا برجع الجميع الى امام واحد تختاره الجماعة من اهل الحل والعقد يرى المصالح ويرد الظالم عن ظلمه ويوصل كل حق الى صاحبه فهل خرج عن هذا الامر الواضح احد ؟ نعم لقد خرج عنه بعض الخوارج وهم الحمزية والخلفية من الاباضية فجوزوا ان يجتمع امامان في وقت واحد ، فيذكر الشهرستاني عن رئيس فرقة الحمزية قوله " وجوز حمزة امامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم تقهر الاعداء " (١)

اما الخلفية من الخوارج الاباضية فقد رأت ان كل اقليم ينبغي ان يكون مستقلا عن الآخر لا يخضع اقليم لاقليم او منطقة لمنطقة اخرى ويكفون لهذه المناطق ائمة بعدد مناطق تلك الحوزة من الارض قال ابي حفص عمرو بن جميع الاباضى " وذهبت الخلفية من الاباضية الى ان كل اقليم او حوزة يستقل بها امامها فلا يجوز لامام ان يجمع بين حوزتين " (٢) .

والواقع ان هذا ما لا يتفق مع روح الاسلام واهدافه فان تاريخ المسلمين الاوائل لم يعهد فيه منهم الا اختيار امام واحد للمسلمين

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٠

(٢) نقلا عن اراء الخوارج ص ١٢٨ ولكن عموم الاباضية لا تجيز هذا انظر مدارج الكمال ص ١٧٢ .

جميعا يكون هو الذى يعين ولاته على الامصار والجهات المختلفة فلا يستقل كل وال باقليمه وانما يكونون جميعا تحت قيادة هذا الامام الواحد ، ولأن -
المؤمنين امة واحدة فلا ينبغي ان يكون لها الا امام واحد ، وتعدد الائمة
في الاقاليم المختلفة كما تدعو اليه الخلفية لا ينتج عنه الا كثرة المشاحنات
وظهور الاختلافات بين هذه الاقاليم وضعف المسلمين كما يدلنا تاريخهم عندما -
تفرقت دويلاتهم وانفردت كل مجموعة من الناس برئيس حتى ضعفوا •

وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
" كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبى
بعدى وستكون خلفاء فتكثر قالوا فما تامرنا قال فوابيعة الاول فالاول واعطوهم
حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم " (١) وفي حديث اخر قال عليه
الصلاة والسلام " من بايع اماما فاعطاه صفقة يده وشمرة قلبه فليطمعه
ان استطاع فان جاء اخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر " (٢) وهذا يرشدنا الى
المنع من تعدد الائمة الذى ينتج عنه كثرة الاختلافات والمشاحنات كما يدل عليه
تاريخ المسلمين قديما وحديثا حتى تفرقت كلمة المسلمين وضعفت الرابطة
الاسلامية التي كانت مصدر عز الاسلام وقوته •

(١) صحيح مسلم ج ٦ ص ١٧ •

(٢) المصدر السابق ص ١٨ ج ٦

٤ : شروط الامام :

- يشترط الخواج في من يرتضونه اماما ان تتوفر فيه عدة صفات -
تجمله جديرا بحمل الامانة واهم هذه الشروط ما ياتي :
- ١ - ان يكون شديد التمسك بالعقيدة الاسلامية مخلصا في عبادته وتقواه
كثير التمسك والطاعات .
 - ٢ - ان يكون قويا في نفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم
كما يقول السلمي :
- وليك ذا شجاعة وحزم مرتديا بعفة وحلم
وخيرة عن انتهاك الحرم وذا وفا بعهد والذم (١)
- ٣ - ان لا يكون فيه ما يخل بايمانه من حب المعاصي واللهو واتباع الهوى
يقول السالمي ايضا :
- " ولم يكن على كبير حدا حتى ولو تاب وايدى الرشدا " (٢)
- ٤ - ان يكون انتخابه برضى الجميع لا يقضى بعضهم عن بعض في ذلك .
 - ٥ - لا عبرة بالنسب او الجنس او اللون .
- هذه بعض شروطهم التي ذكرتها المصادر عنهم وقد وصف الاستاذ ابو زهرة رحمه الله موقفهم من طريقة اختيار الخليفة بانه من ارائهم السديدة المحكمة فقال في معرض بيانه للاراء التي تجمع فرق الخواج " واول هذه الاراء - وهو من بين ارائهم السديد المحكم - ان الخليفة لا يكون الا بانتخاب حر صحيح يقسم به عامة المسلمين لا فريق منهم " (٣)

(١) و (٢) مدارج الكمال ص ١٧١ .

(٣) تاريخ المذاهب الاسلامية ج ١ ص ٧١ .

يقول فيه الدكتور عبد الحليم محمود " اما رأيهم في الامامة فانه هو الراي الذي يؤيده الاتجاه الحديث ومؤيده كل مخلص لدينه ووطنه " (١)
 ويكون هذا المنتخب من اي جنس كان سواء كان عربيا ام اعجميا قرشيا ام غير قرشي بل يرون ان الافضل تولية من لانسب له ولا عشيرة معه ليسهل توجيهه الى ما يريدون ويسهل ايضا خلعه او قتله عند ما يستحق ذلك في نظرهم " وليست لعربي دون اعجمي والجميع فيها سواء بل يفضلون ان يكون الخليفة غير قرشي ليسهل عزله او قتله او خالف الشرع وحاد عن الحق انه لا تكون له عصبية تحمية ولا عشيرة تؤيئه وعلى هذا الاساس اختاروا منهم عبد الله بن وهب الراسبي وامروه عليهم وسموه امير المؤمنين وليس بقرشي " (٢)

ويقول ابن الجوزي عن شروط الخواج في الخليفة " ومن راي الخواج انه لا تختص الامامة بشخص الا ان يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان اماما نبطيا " (٣) اي من اخلاط الناس واماشهم والاضافة الى ما تقدم فانهم يولون جانب الشجاعة والمهارة اهتماما خاصا كما عبر عن هذه المسألة مفاد بن جوهن الخارجي حين يقول " وانما ينبغي ان يلى على المسلمين اذا كانوا سواء في الفضل ابصرهم بالحرب وافقهم في الدين واشدهم اضلالا بما حمل " (٤) .

اي ان الخواج يرون ان المهارة الحربية والشجاعة من صفات الخليفة الضرورية وذلك نظرا لحروبهم الدائمة مع مخالفيهم ، وهذا ما يعبر عنه الياضية

(١) التفكير الفلسفي ص ١٩١ ج ١

(٢) تاريخ المذاهب ج ١ ص ٧١

(٣) تلبيس ابليس ص ٩٦ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٥ .

بالامام الشارى وهو بمعنى الفدائي وقد عرفه السالمي بقوله : " هو الذى يتمتع بالثقة المطلقة من قبل اتباعه جميعا وعلان الجهاد ولا يجوز له الهرب من ساحة الميدان ومقوده شماران في المعركة النصر او الموت " (١) لان الائمة عند الخوارج ينحسرون في اربعة :

- ١ - الامام الشارى وقد تقدم تعريفه .
- ٢ - امام الدفاع : وهو الذى يتولى القيادة وزعامة اتباعه في الحرب في الظروف المصيبة .
- ٣ - امام الظهور : وهو الذى يتم بيعته في السلم عن اختيار ورضى جميع المسلمين .
- ٤ - امام الكتمان : وهو الامام الذى ترجع اليه الاباضية في حل مشكلاتهم عندما يكونون تحت سيطرة حكومة من غير الاباضية ولا يستطيعون مناوئتها بالقوة .

وقد رأينا فيما سبق ان الخوارج ينادون بالاختيار الحر لرئيس الامة فكون من بين افرادها لا يتمتع باى ميزة غير كفايته في ادارة شؤن المسلمين وقد وصفوا بذلك بانهم جمهوريون وانهم ديمقراطيون الخ ... وان نظرتهم هذه تستند الى قوله تعالى " وامرهم شورى بينهم " .

يقول الطالبي " تعتبر الخوارج ممثلة للنزعة الاجتماعية او الاتجاء الجمهورى في الفقه السياسى وهي نظرة قرآنية لان مصدر السلطة في الشريعة الاسلامية انما هو اختيار الامة وانتخابها وبدا الشورى نص عليه القرآن بلا نزاع ولا فرق في ذلك بين مسلم ومسلم ولا نظر الى الجنس او اللون " (٢)

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٦ .

(٢) اراء الخوارج ص ١٢١ .

وقد زعم الاستاذ البيرنصرى بان الخواج هم اول من نادى بأن الامة هم مصدر السلطة والتالي كانوا اول من نادى بالاقتدار الحر للامام فيقول " ان الخواج هم اول من ادعى في الاسلام ان الامة هي مصدر السلطة فكان موقفهم هذا خطوة اولى نحو القول بحق الاختيار الحر لرئيس الامة وهذا هو لب الديمقراطية وان جعلوا هذه الديمقراطية محدودة (١) ويقول السالمي عن الامة في عمان " كانت الامة تستند الى قواعد وجذور قديمة كانت تستند الى اساس ديمقراطي يتساوى فيه الغني والفقير والقوى والضعيف امام - قوانين الشريعة السمحاء ولذا فان بذور الحكم الجمهوري قد نبتت في عمان ومجتمعها الاباضى وكانت بذورا صالحة في تربة صالحة " وقال ايضا " ولذا فان بذور الديمقراطية قد نشأت في هذا المجتمع وتطورت في سبيل مصلحة الشعب نفسه " (٣)

والواقع ان ما زعمه البيرنصرى من ان الخواج هم اول من نادى بالانتخاب الحر للامام زعم باطل تاريخيا وموضوعيا فاننا بتتبعنا لتاريخ المسلمين الاول نجد انهم قد اختاروا الخلفاء اختيارا حرا كما في اختيارهم للخلفاء الراشدين رضى الله عنهم اجمعين وانهم لم يخرجوا عن قوله تعالى " وامرهم شورى بينهم " فاذا ليس الخواج هم اول من نادى باختيار الخليفة عن طريق الشورى ورضى الناس يقول رفعت فوزى " ولم يكن الخواج هم اول من نادى بان تكون الخلافة شورى بين المسلمين " (٤)

(١) اهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية ص ١٢٠

(٢) عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٩ / ١٣٠

(٣) المصدر السابق ص ١٢٦

(٤) الخلافة والخواج في المغرب العربي ص ١٤٠

اما القول الذي انفرد به الخوارج في موضوع الامة فهو عدم اشتراط القرشية فيها ، فمسألة احقية قريش بالخلافة غير واردة في مفهوم الخوارج اذ انها مسوءولية عظمى يتساوى الناس في صلاحيتهم لتوليها فما معنى ربطها باناس بخصوصهم وهم في هذا الاتجاه لا ينظرون الى ما ورد في ذلك من احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الى ما قاله جمهور الصحابة والتابعين وسلف الامة بل حكموا ^{قريش} بمجرد رأيهم وما تميل اليه نفوسهم . يقول الاشعري " ويرون ان الامة في قريش وغيرهم اذا كان القائم بها مستحقا لذلك ولا يرون اامة الجائر " (١)

واعتبر الشهرستاني تجويز الخوارج للامة في غير قريش من بدعهم التي خرجوا من اجلها في الزمن الاول فبعد ان ذكر خرافتهم في القول بالاستغناء عن الامام قال مصورا رأيهم " وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبدا او حرا او نبطيا او قرشيا " (٢)

وقال ابن حزم " وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جايزة في كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان او عربيا او ابسن عبد " (٣)

وهذا الراى قد قال به قداما المعتزلة ايضا فيما سويوه ابن ابي الحديد بقوله :

" وقد اختلف الناس في اشتراط النسب في الامة فقال قوم

(١) المقالات ١٥٨ ص ١١٦ .
(٢) الطل والنحل ج ١ ص ١١٦ .
(٣) الفصل ج ٤ ص ٨٩ .

من قدماء اصحابنا - يعني المعتزلة - ان النسب ليس بشرط فيها اصلا وانها تصلح في القرشي وغير القرشي اذا كان فاضلا مستجما للشرائط المعتمدة واجتمعت الكلمة عليه وهو قول الخواج * (١)

ويقول ابن حجر * وقالت الخواج وطائفة من المعتزلة يجوز ان يكون الامام غير قرشي وانما يستحق الامة من قام بالكتاب والسنة سواء كان عربيا ام اعجميا * (٢)

ولهذا فهم كما يذكر تسموا بالخلفاء لانهم لا يعتبرون القرشية شرطا في الخلافة كما ينص على هذا بقوله * ان الخواج في زمن بنى امية تسموا بالخلافة واحدا بعد واحد ولم يكونوا من قریش * (٣)

وهذا بناء على ان * الخلافة حق لكل مسلم وغايتها اقامة الاحكام * (٤)

اما رأى الاباضية في اشتراط قرشية الامام فهو لا يخرج عن رأى عامة الخواج في عدم اشتراط هذا الشرط وعدم ارتباطها بجنس او لـون او اسرة او قبيلة بل المدار في من يصلح^{لها} ان يكون كفا في دينه وخلقه وعلمه وعقله فاذا وجد عدد من الناس فيهم هذه الكفاءة امكن حينئذ النظر الى ناحية الجنس وغيره من اسباب المفاضلة وهذا ما يقوله على معمر ومثله الحارثي الاباضي عن الخلافة انها * لا يمكن ان تخضع لنظام وراثي

(١) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٨٧

(٢) فتح الباري ج ١٣ ص ١١٨

(٣) المصدر السابق ج ١٣ ص ١١٩

(٤) تاريخ الفكر العربي ص ٢٠٧

ولا ان ترتبط بجنس او قبيلة او اسرة اولون وانما يجب ان يشترط فيها الكفاءة المطلقة ، الكفاءة الدينية والكفاءة الخلقية والكفاءة العلمية والكفاءة العقلية فاذا تساوت هذه الكفاءات في مجموعة من الناس امكن ان تجعل الهاشمية او القرشية او العروبة من اسباب المفاضلة او من وسائل الترجيح اما في غير ذلك فليس لها حساب (١) ونحو هذا عند السالمي .

ويقول علي معمر ايضا " ولم يكن الاباضية او الخوارج هم اول من قال بهذا وانما سبقهم اليه كبار الصحابة عندما ناقشوا اول خليفة في الاسلام " - واستدل المؤلف على هذا بالادلة الآتية :

١ - قول الانصار يوم السقيفة " ما امير ومنكم امير " ان لولم يكن الانصار يعرفون انه يجوز ان يتولى الامارة غير قرشي لما قالوا ذلك " ولكن هذا الدليل يثطرق اليه ضده وهو احتمال ان يكونوا قالوا هذا القول قبل ان يعرفوا النص الذي يثبت الخلافة في قريش ولهذا فقد رجعوا الى رشد هم لما بين لهم ابو بكر هذه المسألة .

٢ - من ادلتهم ايضا قول عمر رضي الله عنه " لو كان سالم مولى حذيفة حيا لبايعته فلو كان غير القرشي لا يصح ان يتولى لما قال غير ذلك " وقد اجيب عن هذا وما في معناه مما ورد على لسان عمر رضي الله عنه باحتمالين ذكرهما ابن حجر وهما :

١ - اما ان يكون الاجماع انعمد بعد عمر على اشتراط ان يكون الخليفة

(١) الاباضية في موكب التاريخ ص ٦٣ وانظر " عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٩ وانظر العقود الفضية ص ٢٩٠ .

قرشياً .

٢ - واما ان يكون قد تغير اجتهاد عمر في ذلك . (١)

٣ - استتجوا من قول ابي بكر رضى الله عنه - ان العرب لا تدن الا لهذا

الحي من قریش - بان هذا تعليل لطاعة العرب لهم فاذا تفسر

الحال تغير موضع الاختيار (٢) هكذا عللوه مع انه ظاهر في احقية

قریش بالخلافة وهذا ما فهم منه الصحابة المهاجرون منهم والانصار

بدليل تسليمهم بالطاعة لابي بكر رضى الله عنه حينما بين لهم هذا

الدليل .

وهذا القول عليه اكثر المعتزلة كما يذكر ابن ابي الحديد ذلك بقوله :

" وقال اكثر اصحابنا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم

" الائمة من قریش " ان القرشية شرط اذا وجد في قریش من يصلح للامامة

فان لم يكن فيها من يصلح فليست القرشية شرطاً فيها " (٣)

ولا يخفى ان دعوى الخوارج استحقاق الخلافة لمن كان اهلاً لها

من اى طبقة كان ، هذه الدعوى قد اجتذبت بعض الموالى والمجتم

متطلعين الى الخلافة ومن الدلائل على ذلك انه لما اشتد النزاع

بين الخوارج انفصل قسم كبير منهم عن قطرى وولوا عليهم عبد ربه الصفيير

وكان اكثرهم من الموالى والمجم وكان سبب انفصالهم هذا انهم طلبوا من قطرى

ان يعزل المقعطر " فابي قطرى ان يعزله فقال له القوم انا خلعتناك وولينا

(١) انظر فتح البارى ج ١٣ ص ١١٩

(٢) انظر الاباضية بين الفرق ص ٤٦٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٨٧

عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه اكثر من الشطر وجلهم الموالي والمجسم
وكان هناك منهم ثمانية الاف وهم القراء " (١)
ولنا ان نتساءل هل كان الخوارج صادقين في قولهم ان الامة حق
مشاع لكل من كان كفئاً لها وهل وصل احد من الموالي الى الحكم مصداقاً لهذه
النظرية على كثرة عدد الموالي الذين كانوا في تلك الحروب مع الخوارج ؟
والواقع ان الخوارج وان نادوا بتلك الشعارات البراقة كانوا في غاية
العصبية للمروية ؛ وكان اكثرهم من ربيعة وكانت تلك العصبية ظاهرة فيهم
فان تولى احد الموالي ولاية فانما هي حالة طارئة املتأ الظروف ريثما
ينتخبون عربياً مكانه كما وقع لابي طالوت وثابت التمار وغيرهما من الموالي
يقول عبد الرحمن النجم " وقد انضم الى الخوارج عدد من الموالي واشتركوا
في الثورات التي قامت ضد الحكم الاموي ووصل بعضهم الى مركز الرئاسة
ومنهم ابو طالوت سالم بن مطر الذي قاد الحركة في مراحلها الاولى
في اليمامة وثابت التمار الذي اختاره الخوارج رئيساً لهم بعد عزل
نجدة ولكنه خلع بسرعة " (٢) وقد ارجع النجم هذه السرعة في عزله
الى العصبية التي كانت مستعرة بين عرب الخوارج " (٣)

وقد رد كثير من العلماء على الخوارج رايهم في جواز تولي الامة
من غير قريش بناءً على الاحاديث الواردة في احقية قريش بالخلافة وهذه الاحاديث
منها ما جاء خيراً مطلقاً عن الخلافة انها في قريش ومنها ما جاء مقيداً بشرط

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٣٧

(٢) البحرين في صدر الاسلام ص ١٣٣

(٣) المصدر السابق ص ١٣٧ .

اما الاحاديث المطلقة فمنها :

١ - جاء في حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقى منهم اثنان * (١)

٢ - حديث ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

" الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم

وكافرهم تبع لكافرهم * (٢)

٣ - حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

" الناس تبع لقريش في الخير والشر * (٣) فهذه هي الاحاديث

العامة وقد ورد ما يقيد عمومها باستقامة قريش على الدين والمحافظة

عليه كما جاء في حديث معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه انه قال

" اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * ان هذا الامر

في قريش لا يماذيهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا

الدين * (٤)

وقد اورد ابن حجر رحمه الله روايات عدة في حصر الخلافة في قريش

ثم استشهد بكلام العلماء في هذا الباب ومنه قول القرطبي " هذا الحديث -

يشير الى حديث ما بقى منهم اثنان المتقدم - خبر عن المشروعية اى لا تعمق

الامامة الكبرى الا لقريش مهما وجد منهم احد * وقال القاضى عياض :

" اشتراط كون الامام قرشيا مذهب العلماء كافة وقد عدوها في

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٠٥ .

(٢) و (٣) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢

(٤) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٠٥ ، مسلم ج ٦ ص ٣

مسائل الاجماع ولم ينقل عن احد من السلف فيها خلاف وكذلك من بعدهم في جميع الامصار * ولكن ابن حجر يذكر انه لا يتم القول بالاجماع الا بتأويل ما ورد عن عمر رضي الله عنه في ارادته جعل الخلافة في معاذ بن جبل وهو انصارى ليس من قريش وذلك في قوله * ان ادركني اجلي وابوعبيدة حـ استخلفت * فان ادركني اجلي وقد مات ابوعبيدة استخلفت معاذ بن جبل * فاجاب ابن حجر عن دعوى الاجماع هذه التي ذكرها القاضي بانه * لعل الاجماع انعقد بعد عمر على اشتراط ان يكون الخليفة قرشيـ او تغير اجتهاد عمر في ذلك * (١) وقد ذكر الاجماع على حصر الخلافة في قريش النووي فقال بعد ذكره للاحاديث الدالة على ذلك * هذه الاحاديث واشباهها دليل ظاهر ان الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لاحد من غيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع في زمن الصحابة فكذلك بعدهم من خالف فيه من اهل البدع او عرض بخلاف من غيرهم فهو مجموع باجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالاحاديث الصحيحة * (٢)

وقال ايضا * ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج واهل البدع انه يجوز كونه من غير قريش * (٣) ويذكر البغدادي ان من اصول السلف انهم * قالوا من شرط الامامة النسب من قريش * (٤) ويؤكد هذا المعنى ايضا ابن حزم الاندلسي فيقرر عن عدد من الفرق الاسلاميـ انهم يرون وجوب جعل الامامة في قريش في ولد فهر بن مالك ، وان من

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ١١٩

(٢) و (٣) شرح النووي عن مسلم ج ١٢ ص ٢٠٠

(٤) الفرق بين الفرق ص ٣٤٩

هذه الفرق فرقة اهل السنة فقال " ثم اختلف القائلون بوجود الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور الموجئة الى ان الامامة لا تجوز الا في قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك ... " (١) ثم قال " فصح انه ليس يجوز البتة ان يوقع اسم الامامة مطلقا ولا اسم امير المؤمنين الا على القرشي المتولى لجميع امور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المؤمنين وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز ايضا الا لمن هذه صفته " (٢)

وقد جعل الشيخ ابو عبدالله محمد بن علي الحنبلي الاحاديث التي وردت في استحقاق قريش الخلافة بانها تدل ان قريشا يشتركون جميعهم في استحقاقها حيث قال " من الاحكام ما تشترك فيه قريش كلها نحو الامامة الكبرى " (٣)

ومع ما ورد من الاحاديث في هذا المقام واقوال العلماء فان الخوارج لم يعبثوا بذلك يقول الدكتور عزيطة :

" واما الخوارج فلم يعبثوا بالنصوص والاخبار الواردة في ذلك وتمسكوا ببدعتهم " (٤) ولا شك ان الخوارج او بعضهم - قد سمع ما قيل في يوم السقيفة ان هذا الموقف كان معروفا في ذهن كل واحد ، فانه لا زال طريا في مسامع الناس حين خرج الخوارج على علي ، فيبعد ان لا يسمع احد منهم بما روى هناك من ان الائمة في قريش ويقول ابن حجر مبطلا احتجاج

(١) الفصل ج ٤ ص ٨٩

(٢) المصنف السابق ص ٩٠

(٣) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٦٦

(٤) البدعة ص ٤٠٩ .

من احتج بتولية الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة واسامة وغيرهم على ان الخلافة غير لازمة في قريش بقوله :

واما ما احتج به من لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة واسامة وغيرهم في الحروب فليس من الامة العظمى في شيء بل فيه انه يجوز للخليفة استتابة غير القرشي في حياته " (١) ولنا ان نتساءل هل شرط القرشية على اطلاقه وهل الاحاديث الواردة في ذلك دالة على الوجوب مطلقا ام هناك احتمالات اخرى في الموضوع ؟ قبل الاجابة على هذا التساؤل نورد ما ^{ذكره} ابن حجر من ان : -
الاحاديث التي وردت في استحقاق قريش الخلافة جاءت على ثلاثة اوجه وهي :

١ - وعيدهم باللعن اذا لم يحافظوا على الأمر به لقوله صلى الله عليه وسلم الامراء من قريش ما فعلوا ثلاثا ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله " قال ابن حجر "وليس في هذا ما يقتضي خروج الامر عنهم".

٢ - وعيدهم بان يسلط عليهم من يبالغ في اذيتهم لقوله صلى الله عليه وسلم " يا معشر قريش انكم اهل هذا الامر ما لم تحدثوا فاذا - غيرتم بعث الله عليكم ^{من} يحاكم كما يلحق القضيبي ". يقول

ابن حجر " وليس في هذا ايضا تصريح بخروج الامر عنهم وان كان فيهم
اشعار به "

٣ - الاذن في القيام عليهم وقتالهم والايذان بخروج الامر عنهم لقوله
صلى الله عليه وسلم استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا
فضعوا سيوفكم على عواتقكم فابيدوا خضراءهم فان لم تفعلوا فكونوا
زارعين اشقياء " (١)

وهذا الحديث صريح في جواز الخروج عليهم عندما ينطبق عليهم حكمه وهو عدم
استقامتهم ان انهم حينئذ كفيرهم من اهل الضلال عندما انتفى عنهم موجب
تقديمهم وهو لزوم شرع الله ولا يلتفت الى نسبهم .

ولعل هذا هو ما يمكن ان يكون المدار الذي تجتمع عليه الاحاديث
بحيث يقال انهم اولى بالامامة من غيرهم اذا كانوا صالحين ، وان كان في
المجتمع غيرهم من اهل الصلاح واما اذا لم يكونوا كذلك وكان غيرهم اصلح منهم
وجب تولية الصالح حيث لم يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بتولية غير
الصالحين من قريش او من غيرهم .

والامر بين في هذا لولا ان الخوارج غلب عليهم الحق وتبع ما تهوى
انفسهم فانفوا من الرجوع الى ما تقتضيه الاحاديث من اولوية قريش اذا كانوا
صالحين وحكموا بالاولوية لغير قريش .

ولا ينبغي جحد فضل قريش وميزتهم على غيرهم عند صلاحهم فقط
وردت احاديث كثيرة في بيان ذلك ويكفيهم فضلا اختيار الله لرسوله
منهم .

ويشهد لما ذهبنا اليه في هدى اشتراط القرشية في الامام ما انتهى
اليه اجتهاد الشيخ ابوزهرة رحمه الله في هذا الامر فقد جمع بين الاحاديث
التي توجب طاعة ولي الامر مهما كان جنسه وان كان عبدا حبشيا وبين قوله
عليه الصلاة والسلام ان هذا الامر في قريش وغيره من الاحاديث بان " النصوص
في مجموعها لا تسلزم ان تكون الامامة في قريش وانه لا تصح ولاية غيرهم
بل ان ولايتهم غيرهم
صححة بلا شك ويكون حديث " الامر في قريش " من قبيل الاخبار بالفييب
كقول النبي صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضا
او يكون من قبيل الافضلية لا الصحة " . (١)

ه : محاسبة الامام والخروج عليه :

يرى الخوارج ان الامام هو المثل الاعلى ، ولهذا فيجب ان يكون متصفا
بذلك قولا وفعلا فان خطأه ليس كخطأ غيره من الناس ، فاذا اخطأ خطيئة
ما يجب فورا محاسبته والخروج عليه فاما ان يعتدل واما ان يعتزل ولو ادى
هذا الى قتله فانه حق مشروع لهم حينئذ وهكذا يعيش الامام عندهم بين فكي
الاسد يحاسب على كل ما يصدر منه محاسبة دقيقة لا تأخذهم فيه لومة لائم
فلا طاعة لجائر لانهم ينكرون الجور اشد الانكار ولا يعترفون بامام يعتقدون
انه قد جار في حكمه قال الاشعري " ولا يرون امامة الجائر " ^(١) ويحل عليه الخروج
عندهم اذا ارتكب ذنبا ولم يتب منه او ظهر جور في حكمه او كان فيه تقصير
عن اقامة الحدود فان الخروج عليه حينئذ يكون واجبا وقتله حقيق
واستشهاده " فهم مشهورون بتشددهم وصراحتهم وجراتهم في محاسبة
رؤسائهم " (٢)

واشهار السيف في وجهه ووجوه اتباعه من اقامة الدين واطهاره
عاليا لان الظلمة لا ولاية لهم ولا تجب طاعتهم فقد قال تعالى " لا ينال
عهدي الظالمين " البقرة : ١٢٤ وهذا دليل واضح عندهم على وجوب
اقصائه عن الحكم اذا ظلم في حكمه او جار يقول الشهرستاني في بيان
لموقف الخوارج من الامام " وان غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله
او قتله " (٣)

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤ وانظر الاسلام والحضارة العربية ج ٢ ص ٦٢/٦٣

(٢) انظر الطرماح بن حكيم ص ٥٥

(٣) المل والنحل ج ١ ص ١١٦ .

ويقول البغدادى فيما يرويه عن الكمبي ان من الامور التي اجمعت

عليها الخوارج اجمعهم على " وجوب الخروج على الامام الجائر " (١)

وهم كما سبق لا يزون للامام مهزة الا اقامة الاحكام الشرعية

ولهذا فمراجعتهم وانتقاده امر عادى ، ولقد ادت هذه النظرة من سلفهم

القديم الى المفالات والشطط التي دفعت بذى الخويصرة ~~بغير~~ الى نقد النبي

صلى الله عليه وسلم نفسه فيما توهمه ظلما في توزيع الغنائم قال ابن حزم

في كلامه عن خروج الخوارج علي علي ومحاربتهم وعدم الرضى بخلافته وان هذا

كان بسبب جهلهم وقلة علمهم قال " ولكن حق لمن كان احدى يمينه ذو -

خويصرة الذى بلغ ضعف عقله وقلة دينه الى تجويره رسول الله في حكمه

والاستدراك ، ورأى نفسه اروع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا

وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الديين

ولولا له لكان حمارا او اضل " (٢)

فاذا كانت هذه حال سلفهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكيف بمن بعده من الخلفاء ، ولهذا فهم قلما يشبتون على امام ويخضعون

له خضوعا تاما الا قليلا ، فنتج عن هذا الموقف ثم من المواقف الاخرى وهو

كثرة حروبهم مع مخالفيهم او مع بعضهم البعض كثرة ائمتهم .

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة الموفية فقد اعتبرت كهر الامام سببا

في كهر رعيته وذلك في قولهم " اذا كهر الامام فقد الرعية الغائب

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٣

(٢) الفصل ج ٤ ص ١٥٧

منهم والشاهد * (١) لهذا فينبغي ان يحال بينه وبين الحكم عندما يبدو منه امر مكفر باى وسيلة كانت ، والا فقد كفروا هم ايضا فلا اشد من هذه المبالغة في تكفير الناس بغير حق ، فاذا كفر الامام بالمشرك فمن اى وجه تكفر رعيته بالمغرب بل من اى وجه يكفر حتى ولده الذى هو في بيته ما دام متمسكا - بالاسلام ، ومن هذا القبيل ما قاله الططبي حاكيا عن رئيس البيهسية هيصم بن عامر بانه قد افترى " فزعم ان حكم الامام بالكوفة حكما يستحق به الكفر ففي تلك الساعة يكفر من كان في حكم ذلك الامام بخراسان والاندلس وعلى الامام اذا ابصر كفره فتاب منه ارسل الى اهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وان لم يشعروا به فان ابى ان يثوب منه وقال ما لى ان اثوب ما لا اشك فيه ولم اعلم به ضربت عنقه " (٢) وهذه احكام خاطئة لا تصدر الا عن عقول جاهلة بمعاني الشريعة واحكامها وعلى هذا فما تراه من كثرة هروبهم وخروجهم على ائمتهم او ائمة مخالفين يعتبر امرا طبيعيا ازاء هذه الاحكام الخاطئة تجاه الامام فهو عندهم مراقب مراقبة صارمة لا تغتفر له خطيئته ولا يقبل له عذر في الخطأ الا بعد الاعتراف والتوبة امام طائفة من المؤمنين فقد " كان المجتمع الاباضي - كما يقول السالمي - يحرض حرصا شديدا على مراقبة ائمتهم طيلة الوقت . . . فقد كانت جميع خطواته محسوبة عليه ، وغلطة بسيطة غير متعمدة تدمر منه عفوا كانت كافية لاثارة الضجة من حوله وربما ادت الى عزله وان كان الخطأ بسيطا جدا فعلية ان يعترف به امام كبار اعلام المسلمين

(١) انظر المقالات ج ١ ص ١٩٤ الطل والنحل ج ١ ص ١٢٦ ، والفرق بين

الفرق ص ١٠٩ .

(٢) التبيين والرد ص ١٦٩ ، الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩٠ .

وان يطلب المغفرة من الله وان يتوب اليه وقد قيل بان كبار العلماء قاموا
بمحاسبة الامام عزان بن قيس لانه ارسل الى بلده الرستاق بعض القطع
النحاسية التي كسبها في المعركة وقد اعترف بخطئه وطلب المغفرة من الله (٢)

وكانت هذه الحادثة من قبل
الامام عزان بن قيس

ومع ان النص يشير الى الغلو والتشدد المفرط ان الخطأ اليسير غير المتعمد
يكون كافيا لاثارة الضجة والمداولات العنيفة التي قد تؤدي الى عزل الامام
وسقوطه وهو ما يتبع سقوطه من فتن ومخاوف لا يرى الاباضية ان هذا تشدداً
بل هو مثل عليا تمثل عصر الخلفاء الراشدين في بساطتهم وعدلهم كما يذكر
السالمي ذلك عن فرقة الاباضية فيقول "وبحكم بساطتها وعدم غلوها ومثلها
العلياء استطاعت ان تعيش حتى يومنا هذا واستطاعت ان تقيم حكم الامامة
الذي انقطع بموت الخلفاء الراشدين وان توصل حيله (٣)

واضافة الى ما ذكره السالمي فيما سبق فان الاشعري يقول عنهم
"ولكنهم يرون ازالة ائمة الجور ومنعهم ان يكونوا ائمة بأي شيء قد رواه عليه
بالسيف او بغير السيف (٤) ولكننا نجد من علماء الاباضية من يكرر ان يكون
من رايهم وجوب الخروج على الائمة الجورة بل من رايهم جواز الخروج وعدمه
وايضا يستثنون من جواز الخروج اذالم يؤد ذلك الى فتنة اكبر من فتنة الخروج

(١) عمان تاريخ يتكلم ص ١٢٦

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨

.....

(٤) مقالات الاشعري ص ٢٠٤

عليه ، وان نازعهم في صحة هذا الاستثناء بعض الكتاب المحدثين مثل احمد
صبيحي الذي اعتبر قول الاباضية المتأخرين وخصوصا على يحيى معمر بانه
يجوز الخروج اذا لم يؤد ذلك الى فتنة اكبره لم يكن من اراء الخسواف
الاصيلة بما فيهم الاباضية . واتهم على يحيى معمر بتقريب مذهب الاباضية
الى مذهب الاشعرية القائلين بهذا التحفظ . (١)

ولكننا نجد نصوصا كثيرة عن علماء الاباضية تشهد لما ذهب اليه
على يحيى من جواز الخروج على الائمة ما لم تكن فتنة اكبر .

قال ابو يعقوب الوارجلاني * واجزنا الخروج عليهم والكون معهم
فان خرجنا عليهم قاتلناهم حتى نزيل ظلمهم على البلاد والعباد وان لم نخرج
عليهم ورضينا بالكون معهم وتحتمل فجائز لنا * (٢)

ويقول قطب الائمة محمد يوسف اطفيش * ونحن بعد لا نقول بالخروج
على سلاطين الجور الموحدين ومن نسب اليها وجوب الخروج فقد جهل
مذهبنا * (٣)

ويقول على يحيى معمر * يجب على الامة المسلمة ان تقيم دولة عادلة
فاذا كانت الدولة القائمة جائرة جاز البقاء تحت حكمها وتجب طاعتها فـي
جميع ما لا يخالف احكام الاسلام على انه ينبغي للمسلمين ان لا يستقيموا
على الظلم وانما ينبغي لهم ان يحاولوا تغيير الحكم اذا كان ذلك لا يسبب
في احداث اضرار جسيمة بالامة * (٤)

(١) الاباضية بين الفرق ص ٤٥٦ .

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩١ .

(٤) الاباضية بين الفرق ص ٢٩٢ .

ويقول ابو يعقوب الوارجلاني ايضا " اعلم يا اخي ان مذهب
اهل الدعوة في الخروج على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز وليس
كما تقول السنية انه لا يحل الخروج عليهم ولا قتالهم بل التسليم لهم على
ظلمهم اولى قالوا وقد اختلفت الامة في هذه المسألة على ثلاثة اقوال :
قول اهل الدعوة انه جائز الخروج عليهم وقتالهم ومناصبتهم والامتناع
من اجراء احكامهم علينا اذا كانا في غير حكمهم واما اذا كانا تحت حكمهم فلا ي
يسعنا الامتناع في كثير من احكامهم وان اردنا الشراء والخروج
جاز لنا " (١) ويقول الثعالب عن الامام " ولامة عزله بموجب كأن يقع
منه ما يخل بامور المسلمين فان ادى عزله الى الفتنة ارتكب اخف الضررين (٢)
وبعد فهل كان الخوارج فيما ذهبوا اليه من وجوب الخروج على
الحكام - هل كانوا فيه على صواب ام على خطأ - وذلك بالاستناد الى ما ورد
من نصوص واضحة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل ايراد بعض
تلك النصوص نقول انه لا يخفى على احد مقدار الخسارة التي تلحق بالامة
حين يخرج بعض الناس على الامام الشرعي ويؤيده البعض الاخر وما ينتج عن
هذا من تشتت الكلمة ودخول الاهواء في كل امر وتعاضم الحقد في صدور الناس
وسفك الدماء المستحقة والبريئة على حد سواء من جراء تلك الفتنة الاهلية
كما وقع ذلك في كل وقت من الاوقات التي يغلب فيها الجاهل على الملم
والظلم على العدل ، ولهذا فقد حث الاسلام على الوحدة واجتماع الكلمة .

(١) نقلاً عن المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٢) نقلاً عن المصدر السابق ص ٤٨٥ .

يقول الله تعالى " واعدتصموا بحبل الله ^{حريصا} ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا " آل عمران : ١٠٣
وقول الله تعالى آمرا بعباده بالتعاون فيما بينهم على الخير واجتناب الشر " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " المائدة : ٢ •
وقد امر الله بطاعة اولى الامراء انه لا بد لكل مجتمع من وال لا مرهم يكون مرجعا في قضاياهم والا لفسد الامر واختل النظام ووقعت الفوضى ومطلـ تنفيذ شرع الله فلهذا اوجب طاعتهم التامة بعد ان امر بطاعته هو جل وعلا وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى " يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم " (١) والولاء من اولى الامر •
وقد وردت عدة احاديث تشير الى وجوب طاعة اولى الامر وتحريم الخروج عليهم ومنها :

١ - حديث ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني " (٢) اى انه اعتبر طاعة الامير كطاعة الله وعصيانه كعصيان له •

٢ - عن انعمون مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة " (٣)
فقد اوجب صلى الله عليه وسلم طاعة الامير مهما كان جنس اولونه او منزلته عند الناس ما دام انه قد نصب اميرا شرعيا على الامة •

٣ - قال صلى الله عليه وسلم في التخدير من مفارقة الجماعة بالخروج على الامام :

(١) سورة النساء : ٥٩ •

(٢) صحيح البخارى ١٠٤٠ ص ١٠٤٠ صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٠
(٣) " " " " صحيح مسلم ج ١ ص ١٥٠

" عن ابن عباس يرويه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية " (١)

والاحاديث في هذا الباب كثيرة كلها توجب طاعة اولى الامر لتتم وحدة الاممة ويقوم كيانها به على انه وان تظاهرت الاحاديث بطاعة اولى الامر والرضا بحكمهم الا ان تلك الطاعة ليست على اطلاقها فقد قيدت طاعة الحاكم بما اذا كان ملتزماً لحكم الله غير آمر بالمعصية اما اذا كان بخلاف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية خالقه تعالى .

يقول صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احسب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " (٢)

٤ - عن علي رضي الله عنه قال " بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلاً من الانصار وامرهم ان يطعموه ففضب عليهم وقال ليس قد امر النبي صلى الله عليه وسلم ان تطعموني قالوا بلى قال عزمت عليكم لما جئتم حطباً واوقدت نارا ثم دخلتم فيها فجمعوا حطباً فأوقدوا فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم الى بعض فقال بعضهم

.....

(١) البخارى ج ٨ ص ١٠٥ مسلم ج ٦ ص ٢١ سنن ابي داود ج ٢ ص ٥٤٢ .
(٢) البخارى ج ٨ ص ١٠٦ صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦/١٥ ونحو هذا الحديث عند النسائي في سننه ج ٧ ص ١٦٠ .

انما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارا من النار افندخلها فيهما هم
كذلك اذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال لودخلوها ما خرجوا منها ابدا انما الطاعة في المعروف (١) *
وهذا اللفظ في البخارى وقد اورد مسلم عدة روايات في مثل
هذا المعنى وهي واضحة في عدم طاعتهم في المعصية المحرمة *
الا انه لا ينبغي ان يفهم منها انه بمجرد ارتكاب الحاكم المعصية يباح الخروج
عليه كما ترى ذلك الخواص اذ ان المعاصى لا يمكن ان يخلو عنها بشئ
فاذا ابيح الخروج على الحاكم لانه عصى متركب حينئذ من المعاصى اضعاف ما
ارتكب اضافة الى ان خلفه الذى سينصب لا بد وان يعصى معصية ما فيفضى
ذلك الى الفوضى وارتكاب المنكرات فيضعف الدين وتبطل حكم التشريع الربانية *
فلا يجوز الخروج على الحاكم ما داموا ملتزمين بالشرعية محافظين
على الصلاة وسائر شعائر الاسلام الا ان يظهروا كفرا بواحا فيقبل
لنا عليه من كتاب الله وسنة نبيه او ان يأمرؤا الناس بترك شعيرة من شعائر
الاسلام كالصلاة او الحج وغيرهما من شعائر الاسلام او يأمرؤنهم بفعل
المعاصى *

(١) البخارى ج ٨ ص ١٠٦ صحيح مسلم ج ٦ ص ١٦/١٥ ونحو هذا الحديث
عند النسائي في سننه ج ٧ ص ١٦٠ *

٦ : رأى الخوارج في امامة المفضل :

اختلف الخوارج في صحة امامة المفضل مع وجود الفاضل الى فريقين متقابلين :

١ - فذهب الفريق الاول منهم الى عدم الجواز وان امامة المفضل تكون غير صحيحة مع وجود الافضل .

٢ - وذهب الفريق الاخر منهم الى صحة ذلك وانه تعتقد الامامة للمفضل مع وجود الافضل وفي هذا يقول ابو محمد بن حزم " ذهب طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاسي ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه .

وذهب طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه " (١) والاباضية من هذا الفريق الثاني الذي يجوز امامة المفضل مع وجود الفاضل قال الثماري الاباضي " وتجوز (اي الاباضية) امامة المفضل مع وجود الفاضل خلافا لقوم كالامامية هذا ما عليه اصحابنا وهو بعينه مذهب الاشاعرة " (٢) ومن هنا فان الطالب لم يكن دقيقا عندما اطلق الحكم بان الخوارج بصفة عامة لا يجيزون امامة المفضل مع وجود الفاضل عندما قال " ولا يجوز عند الخوارج ان يتولى الامامة شخص مفضل اذا وجد من هو افضل منه " (٣) فقد تبين لنا مما سبق من كلام ابن حزم والثماري ان بعضهم يجيز ذلك .

(١) الفصل ج ٤ ص ١٦٣ .

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٤٦٢ .

(٣) اراء الخوارج ص ١٢٨ .

٧ : رأى الخوارج في امامة المرأة :

الامامة مسؤولية عظمى وعبارة ثقيل يتطلب سعة الفكر وقوة البصيرة ورباطة الجأش ويتطلب ايضا مزايا عديدة جعل الله معظمها في الرجال دون النساء ولقد علم بالضرورة ان الخلفاء والقواد العظام الذين سطرت لهم الصفحات البيضاء في التاريخ كان معظمهم من الرجال ، ولا أدل على هذا من اختيار الله جل وعلا لرسالته والتبليغ عنه ممن علم فيه الكفاءة والكمال وذلك من جنس الرجال فقال تعالى " وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم " الانبياء : ٧ وما ذاك الا لما يعلم من تحمل الرجل لمتاعب المسؤولية العظمى وما اودعه في تركيبهم من اسرار .

وقد اطبق جميع العقلاء على ان الخلافة لا يصلح لها النساء وقد روى ابن حزم في قوله الاتي اتفاق جميع المسلمين على عدم جواز تولي المرأة الامامة العظمى فقال :

" قال ابو محمد وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة المرأة " (١)

ولكن نجد فرقة من فرق الخوارج وهي الشيعية كان لها تأثير بالغ في محاربة جيش الخلافة وانتصارهم عليه مرات عديدة تذهب الى جواز تولي المرأة الامامة العظمى وذلك ان شبيب بن يزيد الشيباني زعيم هذه الطائفة كان في جيش صالح بن مسرح الذي ثار على الخلافة الاموية في زمن عبد الملك بن مروان فقاتله جيش الخلافة على باب حصن جلولا فانهمز

صالح جريحاً فلما اشرف على الموت استخلف شبيباً هذا فاحـدث
في زمنه القول بجواز تولي المرأة الامامة العظمى فيذكر عنه البغدادي :
" انه مع اتباعه اجازوا امامة المرأة منهم اذا قام بتبامورهم
وخرجت على مخالفيهم وزعموا ان غزاة ام شبيب كانت الامام بمد
قتل شبيب الى ان قتلت * واستدلوا على ذلك بأن شبيب لما
دخل الكوفة اقام امه على منبر الكوفة حتى خطبت " (١)

وهنا يسجل العلماء على هذه الفرقة تناقضهم واتباعهم
الهوى في انتقادهم ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين خرجت تطالب
بهم عثمان اول الامر مجتهدة فتأولوا عليها قول الله تعالى " وقولن في
بيوتكن " الاحزاب : ٣٣ فقالوا انها خالفت ما امرها الله به من السـتر
والحجاب والقرار في البيت * فاذا كانوا ينتقدون خروج عائشة وهي مع
محرمها محبة تقية فكيف اجازوا لنسائهم تولية الامامة العظمى
والخروج على الاحكام يحاربون معهم في ميادين القتال فقد كانت نسائهم -
كما ذكرنا في خصائصهم - يتقلدن السيوف ويركبن ظهور الخيل ويحضرن المـعـارك
ويارزن الشجعان حتى اشتهرن بتلك الصفات *

وعائشة رضي الله عنها ^{صهبت} مع جندها الذي كل واحد منهم محرم لها ، لانها
ام جميع المؤمنين بنص القرآن ، وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المرأة بانها ناقصة
عقل ودين فكيف يجوز القاـمـصير الامة على عاتق امرأة واحدة لا تقبل شهادتها بمفردها
على رغم انوف دعاة المرأة الى الخروج عن قانونها الذي جعلها الله فيه * وقد ورد في
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " لا يفلح قوم ولوا امرهم امرأة " (٢)

(١) الفرق بين الفرق ص ١١٠/١١١

(٢) سنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٧

٨ : الفوارق بين الخوارج والشيعة في الامة :

- واذا اردنا ان نقارن بين آراء الخوارج والشيعة في الامامة نجد ان بينهم بونا شاسعا في هذه القضية كما نتبين ذلك فيما يأتي :
- ١ - فالخوارج منهم من يقول بالاستغناء عن الامام والشيعة على المكس ترى ان وجود امام من آل البيت اصل من اصول الدين .
 - ٢ - الامامة عند الخوارج حق مشاع بين كل طبقات المجتمع اذا وجد الكفا بينما الشيعة تحصر الخلافة في علي ونسله من بعده .
 - ٣ - الخوارج لا تقول بعصمة الائمة والشيعة تدعى عصمتهم .
 - ٤ - لا يمتنع الخوارج رجعة احد من ائمتهم والشيعة تعتقد رجعة الامام المنتظر والقول بعدم رجعة احد هو قول عامة الخوارج الا فرقة شذت عنهم تسمى الخليفة ورئيسهم يسمى مسعود بن قيس ، ففي اثناء محاربة حمزة بن اكرك لهذه الفرقة وهزيمتها هرب مسعود بن قيس ففوق في واد ومات غريقا الا ان طائفته لم تصدق بموته واعتقدوا رجعته وصاروا ينتظرونه (١) انتظار الشيعة للامام المنتظر الذي يسألون له الرجوع وتعجيل الخروج في كل لفظه يذكر فيه المهدي ويرمزون لذلك بحرفي " ح " .
 - ٥ - يرى الخوارج جواز الخروج مع اي شخص كان مادام مستقيما على الحق بينما الشيعة يرون انه لا يجوز الخروج على مخالفهم الا مع وجود الامام الحق ودونه لا يجب ولا يلزم بل هو اضرار بالخير

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٩٩ .

ولا صحة لامامة من ليس من اهل البيت فمتى وجد هؤلاء جاز
الخرج معهم على الاحكام الجائرين ومدونهم لا يجوز • (١)

٦ - التقية عند الشيعة لا باس بها بل يحضون على التزامها عندما تقتضى
الظروف اما الخوارج فلا مكان لها عند الازارقة منهم ولا مكان للتقية
العملية عند الصفرية كذلك ، اما الشيعة فانهم جميعا يجيزونها •
يقول احمد امين * وعلى عكس الشيعة في القول بالتقية الخوارج *
ويقول * حياة الشيعة والخوارج السياسية مظهر من مظاهر قولهم
في التقية ، فالخارجي يعلن الخرج على الامام في صراحة ولو كان
وحده • (٢)

٧ - يرى الزيدية من الشيعة جواز امامة المفضل مع وجود الفاضل وهم
بذلك يخالفون معظم الخوارج الذين يمنعون ذلك •

واذا كانت هذه الفوارق تمثل اختلافا حادا بين الخوارج والشيعة في كثير من مسائل
الامامة فان هذا الخلاف لم يكن جديدا فيما بينهم فقد بدأ حادا في قضية
الامامة منذ اول امرهم حينما انفصل الخوارج عن الشيعة على عهد الامام علي
رضي الله عنه •

(١) انظر ابانة المناهج ص ١٦٦ •

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤٩ •

الفصل السادس

" الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اصل عظيم من اصول الدين الاسلامي لا يمارى فيه مسلم لوروده في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى " ولكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وألئك هم المفلحون " آل عمران : ١٠٤ والايات في هذا المعنى كثيرة . ويقول صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف اليمان " (١)

وهذا الامر عام لكل من يصلح له هذا الخطاب . ويقول عليه الصلاة والسلام موجبا — حتى على الجالسين على الطرقات — الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يرويه ابو سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي " ص " — انه قال " اياكم والجلوس بالطرقات فقالوا يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها قال يا رسول الله " ص " فاذا ابستم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه فقالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غص البصر ، وكف الاذى ورد السلام ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر " (٢) والاحاديث في هذا الباب كثيرة .

وقد اتفق على القول بوجوب تغيير المنكر كل الفرق — وان اختلف بعضهم عن بعض في الطريقة التي يتم بها — ومنهم الخوارج يقول ان حزم في هذا " وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك " (٣)

(١) رواه مسلم ج ١ ص ٥٠

(٢) رواه البخاري ج ٧ ص ١٢٧ .

(٣) الفصل ٤ ص ١٧١

ويقول القاهن عبد الجبار " وجملة مانقول فى هذا الموضع انه لاخلابيين
الامة فى وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " (١) وقد اتفق اهل العلم على
انهما فرض كفاية اذ قام به من يكفى سقط عن الاخرين •

يقول الحنبلى فى مختصر الفتاوى لابن تيمية " والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واجب على الكفاية باتفاق المسلمين وكل واحد من الامة مخاطب بقدر قدرته ،
وهو من اعظم العبادات " (٢)

والخواج — كما قدمنا — كغيرهم من الفرق الاسلامية التى تنادى باقامة
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكنهم غالوا فى تطبيقه فأوجبوا الخروج تضييـراً
للمنكر ولو لادنى سبب وعلى اى حال حتى ولو كان السبب اهمال الامام لسنة
السنن مهما كانت يقول الشهرستانى انهم " يرون الخروج على الامام اذا خالف
السنة حقاً واجباً " (٣)

ويقول صاحب ابانة المناهج ان من اصولهم " القول بالخروج على الامام
الجائر " (٤) ويقول فلهوزن " وتغيير المنكر واجب على كل فرد بلسانه ويديه ،
وهذا المبدأ مبدأ اسلامى عام ولكن تحقيقه بمناسبة وغير مناسبة كان علامة دالة
على الخواج " (٥) وسنتبين طريقته فيما يأتى من عرض أقوالهم •

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٤١ •

(٢) مختصر الفتاوى ص ٥٧٩ •

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥ •

(٤) ابانة المناهج ص ١٥٤ •

(٥) الخواج والشيعة ص ٤١

يقول أول رئيس للخوارج وهو عبد الله بن دهب الراسبي مخاطبا اتباعه حين اجتمعوا في منزله موجبا عليهم القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج من أجله " ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا التي ايثارها عنا آثر عنده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا (١) " .

وهذا النص يوضح تمام الوضع نظرتهن الى فكرة تغيير المنكر وحمل الناس على التزام المعروف كما يريدون ، فهو يدعو الى الخروج المسلح وترك شهوات الدنيا والرفقه في الآخرة وخوض المعارك والاستشهاد في سبيل الله لأجل تغيير المنكرات التي يرونها في مجتمعهم ذلك .

والخوارج — وهو ما تميزوا به كما قلنا — أرادوا باقامة هذا الامر حمل كافة الناس على قبول آرائهم واعتبار كل شيء لا يوافق ما يعتقدونه منكرا يجب الامتناع عنه ، وكانوا يولون ذلك اكبر الاهتمام والمحافظة البالغة على تطبيقه تطبيقا كاملا صغر الامر أو كبر دون هوادة في ذلك مهما كانت النتائج ولو أدى تغيير المنكر الى الجهاد الجماعي لمخالفهم بامتناع السيف وخوض الحروب خصوصا اذا كان المرتكب لذلك المنكر في نظرهم — أحد حكام المسلمين الذي يمثل بطبيعة وظيفته خلافا لاسلاميه ويناط به الحكم بما انزل الله فان الخروج عليه واجب وأولى ، وفي هذا يقول أحد علمائهم وهو سليمان بن عبد الله الباروني أن الشراة هم الذين " اشتروا آخرتهم بدنياهم بمعنى انهم تخلوا عن الدنيا وعاهدوا الله على انكار المنكر والامر بالمعروف بدون مبالاة ولا خوف من الموت ولو أدى بهم ذلك الى القتال (٢) " .

(١) تلبس ابليس ص ٩٣

(٢) الازهار الرياضية ص ٢١٠

وكان زعماءهم يرددون في كل خطبة لهم على مسامح اخوانهم الخوارج ان تفسير المنكر من الامور الواجبه عليهم التي لا يعذر الله من قصر في القيام بها نظرا لما شاع فـسـى المجتمع من المظالم واضاعة معالم الدين .

يقول حيان بن ظبيان وهو أحد رؤسائهم يخاطب اصحابه " فانصرفوا بنا رحمة الله الى مصرنا فلنأت اخواننا فلنمنعهم الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والى جهاد — الاحزاب فانه لا عذر لنا في الضمود ولأثنا ظلمه وسمة الهدى متروكه وثأرنا الذين قتلوا اخواننا في المجالس آمنون (١) " .

ويقول ايضا معاذ بن جوين الطائي في دوافع خروجهم للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الاعذار في ذلك " يا أهل الاسلام انا والله لو علمنا انا اذا تركنا لجهنم الظلمه وانكار الجور كان لنا به عند الله عذر لكان تركه ايسر علينا واخف من ركوبه ولكننا قد علمنا واستيقنا انه لا عذر لنا وقد جعل لنا القلوب والاسماع حتى ننكر الظلم ونغير الجور ونجاهد الظالمين (٢) ويجري هذا المجري في بيان دوافع الخوارج للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يقوله صالح بن مسرج مخاطبا جماعته " ما ادرى ما تنتظرون حتى متى انتم مقيمون ، هذا الجور قد فشا وهذا المدل قد غفا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وتباعدوا عن الحق وجراة على الرب فاستعدوا وابحثوا السى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذي تريدون فيأتوكم فللتقى وننظر فيما نحن صانعون وفي أى وقت ان خرجنا نحن خارجون " .

ويقول شبيب مخاطبا صالح بن مسرج المذكور " اخرج بنا رحمة الله فوالله ما تزداد — السنه الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طفيانا (٣) " .

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٧٤

(٢) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٧٤ ، وانظر ص ٣١٠ ، وانظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٩

(٣) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٢١٩

فدوافع الخوارج في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جرت على سنتهم دوافع دينيه تتمثل في ما بداهم من شيوع المنكرات والمظالم بين الناس والحكام ومن اندراس معالم الدين في المجتمع ، بل ان نافع بن الازرق كان يرى ان مخالفتهم كفار يجب جهادهم كجهاد الكفار الذين لم ينطقوا بكلمه الشهاده ، فقد جاء في كتابه الى — اهل البصره قوله يحثهم على الخروج * والله انكم لتعلمون ان الشريعه واحده والدين واحد ففيهم المقام بين اظهر الكفار ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد ^{تروون الظلم} (١) الخ ويقول الطبري * وكانت الخوارج يلقي بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم — بالنهروان ويرون في الاقامه الفبي والكهرو ان في جهاد اهل القبله الفضل والاجر * وقد بالغوا في حب الجهاد والاستبسال فيه الى حد وصفه ابو زهره بأنه هوس واضطراب في اعصابهم وليس مجرد شجاعه كما يرى فيقول * بل هناك صفات اخرى منها حسب الغدا والرغبه — في الموت والاستشهاده فتلطمخاطر من غير داع قوي يدفع الى ذلك وربما كان منشوءه هوسا عند بعضهم واضطرابا في اعصابهم لا مجرد الشجاعه (٢) .

فكانوا اذا دعوا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستعملون في سبيل تحقيقه كل ما لديهم من قدره ولا ينظرون الى العواقب ايا كانت تلك العواقب وكانوا كما يصفهم أحمد ' امين ' أشد واقسى واعنف فمتى اعتقدوا الحق في شئ نفذوه بالسيف ولهذا — كان تاريخهم سلسله حروب وخروج على الخليفه * ويقول ايضا * فالواجب في نظر الخوارج يجب أن يفعل ثم لتكن النتيجة ما تكون ، وضلوا مخلصين لهذا المبدأ — طوال العهد الاموي وصدر الدوله المباسيه حتى أبيدوا (٣) .

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٤ وانظر ص ٣١٠ ، الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٩

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٤

(٣) تاريخ المذاهب الاسلاميه ج ١ ص ٦٧

(٤) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٦٧

وقد اعتبر العلامة بن القيم هذا الاندفاع والمنفغى تحقيق ما يريدون بأنه من تعصب أهل البدع لبدعهم وأنهم يخرجون بدعهم في قوالب متنوعة بحسب تلك البدع فيرى أن — الخوارج أخرجت استحلال قتال الناس في قالب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله : —

” واخرجت الخوارج قتال الاثمة والخروج عليهم بالسيف في قالب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ^(١) فهو يختلف مع الاستيلاء ابو زهرة في تحليل ذلك الاندفاع الذي تميز به الخوارج ” .

وأيا كانت دوافع الخوارج في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد كانوا متحمسين فسي القيام به مستعملين في ذلك كل ما في امكانهم من قول وفعل فقد كانوا يستعملون — فصاحتهم وقوة بيانهم لاظهار معائب خصومهم واضحة امام الناس لاثارة مشاعرهم ضد هم وبالتالي لتسهيل الخروج المسلح عليهم بحجة انهم ظلمه جائرون مرتكبون لما حرم الله من معاص ومنكرات يجب عليهم تغييرها كما يفرضه عليهم الدين يصنفهم صاحب كتاب الأديان والفرق بأنهم : —

” أول من انكر المنكر على من عمل به وأول من ابصر الفتنة وعابها على أهلها لا يخافون في الله لومة لائم ^(٢) ” .

وهكذا فقد اعتبروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امرا جماعيا يجب على الكل القيام به في أي وقت وعلى أي حال كما يشهد بذلك فعلهم .

(١) غاية للبهان ج ٢ ص ٨١

(٢) كتاب الأديان ص ٩٢

والواقع ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ذكرنا من قبل — اصل من اصل الدين — مجمع على وجوبه بين الامة لما ورد من نصوص في كتاب الله وسنة نبيه توجب القيام به حفظا لكيان الامة من التردى في مسالك الرذيلة ونصحا للناس لئلا يصح المجتمع على اتفاق فيما بينهم على ارتكاب الجرائم وانتهاك الاعراض فتحل عليهم نقمة الله وغضبه ومن لطف الله ان جعل وجوبه على الكفاية اذا قام به من يكفى سقط عن الجميع وانه لم يكلف احدا بهداية احد بل اوجب تعالى اقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل نتيجة ذلك ^{التي} وحده لئلا يهين الشخص ويأس في استجابة الناس له فيترك فضيلة القيام بذلك الامر وقد يخدع الشيطان بعض الناس فيريه انه هو نفسه على محذور فكيف ينصح الاخرين وهذا من وساس الشيطان ومكائده التي يريد بها حصر كل انسان في نفسه فقط . لهذا فيجب على الشخص ان يدعو الى ذلك وان كان على تقصير في نفسه اذ الكمال لله وحده تعالى ولعل في نهيه لغيره ما يعود عليه بالخير فيرتدع عن كثير مما ينهى الناس عنه حياء من الله وقد يظن بعض الناس بان القيام بتلك المهمة انما يتولاها من كان من اهل السلطة فقط وهذا خطأ اذ ان الله لم يسند القيام به الى احد بخصوصه سواء كان حاكما او محكوما ^{اخراد} او جماعات فان كل واحد يتعين عليه القيام بما امر به من الاسلام لان هناك منكرات ظاهرة يعرفها كل شخص فلا يمدربترك الانكار حين يتعين عليه ذلك بحجة انه غير عالم .

وهناك منكرات قد تخفى على بعض الناس بحيث لم يتبين له الحكم فيها وهنا يسقط عنه وجوب تفسيره ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يسير على ما نهج رسل الله " ص " من طرق في ذلك حيث جعل لتغيير المنكر مراتب ودرجات واولها التغيير باليد وهو اجدى الطرق واحسنها فانه لم يتيسر ذلك انتقل الى الدرجة الثانية وهو التغيير باللسان فحسب اثر ذلك ام لم يثمر فان كان المجتمع قد تشبع

بحسب الفساد ووصل الحال الى حد لا يمكن معه الاصلاح باليد او باللسان انتقل الى اضعف الدرجات وهو الانكار بالقلب وهو وان كان ليس تفسيرا للمنكر الا أنه استعمار للمسؤولية وانكار على المفسدين حتى يشعروا بأنهم في عزلة عن المجتمع الاسلامي ولا بد ان يقلعوا عن فسادهم اذا ارادوا العودة الى مجتمعهم ومن ناحية اخرى فان في الانكار بالقلب ضمان لعدم تأثر الصالحين بفساد المفسدين •

وفيما يتعلق بمسلك الخوان في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء ما قدمنا من حدوده الشرعية فاننا نجد ان الخوان لا لوم عليهم في مناداتهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانما يلامون على ما تميزوا به من اندفاع وتهور في تفسير المنكر على اي حال دون النظر في عواقب الامور من تحقيق لمصلحة او دفع لمضرة ، فكانوا يمتشقون السيوف بمجرد ظهور اي مظلمة او ذنب مهما كان ولهذا فقد ارتكبوا في سبيل تحقيق ذلك افظع الجرائم واشنعها وارتكبوا من المنكرات في ازالة ما يرونه منكرا ما يزيد على اضعافه وجلبوا من المضار اكثر مما ارادوا النفع ، وهذا هو ما يبعد بهم عن هدى الاسلام في اقامة تلك القاعدة الجليلة •

الفصل السابع

رأى الخواج في التقية وموقفهم من القعدة

التقية :

١ - تمهيد :

ان الصراحة في القول والجهربما تنطوي عليه النفس دون مراعاة أحد
او الخوف منه سواء كان حاكما او محكوما يتمثل في اوضح صورته لدى الخواج فهم
يرون ان عدم الجهر بالقول الذي يعتقد الشخص حقا ليس من صفات الرجل الواثق
من عقيدته بل هو من صفات المنافقين المرتابين وقد كانت سيرتهم من الخرج والكفاح
مثلا واضحا ولذلك كما رأينا في تأريخنا لحركات الخواج الثورية وما ذكرناه من امثلة
شجاعتهم وصراحتهم في اعلان الخرج ، ولقد كان نافع بن الازرق اقوى معبر عن
ذلك بما ذهب اليه من تحريم التقية وما اقام على ذلك من أدلة وان كان هناك من
اجازها مطلقا من بعض فرق الخواج الاخرى مخالفة له في ذلك ومن توسط في امورها
كما سنبين ذلك فيما بعد ، ولقد كان الاختلاف في شأن التقية من الاسباب التي فرقت
بين نافع بن الازرق وعيم الازارقة وبين نجدة وعيم النجدات وهما من اوائل الخواج
واشد هم بأسا قال الشهرستاني مبينا سبب ذلك الاختلاف بينهما " وكان سبب
اختلافهما ان نافعا قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر " الى ان يقول
" وخالفه نجدة وقال التقية جائزة " (١) وعلى اساس اراء الخواج
المختلفة في التقية منع او تجوزا تختلف مواقفهم من القعدة منهم بين مخالفيهم
على سبيل التقية رفضا لسعودهم او اقرار لهم عليه . ولهذا ^{لأننا} ابداً فيما يلي ببيان رأى
الخواج في التقية قبل ان نحدد مواقفهم المختلفة من القعدة .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٥

٢ — آراء الخوارج في التقية :

آ : القول بعدم جواز التقية :

وهذا هو رأي الازارقة فقد كان نافع بن الازرق زعيمهم من اشد المبغضين لها ويرى انها تنافي وجوب الجهاد الذي فرضه الله على المسلمين لقوله : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " التوبة : ٣٦ اذ ان القائل بالتقية لا يمكن ان يندفع الى قتالهم ما دام يجد ملجأ في التقية والتالي فانه يضمف فيه ذلك العزم والصدق الذي اراده الله من المجاهد ولذلك فقد " برئوا من اهل التقية " (١) كما قال الاشعري والتالي فلا محل لها عندهم ولا منزلة لها بينهم سواء كانت في الاقوال او الافعال وقد عد الشهرستاني هذا القول من بدعهم وضاللتهم اى قولهم " ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل " (٢) ويقول احمد امين مقارنا بين الخوارج والشيعة في الاخذ بالتقية " على نكس الشيعة في القول بالتقية الخوارج فقالوا : لا تجوز التقية بحال من الاحوال ولو عرضت النفس والمال والمرض للاخطار وحياة الشيعة والخوارج السياسية مظهر من مظاهر قولهم في التقية فالخارجي يعلن الخروج على الامام في صراحة ولو كان وحده وخطره ولو كان في نفر قليل مهما بلغ عدوه من العدد " (٣)

وكلام احمد امين يصدق على الازارقة واصحاب الحركات الثورية من الخوارج وقد يصدق على غيرهم من الفرق الاخرى التي ترفض التقية وان لم يروى المؤرخون في ذلك عنهم شيئا بخلاف من يجيئون بالتقية كالنجيدات والصفرية والاباضية وغيرهم ممن سنعرض رأيهم في هذا الفصل .

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٣

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٢ ، البحرين في صدر الاسلام ص ١٢٨ .

(٣) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤٩

ب : القول بجواز التقية قولاً وعملاً :

وهو رأى النجدات ، قال الشهرستاني فيما يحكيه عن الكمبي " وحكى
الكمبي عن النجدات ان التقية جائزة في القول والعمل كله وان كان في قتل
النفوس " (١) وتحليل النجدات للتقية والرضى عن القعدة انما هولهم اما اهل
الذمة فانهم لا ينفعهم القول بالتقية بل يستحلون دماءهم واموالهم ومن لم يحرمها
فهو منهم في منزلة البراءة وفي هذا يقول الاشعري عنهم " وحكى عنهم انهم
استحلوا دماء اهل المقام واموالهم في دار التقية ورثوا من حرمها " (٢)
يقول الشهرستاني " واستحل نجدة بن عامر دماء اهل المهدي
والذمة واموالهم في حال التقية وحكم بالبراءة من حرمها " (٣) وهذا بخلاف
ما عرف عن الخوارج من تسامح مع اهل الذمة وتواصيهم بهم خيراً في انفسهم
واموالهم كما اشتهرت بذلك اكثر فرقهم ومن القائلين بجوازها من الخوارج ايضاً
ابو بلال مرداس ، الشخصية المثالية المحبوب لدى كل فرقهم وتبين تجوزها لها
من موقفاً مع البلجاء المرأة الخارجية المشهورة بمواقفها العنيدة من ابن زياد فقد
قال لها ابو بلال مشفقاً عليها من بطش ابن زياد " ان الله قد وسع على المؤمنين
التقية فاستترى فان هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك " (٤) .
ومن اجازها ايضاً من الفرق الاخرى الاباضية فهي جائزة يل قد
تكون واجبة كما يظهر من الاحاديث التي ذكرها الربيع بن حبيب في مسنده ،
قال الربيع ابن حبيب :

" باب ما جاء في التقية " ثم اورد الحديث الاتي : " قال جابر

سئل ابن عباس عن التقية فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع الله عن امتي

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤ ، البحرين في صدر الاسلام ص ١٢٨ .

(٢) المقالات ج ١ ص ١٧٥

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٤

(٤) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٤

الخطأ والنسيان وما لم يستطيعوا ما اكرهه عليه " قال " وقال ابن مسعود " ما من كلمة تدفع عنى ضمي سوطين الا تكلمت بها وليس الرجل على نفسه بأمن اذا هرب او عذب او حبس او قيد " (١) اى وهو يجد خلاصا في الاخذ بالتقية .

ج : القول بجواز التقية القولية دون العملية :

وهو قول الصغرية الذين توسطوا بين الازارقة والتجدات حيث اجازوا التقية في الاقوال لا في الاعمال حبا ذكر الشهرستاني عنهم ذلك بقوله " وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل " (٢) بل تختلف الاحكام عندهم في حال التقية عنها في حال العلانية فقد جوز الضحاك وهو من الصغرية التزج في حال التقية من مخالفهم ومنعها في دار العلانية والخلية لهم ويختلف ايضا تنظيم الزكاة وسهامها في دار التقية فقد جعلها زياد بن الاصغر سهما واحدا في حال التقية كما يذكر ذلك الشهرستاني ايضا في قوله " ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قوسهم في دار التقية دون دار العلانية ورأى زياد بن الاصغر جميع الصدقات سهما واحدا في حال التقية " (٣) وقد اخذ تبهذا الرأي المعبدية جماعة معبد بن عبد الرحمن ، اى في جواز ان تصير سهام الصدقات سهما واحدا في حال التقية (٤) .

د : ادلة المانعين للتقية :

استدل نافع على تحريم التقية بآيات من القرآن الكريم وردت في الاصل اما في المشركين اى مشوكى العرب وغيرهم واما في المنافقين ولكن نافعا جملا حكمها شاملا لمخالفيه من اهل القبلة ومنطبقا عليهم فاستدل على منع التقية بقوله تعالى " وقاتلوا المشركين كافة " وما جاء في امر الله المؤمنين بالجهاد

(١) مسند الربيع بن حبيب ج ٣ ص ١٢

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٢ .

على ما تيسر من حال بعد ان قطع المذر في التخلف فقال " انفروا خفافا
وشقالا " اى ان الله امر بقتل المشركين امرا عاما دون استثناء لحال من الاحوال
يجوز فيه القعود عن قتالهم على سبيل التقية •

واستدل ايضا بقوله تعالى " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير
اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله " وذلك ان الله تعالى وان كان قد
عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لملـ
الا انه فضل مع ذلك المجاهدين وأخبر انهم لا يستوون عنده في الثواب (١) مع
غيرهم من اصحاب الاعذار ومنهم القاعدون عن القتال تقية وقد استدل نافع
كذلك على تحريم التقية بما وصف الله به القعدة في قوله تعالى " وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله " التوبة : ١٠ / اى ان القعود عنده من صفات المكذبيين
لله ورسوله وهم غير المؤمنين •

واستدل ايضا بان الله قد ذم الذين يخشون غيره من الناس او تكون
خشيتهم من الناس اشد من خشيته من الله و هو من لوازم لافقات اهل التقية وذلك
في قوله تعالى : " اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية "
ثم مدح تعالى نقيض هؤلاء وهم المجاهدون الذين لا يبالون بغيرهم فقال
تعالى " يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " (٢)
هـ : ادلة القائلين بجواز التقية :

وقد استدل نجدة على جواز التقية بقوله تعالى " لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء "
الا ان تتقوا منهم تقاة وحذركم الله نفسه والى الله المصير * آل عمران : ٢٨

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٢٩

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٥ ، العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٧

وم قوله تعالى * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه * غافر: ٢٨

وم قوله تعالى * ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله * وم قوله تعالى * لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما * النساء: ٩٥

فقال ان الله قد جعلهم قعدة كما صرحت الآية بذلك مؤمنين وان كان قد فضل عليهم المجاهدين فانه ليس دليل على تحريمها ان لو كانت محرمة لما سماهم مؤمنين ولما كانت مفاضلة بينهم ولعل هذا التوجيه للآية أولى من استدلال نافع بها على تحريم التقية كما قدمنا (١).

وهيما يتعلق بأقوال السلف في التقية فهي مختلفة فمنهم من يجيزها على ظاهر قوله تعالى * الا ان تتقوا منهم تقاة * ولا يرى بها باطلا ما دامت الغلبة للكفار حيث لا ينجى صاحب التقية منهم الا اظهار ولائه لهم وموافقته اياهم في الظاهر.

ومعظمهم قال ان التقية لا تجوز خصوصا بعد ان اعز الله الاسلام وانتشر بين الناس وسار المسلمون اهل قوة ومنعة وفي هذا يقول الشوكاني بعد ايراد الآية * الا ان تتقوا منهم تقاة * وفي ذلك دليل على جواز الموالاة لهم مع الخوف منهم ولكنها تكون ظاهرا لا باطنا وخالف في ذلك قوم من السلف فقالوا لا تقية بعد ان اعز الله الاسلام (٢) والذين اجازوها من السلف يرون انها لا تكون الا باللسان فقط لا يتعدى حكمها الى العمل بحال كما نقل ذلك عنهم ابن جرير في تفسيره (٣).

(١) انظر الكامل للبرد ج ٢ ص ١٧٧ وانظر شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٣٦/١٣٧.

(٢) فتح القدير ج ١ ص ٣٣١.

(٣) تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٢٨/٢٢٩.

فقد استشهد بأقوال عدد من العلماء كلهم لا يجيز في التقيس
الا القول باللسان مع اضرار عداوة الكفار وهكذا السيوطي رحمه الله فقد اورد
عدة روايات في حكم التقية وانها لا تكون الا باللسان فقط عندما تقتضى الضرورة
ذلك (١) .

٣ - موقف الخواج من القعدة :

اختلف موقف الخواج تجاه القعدة وتباينت اقوالهم فكانوا فيهم على

رأين :

أ : الرأي الاول :

هو اعتبار القعدة من اهل البراءة وانهم كفار كخالفيهم من بقية الناس
وهذا الرأي قد ذهب اليه الازارقة وعلى رأسهم نافع بن الازرق وهو من احداثه
التي عدد ها الاشعري في قوله عنه * والذي احدثه البراءة من القعدة والمحنة
لمن قصد عسكره وكفار من لم يهاجر اليه * (٢) وقد جاء في كتابه اهل البصرة
الذين عابهم فيه بالقمود بين مخالفيهم الظالمين غير ملتفتين الى ما يناديهم
به القرآن الكريم من آيات تحثهم على الخرج وعلى وجوب جهاد مخالفيهم وتندم
القمود جاء في هذا الكتاب قوله لهم * والله انكم لتعلمون ان الشيعة واحدة
والدين واحد فقيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد تدبكم
الله الى الجهاد فقال * وقاتلوا المشركين كافة * ولم يجعل لكم في التخلف عذرا
في حال من الحال فقال * انفروا خفافا وثقالا * وانا عذر الضمفاء والمرضى
والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعملة ثم فضل عليهم مع ذلك
المجاهدين فقال * لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٦ .

(٢) المقالات ج ١ ص ١٦٩ .

في سبيل الله * (١)

وقد اشتد عنف الازارقة على القعدة فاجتمعوا على انهم مشركون وان كانوا من موافقيهم في الرأي يقول البغدادي * ومنها — يعني من بدع الازارقة — قولهم ان القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة اليهم مشركون وان كانوا على رأيهم * (٢) وهكذا عند الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي وابن الاثير وغيرهم من علماء الفرق والتاريخ .

ب : الرأي الثاني :

هو القول بان القعدة غير كفار ولا مشركين وان القعود ليس فيهم — بأس ما دام الشخص على عقيدة راسخة وولاء تام وكره لمخالفيهم وعلى هذا بعض فرق الخوارج وهم هولاء النجدات وهم من قدما الخوارج فقد رأوا ان القعود بين — المخالفين تحت ستار التقية أم لا غبار عليه حتى ولو بلغت التقية قتل من هم على رأيهم تنفيذ الأمر مخالفيهم المقيمين معهم * ولقد كان قول نافع باكار القعدة سببا في رجوع نجدة عن الانضمام اليه وذلك انه قد اراد اللحاق بعسكر نافع للانضمام اليه ولكنه في اثناء الطريق لقيه جماعة من اصحاب نافع الذين كانوا في جيشه فاخبروه بأن نافعا قد ابتدع بدعا منكرا ومنها تكفيره للقعدة وانهم خرجوا عنه بسبب ما احدث من احداث وكان من بين هولاء ابو غزيك عطية الحنفى وراشد الطويل ومقلاص وايوب الازرق وغيرهم ثم ثلوا نجدة عن عزمه ورجع الى اليمامة ناقما على نافع تلك الاحداث ومنها تكفيره القعدة وقد اشتد في خلافه مع نافع في هذه المسألة فاعتبر القول باكار القعدة كفرا من قائله يقول البغدادي عن النجدات * وكفروا من قال باكار القعدة منهم عن الهجرة اليهم * (٣)

(١) الكامل ج ٢ ص ١٧٩

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٣ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ ، الكامل لابن الاثير

ج ٤ ص ١٦٧ ، الفصل ج ٤ ص ١٨٩

(٣) الفرق بين الفرق ص ٨٧

يقول الشهرستاني في هذا حاكيا عن الكعبي * وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية جائزة في القول والعمل كله وان كان في قتل النصوص * (١) .
وقد جاء في كتاب نجدة الذي وجهه الى نافع عتاب شديد له بسبب تكفيره
القعدة يقول فيه * واكثر الذين عذرهم الله في كتابه من قعدة المسلمين
وضعتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق * ليس على الضعفاء ولا على
المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم ساهم
باحسن الاسماء فقال * ما على المحسنين من بيل * الخ . .

فلما قرأ نافع كتاب نجدة اجاب عن كل مسألة فيه اما بخصوص القعدة
فقد قال مدافعا عن رأيه * ربيت علي * ما دنت به من اكفار القعدة وقتل الاطفال
واستحلال الامانة وسأفسرك لم ذلك ان شاء الله ، اما هؤلاء القعدة فليسوا بمن
ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين
محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا
وهؤلاء قد فقهوا في الدين وقرأوا القرآن والطريق لهم ينهج واضح وقد عرفت
ما يقول الله فيمن كان مثلهم اذ قال * ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم
قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واصمة
فتهاجروا فيها * وقال رفرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله * وقال وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله رسوله * فخير بتمذيرهم
وانهم كذبوا الله ورسوله * وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم فانظر
الى اسماهم وسماتهم * (٢) . وهكذا تبين موقف الازارقة والنجدات في القعدة .
ولكن نجد بعض العلماء يذكر عن النجدات خلاف ما تقدم فالأشعري
يذكر عنهم قولهم ان * من ثقل عن هجرتهم فهو منافق * (٣) .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٤

(٢) انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٦-٣٩٨

(٣) المقالات ج ١ ص ١٧٥

ويقول ابن حزم عنهم كذلك * وقالوا من ضعف عن الهجرة الى
هكروهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم * (١) فهناك حكمان الاول هو
تجوزهم القعود على سبيل التقية والثاني الذي يذكره الاشعري وابن حزم هنا
أنهم يرون ان من ضعف عن الهجرة اليهم فهو منافق وهذا يشير الى انهم يحرمون
القعود باعتباره نفاقا مع العلم بأن قعود المستضعف لا يكون الا تقية ، والتقية
عند النجدات جائزة لا شي فيها فهل هم يجيزون التقية ويحرمون القعود على سبيل
التقية وهذا تناقض ، وهو خلاف المشهور عنهم من تجوزهم القعود والتقية ، وقد
سبق القول — كما ذكرنا آنفا — انهم لا يرون بالقعود بأسا بل انهم يعتبرون
من يكفر القاعد عن الهجرة اليهم كافرا ، وذلك يتضح ان الحكم الاول اولى بالقبول
عن النجدات لكثرة روايته عنهم وشهرتهم به واتساقه مع مذهبهم في القول بالتقية
بخلاف رواية الاشعري وابن حزم التي تتناقض مع قولهم هذا وهو تجوز التقية
بالاضافة الى ان ما ذكر على لسان نجدة في امر القعدة في خطابه الى نافع
بن الازرق لا ينبغي ان يقابل برواية اخرى تخالفه .

أما العنيفة من البيهسية فقد أجازت القعود كالنجدات ورأت انه لا بأس
به الا لمن قد هاجر او خرج مهاجرا فانهم اختلفوا فيه على فرقتين * فرقة تقول
من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد الى حال القعود نبرى منهم وفرقة
تقول لا نبرى منهم لأنهم رجعوا الى أمر كان حلالا لهم * (٢) وهذا نص
الاشعري ومثله البغدادي والشهرستاني وقد أجازت القعود فرقة المملوكية أيضا
فتولوا القعدة قال البغدادي * وهذه الفرقة — يعني المملوكية — تدعى امامة
من كان على دينها وخرج بسيفه على اعدائه من غير براءة منهم عن القعود عنهم * (٣)

(١) الفصل ج ٤ ص ١٩٠

(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٢ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٩ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٦

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩٧ .

أما الصغرية فانهم لم يكفروا القعدة اذا كانوا من موافقيهم يقول الشهرستاني
عنهم " انهم لم يكفروا القعدة عن القتالي اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد " (١)
بل غالوا في تجهيزها حتى صار علمتهم قعدا كما يذكر المبرد . (٢)

وهكذا المجاردة فانهم قد اعتبروا القعدة المعروفين بحب الدين
والتمسك من اهل ولايتهم وان كانوا مقيمين بين مخالفينهم الا انهم فضلوا الهجرة
اليهم ولم يجوبوها كالازارقة فهم " يتولون القعدة اذا عرفوهم بالديانة ويرون —
الهجرة فضيلة لا فريضة " وهذا القول موافق لما تقوله الاباضية في هذا الباب كما
يقول صاحب كتاب الاديان الاباض (٣) .

ولعل موقف اصحاب هذا الرأي الاخير من القعدة اكثر تسامحا من موقف
الازارقة المتشدد الى درجة الغلو حتى مع من هم على مثل رأيهم بمجرد وجودهم
مع اخوانهم من عامة المسلمين .

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) الكامل ج ٢ ص ١٨٠ .

(٣) كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤ .

الفصل الثامن

"موقف الخوارج من مخالفيهم"

١ - تمهيد في الولاية والبراءة عند الخوارج :

الحب في الله والبغض في الله والولاية لأولياء الله والبراءة من أعداء الله هذه مبادئ إسلامية مقررة لمعلى أساس تقريرها والالتزام بها يتحدد موقف المسلم من غيره تولياً أو تبزيراً ، والخوارج بصفة عامة يلتزمون بهذا المبدأ ولكنهم ينحرفون في تطبيقه على مخالفيهم من المسلمين فيعتبرون منهم ولا يتولون إلا أنفسهم فعلى أساس ضرورة الالتزام بمبدأ الولاية والبراءة يزن الخوارج أعمال مخالفيهم فيحددون موقفهم منهم وآراءهم فيهم ، وإن كانوا - كما قلنا - ينحرفون في نظرتهم إلى غيرهم وما ينبني عليها من أحكام .

ونحب قبل أن نحدد رأى الخوارج في مخالفيهم وموقفهم منهم أن نقدم هذه الكلمة عن مبدأ الولاية والبراءة في نظر الخوارج بصفة عامة والاباضية بصفة خاصة حيث عنيت مصادر هؤلاء ببيان حقيقتها وأهميتها ووجوبها والشرائط الموجبة لها والادلة الشرعية على ذلك كله .

يقول المبرد " والخوارج في جميع اصنافها تهاون من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة " (١) ومعروف أن الخوارج يعتبرون كل من سواهم من اصحاب المعاصي الظاهرة .

والولاية والبراءة عند الاباضية تأتي في الاهمية بعد التوحيد ، فمن لم يوال او يعاد فانه لا دين له ، إذ ان صاحب الدين لا بد ان يكون على أحد أمرين اما مواليا لأولياء الله فهو مؤمن او مبغضاً لهم فهو غير مؤمن .

ونوجز الحديث عنهم بما تدعوا اليه الحاجة في هذا المقام مستغنيين

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٦

عن تفصيلاتهم الكثيرة في هذا الموضوع •

فقد عرف الجيطالى الولاية بقوله : والولاية في الشريعة : ايجاب -
الترحم والاستغفار للمسلمين (١) •

وعرفها النفوس الاباضى بقوله :

فان قيل ما معنى الولاية قل دعاؤك بالغفران والحب بالضمن (٢)

ويستشهد الجيطالى على تفسيره للولاية والبراءة ووجهيهما من القرآن بقوله -
تعالى * واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات * محمد ١٩

ومن السنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن مسعود : يا بن مسعود
اى عرى الاسلام اثق ؟ قال الله ورسوله اعلم قال الولاية في الله والبغض
في الله * (٣)

ويستشهد الاباضية كذلك على وجهها بما روى عن ابن عمر انه قيل
له : ان فلانا يقرئك السلام فقال رضى الله عنه * لقد بلغنى انه يقول بالقدر
فاذا كان باقيا على شي من ذلك فلا تبلغه عنى السلام * وما روى ايضا
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال : * من رأينا منه خيرا وظننا فيه خيرا
قلنا فيه خيرا وتوليناه ، ومن رأينا فيه شرا وظننا فيه شرا قلنا فيه شرا وتبرأنا
منه * ومقوله صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله
فقد استكمل الايمان * وكذلك قوله تعالى : * لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله * (٤) المجادلة : ٢٢ •

والولاية في الله والبراءة في الله كذلك تتمثل فيها حقيقة الايمان بقول
الجيطالى في ذلك * وكذلك عند اصحابنا رحمهم الله الولاية في الله والبغض فى

(١) قواعد الاسلام ص ٤٥

(٢) متن النونية في عقيدة التوحيد ص ١١

(٣) قواعد الاسلام ص ٤٥

(٤) انظر الاباضية في موكب التاريخ ص ٨٦/٨٧

الله هي حقيقة الايمان فمن لم يدن بها فلا دين له ولا ولاية له عندهم ^(١) ومن ثم كانت الولاية والبراءة من اوجب الواجبات بعد التوحيد يقول النفوس :

وما يلي التوحيد في الضيق فرضه براءة موسى مع ولاية محسن
(٢) فمن لم يوالى او يعادى فانه من الدين صغر الكف واهى التدين
وتجب معرفة الولاية والبراءة عندهم عند بلوغ الشخص سن التكليف فحينئذ لا عذر
لمن يجهلها وتكون في حقه " فريضة مضيقة من لم يعتقد فرضيتها فهو
مشارك ^(٣) وجب على المكلف القيام بولايتين ، ولاية جملة وهي باتفاق الامة ،
ولاية اشخاص وهذه فيها خلاف عندهم وفي هذا يقول الجبالي " فليس
بين الامة اختلاف في ولاية الجملة وانما الاختلاف بينهم في ولاية الاشخاص ^(٤)
وفي ذلك يقرر قطب الائمة ان ولاية الجملة ومراعاتها فرض على كل مسلم
بنص الكتاب والسنة والاجماع ، ولا يوجد خلاف الا في ولاية الاشخاص ومراعاتها
هل هي واجبة ام غير واجبة ثم يرجح انها واجبة بخلاف غيرهم فانه لم يوجبها
موضح هذا بقوله " ولاية الجملة ومراعاتها فريضتان بالكتاب والسنة والاجماع
على كل مكلف عند بلوغه ان قامت عليه الحجة " ثم قال " واما ولاية الاشخاص
ومراعاتها فواجبتان قياسا عليهما ولو ورد احاديث في حب الاخوان في الله وسدح
حبهم في القرآن ^(٥) وقسم الاباضية الولاية الى اقسام :

- ١ - ولاية الجملة : ورعايتها بالانبياء والرسل واصحاب الكهف واصحاب الاخدود
والسحرة وامثالهم .
- ٢ - ولاية الافراد : وهذه تنقسم الى قسمين مسمى كآدم وغير مسمى كمومن
آل فرعون وامثالهما .

(١) انظر قواعد الاسلام ص ٤٥

(٢) متن النونية ص ١١

(٣) قواعد الاسلام ص ٤٥

(٤) المصدر السابق ص ٤٥

(٥) الاباضية في موكب التاريخ ص ٨٤ نقلا عن الشامل . لا ياكور

٣ — ولاية الذكور وهم نوحان الانبياء والأولياء.

٤ — ولاية الاناث وهى نوحان ايضا مسميات كرم بنت عمران وغير مسميات كامرأة فرعون وامثالها .

وهذه الاقسام هى التي وردت في القرآن للاولياء الموصفين بالمعصية والاصطفاء كما قال الجيظالى .

٥ — ولاية البيضة : أى ولاية الامام العادل الذي لم يظهر منه ما يخل باسلامه في اقواله وافعاله .

٦ — ولاية الخارج من الشرك الى الاسلام وتكون عندما يدخل المشرك في الاسلام وترك اقتراف المعاصي .

٧ — ولاية الخارج من مذهب مخالفهم الى مذهب أهل الخاق (اى الاباضية) وهذا لا يخلو اما ان يكون من المتدينين سابقا او من غير المتدينين ، فاذا كان من غير المتدينين فيكفى لولايتة توبته ورجوعه الى المسلمين واما ان كان من المتدينين فقد اشقوه باجتيازه شروط وامتحان عسير لولايتة يقول الجيظالى : " فالمتدين تكون ولايتة حتى يرجع من مقالته الى مقالة المسلمين قصدا وايضا يعدد أخطاؤه " ويتوب منها ومعترف فيها بالخطأ واحدة بعد أخرى " (١) .

وكأن هذه الشروط وضعت للمتدين حتى لا يرجع الى تدينه القديم على مذهب مخالفهم الذى تاب منه ودخل في المذهب الاباضى معترفا بخطئه فيما سلف .

وليست الولاية في الله لأى انسان اتفق بل لا بد فيها من شروط دينية

دقيقة اذا توفرت في شخص ما حقه الولاية وفي هذا يقول السالى :

ثم الولاية توحيدا تكون واخرى طاعة ان شرطها حصول كذا البراءة
والشوط الذي وجبت به الولاية ان تلفيه مثلا (١) . ومن شروط الاباضية
التي يشترطونها في من يكون اهلا للولاية :

- ١ - ان يظهر حلية وحالة ترضاها العين .
- ٢ - ان ينقل عنه الرضا في الدين قولاً وعملاً .
- ٣ - سكن القلب الى ما تؤمى اليه الحواس لقوله صلى الله عليه وسلم
استفت قلبك يقول ابوراس انه يجمعها قول الشيخ ابي نصر
احد علمائهم ، اذا رضيت اذن وعين بما رأيت : ووافق في دين
الاله المهيمن (٢)

ومنا على ما قدمنا من حقيقة الولاية ووجوبها وشروطها يتحدد - كما
قلنا - موقف الخوارج من مخالفهم حسبما تعرضه فيما يأتي :

٢ - موقفهم من الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة رضوان الله عليهم :

١ - موقفهم من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم :

لا يعترف الخوارج بالامامة الكاملة لاحد من الصحابة الا بامامة ابي بكر
وعمر رضى الله عنهما امامة شرعية لا شك في صحتها ولا ريب في شرعيتها وانها
كانت برضى المؤمنين ورجعتهم وقد سارا على الطريق المستقيم الذي امر الله به
لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله على ما يرضى الله من العمل الصالح والنصح
للرعية وهذا حق فلقد كانا رضى الله عنهما كذلك لا يشك في ذلك الا هالك
ولقد كان موقف الخوارج ازاءهما موقفا .

ثم بعد وفاتهما انتخبت الامة خليفتين آخرين هلك فيهما الخوارج -

(١) غاية المراد ص ١١

(٢) غاية المراد ص ١٢

وخرجوا عن الحق والصواب في تقديرهم لهما ولم يوفقوا في القول فيهما واكتسروا من الافتراءات الكاذبة عليهما ووصفوهما بما كرمهما الله عنه وقد بلغ بعضهم في بغضهم الى المغالاة التي تؤدي الى الكفر الصريح ، وفي هذا يقول الأعمش " والخوارج بأسرها يشبهون امامة ابي بكر وهم ، وينكرون امامة عثمان - رضوان الله عليهم - في وقت الاحداث التي نقم عليه من اجلها ، ويقولون بامامة علي قبل ان يحكم وينكرون امامته لما اجاب الى التحكيم " (١)

ويقول ج مج لوريير " وقد وافقوا السنة في اعتبار ابي بكر وهم من الخلفاء المنتخبين والتالي فهما جديران بالاحترام ولكنهم اختلفوا مع السنة والشريعة في رفضهم لباقي الخلفاء واعتبارهم مفتصبين " (٢)

بل يذكر الجيلاني ان الخوارج انكرت امامة علي مطلقا (٣) " ولعل هذا كان رأيا لبعض المتأخرين من غلاة الخوارج " (٤) كما قال الطالبي في اعتذاره عن مخالفة الجيلاني هذه .

اما فيلة يتعلق بموقفهم من عثمان رضي الله عنه - وهو موقف كما قلنا في غاية الخطأ والبعد عن الحق - فنحن لا نذكره عنهم افتراء بل ننقله من كتبهم ومن أهمها كتاب " كشف القصة الجامع لخبار الامة " فان قارئه يحس انه امام خصم عنيد لا يتورع عن اتهم خصه واقامة الحجة عليه بأي قول كان وسنورد من اقواله ما يبين صحة ما قدمنا فمنا قوله ^{له} بأنه اشد فتنة من الرجال وذلك حسب روايته التي اختلقها على لسان ابن مسعود رضي الله عنه فيقول " ولغنىنا انه - يعني ابن مسعود - ذكره - اي ذكر عثمان - حديثا قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم وفيهم عثمان وهذا الله وكانوا يتذاكرون الدجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيكم من هو اشد على امتي من الدجال واعظم فتنة

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤

(٢) دليل الخليلج ص ٣٤٠٤ ج ٦

(٣) المنية ص ٧٧

(٤) آراء الخوارج ص ١٢٨

فقال ابن مسعود افلان يا رسول الله قال لا قال افلان قال لا حتى استكملهم ولم يبق الا هو وثمان وفي كلهم يقول النبي لا قال ابن مسعود لعثمان اما هذا فهذا آخرايا من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة وانت صاحبها يا عثمان * (١) فهذه روايته عن ابن مسعود المقتناة التي يكذبها شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بالجنة وكذبها حب الرسول له وتاريخه فـ صلى نصره الاسلام .

اما روايته عن عائشة فيقول فيها * " قلت عائشة رضى الله عنها ما رأيت شيئا أقر على نفسه بمثل ما أقر عثمان وخرجت بصحف كان معها وقالت اشهد بالله بأن عثمان كفر بما في هذا المصحف " فهل تشهد عائشة ^{عليها} بالكفر المستوجب للنار في مقابلة شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالجنة وثناؤه عليه في كثير من المناسبات ثم ينقل بعد تلك الأقوال قولاً للمقداد بن الأسود يحذر فيه الصحابة من تولية عثمان لأنه لم يشهد بيعة الرضوان وفريوم احد فقال " واقبل المقداد بن الأسود الكندي فنادى بهم الله وقال لا تولوا امركم رجلا لم يشهد بيعة الرضوان وفريوم الاحد يعنى عثمان بن عفان " فهل يعقل ان يقف الصحابي الجليل من صحابي مثله هذا الموقف وهو يعرف قدره ومنزلته بين المسلمين وهل يعميره بعدم حضوره بيعة الرضوان وقد بايع بيعة غبطة عليها جميع المسلمين فقد بايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ضرب بيمينه على شماله وقال هذه عن عثمان وقد كان غياب عثمان في انهل وأشرف مهمة وهى الوساطة للصالح بين الرسول وقريش واما قراره يوم احد فما كان ليعميره بما عفى الله عنه وهو يتلووه في كل حين .

ثم يلمزه المؤلف باللقب الذي سماه به خصومه وضيّف هذا اللقب
الى المسلمين عموما وهو اللقب الذي كان يكرهه عثمان وتبرأ منه ^{وقد اتفق المؤلف}
ولقبه المسلمون نعتا ^{لا حين} احداث الاحداث وقد
افترى عليه فزعّم انه عطل الحدود واستعمل السفها من قرابته وحرّق كتاب الله وولّى
الوليد بن عقبة ابن ابي معيط وهو من افسد اهل زمانه على الكوفة وارتقى المنبر
في موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يقول " وتجبر وتكبر ف قيل انه كان
يمر بخياله وجنوده على بيت عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها فتخرج قبيصة
رسول الله فتقول يا عثمان هذه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبلى
وسنته قد بليت فيقول لها اسكتي يا حميرا والا سلطت عليك من لا يرحمك " الى
آخر ما قاله من سباب وخدش يطول نقله نشرنا ونظما •

وهذه الافتراءات لا تقل عن افتراءه على علي بن ابي طالب بأنه كان في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس عليه سلاحه وشله طلحة بن عبيد الله
ورد على الذين يقولون بأن علي بن ابي طالب غير راض بقتله بأنهم على خطأ
وجاء في كتاب الكفاية قوله :

" فان قال ما قولكم في عثمان بن عفان ؟ قلنا له في منزلة البراءة
عنه المسلمين " ثم يورد كلاما فارغا واحتجاجا محجوجا على ان عثمان يستحق ان يكون
في منزلة البراءة عندهم (١) ومثل ما تقدم في كشف الغمة نجده في كتاب الاديان الا
أنه زاد عليه فذكر موقف الامة تجاه قتله وانهم انقسموا فيه الى ثلاث فـرق
فرقة قتلت وفرقة وقتت عنه وفرقة طالبت بدمه ثم يبين موقف هذه الفرق بقوله
المفتري : " فالفرقة القاتلة له فعلي بن ابي طالب واصحابه من اهل المدينة -
والمهاجرون والانصار " وهذا كلام ظاهر الافتراء اذ ان القاتلين له هم
أهل الاهواء الذين جاؤوا من مصر والمراق واجتمعوا في المدينة وغلّبوا اهلها
على امرهم وأخافوهم خوفا شديدا وكانت لهم السيطرة الفعلية فيها حتى تولى الامام

(١) انظر لمزيد التفصيل كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ص ٢٦٥ - ٣٠٤

علي وذكر أن " الفرقة الواقعة عند سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد والفرقة الطالبة بدمه فطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن أبي سفيان " وعد هذا البيان للأشخاص من كل فرقة باسم مختلق يناسب ميول الخوارج تجاه عثمان فيقول :

" فسميت الفرقة الأولى وهي القاتلة أهل الاستقامة والفرقة الواقعة الشكاك والفرقة الطالبة بدمه العثمانية " (١) وكما تقدم نجد مثله عند الموارجلاني (٢) لقوى موقفهم من خلفاء المسلمين الراشدين الذين توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض الذين اتبعوه في ساعة العسرة والذين لم ياتفق من بعدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ ملأهم ولا نصيفه ، وقد وصفوا عثمان رضي الله عنه بأوصاف يخيل فيها للسامع أنه إمام إمبراطور عنيد لم يدخل الإسلام قرارة نفسه ولقد رداً قوله تعالى : " وللذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا " — الحشر : ١٠ فاعتبروا خيرة السلف الذين قاموا بالإسلام بفضل الله ثم بجهادهم في منزلة البراءة ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد جاء في كتاب عبد الله بن أبي حنيفة ذكرهم كثيرة وجهها إلى عثمان ثم قال بعدها " فلو أردنا أن نجرك بكثير من مظالم عثمان لم نحصها إلا ما شاء الله ، وكل ما عددت لك بعمل عثمان يكفر الرجل أن يعمل ببعض هذا وكان من عمل عثمان أنه لم يحكم بما أنزل الله وخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم والخليفين الصالحين أبا بكر وعمر " (٣) فهل يتصور أن يترك عثمان الحكم بما أنزل الله وحكم صحابة رسول الله بخيره ، ولماذا لم يبين ابن أبي حنيفة قانون حكم أن كان ما زعمه صحيحاً .

ولولا إرادة إثبات موقف الخوارج عموماً والاباضية خصوصاً من عثمان لما

(١) قطعة من كتاب الأديان ص ٢٦ — ٢٧

(٢) انظر كتاب الدليل لأهل العقول للموارجلاني ص ٢٧/٢٨

(٣) انظر كشف الغمة ص ٢٨٩ — ٢٩٥ وانظر الدليل لأهل العقول ص ٢٧/٢٨

كان هناك ما يدعو الى ذكر تلك المفتريات الكاذبة •

والواقع ان موقف الخوارج من عثمان موقف خاطي، فعثمان رضى الله عنه كان من السابقين الاولين الى الاسلام الذين مدحهم الله في كتابه واشنئى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الذين جاهدوا مع رسول الله في غزواته لاعلاء كلمة الله وكان على غاية من الكرم والاحسان وقد زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم بابنتيه واهم من هذا كله فقد شهد له الرسول بالجنة وشهر بها وهو حتى يمشى على الارض وله مناقب عديدة مشهورة ولا يقع فيه بالذم او التقبيح الا من سفه نفسه وهو أشهر من ان يمدح ولقد صدق عليه قول الشاعر :

واذا انتك مذمتى من ناقص فهي الشهادة لي بأنى كامل

ولقد امتحن الله هؤلاء الناقصين بذهمه ليهوانهم عليه لما فى قلوبهم من الجفاء والغلظة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

واما فيما يتعلق بموقف الخوارج من الامام على رضى الله عنه فقصده اعترفوا بأنه خليفة شرعى الى ان حكم ومن هنا خرج عن الصراط المستقيم في نظرهم ولم يعد خليفة للمسلمين ولا سمع ولا طاعة له على احد لأنه حكم البشر في كتاب الله فكفر — كما زعموا — •

وكما كان عثمان في منزلة البراءة عندهم كان على مثله ايضا في منزلة

البراءة كما ذكر صاحب كتاب كنف الخمة تحت عنوان " فصل من كتاب الكفاية " قوله " فان قال ما تقولون في علي بن ابي طالب قلنا له ان عليا مع المسلمين في — منزلة البراءة " (١) ثم ذكر الاسباب التي توجب البراءة منه وهي تركه حرب معاوية والتحكيم وقتاله اهل النهروان ، ويؤم انه كان يضع الاحاديث لمصلحته وذلك حين يورد المحاوراة الاتية بين علي وابن عباس وما نتج عنها بقوله " ثم ان عليا ندم على قتل اهل النهروان وقال لابن عباس ما صنعنا قتلنا خيارنا وقراءنا وظهر

للناس الندامة فأتوه وقالوا كأنهم يحتاجونه امرئنا يقتلهم ثم تقدم فانك مقتول
ففزع من هذا فأخذ في تسكين أصحابه بالكذب فقال لولا ان تنظروا (؟) -
لأحدثكم بما جعل لكم من المخرج على لسان نبيه اذ قال سيخرج من بعدى قوم
صعاب شبابهم قصارى شأنهم يمروون من الدين كمروق السهم من الرمية *
فالمؤلف يزعم ان هذا الحديث - وهو من احاديث المروق الصحيحة - يؤسـم
أنه من وضع علي بن ابي طالب ارضاء للعامة *

وما جراه هذا الافتراء الا سوء معتقده وعدم معرفته بقدر الصحابة
وورعهم فيظن انهم يقولون على رسول الله لمصلحتهم الشخصية وحاشاهم من ذلك
وكذا قوله * وان عليا قال ان في قتلاهم - يعنى أهل النهروان - عطفانا
وهو يعنى به الورع الناسك * - يشير الى ذى الثدية حيث قال بعد اطر -
* فلما تذكر من ثدى الرجل ذكره قال له ابنه يا ابيت ذلك مولا (؟) تأمله
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسكتيا بنى ان الجواب خدعة
ففتح لاصحابه ابواب الكذب فاتخذوها خلقا * * فهل يعتقد مسلم يعرف قدر
الصحابة ان عليا سيبلغ الى هذا الحد الذى لا يجروا عليه الا من قل حظه
من الدين ولا يبالى بالكذب ووضع الاحاديث ؟

ولكن نجد اماما آخر من أئمتهم هو الهيزابى الاباضى يأتى بحديث
المروق فلا يتجاسر على نسبه الى علي بأنه وضعه ويرى ان الحديث ثابت
ولكنه يرد معناه الى الصفرية وانهم هم المعنيون به (١) *

ويقول الوارجلانى * واما على : فقد حكم بأن من حكم فهو كافر
ثم رجع على عقبيه وقال من لم يرض بالحكومة كافر فقاتل بين رضى الحكومة
وقتله وقاتل من انكر الحكومة وقتله * وقتل اربعة الاف او اب من اصحابه واعتذر
فقال اخواننا بغوا علينا فقاتلناهم فقد قال الله عز وجل فيمن قتل مؤمنا واحدا

" ومن يقتل مؤمنا متعمدا ٠٠٠ الى قوله عذابا عظيما ، فحرمه اللعن —
 بخته الحريمين وعوضه دارالفتنة المراقين فسلم اهل الشرك من يأسه وتووطفس
 اهل الاسلام بنفسه " (١) وقد اشتهر عن الخواجه تكفيرهم لعلي رضي الله عنه وانهم
 فجمعون على كفره هو عثمان وطلحة والزبير وطائفة ومما يروى عن عمرو بن العاص
 واهل التحكيم (٢) .

ويقول ج مج لوريمر عن موقف الاباضية وانهم يكفرون عليا كما قلنا —
 / وان هذا الموقف قد سجله عليهم حتى علماء هذا العصر/ يقول لوريمر عن جماعة
 المطاوعة منهم " ومعتقد المطوعون ان الخليفة عليا لم يكن مسلما على الاطلاق بل كان
 كافرا " (٣)) وقصد لوريمر بالمطوحين فرقة من الاباضية في عمان في غاية التشدد
 في امور الدين وذكر بعض الامثلة على ذلك ، وقد كان لهؤلاء المطوعون دور هام
 في توجيه سياسة الحكام في عمان) بل لقد بلغت الجرأة بحفص بن ابي المقدام — رئيس
 الحفصية من الاباضية — ان يتأول آيات القرآن بما يتفق مع بغضهم لالمام
 علي رضي الله عنه وما يلصقونه به من تهم فيزعم (وهو كاذب في هذا) مفتر على الله
 غير الحق ان قوله تعالى " كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب
 يدعونه الى الهدى اثنا " الانعام : ٧١

ان الحيران هو علي بن ابي طالب وان الاصحاب الذين يدعونهم الى
 الهدى هم اهل النهر وان ٠ وقد قال يقول نافع في زعمه ان الآية " ومن الناس من
 يعجبك قوله في الحياة الدنيا " والآية " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة
 الله " انهما نزلتا في علي وابن ملجم (٤) كما سيأتي ببيانها في الرد على نافع ٠

(١) الدليل لاهل العقول ص ٢٨

(٢) انظر رسالة الديمي ص ١٣ وانظر المقالات ج ١ ص ٢٠٤ والملل والنحل ج ١
 ص ١١٥ والفرق بين الفرق ص ٧٣ والتنبيه والرد ص ٥٣

(٣) دليل الخليج ص ٣٤٠ ج ٦

(٤) انظر المقالات ج ١ ص ١٨٣/١٨٤ ، الفرق بين الفرق ص ١٠٤

ومن الغريب ان ابن ابي الحديد الشيعي يذكر فيما يحكيه عن ابي جعفر - من شيوخه - ان معاوية هو الذي اغرى سمرة بن جندب حتى يقول بأن نزول هاتين الآيتين كان في علي وابن ملجم وهذا بعيد كل البعد ان يتدعى الصحابة الى هذا السخف وهو ما يشهد ابن ابي الحديد بقوله :

" قال ابو جعفر وقد روى ان معاوية بذل السمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروى ان هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب " ومن الناس من يعجبك قوله ... والله لا يحب الفساد " البقرة ٢٠٤ : ٢٠٥ وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهو قوله " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله " البقرة : ٢٠٧ فلم يقبل فبذل له مائتي الف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف فقبل وروى ذلك " .

وكلا القولين اى قول حفص وقول ابن جعفر باطل بل هو من اشنع الأباطيل واكذب الكذب . ومع هذا فلا بد أن نذكر انه قد اعتدل فريق من الاباضية في حق الامام على رضى الله عنه واورد شواهد في فضائله وان الذين يسبونهم وشتمونه هم الصفورية لا الاباضية فقد اورد مؤلف كتاب " راء الضمانة باداء الامانة الحديث الآتى :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابي جلد ومن سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله " ثم قال " اشار الى الصفورية الذين يحكمون بشركه لقتله اهل النهر كما قال صلى الله عليه وسلم له تهلك فيك طائفتان مفرطة يعنى الصفورية وغالية يعنى الروافض وكان لعلى من يفضيه وشتمه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا بما لا يستحق الشتم به وليس من الشتم ان يقال استحق كذا بفعله كذا فان ذلك الحكم

الله وقياما بالحق" (١) . وقد اورد على يحيى معمر فصلا طويلا بين فيسه
اعتقاد الاباضية في الصحابة بانهم يقدرونهم حق قدرهم وتعرضون عنهم ويرون -
السكوت عما جرى بينهم وانهم لا يبغضون الامام عليا ولا ينقصونه قدره ومن هذه
النقول ما قاله عن ابي اسحق اطفيش في رده على الاستاذ محمد بن عقيل العلوي
انه قال له " أما ما زعمت من شتم اهل الاستقامة لابي الحسن على وابنائهم فمحض
اختلاق " (٢)

ثم قال " ولم يكن يوما من الاصحاب شتم له او طعن اللهم الا من
بعض الغلاة وهم اعداء لا يخلونهم وسط ولا شغب " (٣) ويقول عن الثعالبتي
انه كان يقول " وكيف يجوز لمن يؤمن بالحق الذي لا ينال ان يكفر صهـ
نبيه عليه السلام الذي لم يسجد قط للصنام " (٤) .
ويقول البدر الثلاثي من ابيات في ديوانه :

بنت الرسول زوجها وابناها اهل البيت قد فشى سناها
رضى الاله يطلب الثلاثي لهم جميعا ولمن عناهها
وكذا ما قاله ايضا ابي حفص عمرو بن عيسى التميمي عن الاباضي من ابيات
قالها فيها :

وعلى الهادي صلاة نشرها عنبر ما خب سـ ع ورمل
وسلام يتوالى - عليـ آله والصحبا ما الفيت هطل
سيما الصديق والفاروق والجامع القرآن والشهم البطـ (٥)
وقد ورد عن الاباضية اقوال كثيرة في مدح الصحابة عموما وانهم لا يختلفون
في موالاتهم ولكنهم يرون انه " لا غبار على من صرح بخطأ المخطي " منهم بسدون

(١) وفاة الضمانة بأداء الامانة ج ٣ ص ٢٢

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٩ .

(٥) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٧ .

الشم والثلب بعد التثبت من ذلك والتبين وان امسك لمعوم الاحاديث الواردة فيهم وترك الامر الى الله فهو محسن (١) .

كما قال ابو اسحاق اطفئش ولمل كلمة ابي اسحاق هذه تصلح عذرا عن الاباضية بأن البغضين لملي منهم انما هم الغلاة منهم واما اكويبتهم فتقول بموالاة ويكون اعتبار البغضين له شواذ وهذا ما يقرب بينهم وبين السلف .

اما الشخصية الهامة في الخواج فهو نافع بن الازرق فانه لم يختلف عن بقية الخواج في غلوه في بغض الامام علي حيث زعم ان الله تعالى انزل فيه آية تتلى الى يوم القيامة تصفه بأقبح الصفات من نفاق وعداوة للاسلام حين زعم ان الله تعالى انزل في شأنه " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام " وفي المقابل أشقى خلق الله يصفه بأن الله انزل فيه " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله " (٢) وهذا لا يشك مسلم انه محض افتراء على الله لا يصدق عاقل أو لا لما عرف عن علي من فضائل وأعلامها حب الله ورسوله وثانيا ان الله انزل القرآن منجما على حسب الحوادث وقد عرف اهل العلم سبب نزول كل آية ، فهل حادثة علي وعهد الرحمن بن ملجم وقعت في حياة الرسول حتى يمكن القول بأنها نزلت فيها واهل التفسير يذكرون ان سبب نزول الآية الاولى ومن الناس من يعجبك قوله الخ الآية الكريمة كانت في الاخنس بن شريق على أحد الاقوال واما الآية الثانية هنا وهي قوله تعالى " ومن الناس من يشري نفسه " فقد نزلت في صهيب حين هاجر الى مكة على احد - الاقوال (٣) فلم يكن سبب النزول هو ما يراه نافع ولكن البغض والجهل يخرج المرء عن الحقيقة فقد كانوا في غاية البغض لملي رضى الله عنه كما قال عمران بن حطان -

(١) الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٨٣

(٢) انظر مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٢٠ والملل والنحل ج ١ ص ١٢٠

(٣) انظر فتح القدير ج ١ ص ٢٠٧ - ٢١٠

مفتيهم وشاعرهم الاكبر في ابن ملجم :

يا ضربة من تقى ما اراد بها

انى لا ذكره يوما فأحسبه

اوى البرية عند الله ميزانا

ومثل نافع صالح بن مسرح فقد جاء في كتابه قوله مبينا رأيه في عثمان وعلي ممرض
الله عنهما " وولى المسلمين من بعده - - - يعني بعد عمر - عثمان ، فاستأثر
بالفئ ، وعطل الحدود وجار في الحكم واستبدل المؤمنين وعزر المجرم فثار اليه
المسلمون فقتلوه فبرى الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، وولى امر الناس من بعده
على بن ابي طالب فلم ينشب ان حكم في امر الله الرجال وشك في اهل الضلال
وركن وأد هن فتحن من علي واشياعه براء " (١)

وما قلناه عن عثمان سابقا نقوله عن علي رضي الله عنه ، وما قيل فيه
من ذم فانه من مزاعم المفتري عليه وهي اكذب من ان يصدقها او يهتم بردها
احد وما ظنك بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ومن تربى على يديه
وفي بيت النبوة ، ومن شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهده واشتهر
فيها بأنه الشجاع المقدام .

لقد اسلم رضي الله عنه مبكرا فلم تلحقه تلك الاعتقادات الجاهلية .
وقد زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة ام الحسن والحسين رضي الله
عنهما وشهره رسول الله بالجنة ، وما نسب اليه من رضاء بقتل عثمان او اد هانه
في تحكيم كتاب الله فهذا كذب محض وافتراء من حاقد جاهل وهو برى من هذه
الاكاذيب ، ولو رجح هؤلاء لعقولهم وحكموها لكافة رادعة لهم عن تنقصه ، زاجرة
لهم عن شتمه فضلا عن رجوعهم الى النصوص الشرعية .

ب — موقفهم من بعض كبار الصحابة :

يمتد الخوارج تكفير بعض الصحابة رضى الله عنهم مع ان بعضهم من المشهود لهم بالجنة ولكن الخوارج حسب اعتقادهم المعكوس فيهم يــــرون انهم قد كفروا ببعض الذنوب التي اقترفوها مع انها كانت في الحقيقة لم تكن ذنوبا او كانت ناتجة عن اجتهاد كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد ، نقول هذا عنهم ونحن نقطع بأنه لا عصمة لبشر عن الذنوب بعد الانبياء * †

و اول من اشتد من الخوارج في تكفيرهم من الصحابة — بعد عثمان على رضى الله عنهما — معاوية بن ابي سفيان وعمر بن العاص وابو موسى الاشعري وأهل التحكيم ومن رضى به من غيرهم قال الاشعري : * يكفرون معاوية وعمر بن العاص وابا موسى الاشعري * (١) .

وقد وقفوا موقف المداء المستحكم من معاوية وعمر بن العاص فكفروهما ووصفوهما بكل صفة سوء ونفوا عنهما كل خير بل واثبتوا لهما النار كما يقول الورداني :

* " واما معاوية ووزيره عمر بن العاص فهما على ضلالة لانتحالهما ما ليس لهما بحال ومن حارب المهاجرين والانصار فرقت بينهما الدار صار من اهل النار " (٢) * ولا يستبعد منهم ان يقفوا هذا الموقف بل واشد منه ما داموا قد وقفوا من هو خير منهما ذلك الموقف المشين * †

وقد وصف زعيم الاباضية عبد الله بن اباض معاوية بن ابي سفيان — كما جاء في كتابه الى عبد الملك — بعدة صفات يرجم فيها ان الرجل يكفرباقل منها ، فقد جاء في ذلك الكتاب قوله * فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صنيعه غير انا قد

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤

(٢) الدليل لاهل العقول ص ٢٨

ادركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس ولا نعلم من الناس شيئا لأحد ترك من الغنيمة التي قسم الله ولا يحكم بحكم حكمه الله ولا أسفك لدم حرام منه فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية لكان في ذلك ما يكفركم * ثم قال بينا رأى الاباضية في عثمان ومعاوية وزيد جميعا * فاشهد الله ولائكم انا براء منهم واعداء لهم بأيدينا والسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه اذا متنا ونبعث عليه اذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله * (١) .

وفي كل ما تقدم مخالفة صريحة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احداكم انفك مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه * (٢) . مما يقتضى عفة لسان المسلم عن ان يخوض في اعراض هؤلاء الصحابة على هذا النحو والشائن فضلا عن مخالفتهم لما ورد في معاوية وعمر بن العاص من ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم بل يجب ان نكل امرهما الى الله في ما اجتهدا فيه من أمر .

اما موقف الخوارج من الحسن رضى الله عنه فانه هو نفس موقفهم من ابيه فالمراجع لكتاب كشف الغمة يجد المؤلف يكيل الافتراءات ويغز فيه بما لا يصح * فيذكر ان الحسن لما تولى الخلافة خدعه معاوية كما خدع ابيه من قبل بما حمل اليه من اوقار الذهب وسناه بالخلافة بعده وانه ترك ما كان يطلب بالامس من كتاب الله وسنة نبيه وقاتل الفئة الباغية وان اهل النخيلة اجتمعوا لحرب معاوية ولكنه ومساعدة اهل الكوفة والحسن قتلوه مع ان المؤرخين يذكرون ان الحسن امتنع عن تولى محاربتهم وقال لمعاوية لو كنت أريد قتال احد من اهل القبلة لبدأت بك ولكن تركتها حقنا للدماء فمن اين لمؤلف كشف الغمة ان الحسن تولى قتال اهل النخيلة ثم يوالى افتراءه الذي يدل على عدم احترامه للسلف الصالح

(١) كشف الغمة ص ٢٩٥

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٨٨

فيلزم الحسن بانه باع اخرته بدنياه وحرض اصحابه على الدخول في طاعة معاوية وان ابن عبدس غضب عليه غضبا شديدا وقال له انكم لاحقر اهل بيت من العرب ثم شبههم ببني اسرائيل وجبنهم حين أبو ملاقاته عدوهم فضرهم الله بالتيه (١)

وفي كتاب الكفاية " فان قال ما تقولون في الحسن والحسين ابن علي بن ابي طالب ؟ قلنا انهما في البراءة فان قال من اين اوجبتهما عليهما البراءة وهما ابنا فاطمة بنت رسول الله - قلنا اوجبنا عليهما البراءة بولايتهما لابيها علي ظلمه وفشمه وجوره وقتلها عبد الرحمن بن ملجم رحمه الله وتسليمهما الامامة لمعاوية بن ابي سفيان وليس قرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمغنية عنهما شيئا لان النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال في بعض ما يوصى به قرابته " يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله ويا بنى هاشم اعملوا لما بعد الموت " (٢) هذا ما حكاه المؤلف عن كتاب الكفاية اما هـ فيقول " ثم ان الحسن بن علي ولي امر ابيه من بعده فباع دينه وأمر به بأواق من الذهب والفضة " (٣) فاذا كان قصد الحسن جمع الذهب والفضة - كما يزعم مؤلف كشف الغمة - فما لا شك فيه ان تولية الخلافة هو الافضل لجمعهما لا التنازل عنها ولم يعلم صاحب كشف الغمة ان تنازل الحسن كان تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه " ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين " (٤) وقد وقع كما قال عليه السلام ، فلم يفسر صاحب كشف الغمة تنازل الحسن الا لانخداعه برواية بريق اواقى الذهب والفضة .

وما قاله عن الحسن فانه رد عليه ، فلقد كان الحسن رضى الله عنه ذا خلق فاضل ودين وورع لا يهمه شرف الخلافة ولا الملوك في الارض ، فقد فضل ان تحقق

(١) راجع كشف الغمة ص ٢٨٩

(٢) انظر كشف الغمة ص ٢٨٨ - ٢٨٩ وكذا ص ٣٠٥

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٢

(٤) أخرجه البخاري ج ٤ ص ١٨٤

دما المسلمين ونعم الناس بالامن والهدوء ولو كان ذلك على هضم حقه ففى
الخلافة بعد ان تمت له البيعة بها ، فقد كان رضى الله عنه لا يوازن بين مصلحته
ومصلحة المسلمين بل يقدم مصلحة المسلمين ويبقى مصلحته ذخرا عند الله لينال
ثوابها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

أما موقف غلاة الاباضية من طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فهـو
لا يقل عن موقفهم من علي وعثمان فهما عند هم في منزلة البراءة والبعد وينسبون هـذا
الموقف الخاطيء الى جميع المسلمين كما جاء في كتاب الكفاية * فان قال قائل
فما تقولون في طلحة والزبير بن العوام قلنا انهما عند المسلمين بمنزلة البراءة * (١)
موضح الورجلانى ايضا موقف الاباضية منهما بأنهما ممن اوجب الله لهما النار
وحرم عليهما الجنة بعكس ما نطق به من لا ينطق عن الهوى فقد بشرهما الرسول صلى
الله عليه وسلم بالجنة وهم يبشرونهما بالنار يقول الورجلانى :

واما علي بن ابي طالب فان ولايته حق عند الله تعالى — يعنى به
قبل التحكيم — وكانت على ايدى الصحابة ومقية الشورى ثم قاتل طلحة والزبير
هائشة ام المؤمنين فقتاله حق عند الله لشقهم العصا الامة ونكثهم الصفقة
فسفكوا الدماء واظهروا الفساد فحل لعلي قتالهم وحرم عليهم الجنة فكانت
عاقبتهم الى النار والبوار * (٢) .

فسبحان الله العظيم ما أجراً اهل الزيغ على شتم الصحابة الاخيار الذين
نصروا الاسلام بأنفسهم وأموالهم وكانوا من جنود البواسل في ساعة العسوة قبل
ان يوجد آباء واجداد هؤلاء المعتدون الذين ينتقصونهم ويحكمون عليهم بالنار
لقد كان طلحة والزبير رضى الله عنهما من خيار الصحابة ومن المشهود لهم بالجنة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ولهم مواقف مشرفة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كنتم في السلم وفى الحرب من طاعة

(١) كشف الغمة ص ٣٠٤

(٢) الدليل لاهل العقول ص ٢٨

وتضحية واقدام في مجاهدة الكفار ، وما أخرى بالمسلم ان يترك تطوع الخوارج
والشيعة في موقفهم من الصحابة فانه لا يقف موقفهم احد فوسلم الا ان يتداركه
الله برحمته ووليه التوبة •

يجب علينا ان نحسن الظن بالصحابة وان نعتبر ما جرى بينهم من فتن
لامور وحكم ارادها الله ونكل امرهم فيها الى الله ولا نقول فيها الا خيرا ونترحم
عليهم وهم سلفنا وخيارنا رضى الله عنهم اجمعين •

٣ — موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم :

آ — موقف الغلاة منهم :

يذكر الاشعري ان الخوارج مجمعون على ان مخالفهم يستحقون السيف
حلال دمائهم الا فرقة الاباضية فانها لا ترى ذلك الا مع السلطان كما عبر عن هذا
بقوله :

” واما السيف فان الخوارج جميعا تقول به وتراء الا ان الاباضية لا ترى
اعتراض الناس بالسيف ولكن يرون ازالة الجور^{الشر} ونعمهم من ان يكونوا ائمة بأي شيء
قدروا عليه بالسيف او بغير السيف “ (١) .

يقول الشاطبي في كلامه عن الاختلافات الضالة التي ادت بالمسلمين
الى تكفير بعضهم بعضا وسفكوا بسببها دمائهم قال ” الا ترى كيف كانت ظاهرة
موقف الخوارج الذين اجزبهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يقتلون اهل
الاسلام ويدعون اهل الاوثان “ (٢) وقد اختلف علماء الفرق في تحديد اول من
حكم بتشريك اهل القبلة وتكفيرهم هل هم الازارقة ام هم المحكمة الاولى فهناك
من يرى ان الازارقة هم الذين ابتدعوا القول باكفار المسلمين ، يقول الاشعري :
” واول من احدث الخلاف بينهم نافع بن الازرق الحنفي والذي احدثه البراءة

(١) المقالات ج ١ ص ٢٠٤

(٢) الاعتصام ج ٢ ص ٢٣٣

من العقدة والمحنة لمن قصد عسكره واكفاره من لم يهاجر اليه * (١) ويرى
البخدادى ان الاوارقة هم الذين ابتدعوا القول بتشريك المسلمين * اما
المحكمة فلم يحكموا عليهم^{ال} بالكفر وذلك حسب قوله * ومنها — اى من بدع الازارقة —
قولهم بأن مخالفهم من هذه الأمة مشركون وكانت المحكمة الاولى يقولون أنهم
كفرة لا مشركون * (٢) ومثل ما ذكر البخدادى في هذا المقام نجده عند صاحب
كتاب الاديان الاباضى فانه يرى ان نافعا لم يسبقه احد بالقول بتشريك المخالفين
واستحلال دماء أطفال مخالفه ويرى ان الخواجه كلهم على حق وصواب * احربهم
في الخواجه لولا زلة الخواجه نافع بن الازرق وخروجه على اهل الحق كما
يرى المؤلف * (٣)

والواقع انه سيتبين لنا فيما يأتى من دراستنا لما صدر عن المحكمة
الاولى من أقوال وافعال وما دار بينهم وبين مخالفهم من محاورات و مناظرات أنهم
كانوا سابقين الى تكفير مخالفهم من المسلمين وتشريكهم ومعاملتهم على هذا الاساس
وان الازارقة لم يكونوا في ذلك الا تبعاً لهم وان كانوا قد غالوا في هذا الموقف
غلو شديداً كما سنرى فيما بعد *

وأول ما نستشهد به على موقف المحكمة الاولى من مخالفهم — من
المسلمين هو ما ذكره قيعرين سعد بن عباد في محاورته لهم ليرجعوا الى الطاعة
والجماعة وخطتهم في موقفهم تجاه المسلمين حين اعتبروهم مشركين فسفكوا دماءهم
واستحلوا حرمااتهم ومنه قوله يقرر عليهم افعالهم * فانكم ركبتم عظيماً من الامر تشهدون
علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم وتسفكون دماء المسلمين وتهدونهم مشركين * (٤) فهذه
شهادة من شاهد عيان بأن المحكمة الاولى كانوا يعدون مخالفهم مشركين * هذا ما
رواه عنه الطبرى ويذكر نصرين مزاحم المنقرى ان المحكمة قالوا بتشريك مخالفهم

(١) المقالات ج ١ ص ١٦٩

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٣

(٣) كتاب الاديان ص ٩٧

(٤) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٨٣

على رأسهم الامام علي فبرئوا علي منهم وروا منه وافترقوا على هذا وذلك في قوله عنهم " فبرئوا من علي وشهدوا عليه بالشرك وبرئوا علي منهم " (١) وكما اشرك — في نظرهم الامام عليا — اشرك كذلك ابنه الحسن رضي الله عنه فقد اقبل عليه الجراح بن سنان وذلك بعد مصالحته معاوية — وقال له " اشركت كما اشرك ابوك ثم طعنه في اصل فخذه " (٢) .

فالحكمة كما ظهر ما سبق قد حكمت بالشرك على مخالفهم وقد حكموا ايضا عليهم بالكفر كما يرويه عنهم الملقى بقوله " والفرقة ^{السابعة} الحرة يقولون بتكفير الاممة " (٣) ومن الحوادث التي تثبت تكفيرهم لمخالفهم والتالي استحلالهم لدمائهم ما هو معروف مشهور من قتلهم ابن خياط صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من المسلمين .

فقد ورد ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه " بعث الى اهل النهروان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا تارككم وكاف عنكم حتى القسى اهل الشام فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم الى خير ما انته عليه من امركم فبعثوا اليه : كلنا قتلهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم " (٤) فلولم يكونوا معتقدين كفرهم وخروجهم عن الاسلام في رخصهم لما استحلوا دماءهم .

وقد كان رجل يسمى الخريت بن راشد من اشد الخارجين على علي وعلى المسلمين عموما فقد كان في طريقه يقتل كل من يقول انه مسلم ويخلى سبيل من لا يعتقد الاسلام صدقا للحديث القائل يقتلون اهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان او كما قال عليه السلام .

هذا الرجل جزع على الامام علي فيمن اطاعه من قومه وغيرهم وفي اتساء سيرهم نحو قرية يقال لها نفر حد ثنا بينه كتاب احد عمال امير المؤمنين علي رضي

(١) وقعت تصنيف ص ٥١٨

(٢) تلييس ابليس ص ٩٥

(٣) التنبيه والرد ص ٥٦

(٤) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٨٣

الله عنه وسمى قرظة بن كعب الانصارى يخبره فيه بمسير الخوارج قال فيسـمـه
 " بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني اخبر امير المؤمنين ان خيلا مرتبـلـنـا
 من قبل الكوفة متوجهة نحو نـفـر وان رجلا من دهاقين اسفل الفرات قد صـلـى
 يقال له زاذان فرخ اقبل من قبل اخواله بناحية نفر فعرضوا له فقالوا امـسـلم
 انت ام كافر فقال بل انا مسلم قالوا : فما قولك في علي ؟ قال اقول فيه خيرا
 اقول ان عليا امير المؤمنين وسيد البشر فقالوا له كهت يا عدو الله ثم حملت عليه عصابة
 منهم فقطعوه " (١) بل انهم غالوا في تكفير الناس لا قل سبب حتى حكموا على —
 انفسهم بالكفر حين قبلوا التحكيم اول الامر ، ففي اثنا محاورتهم مع علي اقروا على
 انفسهم انهم قد كفروا ثم تابوا وان هذا الحكم ^{عام} على الجميع حتى علي نفسه فان
 عليه اذا اراد الاسلام ان يعلن كفره وتوخته هكذا بلغ بهم العناد والجهل
 فقالوا له " انا حكمنا فلما حكمنا اثنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبنا
 كما تبنا فنحن منك ومعك وان ابيت فاعتزلنا فاننا مناذكرك على سوا ان الله
 لا يحب الخائنين " فاجابهم علي رضي الله عنه بقوله " اصابكم صاحب ولا يقضى
 منكم وابر — أى احد — ابعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه
 وجهادى في سبيل الله اشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وانا انا من
 المهتدين " (٢)

وهكذا يتبين لنا مما سبق ومن غيره مما لم نرد اطالة القول بذكـره

ثبوت تكفير المحكمة وتشريكهم لاهل القبلة ومعاملتهم لهم على هذا الاساس وقد
 تابعهم على ذلك الخوارج فيما بعد ولا سيما نافع بن الازرق •

وذكر البرد ان نافعا كان لا يرى اول الامر ان مخالفيه مشركون ولا يرى

ايضا قتل الاطفال حتى جاء مولى لبنى هاشم فقال له تلك المقالة فانتهره بسادى

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١١٧

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ٨٤

الامر ولكنه ما زال به حتى اقتنع بذلك الرأي الخاطي ومن هنا اخذ فسي تطبيقه بكل قسوة وعنف يقول المبرد * ولم يزالوا على رأي واحد يتولون اهل النهر ورداء ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال لـ ان اطفال المشركين في النار وان من خالفنا مشرك ، فدما هو لا اطفال لنا حلال قال له نافع كبرت وأدلت على نفسك قال له ان لم آت بك بهذا من كتاب الله فأقتلني * وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلد الا فاجرا كفارا * نوح : ٢٦ ، ٢٧ فهذا امر الكافرين وأمر اطفالهم فشهد نافع انهم جميعا في النار ورأى قتلهم * (١)

وايا كان الامر فان كون هذا الموقف لنافع ابتداء بعد تلك المحاورة قالهم أنه اقتنع به بل وقال في حقه حتى اصبح الازارقة هم اكبر من تزعم القول بتشريك المخالفين واخراجهم عن الملة واستباحة كل شي منهم وقد اتبعوا قولهم بالفعل فسفكوا الدماء * وانتهكوا المحرمات وقتلوا مخالفهم كبارهم وصغارهم لم يراعوا في ذلك فيهم الا ولا ذمة وقد تواترت اقوال العلماء في ذلك يؤيد بعضهم بعضها على ان الازارقة هم شر الفرق واشدها على اهل الاسلام .

وقد ذكر موقفهم من مخالفهم علماء الاسلام ومنهم الاشعري حيث قال في معرض بيانه لاقوال الازارقة وانهم يقولون * ان الدار دار كفر يحنون دار مخالفهم * (٢) وما دام مخالفهم بهذه الصفة فلا بأس في حقهم حتى فسي ارتكاب ما ينافي الاخلاق ولا تصرف بين الناس فيجوز خيانة الامانة ، وعدم ادايتها اليهم * واستحلوا خفر الامانات التي امر الله بادائها ، وقالوا قوم مشركون لا ينبغي ان تؤدى الامانة اليهم * (٣) وقول البغدادى * وزعم نافع واتباعه ان دار - مخالفهم دار كفر * (٤) وقول الملطى * فنصف منهم يقال لهم الازارقة وهم اصعب

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٦

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٧٠

(٣) = = ج ١ ص ١٧٤ (٤) الفرق بين الفرق ص ٨٤

الى ان لا يبدع في

الخوارج و اشركهم فعلا واسوأهم حالا * (١) وذلك بما اعتقدوه في الناس وما فعلوه بهم بل انهم يعتبرون حتى انفسهم مشركون بمخالطتهم مخالفهم والاقامة معهم حتى يخرجوا عنهم فيثبت اسلامهم عند ذاك والا فهم مثلهم مشركون كما يقول ابن الجوزي مبينا ذلك * وكان اصحاب نافع بن الازرق يقولون نحن مشركون ما دنا في دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون قالوا ومخالفتنا في المذهب مشكون * (٢)

وهذا يدل على غاية جهلهم وتعصبهم لرأيهم ، فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان في مكة قبل الهجرة يبين المشركين مشكوكا بسبب مقامه ، هذا منهم ضلال اضافة الى ضلالتهم في اعتبارهم المسلمين المخالطين لهم مشركين ، ولكن الله قد جعل بأسهم بينهم يقتل بعضهم بعضا وغنم بعضهم مال بعض شأن اهل الاهواء والبدع يقول صاحب كتاب الاديان * واجمعوا على تشريك اهل القبلة وهي ذرايعهم وثغمة اموالهم ومنهم من يستحل قتل السيرة والعلانية ، واعترضوا الناس بالسيف على غير دعوة ومنهم من لا يستحل قتل السيرة وهم مختلفون فيما بينهم يقتل بعضهم بعضا وغنم بعضهم مال بعض ويبرأ بعضهم من بعض * (٣)

وقد استدلت نافع بالايات التي وردت في المشركين زاعما انها تشمل مخالفه من المسلمين وذلك حين قام خطيبا في اصحابه يذكرهم بنعمة الله عليهم حين عرفهم من الحق ما لم يعرفه غيرهم وانه لا ينبغي لهم ولاية احد من مخالفهم فلا يجوز التزج منهم او موارتهم او حتى الاقامة معهم ومن قوله في ذلك : " فقد انزل الله تبارك وتعالى " براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين " التوبة : ١ " ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن " البقرة : ٢٢١

(١) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ص ١٦٧

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٥

(٣) من كتاب الاديان والفرق ص ٩٧

فقد حرم الله ولايتهم والمقام بين اظهرهم واجازة شهادة واكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناحتهم وموارثتهم ، وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا وحقق علينا ان نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ولا نكم ما انزل الله والله عز وجل يقول " ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ولعنهم اللاعنون " البقرة : ١٧٤

قال الطبري " فاستجاب له الى هذا الرأي جميع اصحابه " (١)

وقد اورد الشاطبي رحمه الله قصة عجيبة لهم تدل على فساد اعتقادهم وخروجهم عن الجادة بقتلهم من يقول انه مسلم دون التحقق من صدقه او كذبه ، وكأنا قول المخالف لهم انا مسلم يساوي قوله انه كافر كما سنراهم حين يأخذون حميد بن هلال الذي رجع من غزو الكفار الحقيقيين والذي جاءهم حين سمع الاذان لا يشاهد كيفية الصلاة ولكن ليدخل في الصلاة مسلماً مؤمناً بربه ونبيه هذه القصة عبر عنها الشاطبي بقوله " روى في حديث خرج به الغوى فسي معجبه عن حميد بن هلال ان عبادة بن قريط غزا فمكث في غزاته تلك ما شاء الله ثم رجع مع المسلمين منذ زمان فقصد نحو الاذان يريد الصلاة فاذا هـو بالازارقة - صنف من الخوارج - فلما رآوه قالوا ما جاء بك يا عدو الله قال ما انتم يا اخوتي قالوا : انت اخو الشيطان لنقتلك قال اما ترضون مني بما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وأي شيء رضى به منك ؟ قال اتيت وانا كافر فشهدت ان لا اله الا الله وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلني عنى - قال - فأخذوه فقتلوه " (٢) .

فهل بعد فملتهم هذه حماقة اوجهالة ، رجل يحدثهم بموقفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد من موقفه معهم فيقبل منه رسول الله

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٥٦٧

(٢) الاعتصام ج ٢ ص ٢٢٦ .

صلى الله عليه وسلم اسلامه بغض النظر عن ما سلف منه وهم لا يقبلونه ، فهل كانوا أحرض على الاسلام وأغبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام .

ويذكر ابن حزم تفرقهم بين المسلمين والذميين في المعاملة

فيقول :

” وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم وقتلوه اذا قال انا مسلم ويحرمون قتل من انتس الى اليهود او الى النصارى او المجوس وهذا شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بالمروق من الدين كما يصرق السهم من الرمية اذ قال عليه السلام انهم يقتلون أهل الاسلام وتركوا أهـ الاوثان وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اذ أنذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج كما قال ” (١) .

ويقول ابن عبد ربه كذلك ” فقال نافع باستعراض الناس والبـراءة من عثمان وعلى وطلحة والزبير واستحلال الامانة وقتل الاطفال ” (٢)

وقد عاب نجدة بن عامر نافع ما ذهب اليه من تكفيره للضعدة واستحلاله قتل الاطفال ثم رأيته في عدم اداء الامانة الى من اتتمنه من مخالفه واستبدل عليه في كل ما تقدم بأدلة من القرآن (٣) وذلك في كتاب ارسله نجدة اليه . وقد اجاب نافع عن كتاب نجدة بكلام جاء فيه بالنسبة لمخالفهم قوله ” واما استحلال الامانات فمن خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا اموالهم كما أحل لنا دماؤهم فدماءهم حلال واطلق واموالهم في المسلمين ” (٤) . وفي هذا تهريب منه لأمرباطل مثله فما أحل الله له دماء المسلمين حتى يبنى عليه استحلاله لاموالهم وقد وصف سليمان مظهر معاملتهم لمخالفهم بأنهم ” كانوا يأتون بأفطح المنكرات كأنهم لا يدنبون باله ولا يعرفون شفقة ولا رحمة ” (٥) وذكر

(١) الفصل ج ٤ ص ١٨٩ وانظر الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٦٧

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٩٧ .

(٥) قصة الديانات ص ٥٥١ .

ابن تيمية انهم يستحلون من مخالفهم المسلمين ما لا يستحلون من الكافر
الاصلى * (١)

ومثل تشدد الازارقة تجاه مخالفهم في حكمهم عليهم بالشرك واستحلال
دمائهم واموالهم ما نجده عن طائفة من فرقة البيهسية فهي تقول بأن مخالفهم
مشركون حلال دماءهم واموالهم ، وهي لا تقل في ذلك عنفا عن الازارقة
يقول الاشعري نهينا اقوال هذه الطائفة * وقالت الداردارشوك واهلها جميعا
مشركون وتركوا الصلاة الا خلف من تعرف وذهب الى قتل اهل القبلة واخذ الاموال
واستحلت القتل والسبي على كل حال (٢) * .

ثم زاد هذا تأكيدا في موضع اخر عن حاك لم يعينه يذكر ان الحكم
هو ما يعتقد ، جميع البيهسية فهو يقول * وحكى ان البيهسية تقول بقتل اهل
القبلة واخذ الاموال وترك الصلاة الا خلف من تعرف والشهادة على الداربالكفر^(٣)
ومثل هذه الطائفة من البيهسية التي استحلت قتل مخالفهم وغنيمة
اموالهم مثلها طائفة من الصغرية الا ان هذه الطائفة تفوق تلك بتعمقها بدرجة
اكبر من الفوضوية والجهل فهي تعتبر القتل مقصدا لذاته من اى ملة كان سواء
كان مؤمنا في ميزانهم ام كافرا من غير تمييز وذلك فيما يذكره ابن حزم بقوله
* وقالت طائفة من الصغرية بوجوب قتل كل من امكن قتله من مؤمن عندهم او كافر
وكانوا يؤولون الحق بالباطل * (٤) فاذا كانوا بهذه المثابة فكيف يمكن ان
يتعايشوا مع الناس بل كيف يمكن تعايشهم ايضا فيما بينهم اللهم الا كتعايش
الحيوانات المتوحشة في الغابات .

ونضيف الى هؤلاء الفلاة المتشددون من الخوارج مع غيرهم بل مع الخوارج
انفسهم حمزة بن اكرح ، فمع انه كان لا يرى قتل مخالفه الا بعد اعلان الحرب الا انه

(١) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ج ٣ ص ٣٥٥ .

(٢) المقالات ج ١ ص ١٩٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(٤) الفصل ج ٤ ص ١٩٠ .

بلغتبه الشدة على من لا يوافقه على آرائه أن يعتبره كافرا مشركا وإن كان ممن
الخوارج القعدة الذين يواليهم وكان مفسدا متجاوزا حد الرحمة مع مخالفيه
وهو ما يذكره عنه البغدادي في قوله :

ثم انه وإلى المقدمة من الخوارج مع قوله بتشكير من لا يوافقه على قتال
مخالفيه من فرق هذه الامة مع قوله بانهم مشركون وكان اذا قاتل قوما وهزمهم
امر باحراق عقور دوابهم ، وكان مع ذلك يقتل الاسراء من مخالفيهم * (١) وله
مواقف عديدة وحروب عنيفة مع فرق الخوارج الذين ابو من موافقته والدخول في —
طاعته فقد تابع عليهم الحملات حتى اباد كثيرا منهم في معارك رهيبه اثلثت فيها
غاية القسوة والبطش .

ب — موقف المعتدلين منهم :

ورغم ما تقدم من تشدد الخوارج تجاه مخالفيهم الا اننا نجد بعض
الفرق منهم قد خففت من وطأتها وان كان تخفيفا لا يكاد يذكر فنجد مثلا الاخنسية
منهم يحرمون الخدر وشبهه بمخالفيهم أو قتله قبل الدعوة ما دام شخصا مجهول
الحال اما اذا عرف بما يجب قتله عندهم فانه يقتل كيف ما كان وهذا ما يقوله
الاشعري عنهم * يحرمون الاغتيال والقتل في السر وان يبدأ بأحد ممن
اهل البغي من اهل القبلة بقتال حتى يدعى الا من عرفوه بعينه * (٢)

بل وصل بهم التسامح الى ان جوزوا تزويج المسلمات من مخالفيهم المشركين
اهل الكبائر والذنوب وهذا ما يرويه الشهرستاني عنهم بقوله * وقيل انهم جوزوا تزويج
المسلمات من مشركي قومهم اصحاب الكبائر * (٣)

ويؤيد ما قاله الشهرستاني عنهم ما جاء في كتاب الاديان لمؤلفه —

(١) الفرق بين الفرق ص ٩٨ .

(٢) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٨٠ ، الفرق بين الفرق ص ١٠١ ، الملل والنحل

ج ١ ص ١٣٢

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢

الاباضى حيث يذكر انهم في حكمهم المتقدم يوافقون الاباضية الا في مسألة سبى وغنيمة مخالفيهم فانهم على مذهب الخوارج كما قال عن رئيسهم الاخنس " وجوز تزويج نساء اهل الكباثر من قومهم على اصول اهل الاستقامة الا انه خالفهم فى السبا والغنيمة من اهل القبلة على مذهب الخوارج " (١)

ومثل هذا التسامح الضئيل من الاخنسية نجده عند الحمزية من المجاردة او المجاردة كلهم على ما جاء في تعبيرات بعض علماء الفرق عنهم نجد هذه الفرقة لا تبيح قتل مخالفيهم من اهل القبلة او استحلال اموالهم الا بعد اعلان الحرب وخوضها فاذا قامت الحرب فان الاموال لا تباح حتى يقتل أصحابها فيعتبر قتل صاحب المال تحليلا وربما للثمن في اخذ ماله ماى ان ارتكـب جـريمة القتل يبيح جريمة استحلال ماله في ميزانهم المعكوس .

يقول الاشعري فيما يحكيه عن احد الرواة المسى زرقان " وحكى زمران ان المجاردة اصحاب حمزة لا يرون قتل اهل القبلة ولا اخذ المال في السر حتى يبعث الحرب " (٢) .

اما البغدادى فيعمم الحكم على جميع المجاردة بقوله " والمجاردة لا يرون اموال مخالفيهم فيثا الا بعد قتل صاحبه " (٣) .

واما الشهرستاني فيجمل الحكم ليس للمجاردة ولا للحمزية ولكن من اقوال عبد الكريم بن عجرد رئيس المجاردة وانه ما تفرد به عبد الكريم كما هو الظاهر من قوله عنه " ولا يرى المال فيثا حتى يقتل صاحبه " (٤) .

ولعل اكبر الخوارج اعتدالا تجاه مخالفيهم واكثر تسامحا معهم والشخصية المثالية لدى الخوارج بل والشيعة ايضا هو ابو بلال مرداس بن أدية فقد كان معتدلا زاهدا مجتهدا فى العبادة معظما عند كل الخوارج وكان سالما فعندما خرج

(١) من كتاب الاديان ص ١٠٥

(٢) المقالات ج ١ ص ١٧٧

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩٤

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨

باصحابه فارا بدينه من احكام الظلمة — يعنى حكام بنى امية — لقيه احد اصدقائه
فاشار عليه بعدم الخروج خوفا عليه من بطش زياد فطمئنه بانه سوف لا يخيف
آمنا ولا يجرد سيفا الا على من قاتله وكان مما أثار هيجانه وجعله يخرج
ان زيادا ذات يوم خطب على المنبر وكان مرداس يسمعه فكان من قوله * والله
لاخذن المحسن منكم بالمس * والحاضر منكم بالفائب والصحيح بالسقيم * وهذا —
بالطبع ما لا تحتله الخواج اذ يعلن جورهم في احكامه علانية غير مال بالخوف
من الله او على الاقل من فتنة الناس فثارت ثائرة مرداس * فقام اليه مرداس فقال
قد سمعنا ما قلت ايها الانسان ما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه
السلام اذ يقول ابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وانت تزعم انك تأخذ
المطيع بالعاصى ثم خرج عقب هذا اليوم * (١) وثبت المبرد هنا ان المعتزلة
والشيعة تتحله وانه حينما اراد الخروج بعد ما عيل صبره وانتهى أمره في صلاح
حكامه — قال * والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظلمة تجرى علينا احكامهم مجانبين
للمعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة
السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا (٢) *
فهو يرى انه بين خيارين اما ان يستكين لظلم الولاة وهذا عظيم او يجرد السيف
في وجوههم وهذا عظيم لما يترتب عليه من سفك الدماء ولكنه اراد حلا وسطا
وهو الهرب بدينه وعدم تجريد السيف ولكن هذا الحل لا يمكن ان يقبله الحكام
الامويون بالبداهة.

ومن المعتدلين من الخواج ابو بيهس هيصم بن جابر الضبى ولكنه
اعتدال غير كامل فقد احل المقام بين مخالفه وجوز مناكحتهم وموارثتهم ولكنه

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٣٦

(٢) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٥/١٥٦

اعتبرهم في الاحكام الدينية منافقون يظهرون الاسلام ويخفون النفاق واما حكمهم عند الله فقد رُغم بأنه حكم المشركين (١) .

وكذا صالح بن مسرح فقد كان يرى انه يجب دعوة مخالفيه قبل قتالهم لأنه اقطع للمذر وابلغ في الحجة عليهم بينما كان شبيب وهو الزعيم الثاني بعد صالح يحبذ على القول بالفتك بمخالفهم قبل الدعوة فحينما اجتمع شبيب بصالح بعد المكاتبة بينهما واتفاقهما على الخروج يروى بنفسه ما جرى بينه وبين صالح بن مسرح فيقول " لَمْ هَمْنَا بالخروج اجتمعنا الى صالح بن مسرح ليلة خرج فكان رأيي استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الارض فقلت اليه فقلت يا امير المؤمنين كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة انقتلهم قبل الدعاء او ندعوهم قبل القتال وسأجرك برأيي فيهم قبل ان تخبرني فيهم رأيك اما انا فأرى ان نقتل كل من لا يرى كل من لا يرى رأينا قريباً كان او بعيداً فاننا نخرج على قوم غاوين طائنين باغين قد تركوا امر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال: لا بل ندعوهم فلمعمرى لا يجيبك الا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزرى عليك والدعاء اقطع لحجتهم^{وابلغ نزالهم} عليهم قال : فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ ما تقول في دمائهم وأموالهم ؟ فقال ان قاتلنا وغنمنا فلنا وان تجاوزنا وعفونا فموسع علينا ولنا قال : فأحسن القول واصاب رحمه الله عليه وعلينا " (٢)

فهذه المحاورات الفقهية السياسية في شأن مخالفهم تملكت بأمور هي هل عليهم دعوة مخالفهم قبل القتال ام لا وهل الاسرى يجب قتلهم ام استبقاؤهم ثم الحكم في الاموال ثم الخنائم وهكذا .

وهذا يفيد انهم نوعاً ما كانوا اخف وطأة من الازارقة وان كانوا قد عقدوا المزم على قتال مخالفهم او يدعوا لطاعتهم لانهم في نظره خارجون عن تطبيق

(١) انظر المقصد الفريد ج ١ ص ٢٢٣

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٩

الاسلام الصحيح فيجب ان توضع الحلول لتلك المسائل التي تعلق بمخالفهم ولهذا فقد انكر صالح على نافع بن الازرق غلوه وعلى ابن اباض في تفصيله في الحكم على مخالفهم فقال لابن اباض " برى الله منك فقد قصرت وبرى الله من ابن الازرق فقد غلا " (١) .

ونحب ان نذكر هنا موقف الاباضية من مخالفهم سواء ما قاله علماء الفرق او ما قالوه هم عن انفسهم لنرى مدى التقارب والتباعد بينهم وبين غيرهم من فرق الخوارج في هذه المسألة .

وللواقع ان حكم الاباضية في مخالفهم قد تميز بنوع من الاعتدال وحب للتقارب مع غيرهم فهم لا يحكمون عليهم بالشرك وان كانوا لا يعتبرونهم كاملاً في الاسلام بل هم كفار .

وهذا التعبير هو ما يستعمله الاشعري والبغدادى والشهرستانى . يقول الاشعري " وجمهور الاباضية يتولى المحكمة كلها الا من خرج ويؤمنون ان مخالفهم من اهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين " (٢) وهكذا عند البغدادى فقد ذكر انهم يرون ان مخالفهم " براء من الشرك والايمان وانهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار " (٣) وكذا عند الشهرستانى (٤)

وقد زاد البغدادى حكماً آخر عن الاباضية وهو انهم يعتبرون مخالفهم محاربين لله ولرسوله ، فيكون قد تميز بذكر حكيم لمخالفهم اى انهم كفار وانهم محاربون وذلك في قوله " وزعموا انهم — يعنى مخالفى الاباضية — في ذلك محاربون لله ولرسوله لا يدينون دين الحق " (٥)

ولكن هل يطبقون حكم المحاربين عليهم سنرى فيما بعد ما

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٦٨

(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٤

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٠٣

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٠٣

يقوله الاباضية عن انفسهم •

وقد انتقد على معمر هذا الاسلوب في حكم الاباضية على مخالفيهم — ووصفه بأنه اسلوب موهم غامض وان كثيرا مما قيل عن الاباضية في هذا الباب * انما هو — كما يقول معمر — تشنيعات وتلفيقات من ناس يريدون ان يوقدوا نار الفتنة ضد الاباضية وان يجعلوهم مكروهين من بقية اخوانهم المسلمين فينسبون اليهم عقائد ومقالات يبرأون منها ومن يقول بها وسوقون عنهم اقوالا في غايصة الغرض والابهام لاثارة الرأي العام ضدهم • الخ • (١)

ومن هذه الايهامات — كما يرى — ذلك التعبير الذي تقدم عن الاشعري ومن اخذ عنه حيث لم يبينوا ما اذا كان المسلمون في نظر الاباضية كفار ملة او كفار نعمة •

وقد تقدم ان الاباضية يرون ان مخالفيهم من المسلمين كفار نعمة لا كفار ملة ولا ندري كيف جمع الاشعري والبغدادى بين القول بتكفير الاباضية لمخالفيهم تكفيرا مطلقا والقول باعتبار دارهم دار توحيد الا معسكر السلطان • يقول الاشعري في هذا * وزعموا ان المداير — يعنون دار مخالفيهم — دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار كفر يعنى عندهم * (٢) ، وهكذا عند البغدادى الا انه قصر الدار على مكة فهي دار التوحيد عندهم الا معسكر السلطان فالاشعري يذكر انهم عموما الحكم على جميع دور مخالفيهم والبغدادى خصها بدور مكة والتناقض في هذه الرواية عن الاباضية ظاهر اذا كانا يقصدان هنا بتكفير الاباضية لمخالفيهم انه كفر ملة ولا كان تساهلا منهم في التعبير عن مذهب الخوانج •

أما رأى الاباضية في الدار فانهم يقسمونها الى قسمين مدار اسلام

(١) الاباضية بين الفرق ص ٣٣ و ٤٣

(٢) انظر المقالات ج ١ ص ١٨٥ والفرق بين الفرق ص ١٠٦

دار كفر ، ودار الكفر لا تطبق بأي حال على دور مخالفيهم من المسلمين سواء في ذلك عامة الناس او معسكر السلطان خلافا لما ذكره الاشعري وغيره من اعتبار معسكر السلطان دار كفر عند الاباضية ودار الاسلام لا تخلو عندهم عن اربع صور هي :

- ١ - ان يكون اهل الوطن كلهم مسلمون والسلطان عادل ملتزم بالمنهج الاسلامي وفي هذه الصورة تكون الدار دار اسلام ومعسكر السلطان معسكر اسلام .
 - ٢ - ان يكون اهل الوطن مسلمون ولكن حاكمهم وصل الى الحكم بطرق غير مستكملة للشروط ولكن بعد ان تسلم زمام الحكم التزم بالمنهج الاسلامي وهذه الصورة في الحكم كسابقتها .
 - ٣ - ان يكون اهل الوطن مسلمون وصل حاكمهم الى الحكم بطرق شرعية ولكنه بعد ان يتم له الامر ينحرف وفي هذه الصورة تكون الدار دار اسلام ومعسكر السلطان معسكر اسلام الا انه معسكر بغي وظلم .
 - ٤ - ان يكون اهل الوطن مسلمون وصل حاكمهم الى الحكم بطرق غير شرعية ولم يلتزم بالمنهج الاسلامي ففي هذه الحال " تعتبر الدار دار اسلام ومعسكر السلطان معسكر اسلام الا انه معسكر بغي وظلم ودان " (١) فالاباضية اذا لا يرون في هذه الصور من صور الحكم في بلاد الاسلام صورة يعتبرون فيها دار المسلمين من غيرهم دار كفر ولا معسكر سلطانهم كذلك واقصى ما وصفوا به معسكر السلطان هو البغي والظلم والعدوان .
- اما ما يذكره اهل الفرق عن معاملة الاباضية لغيرهم فهو القول بأن الاباضية يعتبرون ان مخالفيهم " حلال مناكرتهم وموارثتهم " وحرام قتلهم

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٢٩٥

وسبيهم في السرا لا من دعا الى الشرك في دار التقية ودان به . . . (و) انهم اجازوا شهادة مخالفيهم على اوليائهم وحرمو الاستعراض اذا خرجوا وحرموا دماء مخالفيهم حتى يدعوهم الى دينهم .

هكذا قيل عن سماحة الاباضية في حالة السلم اما في حالة الحرب فيوصفون بانهم لا يستحلون من احوال مخالفيهم بعد المعركة غير عدة الحرب وما يتقوى بد عليه من السلاح والخيول ونحوهما .

كذلك من عاداتهم انهم لا يتبعون المنهزمين في الحرب اذا كانوا من اهل القبلة الا ان يكونوا من المشبهة فهم عندهم كأهل الردة يجوز قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم واتباع المنهزم منهم .

وفي المعركة لا يقتلون النساء ولا الاطفال على عكس ما يفعله الازارقة . (١)

ومع هذا التسامح الذي ذكره الاشعري وغيره عن الاباضية الا انه يقول عنهم " وقالوا جميعا ان الواجب ان يستتيبوا من خالفهم في تنزيل او تأويل فان تاب ولا قتل كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله او فيما لا يسع جهله " (٢) ويبقى هنا اشكال في هذا التعبير وهو هل يستتيبون جميع المخالفين لهم عند ما يكونون في دارهم او في غير دارهم ؟

ام ان هذا خاص بالاسرى ؟ وهما كان فكيف يبلغ بهم التشدد - والتعصب حتى انهم يقتلون من خالفهم ولو كان هذا الخلاف فيما يسع جهله فان هذا تشدد ظاهر .

والواقع ان كتاب الاباضية ينفون هذه المعاملة لمخالفهم عن انفسهم فيرى على يحيى معمر - وهو اكبر من تزعم الدفاع عن الاباضية - ان الاشعري

(١) انظر المقالات : ج ١ ص ٢٨٥ و ص ١٨٨ وانظر الفرق بين الفرق ص ١٠٣

(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٦ ومثله البغدادي ص ١٠٧

لم يلتزم بتحري الحقيقة في آراء الاباضية وإنما اخذها عن اناس مفرضين كأنهم يهدفون الى تشويه الاباضية عند مخالفيهم والتشنيع عليهم واعتبر ان قول الاشعري — " وقالوا جميعا ان الواجب ان يستتيبوا من خالفهم في تنزيل او تأويل فان تاب ولا قتل " وبين قوله عنهم " وزعمون ان مخالفيهم من اهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين حلال مناكرتهم وموارثتهم حرام قتلهم وسبيهم " اعتبر ذلك — أمثلة تناقض اهل المقالات والمؤرخين — وبالذات الاشعري — في شأن الاباضية الا أنه لم يجعل المسؤولية كاملة على الاشعري وإنما على من القى اليه هذه المعلومات الخاطئة حسب زعمه . (١)

ويشهد لما تقدم من رأي على يحيى معمر ما ورد به صاحب كتاب — الاديان والفرق الاباضى على الازارقة من تخطئتهم في تشريكهم اهل القبلة ثم معاملتهم على هذا الاساس الذي لا يقره الاباضية الذين أجابوا التعامل مع مخالفيهم في كل المجالات وان الاباضية لا يستحلون من مخالفيهم غير دمائهم في الحرب اذا وقعت بينهم فقال " وأما نقض ما احتجوا به — يعنى الازارقة — من تشريك اهل القبلة واستعراضهم بالسيف فان الله سبحانه حكم في اهل القبلة — خلاف ما حكم به في المشركين وانه لم يحكم في اهل البغى بالسوى والغنيمة — وإنما حكم فيهم بدمائهم وحلها ، ولم يحل منهم غير دمائهم ولما قتل المسلمون — عثمان لم يستحلوا منه غير دمه ولم يسبوا له عيالا ولا غنما له مالا " . (٢)

ونحو ما تقدم نجده عند عالم آخر من علمائهم هو ابي زكريا يحيى بن الخير الجنائزى فقد اجاز معاملة المخالفين معاملة حسنة غير انه ينبغى ان يدعوا السب ترك ما به ضلوا فان اصروا ناصبهم امام المسلمين الحشرب حتى يدعوا للطاعة ولا يحل منهم غير دمائهم . (٣)

(١) انظر الاباضية بين الفرق ص ٢٧ / ٢٨

(٢) قطعة من كتاب في الاديان ص ٩٩ .

(٣) كتاب الوضع للجنائزى .

ولعل هذا الاستثناء يؤيد ما قاله الأشعري من ضرورة استتابة
المخالفين ولا قتلوا وإن جملة معمر من التهم التي قيلت في الإباضية •
موضح السالم أيضا موقف الإباضية من مخالفهم بإيضاح بيّن
وذلك في قوله " لا نرى الفتك بقومنا — يعنى مخالفهم — ولا قتلهم غيلة في
السر لأن الله لم يأمر به في كتابه ولم يفعله أحد من المسلمين " وقول
أيضا " نرى أن مناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا "
وقول عن الاستمرار الذي تدين به الأزارقة " لا نرى استمرار الناصر بالسيف
ما داموا يستقبلون القبلة " (١) •

وقول الورجلاني عن مخالفهم وما يكون عليه الإباضية في ساحة
الحرب تجاههم " وإن حاربناهم وهزمناهم فانا لا نتبع مدبراً ولا نجهز على جريح
وأموالهم مردودة عليهم إلا ما كان لبيت المال فانا نحوزه على وجهه ولا نتورع عن
جميع ما في أيديهم من المظالم عندما إذا كان جائزاً في مذهبهم وما كان في —
أيديهم من مال بيت مال المسلمين فانا نأخذه ولا نرده إليهم ونصرفه فـى
وجهه وإن كان مظلمة وردناها إلى أهلها " (٢) •

صرى الثعالبى — وهو أحد علماء الإباضية — أن ما قيل عن الإباضية
من تحليلهم لغنيمة أموال مخالفهم من سلاحهم وكراعهم عند الحرب غير صحيح
" إذ تأليف أصحابنا — كما يقول — كلها ناطقة بتحريم أموال أهل القبلة
في الحرب وغيرها للثنى والفقير " (٣) •

وأما ما حكاه الأشعري وغيره عنهم من استباحتهم قتل المشبهة
وسبيهم وغنيمة أموالهم واتباع موليتهم باعتبار أنهم مرتدون فإن الإباضية لا تقر
هذا التعبير على عمومته بل يرون أنه صيغ بهذا الالتواء بقصد التشنيع على الإباضية

(١) نقلا عن الإباضية بين الفرق ص ٣١١

(٢) نقلا عن الإباضية بين الفرق ص ٣٣٥ وانظر " الدين والعلم الحديث لابراهيم

محمد عبد الباقي ص ٢٥٢ •

(٣) نقلا عن الإباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٨٥ •

كما يرى معمر ذلك لانه يشمل بعض من يعاملهم الاباضية معاملة المسلمين وان اعتبروهم من المشبهة بسبب خطئهم في التعبير عن ذات الله تعالى ، ذلك ان المشبهة عندهم ثلاثة اقسام مجسمة وهم الذين يصفون الله بانه جسم كالاجسام ثم يحددونه صوته • وشبه مجسمة وهم كالمجسمة يحددونه ولكن يحتززون بقولهم " ونحن لا نعرف ذلك " كما عبر على معمر - فأهل هذين القسمين هم عند الاباضية مشركون مرتدون يقول معمر عن رأي الاباضية فيهم " فالمجسمة يعتبرهم الاباضية مشركين لا فرق بينهم وبين عبدة الاوثان بسبب تصورهم وتصورهم لالههم بصورة المخلوق المحدود " . . .

اما القسم الثالث فهم الذين " يثبتون المعاني الحرفية لبعض الكلمات التي وردت في القرآن تثبت له الحركة أو الجوارح كاليد والعين والساق والمجيء والنزول والاستواء والمصرة والضحك فيسكون عن تأويلها بالمعنى المناسب ويقولون كما اراد الله " وأهل هذا القسم يعتبرهم الاباضية مشبهة بسبب خطئهم في التأويل ولكنهم يعاملونهم معاملة المساكين ولا يطلقون عليهم اسم المشبهة الا في مواطن الجدال العنيف (١)

وهكذا يتضح لنا ما قلناه سابقا من تسامح الاباضية في حكمهم على مخالفيهم ومعاملتهم لهم حتى كانوا بذلك اقرب فرق الخوارج الى الجماعة الاسلامية •

ولقد اعتبر هذا الموقف المتسامح عند الاباضية بمثابة تغير في موقف قدما

الخوارج المتشدد من مخالفيهم •

ولقد علل الفراءى رحمه الله تساهل الاباضية فارجه الى سببين :

(١) انظر الاباضية بين الفرق ص ٣٣٥ - ٣٣٧

الاول : هو انهم ضعفوا لكثرة حروبهم فهم يريدون ان يتقربوا من مخالفيهم شيئا فشيئا حتى لا تقوم بينهم الحرب •

الثاني : هو " انهم لما اتسمن مداركهم وغرفوا ما لم يكن يعرفه سلفهم الذين كانوا من عرب البادية وفيهم سذاجة وعدم عمق في التفكير كانوا اكثر تسامحا مع مخالفيهم من سلفهم " ولكنه لم يجزم بواحد من هذين السببين بل قال " ولا مانع من ان يكون قد اجتمع لديهم السببان معا " (١)

والمهم هنا هو ان نعرف موقف الاباضية من هذا التحليل السابق الذكر هل يعترفون بانهم اكثر تساهلا من خلفهم وهل فعلا اضعفتهم الحروب الدموية مع مخالفيهم فاحبوا التقرب اليهم اتقاء شرهم وهل يعترفون بأن سلفهم كانوا على جانب من البداوة التي كانت تظهر في سذاجتهم وعدم عمق في تفكيرهم الذي كان سطحيا يأخذ الامور ببراءة البدوى وطباعه ام انهم كانوا ضد ذلك وضد تلك الصفات • سنجد ان المدافع الاكبر على الاباضية — على يحيى معمر — يتصدى للرد على هذه التهم كلها وصفها بانها افتراضات غير صحيحة وان القول بسلف متشدد وخلف متساهل كان من جراه ربط الاباضية بالخواجه وهو يسطر يصفه المؤلف بانه انسياق مع كتاب المقالات من غير رجوع الى كتب الاباضية — وصادرها •

ثم يذكر انه لا مانع من تغير الاجتهادات في غير القطعيات بل هو من محاسن الشريعة ولم يخل منها مذهب من المذاهب الاسلامية الى ان يقول عن الفرابي بخصومه " ومع هذا فاننا اؤكد للاستاذ الفرابي ان المسائل التي اوردها لم يتغير فيها رأي خلف الاباضية عن سلفهم فيما عدا مسألة واحدة هي مسألة اطفال المشركين فقد كانت عند السلف خلافة ورجح الخلف انهم من اهل الجنة

خدا للمسلمين طبقا للحاديث الواردة في الموضوع * وقد استشهد بعدة
امثلة تبين اجتهاد الخلف وتسييرهم في بعض المسائل .

اما القول بان الحروب اضعفتهم فاجبوا مسالة الناس فقد نفى
معمار صحة هذا ولم يثبت من حروبهم غير الحركة التي قام بها طالب الحق
في الجزيرة العربية طيلة عهد الدولة الأموية ثم جاء ببيان لدول الاباضية
التي قامت في الشرق والغرب اثبت من خلاله ان الاباضية كانوا لا يعتدون على
احد من مجاورهم (١) ومن ثم فلم يكن تسامحهم عن غيرهم ناشئا عن ضعف .
وجد ربنا ان نقرر هنا ان الاباضية لم يكونوا جميعا على هذا القدر
الذي تقدم من التسامح في الحكم على مخالفيهم في معاملتهم لهم بل كان منهم
المغالون في التشدد تجاه مخالفيهم ومن الشواهد على ذلك ما رواه الجيظالي
الاباضي عن الامام عبد الوهاب * انه قال سمعنا رجلا يحل بها دما
فاخبرت منها لابي مرداس بوجهين فقال من اين هذا من اين هذا ؟ وفي كتاب
سير السلف ان الامام كان يقول : عندى اربعة وعشرون رجلا يحل بها دما
اهل القبلة ولم تكن منهم عند ابي مرداس رحمه الله الا اربعة اوجه وقد شدد على
فيهم * (٢) وقد اعتبر على معمار معرفة الامام عبد الوهاب بهذه الوجة الكثيرة
التي تحل بها دما المسلمين اهل القبلة من باب السعة في العلم كما يرى (٣) .
اما المارغني فانه يحكم على مخالفيهم بالهلاك والنذر في الدار الآخرة
وان الشخص ليس على شيء ما دام غير متمسك بالمذهب الاباضي قولا وعملا
حتى يلقي الله به سعيدا مقبول العمل .

يقول المارغني في رآلته عن مشائخهم * وقالت المشايخ ان هذا الدين
الذي دنا به الوهبية من الاباضية من الحكمة دين المصطفى صلى الله عليه وسلم

(١) انظر لهذا الفصل كتاب الاباضية بين الفرق الاسلامية من ص ٧٠ الى ص ٨٢

(٢) قواعد الاسلام ص ١٠٥

(٣) الاباضية في موكب التاريخ ص ٣٩ ج ٢

هو الحق عند الله وهو دين الاسلام من مات مستقيماً عليه فهو مسلم عند الله ومن شك فيه فليس على شيء منه ومن مات على خلافه او مات على كبيرة موقفة فهو عند الله من الهالكين اصحاب النار * (١)

فقد قصر الاسلام عند الله على المذهب الاباضي ومن جاء بغيره فهو على هلاك وتبار وتبرأون ممن لا يدين بالقول بخلق القرآن من اهل السنة كما في قول ابن جميع الاباضي * وليس منا من قال ان القرآن غير مخلوق ... ولا من قال ان جميع من يحل دمه يحل ماله * (٢)

ومما جاء في تزكية مذهبهم وابطال ما خالفه قول الفراءى الاباضي : الحمد لله الذي جعل الحق مع واحد في الديانات ، فنقول معشر الاباضية الوهبية الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا لأن الحق عند الله واحد ومذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق * (٣) .

اما الوارجلاني من علمائهم المشهورين فقد قضى على امة احمد بالهلاك والثبور ولم ينج منهم الا من كان على المذهب الاباضي وورد ادلة على ذلك واستشكالات ثم يذكر جوانبها مدعياً ان حديث افتراق الامم قد نص على هلاك من عدى الاباضية وان السبب في بقاء الاباضية على الحق هو انهم لم يقلدوا الآباء دون محاسبتهم كما كان الحال عند غيرهم بل اتبعوهم تقيدا لا تقليدا ومن تساوت قولاته :

* فان قال قائل هذه امة احمد صلى الله عليه وسلم قد قضيت عليها بالهلاك والبدعة والضلال وحكمت عليها بدخول النار ما خلا اهل مذهبكم قلنا انما قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نحن بقوله حيث يقول ستفتشق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار ما خلا واحدة ناجية كلهم يدعى

(١) رسالة في فرق الاباضية المغرب ص ١٣ .

(٢) مقدمة التوحيد لابن جميع ص ١٩ .

(٣) الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد ص ٣٧ .

تلك الواحدة " ولئلا يستعظم المستمع هذا الكلام جاء بما يجول في خاطره من أسئلة وأهمها ما ذكره بقوله " فان قال قائل هذه أمة أحمد قد أصيبت باتباع أوائلها وما يدريكم لعلكم انتم ايضا ممن أصيب باتباع أوائله ولم قضيتم ان أوائلكم على الهدى وأوائل غيركم على الردى ، وأوائلكم غير معصومين كأوائل غيركم ؟ " هذا سؤال ولا شك مهم ولكن المؤلف قد أجاب بما لا يقنع فيه ، أجاب بما حاصله ان الاباضية اتبعوا أوائلهم بعد المحاربة لهم وان أوائلهم عولت على الوزن بالقسطاس المستقيم والبرهان القويم وهو الكتاب والسنة ورأى المسلمين وذلك انهم كانوا دائما مع الفرقة المحقة ولا شك ان هذه الدعوى بطبيعة الحال تدعيها كل فرقة وهذا ديدن اصحاب المذاهب ، ولهم ان يفخروا بما يرون انه من مفاخرهم ولكن ماذا معهم من الفخر حين يفخرون بأنهم كانوا في جانب الجيش الذين قتلوا عثمان ثم في جانب الجيش الذين خرجوا على علي " كما ذكر المؤلف (١) .

وقد أورد صاحب العقود الفضية كثيرا من النصوص عن علمائهم تشهد بأن المذهب الاباضي هو خير المذاهب وأصوبها لا يقبل الله من غيره أي مذهب وان من خالفه فليس له الا النار ومثل المصير ، ومن تلك النصوص ما جاء عن ابي الحسن علي بن محمد البسياني قوله " فحصد الأديان ظهرا ومطنا فلم اجد ديننا أصفى من ديننا ولو علمنا غيره خيرا منه لما سمحنا لجهنم بأنفسنا " الى ان يقول " فعلمنا انه هو الدين الذي لا يرضى الله الا به لانه مذهب منزله صريح صحيح واضح من طريق الشريعة لا من طريق اللغة " (٢) .

ومنها قول السالى " والله الذي لا اله الا هو ان الحق لمع هذه العصابة " (٣) ومنها قول جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي " انى لأقسم بالله قسم من بر في يمينه فلا حدث ان من مات على الدين الاباضى الصحيح غير ناكث لما

(١) انظر كتاب الدليل لاهل العقول ص ٣٥ الى ٣٧

(٢) العقود الفضية ص ١٦٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٢ .

عاهد الله عليه من قبل ولا مغير حقيقة كلا ولا بديل طريقته أنه من السعداء ومن أهل الجنة مع الانبياء والاولياء وان من مات على خالفه فليس له في الآخرة الا النار ومثل المصير * (١).

ويقول مؤلف كشف الغمة في تشييعه على مخالفيهم :

" ووجدنا من خالفنا يجمع بين الاضداد وساوى بين اهل الصلاح والفساد وجمع بين القاتل والمقتول والظالم والمظلوم فيتولونهم ويستغفرون لهم فهذا من اوضح السبل وأبين الأدلة وأقوى حجة على من خالفنا * (٢) ومن أجل كتبهم الفقهية عندهم واكبرها كتاب " النيل وشفاء العليل " هذا الكتاب يذكر فيه مؤلفه عن معاملة الاباضية لمخالفهم بأنهم يعاملونهم على حسب ظاهر الفرق ومعتقداتها * وحكم فيهم بحكم التوحيد من دعا الى ترك ما به ضلوا وما هم عليه من اظهار بدعتهم ومن جاوز مناكرتهم ومواكلتهم لذبائحهم والحج معهم * "

اما الائمة فانهم يققون منهم موقفا صليبا لا هوادة فيه فالحكم فيهم ان يبرأ من امامهم وقائدهم وعسكرهم ومقومهم على خلافهم بان مؤذنا او قاضيا لما في ذلك من الاثار والاحاديث فمن كثر سواد قوم فهو منهم ومن ثم كره الفوز والجهاد معهم وحضور جوامعهم ورجالهم * "

ثم يتطرق الى مسائل فرعية لا ترتفع الى درجة البراءة او عدمها لتفاهة الخلاف فيها فيقول :

" وهل يبرأ منهم بعالمات انفردوا بها كرفع الدين وترك التسمية في الصلاة والقنوت فيها ونحو ذلك أولا ؟ قولان * (٣) "

(١) المصدر السابق ص ١٧٢

(٢) كشف الغمة ص ٣٠٦

(٣) النيل وشفاء العليل ص ١٠٦١ - ١٠٦٢ ج ٣

وذكر في موضع آخر بعض المسائل في الاسماء والصفات وبعض المسائل الكلامية التي دأبوا بها وان من خالفهم فيها " حل قتله " وقد يستغرب السامع حينما تمر عليه تلك الخلافات الكلامية التي أحل المؤلف بها سفك دماء مخالفيهم وذلك في قوله الاتي :

" ومن قصد لخصلة ما دأبوا به وخالفوا فيه غيرهم كقدم الاسماء والصفات ونفى زيادتها على الذات والرومية وحدوث الكلام وأثبت الخلود والكسب للعبد والخلق والامر لله تعالى وخطئها او ما اجتمعت عليه الاممة حل قتله " (١) .

ولكن قتله يكون في دور الظهور والغلبة لهم لا في دور الكتمان . وهكذا نجد بعض اصوات الاباضية ترتفع بمثل هذا التشدد في الحكم على مخالفيهم واستحلال دمائهم والتبرؤ منهم مما لا يتفق مع ما هو معروف عن المذهب الاباضى من انه اكثر مذاهب الخوارج تسامحا مع غيرهم من المسلمين وهذا يدل على ان في الاباضية من قد خرج عن تلك التعاليم التي توحى اليهم بالتسامح مع مخالفيهم ولين جانبهم منهم وما تجدر الاشارة اليه ان اولئك الملوك الذين قد منا ذكرهم من افاضل العلماء عند الاباضية ومن المعتبرين عندهم في المذهب من قدماء علمائهم ولكن يبدو ان هذا الاتجاه المتشدد عندهم لم يكن هو السائد في الاوساط الاباضية بل كان السائد هو التسامح ولهذا اعتبر المذهب الاباضى - كما قلنا - اقرب المذاهب الى الجماعة الاسلامية وكان ذلك سببا في بقاءه وبقاء اتباعه حتى الان دون فرق الخوارج الاخرى .

(١) النيل وشفاء العليل ص ١٠٦٢ ج ٣

٤- موقف الخوارج من اهل الذمة :

ومن غريب امر الخوارج ان تلك الشدة التي اتصفوا بها وتلك الاستهانة المتناهية بسفك الدماء ، انما كانت على من يخالفهم ممن يقول انه مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله فكأنهم يقاتلون المسلمين لينشروا الاسلام بزعمهم وفي مقابل ذلك نجد ان معاملتهم لاهل الذمة كانت على النقيض من معاملتهم للمسلمين ، فقد كانوا معهم على ما لا يتصور من اللين والمسامحة والشواهد على هذه الدعوى كثيرة في كتب الفرق والمؤرخين وقد سبق ان ذكرنا قصة زاذان فروخ الذي جاء ذكره في كتاب احد عمال علي " رضى الله عنه حينما خرج الخوارج بن راشد عن طاعة علي واعلن الحرب عليه ففي اثناء سيرهم وجدوا هذا الرجل فعرضوا له يسألونه امسلم انت ام كافر ؟ فقال بل انا مسلم فسألوهم عن علي فاجاب بالحق فقالوا له كبرت يا عدو الله ثم حملوا عليه فقطعوه قطعاً واشلاء متناثرة ، ومضيف الطبرى قائلا " ووجدوا معه رجلاً من اهل الذمة فقالوا ما انت ؟ قال رجل من اهل الذمة قالوا اما هذا فلا سهيل عليه " (١)

وحين بلغ علياً رضى الله عنه هذا الموقف الخاطي منهم اجاب عن كتاب عامله بجواب جاء فيه " اما بعد فقد فهمت ما ذكرت من العصابة التي مرت بك فقتلت البر المسلم وأمن عند هم المخالف الكافر وان اولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا وكانوا كالذين حبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا فاسمع بهم وابصر يوم تخبر أعمالهم " (٢)

بل انهم كانوا اذا وجدوا غير مسلم يتواصون به خيراً كما حدث في اثناء خروجهم الى النهروان فقد " لقوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم واوصوا بالنصراني خيراً وقالوا احفظوا ذمة نبيكم " (٣) وقد استراب من موقفهم هذا حتى من

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١١٧

(٢) المصنف السابق ج ٥ ص ١١٧

(٣) المعقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠

لا يدين بالاسلام من النصارى وغيرهم فقد حدث اثنا سيرهم الى النهروان ان مروا بنخل فساموا رجلا نصرانيا جنى نخلة فوهبها لهم ولكنهم استعفوا عن اكلها بالمجان و " قالوا ما كنا نأخذها الا بشئ " فتعجب النصراني وقال لهم : " ما اعجب هذا اتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة الا — بشئ " (١) ؟ وذكر ابن الاثير من اعاجيبهم انهم ساروا " حتى نزلوا تحت نخل مواخير فسقطت منه رطبة فأخذها احد هم فتركها في فيه فقال آخر اخذتها بخير حلها وغير شئ فآلقها ثم مربهم خنزير لاهل الذمة فضربه احدىهم بسيفه فقالوا هذا فساد في الارض فلقى صاحب الخنزير فارضاه " (٢) وقد حدث هذا وعبد الله بن خباب ينظر اليهم فلما شاهد فعلهم ظن وراءه دين وهقل فطمع في البغوه واطلقه من قبضتهم لانهم اعتبروا قتل الخنزير من الفساد في الارض فسيلا الظن بقتل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا على عكس ما رأى منهم وأمل فقد ذبحوه ولم يندموا على قتله كما ندما على قتل الخنزير وكان الاولسى بهم ان يندموا على قتل النفس المحرمة ولكنه الجهل واتباع الهوى • وقد كان الاتصاف باليهودية والنصرانية من الامور المنجية من قتلهم فمن قال انه يهودى او نصراني او على أى دين كان أمن عندهم غير مدعى الاسلام —

فما يذكر من حيل الناس في النجاة من قبضتهم ما يرويه الاصمعى عن عيسى بن عمر قال بينما ابن عرياض يمشى مقدما لطيفا اذا استقبلته الخوارج يجزون الناس سيوفهم فقال لهم هل خرج اليكم في اليهود شي قالوا لا قال فامضوا راشدين فمضوا وتركوه " (٣) •

وصف المبرد بعض تلك المواقف الخاطئة بما يحكيه عن واصل بن عطاء حينما كان هو ورفقته سائرين فاجتازوا بالخوارج يقول المبرد " وحدثت ان واصل

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩١

(٢) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٢

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٤

بن عطاء ابا حذيفة اقبل في رفقة فاحسوا الخواج فقال واصل لاهل الرفقة
ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني واياهم وكانوا قد اشرفوا على العطش
فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما انت واصحابك قال مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام
الله ومعرفوا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم
وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس
ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى
يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه " التوبة : ٦ فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الي
بعض ثم قالوا ذلك لكم وصاروا باجمعهم حتى يلفوهم المأمن " (١) .

وقد مر رجل يسمى الفزري بن مهزم المبدى بجماعة من الازارقة
فسأله عن خبره وارادوا قتله فأقبل على قطري وقال اني مؤمن مهاجر
فسأله عن اقاويلهم فاجاب اليها فخلوا عنه وفي ذلك يقول :

فشدوا وثاقي ثم الجوا خصوتي الى قلري ذي الجبين المفلق
وحاججتهم في دينهم فحججتهم وما دينهم غير الهوى والتخلق (٢)
وقال ابن الجوزي في ذلك " قال القرشي وحدنا ابو جعفر الدايني قال خرج
قوم من الخواج بالبصرة فلقوا شيخا ابيض الرأس واللحية فقالوا له من انت
قال اعهد اليكم في اليهود بشي* اوبدا لكم في قتل اهل الذمة ؟ قالوا
اذهب عنا الى النار " (٣)

ومن هنا يتبين لنا ان احمد امين كان محقا حين يصفهم بانهم
محدودوا النظر ضيقوا الفكر في نظرهم الى مخالفهم " (٤) .
وجد ربنا في نهاية هذه المسألة ان نذكر ان التجذات خالفوا الخواج
في حفظهم لدماء اهل الذمة فساوا بينهم وبين مخالفهم من المسلمين في اهدار
دمائهم .

(١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٦ ، الاذكياء ص ١٢٢ . (٢) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٦١

(٣) الاذكياء لابن الجوزي ص ١٢٨ . (٤) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٣٣٢

هذا هو موقف الخوارج هي مخالفيهم بصفة عامة ، واتماما للبحث لا بد من بيان موقفهم من اطفال مخالفيهم لأنه لا بد وان يكون في حكم العقل تمييزاً بين معاملة الصغير الذي لم يبلغ سن التكليف وبين الكبير المكلف ، ونحب ان نبيّن موقف الخوارج هل كانوا جميعاً على هذا المبدأ الذي قد ضاهاه ام كان بعضهم من الجفاء بحيث لا يميز بين الصغير والكبير في الحكم والمعاملة فيهم .

وللاجابة عن ذلك نقول بصفة اجمالية ان الخوارج لم يتفقوا على حكم واحد في الاطفال سواء كان ذلك الحكم في الدنيا او في الآخرة فمنهم من عاملهم اشد المعاملة واقساها فاعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم باعتبار انهم مشركون من اهل النار كأبائهم والمشارك بالطبع غير معصوم الدم . ومنهم من اعتبرهم ابرياء يخطئ من يستباح قتلهم او الحكم عليهم بدخول النار بل هم من اهل الجنة وقد جعلهم بعضهم خدماً لأهل الجنة .

ومنهم من توقف فيهم ما داموا تحت سن التكليف الى ان يبلغوا واختاروا لانفسهم الدين الذي يرتضونه ومن هنا تحدد معاملتهم ومنهم من تولى اطفال المؤمنين وتوقف عنهم اطفال المشركين فمن حكم عليهم بأنهم تابعون لأبائهم في شركهم عاملهم في الدنيا بحسب ذلك الحكم ومن تولاهم ورأى انهم ليسوا بكفار وان حكمهم ليس كحكم آبائهم عاملهم بالحسن في الدنيا فحرم قتلهم وحرم القول فيهم بأنهم من اهل النار . ومن توقف فيهم عاملهم كذلك بالحسن الى ان يبلغوا مبلغ التكليف وفيما يلي تفصيل هذا الاجمال :

(١) — اما القول باتباع اطفال المخالفين لأبائهم واعتبارهم مشركين كأبائهم تستباح دماهم فهو قول الازارقة وقد عد العلماء هذا القول من بدع نافع بن الازرق الذي تولى كبره هو واتباعه يقول الأشعري فيهم " يرون قتل الاطفال " (١)

موضح قولهم ايضا البغدادى فيقول في بيانه لبدعهم " ومنها انهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل اطفالهم وزعموا ان الاطفال مشركون وقطعوا بأن اطفال مخالفيهم مغلدون في النار " (١) وهكذا عند الشهرستاني وابن حزم وابن الاثير وقول ابن الجوزى " واباح هؤلاء — يعنى الازارقة — قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك " (٢)

ومن البديهي ان يكون اطفال المخالفين عند الازارقة تبعاً لآبائهم في عذاب الآخرة كما كانوا تبعاً لهم في شركهم واستباحة دماهم في الدنيا . وقد استدل الازارقة في قولهم بتعذيب الاطفال في النار من القرآن الكريم بقوله تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام قوله " انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " نوح : ٢٧

ومن السنة بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خديجة أم المؤمنين رضی الله عنها قالت يا رسول الله اين اطفالى منك قال في الجنة قالت فاطفالى من غيرك قال في النار فاعاد تغليبه فقال لها ان شئت اسمعتك تضاعفهم .

وما روى ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الواحدة والمؤودة فى النار " واستدلوا ايضا بدليل عقلى فقالوا لمن حكم بدخولهم الجنة ان كانوا عندكم في الجنة فهم مؤمنون لانه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فان كانوا مؤمنين فيلزمكم ان تدفنوا اطفال المشركين مع المسلمين وان لا تتركوه يلتزم اذا بلغ دين ابيه فتكون ردة وخروجاً عن الاسلام والكفر وينبى لكم ان ترثوه وتورثوه من اقاربه المسلمين " .

قال ابن حزم بعد ذكر استدلالهم تلك " هذا كلما احتجوا به

(١) الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ ، الكامل لابن الاثير

ج ٤ ص ١٦٢ ، الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٩

(٢) تلييس ابليس ص ٩٥

ما يعلم لهم حجة غير هذا اصلاً* (١) .

ومن قال بتمذيب الاطفال تبعاً لآبائهم بعد الازارقة المجاردة فانهم كانوا يقولون ان " اطفال المشركين في النار مع آبائهم " (٢) وكذا — الحمزية والخلفية فانهم يعتبرون الاطفال كلهم اى من مخالفيهم من اهل القبلة او من المشركين هؤلاء عند هم كلهم في النار وتعتبر الشيعية من هذا الفريق المتشدد حيث حكموا على اطفال المؤمنين " بانهم مؤمنون اطفالاً والفيمن حتى يكفروا وان اطفال الكفار كفار اطفالاً والفيمن حتى يؤمنوا " (٣)

(٢) — واما قول الخواجه ببرائة اطفال مخالفيهم فهو قول النجدات اتباع نجدة بن عامر فانهم كانوا لا يرون قتل الاطفال بل يرونهم معذورون — بصغرهم عن تحمل التبعات التي تقع على آبائهم ويظهر من كتاب نجدة الذي كتبه الى نافع انه كان يرى ان قتل الاطفال ليس من صفات الرحماء الذين مدحهم الله في كتابه ، وان القائد ينبغي عليه التمسك بالعدل وانصاف المظلوم وقتل هؤلاء الاطفال ظلم واغواء من الشيطان .

فما جاء فيه قوله يعاتبه " ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال جل ثناؤه " ولا تزر وازرة وزر اخرى " فأجابه نافع بقوله " واما امر الاطفال فان نبي الله نوحاً كان أعرف بالله يا نجدة مني ومنك " وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً " نوح : ٢٦/٢٧ فسامهم بالكفر وهم اطفال وقيل ان يولدوا فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا والله يقول — " اكفاركم خير من ألكم ام لكم براءة في الزبر " (٤) القمر : ٤٣

(١) الفصل ج ٤ ص ٧٣

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨ (٣) المقالات ج ١ ص ١٩٤

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٧/٣٩٨

ومثل النجدات في هذا الرأي ما يذهب اليه الصغرية فانهم لا يجوزون قتل اطفال مخالفيهم كما تفعل الازارقة يقول البغدادي * غير ان الصغرية لا يرون قتل الاطفال مخالفيهم ونسائهم والازارقة يرون ذلك * (١) وهذا الحكم عام عندهم حتى في اطفال المشركين فلم يروا قتلهم والتالي فانهم لا يجوزون القول بانهم في النار وفي ذلك يقول عنهم الشهرستاني * ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليد هم في النار * (٢)

ويصفهم الاشعري بانهم * لا يوافقون الازارقة في عذاب الاطفال * (٣) بل يحرمونه * وقد كان هذا الحكم ناتجا عن رأيهم في الدنيا وانهم معذورون بصغرهم الذي يوجب عدم مؤاخذتهم بما يؤاخذ به الكبار *

وقريب مما ذهب اليه النجدات والصغرية قول من يذهب الى الجزم بأن الاطفال كلهم على اى اعتقاد كان كلهم في الجنة وهذه الفرقة القائلة بهذا القول هي فرقة اليمونة اتباع ميمون الذي كان يقول * ان اطفال المشركين والكفار كلهم في الجنة واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه * (٤)

ومن الضريب ان ميمونا كان يدين بقول القدرية ولكنه * زعم مع ذلك ان اطفال المشركين في الجنة * (٥) كما يذكر البغدادي والشهرستاني *

(٣) — واما الذين توقفوا من الخوارج في امر اطفال مخالفيهم فهم فريق من الصلتية حيث لم يجدوا في الاطفال ما يوجب ولايتهم ولا عداوتهم الى ان يبلفوا وفي ذلك يقول الشهرستاني عنهم * وحكى عن جماعة منهم (ان الصلتية) انهم قالوا ليس لاطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلفوا فيدعوا الى الاسلام فيقروا او ينكروا * (٦) ولعل هذا الفريق

(١) الفرق بين الفرق ص ٩١ (٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧

(٣) المقالات ج ١ ص ١٨٢ (٤) قطعة من كتاب الاديان والفرق ص ١٠٤

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩

من الصلوة اوضح في التوقف في امر الاطفال من زعيمهم عثمان بن ابي الصلت
الذي كان يقول " اذا استجاب لنا الرجل واسلم توليناه وراثتنا من اطفاله
لأنه ليس لهم اسلام حتى يدركوا فيدعوا الى الاسلام فيقبلونه " (١) .
فاذا لم يكن للاطفال من المسلمين ما يدعوا الى ولايتهم فليس لهم من
الكفر ما يدعوا الى البراءة منهم كما ذهب اليه ابن ابي الصلت وهذا هو ما يدعوا
اليه التوقف التام في شأنهم .

وهذا الموقف هو نفسه موقف فرقة الثعلبية فهم يقولون " ليس
لاطفال الكافرين ولا لاطفال المؤمنين ولاية ولا عداوة ولا براءة حتى يبلغوا فيدعوا
الى الاسلام فيقرؤا به او ينكروه " (٢) وظاهر هذا الكلام انهم توقفوا في الحكم
فيهم ولكن الاشعري بعدما ذكر ما سبق عنهم عاد فقال بعد قليل من كلامه السابق
" ومن قول الثعلبية في الاطفال انهم يشتركون في عذاب آبائهم وانهم ركن
من اركانهم يريدون بذلك انهم بعض من ابعاضهم " (٣) فكيف يتم هذا
الحكم مع ما نقله عنهم من قولهم السابق بالتوقف في شأنهم قبل البلوغ ، الا ان يكون
ذلك التوقف في الدنيا واما في الآخرة فانهم يوجبون لهم النار ، والا لكان تناقضا
في النقل عنهم ولقد كان القول بولاية الاطفال او عدمه قبل البلوغ هو السبب في
انشقاق ثعلبية عن عبد الكريم بن عجرد وجم المعجاردة فقد كان عبد الكريم يرى
القول بالبراءة من الاطفال قبل البلوغ بينما ثعلبية كان يقول " نحن على ولايتهم
صفارا وكبارا الى ان يتبين لنا منهم انكار للحق " (٤) ولكن اغلبية المعجاردة
فيما يظهر مختلفون في حكم الاطفال فالذي عليه اكثرهم هو وجوب البراءة منهم
قبل البلوغ ووجوب دعوتهم الى الاسلام حين بلوغهم بل يذكر البغدادي انهم
مجمعون على هذا القول (٥) اما الاقلية منهم فقد توقفوا فيهم الى ان يبلغوا سن الرشد

(١) المقالات ج ١ ص ١٧٩ الفرق بين الفرق ص ٩٧

(٢) المقالات ج ١ ص ١٨٠ (٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٢

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٠١ (٥) الفرق بين الفرق ص ٩٤ ، الاديان والفرق ص ١٠٤

ويلفظوا بالاسلام وهذه الطائفة منهم ذكرها ابن حزم (١) .

(٤) — وأخرا أقوال الخواجه في هذا المقام هو ما يذهب اليه الاباضية فقد تولوا اطفال المسلمين وتوقفوا في اطفال المشركين فلم يحكموا لهم بنعيم او جحيم يقول قطبائهم .

" منا من توقف في اطفال المشركين ، منا من يقول انهم في الجنة " (٢)

ويقول ابن جميع منهم " وولاية اطفال المسلمين ، واما اطفال المشركين والمنافقين فالوقوف فيهم " (٣) ويقول صاحب كتاب الاديان :

" قال ابو محمد ايد الله اختلاف اصحابنا في اطفال المشركين والمنافقين على قولين :

فقال طائفة منهم حكمهم في الدنيا والاخرة حكم آبائهم قياسا على حكم اولاد المؤمنين " . الى ان يقول عن هذه الطائفة " وقالوا لما كان اطفال المؤمنين يتعمون مع آبائهم بالاتفاق ولم يعملوا عملا صالحا يجازون عليه جاز ان يعذب اطفال المشركين والمنافقين بما لم يعملوا ولله ان يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير وقالت الفرقة الاخرى اطفال المؤمنين يتعمون — مع آبائهم " ثم رقت هذه الفرقة في اطفال غير المؤمنين قالوا " لان الله سبحانه لم يتعبدنا بأن نعلم بأنهم في الجنة او في النار ، فلما كان القول فيهم ما يسع جهله ، وكانت الاخبار الواردة فيهم مختلفة احكامها في الظاهر رأينا الاعتصام بالسكوت عن حكمهم ورأينا الوقوف اسلم في امرهم ، ثم قال مؤلف هذا الكتاب " وعلى هذا المذهب الاخير ادركنا اشياخنا رحمهم الله " (٤) .

مذكر الاشعري والشهرستاني ان كثيرا من الاباضية قد توقفوا في ايلام —

اطفال المشركين في الاخرة " فجوزوا ان يؤلمهم الله سبحانه في الاخرة على غير —

(٢) انظر الاباضية بين الفرق ص ٤٨٤

(١) الفصل ج ٤ ص ١٩١

(٣) مقدمة التوحيد ص ١١

(٤) الاديان والفرق ص ٢٢—٢٤ .

طريق الانتقام وجوزوا ان يدخلهم الجنة فضلا * ولكن يختلف الشهورستاني معه في اسباب مجازاتهم بالنار فلا شعري يذكر انهم يقولون ان الله يؤلمهم ولكن ليس على سبيل الانتقام والشهورستاني يقول انه على سبيل الانتقام (١) وعلى كل حال فان كان على طريق الانتقام فما ذنبهم حتى ينتقم الله منهم وان كان على غير طريق الانتقام فما الداعي لتعذيبهم بدون استحقاق منهم لذلك الانتقام.

وهناك من الاباضية من يلحق اطفال المشركين باطفال المؤمنين فلا يتوقف فيهم بل يقول انهم من اهل الجنة وهو ما يقوله اطفيش في تعليقه على قول السالمى * ولا نرى قتل الصغير من اهل قبلتنا ولا غيرهم * قال ابو اسحاق تعليقا على ذلك * لان حكم الاطفال انهم من اهل الجنة لقوله صلى الله عليه وسلم سألت الله في اللاهين فاعطانيهم خدما لاهل الجنة وهذا رد لقول الخواجه ان الاطفال تبع لآبائهم مستدلين على زعمهم بقوله تعالى في قوم نوح * ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * حملا للآية على قاعدتهم * (٢).

واذا اختلف الخواجه في الحكم على اطفال مخالفيهم على هذا النحو تحب ان نعقب ببيان رأى علماء السلف في قضية اطفال المؤمنين الذين يعتبرهم الخواجه مخالفين لهم وكذلك اطفال المشركين اما اطفال المؤمنين فان بعض اهل العلم يذهب الى ان هؤلاء الاطفال ان كانوا كبارا وقد ماتوا على الايمان فان الله تعالى يدخلهم الجنة مع آبائهم وان نقصت اعمالهم عنهم لتقر أعين آبائهم بهم وان كانوا صغارا فانهم مع آبائهم في الجنة فضلا من الله تعالى عليهم دون ان ينقص دخولهم من عمل آبائهم شيئا * (٣).

وقد جزم الامام احمد بانهم في الجنة باتفاق العلماء يقول شيخ الاسلام ابن القيم * واما اطفال المسلمين فقال الامام احمد لا يختلف فيهم احد يعنى

(١) المقالات ج ١ ص ١٨٩ ، الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥

(٢) نقلا عن الاباضية بين الفرق ص ٤٧٩

(٣) انظر التفسير القيم ص ٤٥١ ، فتح القدير ج ٥ ص ٩٨ جامع البيان ص ٢٥ ج ٢٧ الدر المنثور ج ٦ ص ١١٩ حادى الارواح ص ٢٨١/٢٧٩

انهم في الجنة * (١) وهناك من يخالف هذا الحكم على اطفال المؤمنين ويرى انهم تحت المشيئة كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله .

يروى السيوطي عن عبد الله بن احمد عن علي * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار * (٢) .

والحكم على اطفال المؤمنين بالجنة ينقض ما ذهب اليه نافع بن الازرق ومن على رأيه من الحكم عليهم بدخول النار ، وجليب بالذكر ان اطفال المؤمنين الذين نتحد عنهم هنا هم الذين يعتبرهم ابن الازرق ومن على رأي اطفال مشركين فمخالقهم في نظرهم ^{مكون كما تقدم} اطفال المشركين الذين هم عند اهل الحق عدة الاثان ومن في حكمهم فان العلماء قد اختلفوا فيهم اختلافا كثيرا حاصله :

١ - التوقف في أمرهم فلا يحكم لهم بجنة ولا نار ويقولون فيهم * الله اعلم ما كانوا عاملين * .

٢ - انهم في النار .

٣ - انهم في الجنة .

٤ - انهم في منزلة بين المنزلتين اي بين الجنة والنار . وهذا قول ضعيف اذ ان الحياة الاخرة اما ان يكون صاحبها في الجنة او في النار وقد دعاهم الى هذا القول انهم رأوا ان هؤلاء الاطفال ليس لهم ايمان فيدخلون به الجنة وليس لآبائهم من الفوز ما يلحقهم بهم ، وليس لهم ايضاً اعمال يستحقون بها النار .

٥ - انهم خدم اهل الجنة وماليكهم .

٦ - انهم تحت مشيئة الله تعالى يحكم فيهم بما يريد فيجوز ان يعذبهم وان -

(١) طريق الهجرتين ص ٣٨٧

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٩

يرحمهم وان يرحم بعضهم ومذب بعضهم ولكن هذا لا يقال الا بدليل ينص على احد الامور وهو رأى كثير من اهل البدع كالجيزية وغيرهم •

٧ — ان حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والاخرة اى تبعاً لآبائهم —
" حتى ولو اسلم الابوان بعد موت اطفالهما لم يحكم لأقراطهما —
بالنار " •

٨ — انهم يمتحنون في عرصات القيامة بطاعة رسول يرسله الله اليهم —
فمن اطاعه منهم دخل الجنة ومن عصاه دخل النار فيكون بعضهم —
من اهل الجنة وبعضهم من اهل النار وقد استعرض ابن القيم أدلة —
القائلين بهذه الآراء وانتهى من نقدها الى نصرة هذا الرأى الاخير
وقال " وهذا يتألف من الادلة كلها وتتوافق الاحاديث ويكون معلوم
الله الذى احال عليه النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول " الله
اعلم بما كانوا عاملين " •

وقد بسط ابن القيم القول في حكم الاطفال واورد هذه الآراء وناقشها
في كتابه طريق الهجرتين (١) وقد ايد ابن حزم القول بأن اطفال المشركين —
في الجنة واكثر من الاحتجاج عليه والرد على من يقول بغير ذلك ورد على الازارقة
في كل ما احتجوا به لرأيهم وبين أن تلك الحجج كلها غير صحيحة ، اما الآية —
فذكر ان نوحاً لم يقل ذلك على جميع الكفار بل عن كفار قومه الذين اخبره الله
عنهم بقوله تعالى " انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن " هود : ٣٦ وعندها
ايقن بأن بقاءهم لا فائدة وراءه لليمان فدعى عليهم بخصوصهم لما علم بنهاية —
امرهم واجاب عن حديث خديجة بانه " ساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير " وعن
حديث الوائدة بأن تلك المؤودة كانت قد بلغت الحنث بخلاف قول من اخبره —

(١) طريق الهجرتين ص ٣٨٧ — ٣٩٦

بأنها لم تبلغ الحذث فقال هذا انكارا لقولهما وتام الحديث :

” عن سلمة بن يزيد الجعفي قال اتيت انا وأخي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان أمانا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال لا قلنا فان أمانا وأدت اختا لنساء في الجاهلية لم تبلغ الحذث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤودة والوائدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم ” (١)

وقد قال كثير من المفسرين بما أورده ابن حزم من تخصيصه ——— بالدعاء على كفار قومه فقط (٢) وأما حديث خديجة فقد ذكر ابن القيم انه معلول من جهين *

١ — احدهما ان محمد بن عثمان احد رواة الحديث مجهول .

٢ — ان زاذان الراوى للحديث عن علي لم يدركه .

وأما حديث خديجة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان شئت اسمعتك تضاً فمهم * فقد وصف بأنه حديث باطل موضوع *

وقد قال عن حديث الوائدة * وكونها مؤودة لا يمنع من دخولها النار بسبب آخر * وذكر ان احسن ما يقال فيه ان المؤودة * في النار ما لم يوجد سبب يمنع من دخولها النار * (٣) .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية فانه يرى التوقف في اطفال المشركين وقال بأن اصح الاجه فيهم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عنه انه قال * ما من مولود الا يولد على الفطرة * الحديث قيل يا رسول الله أرايت ممن يمون من اطفال المشركين وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين ، فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا نار ، وروى انهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات

(١) انظر الفصل ج ٤ ص ٧٤

(٢) انظر الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٠ ، فتح القدير ج ٥ ص ٣٠١

(٣) طريق الجرتين ص ٣٩٥

القيامة فمن اطاع الله حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار ودلت الاحاديث الصحيحة ان بعضهم في الجنة وبعضهم في النار " (١) بل لقد جزم الامام النووي بأن اطفال الكفار في الجنة اذا ماتوا قبل البلوغ (٢) واختار هذا الرأي دون القول بدخولهم النار او بالتوقف في شأنهم وذكر البعلی الحنبلي أن — اصحاب احمد قد اختلفوا في الاطفال فبعضهم قال يعذبون تبعا لآبائهم وبعضهم قال يدخلون الجنة وذكر ان " اكثر نصوص احمد الوقف لا يحكم بجنة ولا بنار " (٣) .

وغاية القول ان اطفال المشركين الحقيقيين سواء في نظر المسلمين اوفى نظر الازارقة ومن معهم — غاية القول في شأنهم — التوقف في الحكم عليهم فلا يصح حكم الخواج عليهم بدخول النار " .

اما مسألة جواز قتل الاطفال ومن في حكمهم من المعجزة كالنساء فقد اخطأت الازارقة فيه حين زعموا جواز ذلك سواء كانوا من المسلمين او من المشركين فقد وردت احاديث صحيحة تنفع من قتلهم الا ان يكون ذلك فسادا لا يتميز فيه الاطفال والنساء فلا بأس حينئذ من قتلهم اذا وقع دون عمد فيكونون كآبائهم في حكم قتلهم واهداء دمائهم .

ومن الادلة على هذا ما جاء في حديث ابن عمر رضى الله عنه قال وجدت امرأة مقتولة في بعض تلك المنازى فبى رسول الله عن قتل النساء والصبيان " (٤) .

وكذل حديث الصعب بن جثامة " قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذراري من المشركين يبييتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم

(١) الفتاوى الكبرى ج ٢ ص ١٧٨ • (٢) شرح النووي ج ١٢ ص ٥٠

(٣) مختصر الفتاوى ج ١ ص ٢٥٥

(٤) أخرجه البخارى ومسلم ج ٤ ص ٢١ مسلم ج ٥ ص ١٤٤ واللفظ لمسلم •

فقال هم منهم * (١)

قال النووي بعد ايراد حديث ابن عمر * اجمع العلماء على
المعمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان اذا لم يقاتلوا فان قاتلوا
قال جماهير العلماء يقتلون * (٢)

وقال ابن حجر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم هم منهم * اى فسى
الحكم في تلك الحالة وليس المراد اباحة قتلهم بطريق القصد اليهم بل المراد
اذا لم يمكن الوصول الى الآباء الا بوطأ الذرية فاذا اصابوا لاختلاطهم بهم
جاز قتلهم * (٣)

(١) أخرجه البخارى ج ٤ ص ٢١ مسلم ج ٥ ص ١٤٤ واللفظ لمسلم

(٢) شرح النووي ج ١٢ ص ٤٨

(٣) فتح البارى ج ٦ ص ١٤٧

الفصل التاسع

" الحكم على الخوارج "

اختلف الحكم العلماء على الخوارج على قولين :

احدهما : الحكم بتكفيرهم ، والثاني : حكم من يكتفون بتغسيقهم او تبديعهم او باعتيائهم بغاة او ضللا ، او من ينظر اليهم على أنهم فرقة من الفرق تخطى وتصيب

أ - الحكم بتكفير الخوارج : وقد نظر الذين كفروا الخوارج او كفروا بعضهم الى ما أحدثوه من عقائد واحكام مخالفة لما هو معلوم من الدين بالضرورة فكفروهم ومن هو " لا " المكفرين من رد سلفهم القديم الى ذى الخويصرة ونظر الى ما ورد فى حقهم من الاحاديث التى تصفهم بالمروق من الدين فكفروهم وقد وردت عن ابي ابن ابي طالب وغيره من الصحابة ^{جله} هذه الاحاديث الصحيحة ومنها :-

١ - حديث على رضى الله عنه وفيه " واني سمعت رسول الله " ص " يقول

سيخرج قوم فى آخر الزمان حداث الاسنان سفها الاحلام يقولون من قول خير البرية لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم

من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيامة .

٢ - حديث ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال " سمعت النبي " ص " يقول

يخن فى هذه الامة ولم يقل منها قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤون -

القرآن لايجاوز حلقوهم او حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية

فينظر الراى الى سهمه الى نصله الى رصافه فيتمارى فى الفوقه هل علق

بها من الدم شىء .

٣ - حديث عبد الله بن عمر وذكر الحرورية فقال قال النبي " ص " يمرقون من

الاسلام مروق السهم من الرمية .

٤ - حديث ذو الخويصرة التميمي " عن ابي سعيد قال بينا النبي " ص " يقسم

جا عبد الله بن ذى الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك

من يعدل اذا لم اعدل قال عمر بن الخطاب وعنى اضرع عنقه قال دعاه
فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قدذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في
نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر
في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الغرث والدم آيتهم رجل احدى
يديه او قال ثدييه مثل ثدي المرأة او قال مثل البضعة تدرد ريخرجون
على حين فرقة من الناس قال ابو سعيد. اشهد سمعت من النبي " ص "
واشهد ان عليا قتلهم وانا معه جئى بالرجل على النعت الذى نعتته
النبي " ص " قال فنزلت فيه ومنهم من يلزمك فى الصدقات .

٥— حدثنا يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبى " ص " يقول فى الخواج شيئا قال سمعته يقول واهوى بيده قبل العراق يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية . (١)

وقد اورد بن حجر عدة روايات عن الصحابة تصف الخواج بانهم شرار الخلق والخلقة وانهم ابغض خلق الله وانه يقتلهم خير الخلق والخلقة وهى روايات كثيرة (٢) ثم اورد اسما طائفة من العلماء الذين كفروهم كالبخارى حيث قرنهم بالملحديين وافرد عنهم المتأولين بترجمة وذلك صح القاضى ابوبكر العسرى — فيما يذكر ابن حجر —

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٢ — ٥٣ وقد اورد مسلم هذه الاحاديث وفيها

اختلاف فى اللفظ وروايات اخرى انظر صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٩ — ١١٦ .

(٢) انظر فتح البارى ج ١٢ ص ٢٨٦ .

حيث صرح بكفرهم في شرح الترمذى وقال ان هذا هو الصحيح مستندا الى قوله —
"ص" يمرقون من الاسلام ويقول "ولأقتلنهم قتل عاد وفي لفظ ثمود ولحكمهم على
من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار فكانوا هم احق بالاسم منهم ويقول —
"هم شر الخلق والخلقة ولا يوصف بذلك الا الكفار ولقوله انهم ابغض الخلق الى
الله تعالى " (١)

ومثله الشيخ تقى الدين السبكي حيث يرى ان الصحيح هو القول بكفرهم
وذلك بسبب قولهم "بتكفيرهم اعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبي "ص" في شهادته (٢)
لهم بالجنة ، وكذا القرطبي فقد قال في المفهم " والقول بتكفيرهم اظهر في الحديث (٣)

وقال ايضا " فعلى القول بتكفيرهم يقاتلون ويقتلون وتسبى اموالهم وهو
قول طائفة من اهل الحديث في اموال الخوارج وعلى القول بعدم تكفيرهم يسلك
بهم مسلك اهل البغي اذا شقوا المصا ونصبوا الحرب " (٤) وهذا يدل على انه
غير جازم بالحكم فيهم وان كان يرى ترك تكفيرهم أسلم لقوله " وباب التكفير باب
خطر ولا نعدل بالسلامه شيئا " (٥) ونقل ابن حجر ايضا عن صاحب الشفا قوله —
" وكذا نقطع بكفر كل من قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير الصحابة " (٦)

(١) ٢٠١٩ نقلا عن فتح البارى ج ١٢ ص ٢٩٩.

(٢) نقلا عن المصدر السابق ص ٣٠١.

(٣) (٤) فتح البارى ج ١٢ ص ٣٠١.

(٦) المصدر السابق ص ٣٠٠.

ثم قال " وحكاه صاحب الروضة في كتاب الردة عنه واقره " (١)

ويروى ابن الجوزي كثيرا من مذاهم ثم ارود حديثا بسند ينتهي الى عبد الله

بن ابي اوفى قال " سمعت رسول الله " ص " يقول الخواج كلاب اهل النار " (٢)

وقال المظلي " جاء رجل الى طاووس من اهل الجند فقال يا ابا عبد الرحمن

على غزوة في سبيل الله فقال عندك هو لا فاحمل على هو لا الخبثاء فان ذلك يسودى
عك " (٣) وهذا يشير الى تكفيرهم .

ولقد ادعى المظلي اجماع الامة على تكفير الخواج فقال مخاطبا لهم " وانتم

باجماع الامة مارقون خارجون من دين الله لا اختلاف بين الامة في ذلك " (٤)

وقد انكر عليه الطالبى دعوى الاجماع هذه بأنه من الصعب ان يثبت زعمه

الاجماع على اكفار الخواج " (٥) ومن كفرهم ايضا ابو المظفر شاهفور الاسفرايينى

فيما ذكره عنه الطالبى ايضا وذلك لانهم " كفروا الصحابة " " ويجزم (يمسنى

الاسفرايينى) بأن من كان اعتقاده كاعتقادهم فانه لاشبهة تعترض اهل الديانة

في خروجه عن الملة " (٦) وهذا هو رأى الزيد يه جميعا فيما ينقله الطالبسى

عن الشيخ المفيد بقوله " ويصح الشيخ المفيد بأن الزيد يه قاطبه مجمعه على

(١) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٢) تلبيس ابليس ص ٩٦ " قال ابن تيمية بعد ان ذكر الحديث " قال الامام

احمد صح الحديث في الخواج من عشرة اوجه مجموعة الرسائل ج ٥ ص ١٩٧

(٣) التنبيه والرد ص ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٥) آراء الخواج ص ٢١ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٣ .

ان الخارجين على الامام على بن ابي طالب كفار بسبب خروجهم عليه وانهم مخلصون في النار * (١) وهو اعتقاد جميع الشيعة في الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وفي هذا يقول ابن ابي الحديد * واما الخوارج فانهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوي المجمع عليه ، ولا يختلف اصحابنا في انهم من اهل النار * (٢) ثم يصح بان الخوارج والمعتزلة على اتفاق في كل المسائل ماعدا خروجهم على علي فهو الفارق فيما بينهم وهو الذي احبط اعمالهم عند * كما في قوله * ولا ريب ان الخوارج انما يرى * اهل الدين والحق منهم — يعني بأهل الدين والحق المعتزلة لانهم فارقوا عليا ورثوا منه وماعدا ذلك من عقائد هم نحو القول بتخليد الفاسق في النار والقول بالخروج على امراء الجور وغير ذلك من اقوالهم فان اصحابنا يقولون بها ويذهبون اليها فلم يبق ما يقتضى البراءة منهم الا برأتهم من علي * (٣)

وقد ارجع على يحيى ميمر الاباضي كل ما جاء من احاديث المروق الى المرتدين الذين خرجوا على ابي بكر رضي الله عنه بقوله * فان احاديث المروق — اذا صحت — لا يكون المقصود منها الا أصحاب الثورة الاولى آلك الذين خرجوا على خلافة ابي بكر منكرين للشرعية أو لأصل من أصولها * (٤)

فهو يشك في صحة احاديث المروق وعلى فرض صحتها — حسب تعبيرة — فانه يقصرها على المرتدين ، والواقع انها احاديث صحيحة جاءت في الصحيحين والقول بأنها واردة على المرتدين في زمن ابي بكر رضي الله عنه لم ارى فيما تيسر له قراء شيء

(١) المصدر السابق ص ٢٣ .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٩٠ .

(٣) المصدر السابق ج ٥ ص ١٣١ .

(٤) الاباضية في موكب التاريخ ص ٢٩ ج ١ .

ان احدا قد قال بهذا سواء •

ثم ان مافى الاحاديث من اوصاف الخوارج من كثرة قراءتهم للقرآن وتعمقهم
فى العبادة لا ينطبق على هؤلاء المرتدين •

وقد ذكر الشاطبى عدة آيات فى ذم البدع وسوء منقلب اصحابها * وذكر
عن بعض السلفانه اولها على الخوارج (١) ويذكر انه حينما وقفا بوا ما من على سبعين
رأسا من الخوارج قتلوا فنصبت رؤسهم انه وصفهم بأنهم كلاب جهنم فيما يروونه عنه
ابو غالب واسمه حرور قال * كنت بالشام فبعث المهلب سبعين رأسا من الخوارج
فنصبوا على دبر دمشق فكنت على ظهر بيت لى فمر ابراهيم فمنا فأتبعته فلما وقف
عليهم دمعت عيناه وقال * سبحان الله ما صنع السلطان بينى آدم — قالها ثلاثا —
كلاب جهنم كلاب جهنم شرقلى تحت ظل السماء — ثلاث مرات خير قتلى من قتلوه
طوبى لمن قتلهم او قتلوه ثم التفت الى فقال ابا غالب انك بأرضهم بها كثير فاعادك
الله منهم قلت رأيتك بكيت حين رأيتهم قال بكيت رحمة حين رأيتهم كانوا من اهل
الاسلام * (٢)

وفىما ينسب الى الامام على انه فسر قوله تعالى * قل هل ننبئكم بالآخرين اعمالا
الذين مثل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * بانهم
الحرورية * (٣)

(١) الاعتصام ج ١ ص ٥٣ — ٦٨ •

(٢) المصدر السابق ص ٥٤ •

(٣) المصدر السابق ص ٦٥ •

ويعرفهم الشهرستاني بقوله " فهم المارقة الذين قال فيهم (يعني الرسول
"ص") سيخرج من ضئضئى هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية " (١)

ومن كفرهم ايضا الديلمي في رسالته وذلك بسبب تكفيرهم بعض الصحابة
وما اعتقدوا من اعتقادات ثم قال " وفي شرح العقائد من قد فعائشة رضى الله عنها
فهو كافر ومن انكر شفاعة الشافعين يوم القيامة فهو كافر ، وفي محيط البرهان من انكر
الجنة او النار او القيامة او الصراط او الميزان او الصالحات المكتوبة فهو كافر وكذا من
قال بخلق القرآن فهو كافر " (٢)

واحب هنا ان اقول بأن من تشكك من العلماء في كفر الخوارج عموما فانسه
لا يشك في كفر بعض الفرق منهم •
فالبديعية من الخوارج قصر الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء •
والميمونية اجازت نكاح بعض المحارم التي علم تحريمها من الدين بالضرورة • ثم
زادت فانكرت سورة يوسف انها من القرآن •

وفي هو "لا يقول ابن حزم " وقد تسمى باسم الاسلام من اجمع جميع
فرق الاسلام على انه ليس مسلما مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا ان الصلاة ركعة
بالفداة وركعة بالعشى فقط ، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات
وبنات بنى الاخوة وبنات بنى الاخوات ، وقالوا ان سورة يوسف ليست من القرآن ،

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١١٥ •

(٢) فرق الشيعة والخوارج وتكفير غلاتهم ص ٢ وانظر ص ١٣ ، ص ٢٦ •

وآخرون منهم قالوا يحد الزانى والسارق ثم يستتابون من الكفر فان تابوا والا قتلوا (١)
ولاشك ان هذا كفر صريح لا يحتمل اى تأويل ولا يقل عنهم فى الكفر فرقة اليزيدية
فان امامهم يزيد بن انيسه " زعم ان الله سيبعث رسولا من المعجم وينزل عليه كتابا
من السما يكتب فى السما " وينزل عليه جملة واحدة فترك شريعة محمد ودان بشريعة
غيرها وزعم ان مدة ذلك النبى الصائبة وليس هذه الصائبة التى عليها الناس اليوم
وليس هم الصائبين الذين ذكرهم الله فى القرآن ولم يأتوا بعد (٢) "

ويذكر البخدادى ان يزيد " كان — مع هذه الضلالة — يتولى من شهد
لمحمد "ص" بالنبوة من اهل الكتاب وان لم يدخل فى دينه وسأهم بذلك مؤمنين
وعلى هذا القول يجب ان يكون العيسويه والموشكانيه من اليهود مؤمنين لانهم
اقرؤا بنبوة محمد عليه السلام ولم يدخلوا فى دينه " (٣) وهذا تناقض ظاهر من يزيد
اذ كيف يشهد بالايان ويتولى من شهد لمحمد "ص" بالنبوة من اهل الكتاب وهو لم
يدخل فى الاسلام بل بقى على دينه ، ولهذا صدق عليه قول البخدادى " وليس
بجائز ان يعد فى فرق الاسلام من يعد اليهود من المسلمين وكيف يعد من
فرق الاسلام من يقول بنسخ شريعة الاسلام " (٤)

وما يجدر ذكره ان هذه الفرق قد عدها الاشعري والبخدادى والشهرستاني
وابن حزم من فرق الاباضية وان الاباضية منهم من وقفى يزيد ومنهم من يرى منه
وجلهم برأ منه " هكذا يقول الاشعري وقول البخدادى " وكان على رأى الاباضية

(١) الفصل ج ٢ ص ١١٤ وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ ، ٢٨١ رسالة الدبسى ص ٢٩

(٢) مقالات الاشعري ج ١ ص ١٨٤ الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦ وانظر الفصل

ج ٤ ص ١٨٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٨٠ .

(٤) المرجع السابق .

من الخوايج ثم انه خرج عن قول جميع الامة " ويقول ابن حزم " قال ابو محمد
الا ان جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويبرأون منه ويستحيلون
دمه وماله " ومن هنا رأينا على يحيى ممريرد على ابن حزم بسبب نسبته هذه الفرقة
الى الاباضية ومشنع عليه بأنه كيفساع له نسبتها الى الاباضية مع انها تعتقد اقوالا تخرجها
الى الكفر ثم كيفساع له ان يجعلها من الاباضية وهو نفسه يقول ان الاباضية تكفرهم
وتستحل منها الدم والمال (١)

والحقيقة ان ابن حزم انما ذكرها قبله كتاب المقالات مع انه لا مانع في الواقع
من ان تنبت هذه الفرقة في احضان الاباضية ثم تتحرف في عقائدها وتخرج عن آرائها
وقد كفر البغدادى فرقة الازارقة حيث يجعلها مع الفرق الخارجة عن الاسلام كاليزيدية
والهيمونية فبعد ان ذكر احداثهم قال " واكثرهم الامة في هذه البدع التي احدثوها
بعد كفرهم الذي شاركوا فيه المحكمة الاولى فباؤا بكفر على كفر كمن باء بغضب على
غضب وللکافرين عذاب مهين " (٢)

ومن اشهر بدعهم انكارهم حد الرجم على المحضين " اذ ليس في القرآن
ذكره " (٣) بينما هو ثابت بالسنة من اقوال رسول الله " ص " وافعاله وعليه
مضى الصحابة .

وقد قال عمر رضى الله عنه " ان الله بعث محمدا " ص " بالحق وانزل
عليه الكتاب فكان ما انزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها فلذا رجم رسول الله " ص "

(١) انظر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص ٤٦ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٤ .

(٣) انظر مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٧٣ الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ .

ورجمنا بعد^ه فأخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل والله ما نجد آية الرجم
في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله " (١)

فتكون هذه الآية التي ذكرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه مما نسخت
ثلاوته وبقي حكمه •

هذه هي اقوال العلماء الذين كفروا الخوارج او كفروا بعض فرقهم وتلك هي
مبررات تكفيرهم لهم وترجع هذه المبررات الى ما اتصف به الخوارج من مروق عن الدين
كما وصفتهم به الاحاديث النبوية ولما ورد من قول الرسول " ص " ولاقتلنهم قتل
عاد وفي لفظ ثمود ولحكمهم على مخالفتهم بالكفر والتخليد في النار •

وكذا تكفيرهم اعلام الصحابة رضوان الله عليهم ومحاربتهم عليا رضى الله عنه
وكذلك نكرانهم لكثير مما ورد من اخبار الآخرة ثم لما تميز به بعضهم من آراء تخرجهم
عن الاسلام صراحة كالبدعية • والميونية والزيدية •

والواقع ان الحكم عليهم بالكفر لم يكن من قبل علماء السلفومورخى الفرق
فقط وانما حكم به بعضهم على بعض ايضا ولا سيما ما حكمت به فرقة الاباضية على
غيرها من الفرق كما سنرى • فلقد كانت لهذه الفرقة مواقف عديدة من كثير من الفرق
الخوارج غير المحكمة فانها تتولاها وتترضى عنها وتعتبرها سلفهم الصالح اما ما عداها
كالازارقة والنجدات والصفرية وغيرهم فانها هي الفرق الخارجية حقيقة في نظرهم
ولهذا فقد كفروهم ودارت بينهم وبين هذه الفرق المماركة الدائمة في بعض مراحلهم
التاريخية •

فالازارقة وهي من اقدم الفرق المشهورة للخوارج كانت عند الاباضية ممن

(١) صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٦ •

اهل الضلال والتقول على الله بالكذب ومن المستحلين لكل ما حرم الله من دماء المسلمين واموالهم واعراضهم كما يصفونهم وانهم اول من خالفوا اعتقاد اهل الاستقامة (اى الاباضية) وانهم اول من شق عصا المسلمين وفرق جماعتهم يقول عنهم صاحب كتاب الاديان بعد ما تقدم من اوصافهم " وما اظلم الله به واعى ابصارهم انهم انزلوا اهل القبلة بمنزلة حرب رسول الله " ص " بمنزلة اهل الشرك واهل الاوثان " الى ان يقول " فترك نافع ابن الازرق واتباعه كتاب الله وسنة نبيه وخالفوا سيرة المسلمين قبلهم " (١) ولا يقل عنه فى تكفير الازرقه الوردج لانى فقد جعل الاحاديث الواردة فى المارقة على الازرقه وانهم المارقة حقيقة " (٢)

اما موقفهم من النجدات : فان هذه الفرقة لم تكن عندهم احسن حالا من سابقتها فقد تناولها صاحب كتاب الاديان المتقدم بالنقد وذكر احد اشياء التى احدثتها فى الدين ، وان نجدة ذاته " قد انتحل امورا لم يأذن الله بها ولم يرها المسلمون قد ابتغوا امورا شرعها له الشيطان وزينها له " ولم يزل عدو الله نجده يبتدع القول حتى نغم عليه اصحابه فقتلوه ثم تفرقوا فيما بينهم " ويقول فيهم وفى الازرقه جميعا " والكل منهم والحمد لله ضال مضل جابر حديد عن السبيل " (٣) ومثلهم الصغرية عند صاحب وفاق الضمانة فانهم عنده هم المقصودون باحاديث المروق ولا تصدق الا عليهم مع انه يذكر ان الاباضية والصغرية كانوا يدا واحدة فى النهروان حتى احدثوا استحلال دماء واموال اهل المعاص فتركوهم وذلك فى قوله " وكان الصغرية مع اهل الحق منا فى النهروان " ولما ظهر منهم استحلال دماء

(١) انظر كتاب الاديان والفرق ص ٩٧ / ٩٩ / ١٠١

(٢) انظر الدليل لاهل العقول ص ٣٠

(٣) كتاب الاديان ص ١٠١ - ١٠٢

اهل التوحيد واموالهم بالكبائر او بالمعاصي هاجروهم وفارقوهم " (١)

واحاديث المروق التي اوردها المؤلف مشهورة لاحاجة الى اعادتها
هنا الا انه لا بأس أن نذكر حديثا استشهد به المؤلف كتبرير لحريمهم الصغرية وهو قوله
" قال "ص" تكون امتي فرقتين فتخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم اولاهما
بالحق " ثم قال " وما زال اصحابنا من اهل عمان يقاتلون الصغرية " (٢)

ومثل تلك الفرق في الضلال عند الاباضية فرقة الاعسية اتباع زياد بن الاعسم
فيذكر صاحب كتاب الاديان انه خرج ناقما على الازرقه والنجدية والعطوية
ويلعنهم ثم تابعهم في امور اهلكه الله بها .

" منها انه اعتبر حرب اهل القبلة كحرب رسول الله مع اهل الاوثان
وانه يرى قتل قومه سرا وعلاية وانه تابع الازرقه والنجدية والعطوية على اعظم
ما استحلوا من الجور فتابعة على ذلك من تابعة حتى هلك ولم يزل الشيطان يزين
لهم حتى صيروهم شيما مفترقين يقتل بعضهم بعضا ويستحل بعضهم حرمة بعض
وشهد بعضهم على بعض بالشك " ونحو هذا قال ايضا في فرقة العطوية اتباع
عطية بن الاسود المنشقة عن النجدات " (٣)

هذا آخر ما ييسر لي ذكره في الرأي الاول وهو القول بتكفيرهم ، والان

سنعرض اقوال الذين قالوا بعدم تكفيرهم .

(١) وفاة الضمانه ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

(٣) كتاب الاديان ص ١٠٢ - ١٠٣ .

ب : الحكم بعدم تكفير الخوارج

يرى اصحاب هذا الرأي ان الاجتراء على اخراج احد من الاسـلام امر غير هين نظرا لما ورد من نصوص تحذر من مثل هذا الحكم اشد التحذير : الا لمن عرف منه الكفر بقول او فعل فلا مانع حينئذ من تكفيره اذا لم يكن له تأويل فيما ذهب اليه ، ولهذا احجم كثير من العلماء عن اطلاق هذا الحكم يقول القاضي عياض .

" كادت هذه المسألة (اى مسألة تكفير الخوارج) تكون اشد اشكالا عند المتكلمين من غيرها حتى سأل الفقيه عبد الحق الامام ابا المعالى عنها فاعتذر بـأن ادخال كافر فى الملة واخراج مسلم عنها عظيم فى الدين قال . وقد توقفت قبله القاضي ابو بكر الباقلانى : وقال ولم يصح القوم بالكفر وانما قالوا اقوالا تؤدى الى الكفر " (١) ويقول القرطبى " وباب التفكير باب خطر ولا بدل بالسلامة شيئا " (٢)

واهل هذا الرأي وان كانوا قد تورعوا عن تكفيرهم على العموم الا انهم يختلفون فى حقيقة امرهم فمنهم من يرى انهم وان كانوا غير خارجين عن الاسلام لكنهم فسقه لانهم قد شهدوا ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله ثم طبقوا بالفعل اركان الاسلام وهذا يمنع من تكفيرهم او الحاقهم بمن لا يقر بذلك وتسيقهم انما كان لما عرف عنهم من تكفيرهم المسلمين واستباحة دماءهم وأموالهم وهذا الرأي هو لاكثر اهل الاصول من اهل السنة فيما يرويه ابن حجر بقوله : — " وذهب

(١) فتح البارى ج ١٢ ص ٣٠٠ .

(٢) نقلا عن المصدر السابق ص ٣٠١ .

أكثر الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق وإن حكم الإسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستنديين إلى تأويل فاسد وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك^(١). وذهب البعض الآخر من القائلين بعدم تكفيرهم إلى أن الخوارج فرقة كبقية فرق المسلمين وأنهم وإن كانوا على ضلال فإن ذلك لا يخرجهم عن جملة فرق المسلمين التي وجد لها حسنات وأخطاء وهذا ما يقوله الخطابي فيما يذكره عنه ابن حجر جازما بأن هذا الحكم (أي عدم إخراجهم عن الإسلام) أمر مجمع عليه لدى علماء المسلمين وذلك في قوله "أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وأنهم لا يكفرون ماداموا متمسكين بأصل الإسلام"^(٢).

ومثل الخطابي ابن بطلال فقد قال أيضا "ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين"^(٣) ثم استشهد بما روى عن علي حين سئل عن أهل النهر هل كفروا؟ فقال من الكفر فروا ولكن ابن حجر يشك فيما يظهر في صحة هذا القول عن علي ويرى أنه على فرض صحته فإنه يحمل على أنه لم يكن قد اطلع على معتقداتهم التي أوجبت تكفيرهم عند من يراه"^(٤).

ويؤيد ما ذهب إليه ابن بطلال ما أخرجه الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث عن رجل من بني نصر عن علي وذكر الخوارج فقال "إن خالفوا أما ما عدلوا فقاتلوهم وإن خالفوا أما ما جاثروا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالا"^(٥).

(١) ، (٢) فتح الباري ج ١٢ ص ٣٠٠ .

(٣) (٤) نقلا عن المصدر السابق ص ٣٠١ .

ويروى ابن ابي الحديد عن علي رضى الله عنه روايات تفيد انه كان لا يرى
كفر الخوارج ولا استباحة دمائهم ومنها قوله " لا تقاتلوا الخوارج بحدى فليس من
طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه " ثم قال ابن ابي الحديد فى تفسيره
" قال الرضى رحمه الله يعنى معاوية واصحابه " ويقول ابن ابي الحديد ايضا
عن الخوارج " ولهم فى الجملة تمسك بالدين ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها وان أخطأوا
فيها . . . ولا ريب فى تلزم الخوارج بالدين " (١)

ونلاحظ على ابن ابي الحديد هنا انه عندما يحكم عليهم حين خروجهم
على الامام على يرى بانهم من اهل النار .

ومن الذين تورعوا عن تكفيرهم ورأى ان حكمهم هو حكم غيرهم من الفرق
الاسلامية الشاطبية فهو يرى ان الخوارج غير كافرين مستندا فى حكمه هذا الى
ماورد من روايات عن السلف خصوصا ماكان من موقع على ابن ابي طالب رضى الله
عنه وكذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله حيث عاملوهم معاملة اهل الاسلام يقول الشاطبية
فى هذا :-

وقد اختلفت الامة فى تكفير هؤلاء الفرق اصحاب البدع العظمى ولكن
الذى يقوى فى النظر وحسب الاثر عدم القطع بتكفيرهم والدليل عليه عمل السلف
الصالح فيهم " ثم استشهد بما جرى لهم مع على وعمر بن عبد العزيز قال " فانه
لما اجتمعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهيجهم على ولا قاتلهم ولو كانوا بخروجهم
مرتدين لم يتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام من بدل دينه فاقتلوه . . . وعمر بن عبد العزيز

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٧٨ ، ٧٩ .

ايضا لما خرج فى زمانه الحرورية بالموصل امر بالكف عنهم على ما امر به على رضى
اللعمنة ولم يعاملهم معاملة المرتدين * (١)

ولعل الشاطبى رحمه الله يشير بما ذكره من ان عليا لم يهيجهم ولم
يقاتلهم أنه لم يتسح الى قتلهم أول الامر بل قال بأنه سوف يعاملهم معاملة
حسنة فلا يمنهم المساجد ولا يحرمهم النقى * مادامت ايديهم معه وما داموا لم
يرتكبوا محرما ولكنهم حين خرجوا وقتلوا ابن خباب وغيره حاربهم فى معركة النهروان
الشهيرة حتى افناهم * ومن الذين اعتبروا الخوارج فرقة اسلامية كغيرها من الفرق
الاخري الشافعى فيما يتقله عنه الطالبى بقوله * واما الامام الشافعى فانه لم يفرق
بين مذهب الخوارج وبين غيره من مذاهب الفرق الاخرى فى عدم التكفير بها * (٢)

والقول بعدم تكفيرهم هو رأى شيخ الاسلام ابن تيمية فقد ورد حول الحكم
على الخوارج نقاشا طويلا خلص منه الى انهم ليسوا كفارا ولا مرتدين وانما هم
فئة باغية واورد حججا على صحة ما يراه فى هذا الحكم بما جرى لهم مع على
وابن عباس وغيرهما من الصحابة الذين لم يحكموا بردتهم بل عاملوهم معاملة
المسلمين خصوصا حين انتهت تلك الحروب التى اشتعلت بينه وبينهم فى النهروان
فهو كما يقول " لم يسب لهم ذرية ولا غنم لهم مالا ولا سار فيهم سيرة الصحابة ففى
المرتدين كمسيلة الكذاب وامثاله بل كانت سيرة على والصحابة فى الخوارج
مخالفة لسيرة الصحابة فى اهل الردة ولم ينكر احد على ذلك ، فعلم اتفاق
الصحابة على انهم لم يكونوا مرتدين عن دين الاسلام * (٣)

(١) الاعتصام ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢) نقلا عن آراء الخوارج ص ٢١ .

(٣) منهاج السنة ج ٣ ص ٦٠ - ٦٢ .

ويذكر ان عليا لم يحاربهم لانهم كفار وانما حاربهم لدفع ظلمهم وبغيهم (١)

الحلما اورد، رحمه الله .

ولكن ابن تيمية وان لم يقل بكفرهم لكنه يحتيرهم من شرار الخلق ومن يجب قتالهم وهذا رأي كثير من علماء المسلمين وان كان هناك من لا يرى وجوب قتالهم فقد كان الحسن البصري ينهى عن قتاله الخوان — فيما يبدو — فقد اتاه رجلا فقال له " يا ابا سعيد ان هؤلاء استنفروني لاقاتل الخوان فماترى ؟ فقال " ان هؤلاء اخرجتهم ذنوب هؤلاء ، وان هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم فلا تكن القتييل منهم فان القوم اهل خصومة يوم القيامة " (٢)

وقال خريم معظما قتال الخوان وناهيا عن حربهم فيما ينقله الملطي عنه :

ولست بقاتل رجلا يصلح	على سلطان آخر من قریش
له سلطانه وعلى ذنبى	محاذ الله من سفه وطيش
اقتل مسلما فى غير ذنب	فلمست بنافعى ماعشت عيشى (٣)

وقال مروان بن الحكم لايمن بن خريم الاتخرج تقاتل ؟ فقال ان ابى وعمى

شهدا بدرا مع رسول الله " ص " وانهما عهدا الى ان لا اقاتل احدا يقول لا اله الا الله فان جئتني ببراءة من النار ، قال اخرج فلا حاجة لنا فيك " (٤)

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ٣ ص ٢٨٢ ، ص ٣٥٢ ، ص ٣٥٧ .

(٢) ، (٣) ، (٤) انظر التنبيه والرد ص ١٧٠ ، ١٧١

ج : تعقيب

والواقع ان الحكم بتكفير الخوارج على الاطلاق فيه غلو وان الحكم بالتسوية بينهم وبين غيرهم من فرق المسلمين فيه تساهل ، يفالى من يكفرهم جميعا لانهم لم يعلنوا الكفر بل هم كما هو المعروف عنهم اهل عبادة وتهدد وصوم . ثم انهم لم يعاملوا من الامام على والصحابة معاملة الكفار او المرتدين وما انحرفوا فيه عن الحق من آراء ومواقف واحكام انما كان بناءً عن تأويل تأولوا عليه الآيات والاحاديث ، ومع انه تأويل فاسد الا انهم لم يعتمدوا به الكفر ولم يسموا به الى هدم الاسـلام بل طلبوا الحق كما قال الامام على فاخطوه اللهم الا من انكر منهم ما هو معلوم من الدين بالضرورة ومع ذلك فانه يقصر او يتساهل في الحكم عليهم من يرى انهم كغيرهم من فرق المسلمين الاخرى لانهم سفاكون للذما يستعرضون الناس استعراضا دون تمييز بخلاف الفرق الاخرى التى لم يستحل اصحابها من ذما المسلمين واموالهم ما استحل الخوارج . وقد مر بنا ما قاله العلماء في حكمهم عليهم — وهو كما رأينا لم يكن حكما قاطعا من جانب واحد بل انهم اختلفوا فيه اختلافا بينا متعارضاً وماذا لك الا لخطورة امر التكفير من جهة وغموض امرهم من جهة اخرى حيث جمعوا بين المتناقضات في سلوكهم مع الله ومع خلقه ، وفي رأى ان لا يجمع الحكم على جميع الخوارج بل يقال في حق كل فرقة بما تستحقه من الحكم ، حسب قربها او بعدها عن الدين وحسب ما يظهر من اعتقاداتها وآرائها . اما الحكم عليهم جميعا بحكم واحد مدحا او ذما فانه يكون حكما غير دقيق لان الخوارج كما مر بنا لم يكونوا على رأى واحد في الاعتقاد بل منهم المعتدل ومنهم المبالغى يقول ابن حزم " واقرب فرق الخوارج الى اهل السنة اصحاب عبد الله بن يزيد الاباضى القسزارى الكوفى وابعدهم الازارقة " (١) او يقال ان من انطبقت عليه تلك الصفات التى وردت

فى الاحاديث بزمهم كان حكمه انه مارق عن الدين وفى حكم الكفار واما من لم تنطبق عليه تلك الصفات وذلك باحتمال ان يكون الشخص دخل فى مذهبهم بقصد حسن من اعلاء كلمة " الله فى الارض او من ايقاف حكم الجور عند حد هم او يكون الشخص مخدوعا بهم اوله اى تأويل كان فان هذا لا ينبغى التسرع فى تكفيره خصوصا وهو يدعى الالتزام بجميع شرائع الاسلام •

اما تكفيرهم بسبب خروجهم عن طاعة الحكام سواء كان ذلك الخروج بحق او بغير حق فهذا لا يخلو منه زمان او مكان • فان كان الخروج بحق كأن يغير الحاكم الحكم بما انزل الله ويستبدل به قانونا من وضع البشر • او كان من محض هواه فهذا لا يقال فى حق الخارج عليه اى لوم • واما ان كان الخروج بغير حق بل كان لمجرد اغراض وارتكب فى ذلك الخروج ما يوجب تكفير صاحبه فهذا هو الذى يقال فيه انه عاص وخارج بغير حق ويجب على الامة حينئذ ارجاعه الى الحق والوقوف فى وجهة •

الخاتمة

وقد انتهيت من دراستي للخوارج الى أهم النتائج الآتية :-

في الباب الأول :-

١ - تبين لي من دراسة جميع الآراء التي قيلت في التمریف بالخوارج وتحديد نشأتهم أنهم باعتبارهم فرقة متميزة لها آراء خاصة معروفة هم الذين خرجوا على الامام علي في وقعة صفين بعد قضية التحكيم وامتد تاريخهم بعد ذلك من خلال فرقهم المعديدة وحركاتهم الثورية على الدولة الاسلامية .

٢ - تبين لي من دراسة كيفية خروج الخوارج على الامام علي نتيجة لقبول التحكيم انه كان مكرها في قبوله خلافا لمن ذهب الى أنه كان برضاة ونتيجة لاتصالات شخصية بينه وبين معاوية . وأنه كان مكرها كذلك في ائابة أبي موسى الاشعري عنه وان لم يعر ذلك طمنا منه في دينه . وتبين لي تبرة الصحابة من الخداع في تلك القضية وتبرة الامام علي فيما اتهم به من العصية القبلية والاعتداء على الخوارج في وقعة النهر وان بدون مبررات تدعو الي ذلك .

٣ - ظهر لي خطأ من زعم أن الخوارج كاد أن يقضى عليهم نهائيا في وقعة النهوان حتى انقطعت الصلة بينهم وبين الفرق الخارجية التي ظهرت في العصر الاموي والعباسي ، وبينت أنه بقي من الخوارج بعد وقعة النهوان وفي بقية المناطق الاسلامية الأخرى كثرة عددهم جعلت تاريخهم متصلا خلافا لمن شك في تلك الحقائق .

٤ - انتهيت الى أن ظاهرة الخروج لم ترجع الى سبب واحد بل عملت عليها أسباب قريبة مباشرة وأخرى بعيدة وأنه كان لكل منها أثره في تلك الظاهرة فسوى هذا الأثر أم ضعف

٥ - ظهر لى من دراسة حركات الخواج أنهم لم يكونوا منظمين فى خروجهم ولم تحكمهم قيادة حكيمة بقدر ما حكمهم التهور والاندفاع .

وان موقف الدولة منهم على العموم كان يتسم بالعنف وكان ينقصه المعاملة بالحكمة والحسنى حتى للمعتدلين من الخواج كأبى بلال وغيره ، ولو تفسرت المعاملة لكان ذلك عاملا فى صلاحهم وحافظا لقوة الدولة التى انتهكتها معاركها .
٦ - من تاريخنا للفرق الكثيرة التى تشعبت اليها الخواج يتضح لنا أن كثرة هذه الفرق ترجع الى سرعة اختلافهم على بعضهم لاتفه الاسباب وكذلك الى ما نأخذه على علماء الفرق من ولمهم بتكثير ما يذكرونه من فرق الخواج ونسبتها الى زعمائها حتى ولو لم تستحق تسميتها كذلك لقلتها

٧ - انتهىنا من بحث خصائصهم الى أنهم كانوا أهل شجاعة وسرعة اندفاع بالإضافة الى ما تميزوا به من كثرة العبادة والزهد والفصاحة وصدق فى الحديث وصبر على الجدل والمنازعة .

فى الباب الثانى :-

- ١ - رجحت أن الخواج يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين وانهم لم يكونوا سواء فى تمسكهم بظاهر النص أو فى أخذهم ببدا التأويل ولم يلتزموا بأحد هذين المنهجين بل أخذوا بكل منهما حسب ما يقتضيه تحقيق أهدافهم .
- ٢ - انتهيت من دراسة آراء الخواج - (ولا سيما الاباضية منهم) فى بعض مسائل الالهيات والسمميات الى أنهم ينكرون زيادة الصفات على الذات الالهية ويؤولون الصفات الخيرية وينكرون الروئية ويختلفون فى القول بالقدر وأنهم ينكرون وجود الجفة والنار الآن وكذلك ينكرون عذاب القبر والشفاعة وينكرون الحقائق الشرعية للصراط والميزان ويؤولونها .

٣ - الخوارج يعتبرون أن العمل جزء من حقيقة الايمان فلا يتم الا به وأن الاسلام والايمان عندهم بمعنى واحد وأن الايمان لا يزيد ولا ينقص الا عند الاباضية منهم وأنهم وان اتفقوا مع السلفى اعتبار العمل جزءا من الايمان الا أنهم اختلفوا فى النتائج المترتبة على ذلك فيما يتعلق بحكم مرتكب الكبيرة .

٤ - بينت خطأ ما يشاع عن الخوارج أنهم جميعا يكفرون مرتكبى المعاصى كفر مله بل هناك من يفرق بين الصغيرة والكبيرة وان الاباضية يكتفون بتكفير المعصاة كفر نعمة وأن اتحدوا مع غيرهم فى القول بخلود المعصاة فى النار وبينت مدى اختلافهم فى كل ذلك عن موقف السلفى هذه القضية .

٥ - بينت أن الخوارج يقولون بضرورة الامامة العظمى خلافا لما قيل غير ذلك وأن ما نسب اليهم من القول بعدم ضرورتها ربما كان رأيهم فى بادية الامر أو لبعض الفلاة من النجدات بدليل أنهم لم يعملوا به بل على العكس من ذلك كان لهم ولا تهم منذ تجمعهم قبل موقعة النهوان وتبين لى أن شروطهم فى الامامة شروط صحيحة وان خالفوا ما ورد من الاحاديث فى شرط القرشية دون أن يعتبروا هذا الشرط ولو مرجحا وأنهم اختلفوا فى امامة المفضل رام يجزا امامة المرأة الا الشيبية .

٦ - بينت مدى الخلاف بين الخوارج وأهل السنة فى غلوهم فى الخروج على الامام لادنى سبب .

٧ - مخالفة الخوارج لأهل السنة فى باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما هى فى قيامهم بذلك على أى حال ولائى سبب دون تقرير للمواقب المرتبة على ذلك التخيير حتى فعلوا من المنكرات باسم تلك القاعدة أكثر مما أرادوا من الاصلاح .

٨ - ظهر اختلاف الخوارج فى حكم التقية والقعدة تحليلًا وتحريمًا

٩ - بينت بالدراسة الوافية من واقع مواقف الخوارج وكلامهم غلوهم الشديد فى الحكم على مخالفتهم عموما ومخالفتهم فى ذلك لهدى الاسلام .

قائمة بأسماء المراجع
===

٢- القرآن الكريم

أيام العرب في الاسلام تأليف محمد أبو الفضل ابراهيم .

على محمد البجاوى ط ٣ ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م دار احياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبي وشركاه .

الاعتصام للعلامة ابن اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي

نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

قطعة من كتاب في الاديان والفرق لمؤلف أباضي مجهول الاسم

مخطوط بخط مغربي في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٩٨ ب)

أبانة المناهج في نصيحة الخوارج تأليف القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام

مخطوط بدار الكتب المصرية .

الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث .

تأليف على يحيى معمر الطبعة الأولى جمادى الأولى ١٣٩٦ مايو ٢٦ م

مطابع سجل العرب ٩ عماد الدين بستان الدكة الناشر مكتبة وهبة : القاهرة .

الاباضية في موكب التاريخ (حلقات) تأليف على يحيى معمر الطبعة الأولى

جمادى الثاني ١٣٨٤ هـ أكتوبر ١٩٦٤ م مطابع دار الكتاب العربي بمصر

الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة .

أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة

تأليف يوليوس فلهوزون ترجمة عن الألمانية الدكتور/ عبد الرحمن بدوى

الطبعة الثانية آيار ١٩٧٦ م الناشر وكالة المطبوعات ٢٧ شارع فهد السالم

الكويت .

أجومه بن خلفون : تأليف ابن يعقوب يوسف بن خلفون المراتي

تحقيق وتعليق الدكتور عمرو خليفة النامي دار الفتح للطباعة والنشر

بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

آراء الخواجه : تأليف د. عمار الطالبي الناشر المكتب المصري الحديث
(الاسكندرية بمصر.)

أساس البلاغة : تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط ٢ مطبعة دار الكتب ٧٢م

الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف خير الدين الزركلي ط ٣

كتاب الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية تأليف سليمان بن الشيخ عبد الله
الباروني النفوس مطبعة الازهار البارونية.

ابن جلا : تأليف مختار صبرى، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها الفجالة القاهرة
الايمان : تأليف شيخ الاسلام تقى الدين بن تيسية المكتب الاسلامى ١٣٨١هـ
١٩٦١م.

اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : تأليف ابراهيم عبد الله محمد بن أبى بكر القيم
٦٩١ - ٧٥١ هـ ط ٢ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م دار المعرفة بيروت

أهم الفرق الاسلامية : تأليف محمد الطاهر النيفر نشر الشركة التونسية ١٩٧٤م.
أصول الدين : تأليف عبد القاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩ ط ١ طبعة مدرسة
الالهيات بدار الفنون التركية باستانبول مطبعة الدولة ١٣٤٦ - ١٩٢٨م.

أهم الفرق الاسلامية السياسية والكلامية بقلم الدكتور البيرنصرى نادر
دار المطبعة الكاثوليكية بيروت

الابانة عن أصول الديانة تأليف : ابراهيم الحسن على بن اسماعيل بن اسحق الاشعري
المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة (الناشر المكتبة السلفية).

الاسلام والحضارة العربية : تأليف محمد كرد على الطبعة ٣ ١٩٦٨م القاهرة.

ب - البحرين في صدر الاسلام وأثرها في حركة الخوارج تأليف عبد الرحمن بن عبد الكريم النجم دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية بغداد ١٩٧٣م

البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ ط ١٠
سنة ١٩٦٦م • مكتبة المعارف (بيروت)

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية
تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية بتعليق محمد عبد الرحمن قاسم
ط ١ مطبعة الحكومة مكة المكرمة ١٣٩٢هـ •

ج - الجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن حبيب ابن عمر الازدي البصري
من آخر علماء قرن البعثة الطبعة ٣ القدس سنة ١٣٨١هـ •
مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية •

جامع البيان عن تأويل القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠هـ ط ٣ ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م مطبعة مصطفى البابي •

د - دائرة المعارف الاسلامية الطبعة ٢ سنة ١٣٥٣هـ
أصدره باللغة العربية أحمد الشتاوي / ابراهيم زكي خورشيد / عبد الحميد
يونس / حافظ جلال
الدليل لأهل العقول ، لبأغى السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان
والصدق للشيخ أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوريثاني •
كتاب دائرة المعارف تأليف البستاني مؤسسة مطبوعات اسماعيليان
تهران ناصر خسرو باشار مجيدي •

الدر المنثور في التفسير بالمأثور تأليف الامام الحافظ جلال الدين السيوطي
٨٤٩-٩١١هـ بيروت •

دليل الخليج - القسم التاريخي - تأليف ج. ج. • لوريمر طبعة جديدة أعدها
قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر •

دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤م تأليف الدكتور جمال زكريا قاسم
دار البحوث العلمية الكويت الطبعة الثانية ١٩٧٤م •

كتاب الدعائم تأليف الشيخ أبو بكر أحمد بن النظر العماني

جديد طبعه عام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م

درء تعارض العقل والنقل تأليف ابن تيمية مطبعة دار الكتب ١٩٧١

(و) وفاء الضمانة بأداء الأمانة للإمام محمد بن يوسف الميزابي المغربي الأباضي

مطبعة الأزهار البارونية سنة ١٣٢٦هـ

وقمه صفين تأليف نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢ تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون ط ٢ سنة ١٣٨٢هـ مطبعة المدني

(ح) الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد تأليف العلامة الشيخ الحاج

محمد بن الحاج يوسف بن عيسى العزابي الأباضي (مخطوط)

حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية المولود سنة ٦٩١ المتوفى

سنة ٧٥١هـ دار الكتب العلمية بيروت

الحسنة والسيئة تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق وتقديم محمد جميل

أحمد غازي مطابع المدني

(ط) الطرماح بن حكيم الطائي تأليف الاستاذ عزيز الصالحى مطبعة الاقتصاد

(بغداد)

طريق الهجرتين وباب السعادتين تأليف الامام شمس الدين محمد بن أبى

بكر ابن القيم ٦٩١ - ٧٥١ المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٧٦هـ

(ك) الكامل في التاريخ تأليف الشيخ العلامة عز الدين أبى الحسن على ابن الكرم

محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير

(دار صادر - دار بيروت) للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ - ١٩٦٥م

كشف النعمة الجامع لأخبار الأئمة لمؤلف أباضي مجهول الاسم تصوير الكتب ل

المصرية تحت رقم (١٢٩٦٨ خ) مخطوط

الكامل في اللغة والأدب للعلامة أبى العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد

النحوى المتوفى ٢٨٥ مطبعة الاستقامة بالقاهرة

(ل)

لسان العرب للامام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بيروت ١٣٧٤هـ

اللمعة المرضية من أشعة الاباضية للعلامة الشيخ عبد الله بن حميد السالمى
المطبعة العربية الجزائرية نوفمبر ١٩٦٨م

كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع للامام أبي الحسن الاشعري
المتوفى سنة ٣٣٠هـ مطبعة مصر ١٩٥٥م (القاهرة)

اللاتى * البهية فى شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية
تأليف أحمد بن عبد الله المرادوى الحنبلى ط ١ مؤسسة النور للطباعة (الرياض)
لمعة الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد تأليف الامام موفق الدين عبد الله أحمد
بن قدامة المقدسى ٥٤١-٦٢٠ المطبعة السلفية بالقاهرة ط ١ سنة ١٣٧٠هـ

(م)

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين تأليف الامام أبي الحسن على بن اسماعيل
الاشعري المتوفى ٣٣٠هـ (بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) الطبعة
الثانية (مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م)

الملل والنحل تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى مطبعة مصطفى
البابى بمصر (بتحقيق محمد سيد كيلانى)

المنجد الابجدى تأليف لويس مملوف اليسوعى ط ١٢ بيروت ١٩٥١

متن النونية فى عقيدة التوحيد لناظرها العلامة الشيخ ابن نصر فتح بن نجح النفوس
طبعة سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م المطبعة العربية فى الجزائر

مقدمة التوحيد : تأليف أبو حفص عمرو بن جميع ط ١ مطبعة الفجالة ١٣٧٣هـ ٥٣م

محيط المحيط تأليف بطرس البستانى

معجم متن اللغة للعلامة أحمد رضا دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيوض المتوفى سنة ٧٧٧هـ مطبعة مصطفى البابي بمصر.

المعجم الوسيط : قام باخراجه ابراهيم مصطفى / أحمد حسن الزيات
حامد عبد القادر / محمد علي النجار / مطبعة مصر ١٣٨٠هـ
باشرف عبد السلام هارون.

مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية تأليف الشيخ بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلبي المتوفى سنة ٧٧٧هـ طبع سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

المختار من صحاح اللغة تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي مطبعة الاستقامة القاهرة.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية تأليف شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي المتوفى ٧٢٨هـ ط ١ المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢١هـ.

مرق الذهب ومعادن الجوهر تأليف ابن الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٥ سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية

مختصر الصواعق المرسلات على الجهمية والمعتزلة للعلامة ابن القيم الجوزية اختصره الشيخ الموصلي مطبعة الامام ١٣ شارع قرقول المنشية بالقلمة بمصر
مختصر الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية تأليف عبد العزيز محمد الطلحان ط ١

مدارج الكمال نظم مختصر الخصال لناظمه عبد الله بن حميد بن سلوم السالبي المتوفى في ٥ ربيع الأول ١٣٣٢هـ مطابع دار الكتاب العربي (القاهرة)

مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ط ١ ١٣٨١هـ (مطابع الرياض)

مجموعة الرسائل الكبرى الطبعة الاولى (١٣٢٣هـ) (بمصر) تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية.

(ن)

كتاب النيل وشفاء الحليل تأليف الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الشينى
المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ الطبعة ٢ سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م
كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام تصنيف الشيخ الامام العالم عبد الكريم
الشيرستانى بتصحيح الفرد جيوم .

(س)

سنى أبى داود للامام الحافظ أبو داود سليمان بن الاشعث بن
اسحق الأزدي السجستاني بتعليق الاستاذ أحمد سعد على ط
سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .
كتاب السنة للامام أحمد بن حنبل المطبعة السلفية - مكة المكرمة ١٣٤٩ هـ .

(ع)

كتاب العقد الفريد تأليف ابن عمر أحمد بن محمد بن محمد بنه الاندلسى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م الطبعة الثانية .
المقيدة والشريعة فى الاسلام ، أجناس جولدز يسمير ترجمة الدكاترة /
محمد يوسف موسى ، على حسين عبد القادر ، عبد العزيز عبد الحق
الطبعة الثانية (الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد)
مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

عسان تاريخ يتكلم تأليف محمد بن عبد الله السالى وناجى عساف
المطبعة العمومية دمشق عام ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م .
العقود الفضية فى أصول الاباضية تأليف سالم بن أحمد ابن سليمان بن حميد الحارشى
العمانى الاباضى دار اليقظة العربية (فى سوريا ولبنان)

(ف)

الفرق بين الفرق تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى
المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ (بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد)
مطبعة المدنى ٦٨ شارع العباسية بالقاهرة .

كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل تصنيف الامام ابن محمد علي بن ج
حزم الاندلسي الظاهري المتوفى ٤٥٦هـ.

فاكهة البستان : تأليف الشيخ عبد الله البستاني اللبناني المطبعة الامريكية
بيروت ١٩٣٠م.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي
الشوكاني المتوفى بصنعاء ١٢٥٠هـ الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م
مطبعة الحلبي . خلفاء القاهرة .

فتح الباري بشرح صحيح الامام ابن عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري
للامام العافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٢٧٣-٨٥٢ المطبعة السلفية
ومكتبتها بالروضة بالقاهرة ٤

الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية أبي العباسي تقي الدين
أحمد بن عبد الحليم المتوفى ٧٢٨ مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة ١٣٢٩هـ

فجر الاسلام تأليف أحمد أمين ط ١١ ١٩٢٥ مكتبة النهضة المصرية

الفتوى الحموية الكبرى تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ

(ص)

صحيح البخاري مصور عن طبعة استانبول دار الفكر
صحيح مسلم مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالازهر

(ق)

القاموس الاسلامي وضع أحمد عطية الله المطبعة الاولى سنة ١٣٨٦هـ القاهرة

كتاب قواعد الاسلام للامام أبي طاهر اسماعيل موسى الجيطالي المتوفى سنة ٧٥٠هـ
ط ١ سنة ١٩٧٦ المطبعة العربية

بن

القصيدة النونية تأليف ابن عبد الله محمد بن أبي بكر^١ أيوب المعروف بابن القيم
التي سماها (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) دار المعرفة للطباعة والنشر
والتوزيع بيروت لبنان

القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
الطبعة ٢ سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م مطبعة مصطفى البابي الحلبي

قصة الديانات : تأليف ليमान مظهر (دار الوطن العربي)

(ر) رسالة في افتراق الفرق الاسلامية الى ثلاث وسبعين فرقة مخطوطة بدار الكتب
الكتب المصرية ضمن مجموعة ٢٧٠ من ص ٢٩٨ الى ٣٠٦ لمؤلف مجهول .

رسالة في فرق الشيعة والخوارج وتكفير غلاتهم تأليف محي الدين الدبسي
مخطوطة بدار الكتب المصرية الفت سنة ١٣١١هـ .

الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية

الرائد تأليف جبران مسمود ط ١ بيروت سنة ١٩٦٤م .

(ش) شمراء الخوارج تحقيق الدكتور احسان عباس الاستاذ المشارك بالجامعة الامريكية
بيروت دار الثقافة .

شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار احياء الكتب العربية ط ٢ سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م

شرح الطحاوي في العقيدة السلفية تأليف القاضي علي بن علي الحنفي
٧٩٢-٧٣١هـ تحقيق أحمد محمد شاكر مكتبة الرياض الحديثة

شرح النووي على صحيح مسلم للامام محي الدين يحيى بن شرف النووي
المطبعة المصرية ومكتبتها

شرح الاصول الخمسة تأليف عبد الجبار بن احمد المتوفى ٤١٥هـ بتعليق أحمد بن
الحسين بن ابي هاشم الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة ١ سنة ١٣٨٤هـ ٦٥م

شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية دار الكتب الحديثة (القاهرة)

الشامل : تأليف ابن اسحاق الطيفشي .

(ت)

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع تأليف أبي الحسين محمد بن أحمد
بن عبد الرحمن الملقب الشافعي ط ١ - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م مكتبة نشر الثقافة

تلييس ابليس، للحافظ الامام جمال الدين أبي الفتح عبد الرحمن بن الجوزي
البغدادي المتوفى ٥٩٧ هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان

تلقين الصبيان ما يلزم الانسان تأليف العلامة نور الدين عبد الله بن حميد
السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ الطبعة ٩ سنة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م المطبعة
المصرية الكويت

التبصير في الدين ^{بالرأى} أبو المظفر الاسفراينى طبعة ١٩٥٥ م

ت تاريخ الطبرى - تاريخ الرسل والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى
٢٢٤-٣١٠ هـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية - دار المعارف
بمصر.

تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي ط ١ سنة ١٣٠٦ هـ
للمطبعة الخيرية

تهذيب اللغة لابي منصور محمد بن أحمد الازهرى ٢٨٢ هـ - ٣٧٠ هـ تحقيق
الاستاذ أحمد عبد الحليم البردوني ومراجعة الاستاذ على محمد البجاوى

تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون تأليف عمرو هروخ (دار العلم للملايين)
بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

في الاسماء للكتّاب عبد الحليم محمود مكتبة الانجلو المصرية القاهرة
التفكير الفلسفى ط ٢ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م

تاريخ المذاهب الاسلامية تأليف الشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربى مطبعة
السعادة.

التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية (شركة المدينة للطباعة جدة ١٣٨٨ هـ)

- (خ) الخواجه : الاصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم د . مصطفى حلمي
الطبعة الاولى مطبعة التقدم ربيع الاول ١٣٩٧ هـ - مارس ١٩٧٧ م .
- الخواجه في المغرب الاسلامي للدكتور / محمود اسماعيل طبع سنة ١٩٧٦ م .
- (ض) ضريح الاسلام تأليف الاستاذ أحمد أمين ط ٨ مكتبة النهضة المصرية
- (غ) غاية المراد في نظم الاعتقاد تأليف العلامة نور الدين السالمي العماني
بتعليق أبو راس عبد الله بن محمد الكامل ١٣٧١ - ١٩٥١ م المطبعة
الجزائرية الاسلامية بقسنطينة .

الفهرس
===

الصفحة	الموضوع
١	شكر وتقدير
	المقدمة
١	الباب الأول تاريخ الخواج
	الفصل الأول التصريف بالخروج والخواج
٢	١ - الخروج والخواج فى اللغة
٦	٢ - الخروج والخواج فى اصطلاح علماء الفرق
	الفصل الثانى أسماء الخواج والقابهم
٨	١ - الخواج
١٤	٢ - الحرورية
١٥	٣ - الشرارة
١٦	٤ - المارقة
١٧	٥ - المحكمة
	الفصل الثالث : نشأة الخواج
	١ - متى خرجوا
١٩	القول الأول
٢٢	القول الثانى - القول الثالث
٢٣	القول الرابع
٢٤	القول الخامس
٢٩	٢ - كيف خرجوا بعد قبول التحكيم فى موقعة صفين
	٣ - اكراه الامام على رضى الله عنه على قبول التحكيم واختيار أبى موسى الاشعري
٣٢	نائباً عنه
٣٦	٤ - وثيقة التحكيم
٣٧	٥ - انكار الخواج للتحكيم بعد اكراه الامام على على قبوله
٤٢	٦ - كيفية التحكيم ونتيجته
٤٣	٧ - مدى صحة القول بوجود الخداع فى التحكيم
٤٦	٨ - الحكم على التحكيم والاطراف المشتركة فيه

- ٩ - رجوع الامام على بجيشه من صفين ٥٢
 ١٠ - انحياء الخوارج الى حروراء ثم عودتهم الى الكوفة ٥٤
 ١١ - اشارة عبد الله بن وهب الراسبي على الخوارج ٦٢
 ١٢ - خروج الخوارج الى النهروان ٦٤
 ١٣ - موقعة النهروان ٦٧
 ١٤ - اسباب موقعة النهروان ٧٤
 ١٥ - الخوارج بعد موقعة النهروان ٧٦

الفصل الرابع

- ٨٠ - اسباب خروج الخوارج - تمهيد
 ٨١ - ١ - النزاع حول الخلافة
 ٨٥ - ٢ - قضية التحكيم
 ٨٧ - ٣ - جور الحكام وظهور المنكرات بين الناس
 ٩٣ - ٤ - المصيبة القبلية
 ١٠٠ - ٥ - العامل الاقتصادي
 ١٠٣ - ٦ - الحماس الديني

الفصل الخامس

- ١٠٦ - حركات الخوارج تمهيد
 ١٠٧ - ١ - حركات الخوارج على الامام على بعد النهروان
 ١٠٧ - ٢ - خروج أشروس بن عوف الشيباني
 ١٠٨ - خروج هلال بن علف الاشهب بن بشر - سعيد بن قفل - أبو مریم السعدي
 ١٠٩ - ٢ - حركات الخوارج الثورية ضد الحكم الاموي - تمهيد
 ١١٠ - خروج فروة بن نوفل الاشجعي
 ١١١ - خروج هروثة بن وداع الاسدي
 ١١٢ - مسين بن عبد الله

الصفحة	الموضوع
١١٣	خروج أبو مريم - أبو ليلي - المستورد بن علفه اليتيم
١١٦	خروج سهم بن غالب الهجيمي - والخطيم - ثم خروج قريب بن مرة وزحاف الطائي
١١٧	خروج زياد بن خراش المعجلي
١١٨	خروج طواف بن غلاق ومرد ال بداهية
١٢٠	خروج صالح بن مسرج
١٢٤	خروج بسطا اليشكري
١٢٥	خروج عققان
١٢٦	خروج مسعود العبدى - مصعب بن محمد الوالى - الصحارى بن شبيب
١٢٧	خروج كثارة بهلول بن بشر
١٢٨	خروج الضحاك
١٢٩	٣ - حركات الخوارج الثورية على الدولة العباسية - تمهيد
١٣٠	الجلندى بن مسعود بن جيفر
١٣١	ملبز بن حرمة الشيباني - ابراهيم الاباضى
١٣٢	الصحيح - الوليد بن طريف التخلبي
١٣٣	عبد السلام بن هاشم اليشكري - يوسف بن ابراهيم البرم - يسس التميمي

الفصل السادس

١٣٥	دولة الخوارج - تمهيد
١٣٦	دولة الابا نية فى عمان
١٤٨	دولة الابا نية فى المغرب

الفصل السابع فرق الخوارج

١٥٩	١ - نشأة فرق الخوارج وأسبابها
١٦٢	٢ - مناهج مؤرخى الفرق فى ذكر فرق الخوارج
١٦٧	٣ - التعرف بفرق الخوارج - المحكمة

الصفحة	الموضوع
١٦٨	الازارقة
١٧١	النجيدات
١٧٥	الاباضية
	فرق الاباضية
١٧٩	١ - الحفصية - اليزيدية
١٨٠	٢ - الحارثية - ٤ - أصحاب طاعة لا يراد بها الله
١٨١	٥ - النكار
١٨٣	٦ - النفاثية - ٧ - الخلفية
١٨٤	٨ - الحسينية - ٩ - السكاكية
١٨٦	المجاردة
١٨٧	١ - الفرقة الأولى منهم - ٢ - الميمونية
١٨٨	٣ - الخلفية - ٤ - الحمزية
١٨٩	٥ - الشميية
١٩٠	٦ - الخازمية - ٧ - المملومية والمجهولية - الصلتية
	الشمالية
١٩١	١ - الاخنسية - ٢ - المعبدية
١٩٢	٣ - الشيبانية - الرشيدية أو المشرية - المكرمية
١٩٣	البهسية
١٩٤	الصفريية
	فرق أخرى للخوارج
١٩٦	الحسينية ، البدعية ، الجعدية ، التخليية
١٩٧	المزنية ، السرية ، الجرافية ، الالهية
	<u>الفصل الثامن</u>
١٩٨	خصائص الخوارج تمهيد

الموضوع	الصفحة
شجاعتهم وسرعة اندفاعهم	١٩٩
مبالتهم في العبادة والزهد	٢٠٨
فصاحتهم وقوة تأثيرهم	٢١٣
صدقهم في الحديث - ميلهم الى الجدال وقوتهم فيه	٢١٥

الباب الثاني : آراء الخوارج الاعتقادية وموقف الاسلام منها

الفصل الأول

٢١٨	١ - مدخل في : موقف الخوارج بين العقل والشرع، وبين النص والتأويل
	١ - بين العقل والشرع في التحسين والتقبيح
٢١٩	الاتجاه الأول
٢٢١	الاتجاه الثاني
	٢ - بين ظاهر النص والتأويل
٢٢٤	الاتجاه الأول
٢٢٦	الاتجاه الثاني

الفصل الثاني

في بعض مسائل الالهيات والسمعيات
تمهيد : - أ - الالهيات

٢٢٣	١ - صفات الله تعالى
٢٤١	٢ - رومية الله تعالى
٢٥٢	٣ - القوم بخلق القرآن
٢٥٩	٤ - القدر

ب : السمعيات

٢٦٤	١ - وجود الجنة والنار قبل يوم القيامة
٢٦٦	٢ - عذاب القبر

الصفحة	الموضوع
٢٦٩	٣ - الشفاعة
٢٧٤	٤ - الميزان
٢٧٧	٥ - الصراط
	الفصل الثالث
٢٧٨	الايان - تمهيد - ٢ - حقيقة الايمان
٢٧٩	الاتجاه الأول
٢٨٠	الاتجاه الثاني
٢٨٨	٣ - زيادة الايمان ونقصه
٢٩٦	٤ - العلاقة بين الاسلام والايمان
	الفصل الرابع
	حكم الخواج على مرتكبى الذنوب
٣٠٠	١ - الحكم بتكفير المعصاة كفر ملة
٣١٠	٢ - الحكم بتكفير المعصاة كفر نعمة
٣١٧	٣ - حقيقة القول بالمنزلة بين المنزلتين عند الاباضية
٣٢٢	٤ - وجوب الوعد والوعيد
٣٢٦	تساهل من قال باتفاق الخواج على حكم مرتكب الكبيرة
	٥ - أدلة الخواج على تكفير المعصاة والرد عليها
٣٢٨	أ - أدلتهم من الكتاب والرد عليها
٣٣٩	ب - أدلة الخواج من السنة والرد عليها
٣٤٧	٦ - أدلة الاباضية على تكفير المذنبين كفر نعمة والرد عليها
٣٤٩	٧ - تعقيب على آراء الخواج فى أمر المعصاة

الفصل الخامس

الامامة العظيمة

- ١ - تمهيد ٣٥٧
- ٢ - حكم الامامة ، الفريق الأول ، الفريق الثاني ٣٦٢
- ٣ - وحدة الامامة ٣٧٠
- ٤ - شروط الامام ٣٧٢
- ٥ - محاسبة الامام والخروج عليه ٣٨٧
- ٦ - رأى الخوارج فى امامة المفضل ٣٩٦
- ٧ - رأى الخوارج فى امامة المرأة ٣٩٧
- ٨ - الفوارق بين الخوارج والشيعة فى الامامة ٣٩٩

الفصل السادس

- ١ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٠١

الفصل السابع

- رأى الخوارج فى التقية وموقفهم من القعدة ٤٠٩
- ١ - التقية - تمهيد ٤٠٩
- ٢ - آراء الخوارج فى التقية
- ١ - القول بعدم جواز التقية ٤١٠
- ب - القول بجواز التقية قولاً وعملاً ٤١١
- ج - القول بجواز التقية القولية دون العملية ٤١٢
- د - أدلة المانعين للتقية ٤١٢
- هـ - أدلة القائلين بجواز التقية ٤١٣
- ٣ - موقف الخوارج من القعدة
- الرأى الأول ٤١٥
- الرأى الثانى ٤١٦

الفصل الثامن

موقف الخوارج من مخافيتهم

٤٢٠

١ - تمهيد في الولاية والبراءة عند الخوارج

٢ - موقفهم من الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة رضوان الله عليهم

٤٢٤

أ) موقفهم من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

٤٣٦

ب) موقفهم من بعض كبار الصحابة

٣ - موقف الخوارج من عامة المسلمين المخالفين لهم

٤٤٠

أ) موقف الخلافة منهم

٤٤٩

ب) موقف المعتدلين منهم

٤٦٦

٤ - موقف الخوارج من أهل الزمة

٤٦٩

٥ - حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم

الفصل التاسع

الحكم على الخوارج

٤٨١

١ - الحكم بتكفيرهم

٤٩٣

ب - الحكم بعدم تكفير الخوارج

٤٩٨

ج - تعقيب

٥٠٠

الخاتمة

٥٠٤

قائمة بمراجع البحث

٥١٥

الفهرس